

١٧١

الجمهورية

في تفسير القرآن الكريم

استعمل على عجائب بئع المكنوناً وغرائب الآيات الباهرة

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياة آمين

الجزء الحادى عشر

ص ٢١٦ - ٢٧٥

طبع مطبعة

مطبعة البنانى الجليلى وأولاده بمصر

وتحقوق الطبع محفوظة

بمباشرة - محمد امين عمارة

محرم سنة ١٣٤٧ هـ

وَذَكَرْنَا قَائِلًا كَرِيهُنَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج مكية غير ست آيات

(من قوله - هذان خصمان - الى قوله - وهدوا الى صراط الحيد - وهي ٧٨ آية)
وسنذكر مناسبتها لما قبلها عند الابتداء في تفسير القسم الثاني من السورة
(وهي ثلاثة أقسام)

(القسم الأول) في البعث والدليل عليه وما يتبع ذلك من أول السورة الى قوله تعالى - وهدوا الى صراط الحيد -

(القسم الثاني) في الحج والمسجد الحرام من قوله - إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله - الى قوله - وبشر المحسنين -

(القسم الثالث) في أمور عامة كالقتال وهلاك الظالمين والاستدلال بنظام هذه الدنيا على خالقها وضرب مثل بالعجز عن خلق الذباب مجزا تاما من قبل الأصنام المعبودة من قوله تعالى - إن الله يدافع عن الذين آمنوا الى آخر السورة

(القسم الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى

ولكن

وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ
 مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآنَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ
 ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَظِيمٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّبُ فِي الْأَرْحَامِ مَا أَنشَأَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
 ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يَمُوتُ وَمِنكُم مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرذَلِ
 الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
 وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِّن كُلِّ زَوْجٍ بَازِيحٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ * وَمِنَ
 النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن
 سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ
 وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِن أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ
 بِهِ وَإِن أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ ائْتَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ *
 يَدْعُوا مَن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ
 أَقْرَبُ مَن نَّفَعَهُ لَيَبْسُقَنَّ الْمَوْلَىٰ وَلَيَبْسُقَنَّ الْعَشِيرُ * إِنَّا اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ *
 وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَن يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يُرِيدُ * إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
 وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا اللَّهُ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ
 وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * هَذَانِ حَصَنَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ نَارٌ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُضْهِرُ بِهِ مَا

فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودِ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ
أَعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ *
وَهُدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) احذروا عقابه واعملوا بطاعته (إن زلزلة الساعة) قيام الساعة (شيء عظيم)
هائل (يوم ترونها) أي الساعة أو الزلزلة (تذهل) الذهول الذهاب عن الشيء بدهشة (كل مرضعة عما
أرضعت) أي كل امرأة معها ولدها ترضعه عنه . والمقصود من هذا تصوير هولها (وتضع كل ذات حمل حملها)
جنينها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) في الواقع (ولكن عذاب الله شديد)
فأرهقهم هوله بحيث طارت عقولهم وذهب تمييزهم . ولما كان النضرين الحارث يكثر الجدال يقول لابعث
ولاوحى نزل على النبي ﷺ وما الملائكة إلا بنات الله نزلت هذه الآيات الآتية فيه وفي غيره عن علي شاكته
إلى يوم القيامة (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع) في المجادلة وفي غيرها (كل شيطان مرید)
متجرّد للفساد ثم وصفه بأنه (كتب عليه) أي الشيطان (أنه من تولاه) اتبعه وضمير الهاء للشان والحال
(فانه يضله) الجلة خبر لمن أوجوب له . والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه فهو في ضلال (ويهديه إلى عذاب
السعير) لأنه يحمله على ما يؤذى إليه . ثم أخذ يذكر الحجّة على ذلك بالبراهين الطبيعية فقال (يا أيها الناس
إن كنتم في ريب) أي شكّ (من البعث) بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) فان أباكم آدم خلق منه
وهكذا أتم تفدّيتهم بالنبات والحيوان أيضا تفدّيتهم بالنبات والنبات غذاؤه من عناصر مختلفة وهو
من التراب فأتم أيضا من تراب بواسطة (ثم من نطفة) أي المني فالإنسان يكون جسمه مكوّنا من الدم الناشئ
من الغذاء المنتهى إلى التراب وينشأ من فضل ذلك الدم النطفة ليضلق بسببها آخر (ثم من علقه) أي دم جامد
غليظ (ثم من مضغ) قطعة من اللحم وهي في الأصل قدر ما يمضغ (مخلقة وغير مخلقة) مسوّاة لانقص فيها
ولا عيب وغير مسوّاة أو مصوّرة وغير مصوّرة (لنبيين لكم) بهذا التدرّج حكمتنا وابداعنا ونظامنا (ونقرّ في
الأرحام ما نشاء) أي تقرّاه (إلى أجل مسمى) هو وقت الوضع من ستة أشهر إلى أربع سنين ومالم نشأ ثبوته
أسقطته الأرحام (ثم نخرجكم) من الرحم (طفلا) صفارا وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد * وقرئ
- ونقرّ ثم نخرج - بالنصب عطفا على نبيين ويكون المعنى خلقناكم بالتدرّج ﴿ لأمرين * الأول ﴾ إيقافكم
بالتعليم على هيئة تربيّتنا في عملنا وحكمتنا في نظامنا ﴿ والثاني ﴾ اننا تقرّكم في الأرحام حتى تولدوا وتنشؤوا
وتبلغوا أمد التكليف . وفي هذا دلالة على أن قراءة علم الأجنّة له من الشأن ما ليس لنفس الأجنّة بل هو مقدم
عليها فهو سبحانه يقول ان نظامي المتقن انما المقصد منه أن تدرّسوه وما خلقتكم إلا لتبينوه وتعرفوه . إن
معرفتكم لهذا الخلق ونظامه هي المقصودة من خلقكم ولولم يكن في القرآن كله سوى هذه الجلة لكفى في تبيان
أن العلوم الطبيعية كلها واجبة دراستها وجوبا عاما أي انها فرض كفاية يقوم بها البعض والباقيون يستمتون
من ذلك البعض . وكما ان القرآن يقول الله فيه انه تبيان هكذا يقول في الطبيعة أو أهم قسم منها انها للتبيين
فالقرآن تبيان والطبيعة تبيين (ثم) تربيكم (تبلغوا أشدكم) كمال عقلكم وقوتكم جمع شدة كالنجم جمع نعمة

(ومنكم من يتوفى) عند بلوغه الأشد أوقبله (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) أى ليعود كحيثه الأولى سخييف العقل قليل الفهم ناسيا للعلم . فهذا دليل على امكان البعث لأن هذه التغيرات المتتابعة المتناسقة تدل على أن التغير مستمر فإذا مات أمكن أن يحيى

﴿ عجيبة من عجائب العلم ﴾

اعلم أن هذه الحججة بعينها هى التى أدلى بها (سقراط) عند موته لما كان تلاميذه حوله وهو يودعهم فى النفس الأخير . فهناك ما ترجمه الفيلسوف (سنتلانه) الطليانى والقبطى المصرى . ولأكتف لك بما يناسب هذه الآية قال ﴿ إنا نشاهد الضد يتولد عن ضده فالجيل ينشأ من القبيح والعدل من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة والقوة من الضعف وبالعكس فالأشياء يستحيل بعضها إلى بعض ثم ترجع بصفة دائرة إلى ما كانت عليه والحياة والموت والوجود والعدم تقيضان . فالوجود ينشأ من العدم والموت ينشأ من الحياة وعلى ذلك يلزم أن تنشأ الحياة من الموت إذ لا بد أن يكون للموت ما يناقضه والا فقد خالفت الطبيعة قاعدتها المطردة فى جميع الأشياء ﴾ انتهى المقصود منه

فانظر كيف كان استدلال (سقراط) على الحياة بعد الموت قبل القرآن بنحو تسعمائة سنة هو الطريق الذى نزل به الوحي . فالقرآن إذن بهذا يقيم للمسلمين الحجج العقلية ويفتح لهم باب الفهم فكأنه يقول أنا لم أرد أن أعلمكم ذلك بالوحي مجردا بل انى أردت أن أفتح لكم باب البراهين العقلية وهذا بعض ما عناه بقوله - لنبين لكم - فهذا من التبيين وهو الاستدلال . ثم ذكر دليلا آخر تسهل مشاهدته للناس فقال سبحانه (وترى الأرض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفضت * وقرئ - وربأت - أى ارتفعت (وأنبئت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق (ذلك) هذا إشارة إلى ما تقدم من خلق الانسان فى أطوار مختلفة واحياء الأرض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بأن الله هو الحق) أى ذلك حاصل بسبب أن الله هو الثابت الوجود فيصرف الموجودات فى أطوارها وهو لا يتغير ويبقى وجودكم على كل حال وان تغيرتم فى الأطوار (١) فبقاؤكم سببه انه هو باقى (٢) وتغيركم سببه انه قادر وحكيم ويكون ذلك لتربيتكم وترقيتكم لتقربوا منه فى مقعد صدق . وعبر عن المعنى الثانى بقوله (وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) فهذه الجمل الأربع تبين للمعنى الثانى . يقول الله أنا حق ثابت باقى فلذلك أبقىكم إلى ما لا يتناهى من الزمان وأنا قادر وحكيم فلذلك خلقتكم أطوارا . هذه هى الحجج التى ذكرها من علوم الطبيعة استدلالا على البعث

﴿ ذم المجيبين بأنفسهم والمعاندين ﴾

قال تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) أى بلا علم كالنضربن الحرت (ولا هدى) أى استدلال يهدى إلى المعرفة (ولا كتاب منير) أى وحى حال كونه (ثانى عطفه) أى لاوى جنبه وعنقه متبخترا متكبيرا معرضا عما يدعى إليه من الحق * وقرئ - عطفه - بفتح العين أى مانعا تعطفه إلى غيره . يقول الله تعالى هو يجادل (ليضل عن سبيل الله) أى عن دين الله (له فى الدنيا خزي) هو ان ذل فانه قتل هو وعقبة ابن أبى معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) المحرق . هكذا كل من اتبع هواه فطاش سهمه وقل عقله فتكبر عن العلم وأعرض عن الاستدلال تها وغرورا . ومثل هذا لا يعطف على الناس لأنه لا يرى أن هناك حياة بعد الموت فتكون همته فى الحياة الدنيا ويقال له (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) بل هو مجاز لهم على أعمالهم والمبالغة فى ظلام لكثرة العبيد . ولما ذكر أن المجيبين بأنفسهم يستدون عن ذكر الله ويعرضون عن الاستدلال أعقبه بذكر من كان أمرهم كالمعلق فى الدين فلا هم آمنوا مطمئنين ولا هم من المتكبرين بل هم كالمذبذبين وهم قوم يعبدون الله على وجه التجربة والشك وانتظار نعمة فان

أصابه خير بقي مؤمنا وان أصابه شرّ ترك الدين وهو قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى طرف من الدين فلا ثبات له فثله كمثل الذى يكون على طرف الجيش فان كانت غنيمه اقتسم وان كانت هزيمة كان أول من انهزم وهذا قوله (فان أصابه خيرا اطمان) سكن واستقرّ (به) بالخير والدين فعبد الله (وان أصابته فتنة) شرّ وبلاء فى جسده وضيق فى معيشته (انقلب على وجهه) جهته أى ارتدّ ورجع الى الكفر حال كونه قد (خسر الدنيا والآخرة ذلك) أى خسران الدارين (هو الخسران المبين) الظاهر فلا يخفى على أحد وذلك منطبق على أعراب قدموا المدينة فاذا صحّ بدن أحدهم وتجت فرسه مهرا سرىا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله قال قد أصبت خيرا بالاسلام واطمان . وان كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب عن دينه (يدعو من دون الله) بعد الردّة من الأصنام (ملا يضرّه) ان لم يعبده (وملا ينفعه) ان عبده (ذلك هو الضلال البعيد) عن الصواب (يدعون ضرّه) بكونه معبودا عبادة توجب القتل فى الدنيا بارتداده عن الاسلام والعذاب فى الآخرة (أقرب من نفعه) الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة (لبئس المولى) الناصر (ولبئس العشير) المصاحب وأى عشيرهذا وأى مصاحب اذا كان لا ينفع مولاه ولا ينصر من يعاشره أما الله فهو ينفع (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الى قوله (إن الله يفعل ما يريد) فتبين من هذا أن الأصنام لا تنفع وأن الله ينصر من تولاه فيدخله الجنات ومن تولاه سيدنا محمد ﷺ فهو ناصره ومن أكبر أسباب العذاب فى جهنم والحزى فيها والافتضاح ما يدخل الانسان من الحقد والغيط على النعم التى يسديها الله لعباده فان الله خلق الناس ليتعارفوا فمن داخله الحقد والغيط من نصر الله لمحمد ﷺ فليفعل كل ما يريد وليمد جبلا الى سقوف بيته فليقطع أى فليختنق لأن المختنق يقطع نفسه بحبس المجارى . والقصد من ذلك أن جهنم تحرق من كفر ومن حنق غيظا على الناس بل الآخرة لمن صفت سرايرهم ولم تخبث نياتهم وهذا قوله (من كان يظن أن لن ينصره الله) أى محمدا ﷺ (فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) سماء بيته (ثم ليقطع) ثم ليختنق (فليتنظر) فليتنصّر فى نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك الذى سمي كيدا لأنه منتهى ما يطيقه المغتاط من الفعل (ما يغيط) أى غيظه من نصر الله لعبده محمد ﷺ وهكذا كل من كره النعم التى يعطيها الله لعباده جاهلا أن النوع الانسانى ينفع بعضه بعضا فمن كره نعمة غيره فقد كره نفسه من حيث لا يعلم لأن الناس فى الحقيقة جميعا على سطح الأرض كالتضامنين وان لم يعرفوا ذلك فان أمم الشرق ينفعها أمم الغرب والعكس . فهكذا محمد ﷺ دينه نافع لهؤلاء الناس وقد صحّ ذلك فان أبناء العرب اتبعوه بعد ذلك إلا قليلا . وقولنا ان من كره نعم الناس فقد كره نفسه قد برهن عليها الحكماء فى علم الفلسفة فقد قالوا (إن الناس ينفع بعضهم بعضا فان كل امرئ محتاج لسواه من سائر الناس يصل اليه خيرهم من حيث لا يدري بالتجارة والعلم وغيرها فهؤلاء مكملون له ومن كره غيره فقد كره من يكمل نفسه ومن كره من يكمل نفسه فقد كره كمال نفسه فقد كره كمال نفسه ومن كره كمال نفسه فقد أحب نقصها . ومعانوم أن الانسان طبعاً مغرم بحب كمال نفسه فتكون النتيجة هكذا أحب كمال نفسه وأحبّ نقص نفسه أو أحب نفسه وكره نفسه واذا كرهها فقد استحل خنقها) وهذا البرهان الجيب هو الذى كان السرّ فى التعبير بقوله - فليقطع - كأنه يقال أيها الكاره لمحمد الذى جاء لانقاذك ان نعم جميع الناس لاسباب الأنبياء نافعة لك فاذا كرهت نعم محمد فكأنك تختنق لأن النتيجة انك تكره النعم لنفسك فتكره نفسك فتستبيح خنقها من حيث لا تشعر

لانفعل ذلك أيها المكذب محمد ﷺ ولا تجعل للغيط محلا من قلبك فان القرآن كله آيات وانحاث ولا بد من أن يم فاتبعه فهو خير لك من التماذى فى العداوة والغيط وهذا هو قوله (وكذلك) أى مثل ذلك الانزال (أنزلناه) أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) واضحات (وأن الله يهدى) أى ولأن الله يهدى به أو يثبت على الهدى (من يريد) هدايته أو ثباته أنزله كذلك مينا . وهنا أخذ يجلى حقيقة العالم الانسانى كله بعد ما بين

حقيقة المعاندين فقال سبحانه (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) فيظهر المحق من المبطل ويجازى كلا بما فعل وبضعه في مقامه اللائق به فليس الله بغائب عن أحد . فالأنبياء وأممهم والطائعون والعاصون كلهم تحت مراقبته (إن الله على كل شئ شهيد) عالم مراقب لأحوالهم جميعا ومن ذلك مراقبة قلوب الحاسدين المغتاطين وقلوب المعاندين والكافرين وقلوب جميع المؤمنين بالأنبياء السابقين فإن هم استقاموا أدخلهم جناته وان عصوا أو كفروا أدخلهم ناره ومن أشد معصيتهم أن ينكروا رسالة محمد ﷺ حين عرفوا حقيقة دينه وهو مطلع على قلوبهم فيعدتهم وان كنتم في شك من مراقبة الله لجميع العالم فانظروا كيف سجد له كل ما في السموات والأرض من عاقل وغيره وخضع لتسخيره مع النظام الجليل . فهل يغفل عما نظمه بعلمه وصرّفه بقدرته ودبر أحقر الحشرات وأحقر الذرات وجعل لكل حشرة من الكمال ما جعل لكل فيل من كماله بل لكل كوكب وشمس من عنايته . فكيف ترون هذا وتظنون انه غافل مع ان مراقبته واضحة لمن تأمل في الأشكال والأحوال والأخلاق والأطوار وارضاع الأمهات لأولادها وهو قوله مستدلا على أنه - على كل شئ شهيد - (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض) غلب العاقل على غيره وخص بالذكر أعظم ما تراه فعضف ما يأتي فقال (والشمس والقمر والنجوم والجال والنبات والشجر والدواب وكثير من الناس) قد سجدوا سجود عبادة مع سجود التسخير الذي اشتركوا فيه مع غيرهم من العوالم (وكثير حق عليه العذاب) لأنهم لم يسجدوا سجود عبادة ليطابق سجود التسخير بكفرهم . ثم أعقبه بأن الفعل له وحده فقال (ومن يهن الله) بالشقاوة (فإنه من مكرم) بكرمه بالسعادة وحينئذ يقال ما سبب هذا التمييز فيجيب (إن الله يفعل ما يشاء) لحكم لاندركونها في الاهانة لقوم والخفض لآخرين بما استعدوا له كما استعدت النودة لسكنى الطين والهوام لسكنى التراب والسمك لسكنى البحر . فهذا من النظام العام في العالم الجسمي والعقلي وعقول أكثر الناس قاصرة لاتصل الى فهم الحقيقة (هذان خصمان) فريقان مختصمان فلفظ خصم وصف لفريق المحذوف وقوله - اختصموا في ربهم - راجع للعلمي فالمؤمنون فريق والكافرون فريق آخر (اختصموا في ربهم) أى جادلوا في دينه فيقول أهل الكتاب نحن أولى بالله منكم ونحن أقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم . وقال المسلمون لهم نحن أحقّ بالله آمنّا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبكتابتنا وأنتم تعرفون نبينا وصدقته ولكن كفرتم حسدا والكلام أعمّ من هذين الفريقين وهؤلاء قد فصل الله بينهم كما قال - إن الله يفصل بينهم يوم القيامة - ثم قال (فالذين كفروا قطعت لهم نياح من نار) تحيط بهم احاطة كأحاطة الثياب حال كونهم (يصب من فوق رؤسهم الحميم) الماء الحار حال كون الحميم (يصهر) يذاب (به ما في بطونهم) من فرط الحرارة المؤثرة في ظواهرهم وجلودهم الممتدة الى أحشائهم (والجلود) لأنها الملاقية لتلك الحرارة (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم (أعيدوا فيها) أى ردوا اليها بالمقامع . ويقال ان جهنم لتجيش بهم فتلقبهم الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بتلك المقامع فيهبون فيها سبعين خريفا

﴿ العذاب المصغر في الدنيا مقدمة العذاب في جهنم ﴾

واعلم أن نظائر هذا في الدنيا والناس يضربون الآن بمقامع معنوية وهم لا يشعرون انهم يضربون ويزجون في العذاب . فهناك عادة شرب ﴿ التبغ ﴾ وهوا التدخين وعادة الخمر وعادة شرب الشاي وعادة شرب القهوة وعادة الاسراف في المآتم والأفراح وعادات كثيرة من هذا القبيل يعلم الناس انها مهلكة لهم ولكنهم - كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم - أعيدوا فيها - هكذا الدول في أوروبا شككت لجنة سميتها ﴿ جمعية الأمم ﴾ للفصل بينها في القضايا . ومن أكبر دول الأرض دولة الانجليز وهي التي بطشت ببلادنا المصرية

بطشة الجبارين وقد كانت نزع السلاح من الفلاحين ومن الأمة من قبل وأخذت منا السودان وأرجعت
 عسكرينا . والعالم الانساني كله يصرخ ونفس عقلاهم يصرخون قائلين ﴿ لاسلام لاسلام في الأرض ﴾ والأم
 كلها تعلم انهم لاسعادة لهم إلا بسعادة كل منهم . ولكن مقامع الشره والحرص تردهم الى أسفل سافلين وهذا
 هو معنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم - أى من حيث نظام جسمه وبهيجته ونظام عقله
 - ثم رددناه أسفل سافلين - فجعلناه يرتطم في أوحال الأكاذيب والشهوات والطمع والحرص فيضرب المرء أخاه
 وتضرر الأمة غيرها مع علمها أن الضرر يرجع عليها بنقص الثمرات النافعة التي كانت تجنيها من أخواتها في
 الانسانية . ترى الرجل يكثر من الكلام أو الأكل أو يكثر غضبه أو حرصه على المال أو غمه عليه أو عداوته
 أو كبرياؤه أو عجزه أو كراهته للناس أو يكون جباناً أو كثير الكسل أو النوم أو الخوض في أعراض الناس ثم اذا
 سمع مثل هذا القول أو عرف الحقائق تمنى لو يرجع عن عادته ولكن سوء الأثر والتربية والعادة تقمعه بمقامع
 من حديد لانزاهها ولكن أثره أشد من آثار المقامع الحديدية فيخرج في جهنم ومعها الأعمال . فهذا عذاب
 واقع فعلا ولكن الناس لا يفهمون أنه عذاب وهو مقدمة للاختباط والاختلاط والآلام بعد الموت وسيكون
 للناس هناك حسرات وزفرات وحال مزعجة . فعقولهم هنا هي عقولهم هناك . فالمقامع تكون هناك أمم
 والعذاب يكون هناك أخرى - إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة
 والناس أجمعين - ويقال لهم فيها (وذوقوا عذاب الحريق) أى النار البالغة في الاحراق . ولما فرغ من
 الكلام على أصحاب النار الذين هم ناقصوا النفوس لجهنم أخذ يذكر الجنة لكاملى النفوس لصلاتهم فقال
 (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها) حليا كانوا (من
 أساور) جمع اسورة جمع سوار . وبين الأساور بأنها (من ذهب) وعطف على الأساور قوله (ولوؤلؤا) أى
 ويؤتون لؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) جملة اسمية أفادت انهم اعتادوا لبس الابرسم الذى حرم لبسه على الرجال
 في الدنيا * وفي حديث البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال ﴿ جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان
 من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة
 عدن ﴾ انتهى

فأهل النار منغمسون في آلام الأهواء والشهوات والخوف والطمع والغضب والبغض ، وأعدى أعداء
 الانسانية في كل حال ﴿ شيان ﴾ البغض والخوف ومنه الجبن ، وسعادة الانسانية الحب والشجاعة والعلم
 فيها يدخلون الجنة . ومن العلم الايمان الصحيح . ومتى ازدادت الحكمة والعلم وصفت الأخلاق رأى الناس
 ربهم . وكبرياء الله في الحديث هي تعاطفه أن يراه الناس إلا اذا صفت النفوس فارتقت الى العالم الأعلى اللطيف
 فعرفت وذلك قوله تعالى (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم - الحمد لله الذى صدقنا وعده -
 و ﴿ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ (وهدوا الى صراط الحيد) أى الى دين الاسلام أى
 هدوا الى دين الله المحمود . فالطيب من القول المذكور انما هو وقوف النفس على الحقائق إذ يحيط علما بهذه
 المحلوقات على مقدار طاقتة المعبر عنه بانفراد الله بالربوبية وصدور جميع النعم عنه وتترزه عن الحوادث وذلك
 لا يكفى فيه علم التوحيد بل لابد من دراسة نظام هذه الدنيا درسا متقنا وهذه الدراسة تفتح باب الحب على
 مصراعيه ﴿ لأمرين ﴾ الأول ﴿ جمال الله المنبعث في هذه الدنيا ﴾ والثانى ﴿ النوع الانساني فيتعشق العلم
 بالأول والاحسان للثانى . فبالأول يرى الله وبالثانى يدخل الجنة لأن الجنة من يدخلها يكون سعيدا بالحب
 ومادامت هناك بغض بين أهلها فلاسعادة ولاجنة فالقلوب المتباعدة متفرقة والقلوب المتحاببة مقربة
 كما ان النار مفرقة والجنة تجمع . ومثاله في الدنيا نار الحريق تفرق المجتمعات المختلفة كالخطب المركب من
 عناصر مختلفة وتجمع المؤتلفات كالطين توقد النار عليه فيتصد . فنار الحب تجمع المؤتلفات ونار البغض تفرق

المختلفات وهكذا سيكون في الآخرة نار الحريق لنوى النفوس المبغضة للناس ومنها نفوس الكفار الذين خالفوا طريق الحق في نفع الانسانية ونور الحب المشرق في الجنة فيجمعهم لأن نفوسهم مؤتلفة والاتلاف بالايمن والعلم ظاهر في الدنيا فهكذا في الأخرى . وكلما كان في الدنيا أمتن وأقوى كان في الآخرة أمكن فما هناك نهاية ما هنا . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول من السورة وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في قوله تعالى - يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم -

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم -

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلا -

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - وترى الأرض هامدة - الخ

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم - ﴾

اعلم أن أول سورة (الحج) يناسب أول سورة (الأنبياء) فهناك يقال - اقترب للناس حسابهم - وهنا يقال - إن زلزلة الساعة شئ عظيم - فليخص افتتاح السورتين انها قريبة وانها شديدة . وقد ذكرنا شياً من أمر قرب الساعة في أول (الأنبياء) ونذكر هنا قربها بأوضح وجه ، ذلك ليعلم المسلمون بعدنا أن الأمم الاسلامية قد حل بها كتب وآراء وأحلام أدخلت الغفلة على العقول وأحلت بساحاتها كثيرا من الأراجيف وأكاذيب أضرت بأخلاق الأمة . ومما يحزنني ويوقع في نفسي أشد الأسى أن كثيرين من عظماء الأمم الاسلامية ورجالات العلم تجوز عليهم ترهات فيتبعها من بعدهم . واني أقول ولا أخشى لومة لائم أن الضلال الذي استحکم وانتشر في أمر الساعة وتعيين زمانها قد أثر أسوأ الأثر في أمم الاسلام كما أضرت بآبائنا وبنائنا أس المهدي وظهوره . وانتشار هذه الآراء في أقطار الاسلام قد فرقتهم وخط من شأنهم . ولأذ كرك الكلام على قرب الساعة هنا وعلى ظهور المهدي في هذا المقام لتعرف الرأي الصحيح حتى اذا قرأت قوله تعالى في سورة (المؤمنون) - فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون - عرفت أن أمر المهدي فرقتهم وقطع أوصالهم وأن ما ذكره هنا بمناسبة أمر الساعة يقوم مقام ذكره هناك في نفس هذا المجلد وانما جمعناهما معا لتشابههما وتقاربهما واتصالهما . فلا جعل الكلام في ﴿ فصلين ﴾ الفصل الأول ﴿ في الكلام على قرب الساعة ﴾ الفصل الثاني ﴿ في الكلام على المهدي المنتظر الذي يكون قبل قيام الساعة ﴾

﴿ الفصل الأول في الكلام على قرب الساعة ﴾

(١) نقل السهيلي عن الطبري أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة قال العلامة ابن خلدون ونقض ذلك بظهور كذبه وكان رأي الطبري مأخوذا بطريق الحدس والتخمين . وقد كان مستنده في ذلك انه نقل عن ابن عباس ﴿ أن الدنيا جعة من جع الآخرة والجمعة سبعة أيام واليوم ألف سنة ﴾ وقوله ﷺ ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى ﴾ مع قوله ﷺ ﴿ أجلكم في أجل من قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس ﴾ وصلاة العصر في بعض المذاهب اذا صار ظل كل شئ مثليه وهذا على وجه التقريب نصف سبع وهو في هذا المقام ٥٠٠ سنة و بعد هذا التطويل والاستدلال والاستنتاج ظهر كذب هذا الرأي ذلك لأننا الآن في القرن الرابع عشر فالقيامه قد مضى لها إذن تسعة قرون ونحن الآن في الآخرة لاني الدنيا وهذه من المفجعات

(٢) وقال السهيلي أيضا ﴿ إن حروف أوائل السور بعد حذف المكرر منها تكون هكذا (ألم يسطع نص حق كره) وهي ١٤ حرفا وجلها ٧٠٣ ﴾ هذا قوله وقد أخطأ في ١٠ لأن الجمل ٦٩٣ فاعتقد السهيلي أن القيامة تقوم سنة ٧٠٣ هجرية باعتبار هذا الجمل (بتشديد الميم) وقد ظهر كذبه أيضا

(٣) وقال شاذان البلخي وهو من المنجمين ﴿ ان الملة تنتهي الى سنة ٣٢٠ هجرية ﴾ ومعلوم كذب

هذا أيضا

- (٤) وقال يعقوب بن اسحاق الكندي ﴿ ان مدة الملة تنتهى الى سنة ٦٩٣ هـ ﴾ يريد عدد حروف الجمل المتقدمة على وجه التحقيق كما تقدم وقد عرفت كذبه أيضا
- (٥) وقال نوفيل الرومي المنجم في أيام بنى أمية ﴿ ان ملة الاسلام تبقى ٩٦٠ سنة ﴾ وقد كذب أيضا
- (٦) قال جراس ﴿ انفقوا على أن خراب العالم بعد ٩٦٠ سنة ﴾ وهو كذب أيضا
- ﴿ الفصل الثانى فى الكلام على ظهور المهدي المنتظر ﴾

اعلم أيها الذكي أنى وأنا طالب بالجامع الأزهر فى السنين الأولى كنت مارا يوما صباحا إذ سمعت عالما يقرأ فى الحديث الشريف وهو يقول مامعناه (سيخرج رجل من آل بيتى اسمه على اسمى واسم أبيه على اسم أبى عملاً الدنيا نورا وعدلا كما ملئت ظلمًا وجورًا) فلما سمعته تأقت نفسى لهذا المهدي الذى سيخرج فى الأمم الاسلامية ويهديها . ولما كنت فى الريف أيام العطلة ببلادنا بالشرقية كنت أسمع من العامة فى سمرهم أن المهدي سيظهر ويقسم الأرض بين الناس وتكون سعادة عامة فأصبحت فكرة المهدي عامة فى المسلمين العلماء والجهال . فلما قرأت الكتب وجدت لهذا المهدي أحاديث كثيرة وقد قام فى الأمة فعلا رجال بهذا العنوان كالمهدي السودانى وكعبيد الله المهدي الذى كانت له ولترتيته دولة الفاطميين بالمغرب ومصر وهكذا غيرها . ولقد رأيت أعظم عالم بمصر أيام ظهور المهدي السودانى يقول انه هو المهدي فأيقنت بأن الأمة الاسلامية تغفلت فيها هذه الفكرة وثبتت ولم أر عالما فى الأمة أماط اللثام عنها وشرحها شرحا وافيا مثل العلامة ابن خلدون فانه هو الذى جمع الأحاديث الواردة فى المهدي وأتى بجرحها وقال ان الجرح مقدم على التعديل كما هو معلوم عند علماء مصطلح الحديث وأنى بكلام الصوفية . وظهر من بيانه أنه لافرق فى هذه الأمة بين رجال الحديث ورجال التصوف من حيث ان كلا منهما تدخل عليه الغفلة مهما حدق وعلا كعبه فى العلم . وعجبت لهذه الأمة المسكينة كيف ظهر فيها محققون وكيف يبقى هذا التحقيق فى كتب لا تظهر لأهل العلم جميعا . إن هذا التحقيق فى مقدمة ابن خلدون فكان واجبا على أهل العلم أن يبينوا ذلك وأمثلة فى كتب الحديث وفى مناسبات كثيرة حتى تعرف الأمة الحقائق . ولعل تلخيص هذا المقام فى هذا التفسير مما يعمم الفكرة ويزيل الضلالة والجهالة من بلاد الاسلام . فاذا كنت أنا وأفاضل شيوخى قد سرت فينا الفكرة وسرت فى آفاق الاسلام فلا تلخص الموضوع تلخيصا تنويرا للأذهان حتى تطرد تلك الفكرة من الأذهان فى بلاد الاسلام فأقول

(١) روى أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار عن مالك بن أنس بسنده عن رسول الله ﷺ انه قال ﴿ من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب ﴾ وهكذا قال فى طواع الشمس من مغربها وأبو بكر الاسكاف عندهم متهم وضاع

(٢) وروى ﴿ لولم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ﴾ وهناك روايات أخرى وكلها معتبرة من الأحاديث الحسنة الصحيحة ولكن مع هذه الصحة قد طعن فيها بأن الحديث مروى عن عاصم وعاصم ضعيف الرواية وكثير الخطأ فى حديثه وفى حديثه اضطراب

(٣) وروى أيضا فى حديث من رواية قطن بن خليفة وهو متهم وقال الدارقطنى لا يحتج به وقال الجرجاني زائف غير ثقة

(٤) نظر على الى ابنه الحسن وقال ان ابني هذا سيد (كما سماه رسول الله ﷺ) سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق عملاً الأرض عدلا . وفيه روايات أخرى ومن رواته عمر بن أبى قيس وفى حديثه خطأ وله أوهام ومن الرواة له أبو اسحق وقد اختلط فى آخر عمره وهكذا ذكر بقية

الروايات وأتى بجرحها ثاوة وانكارها أخرى . وليس لي أن أذكر ذلك كله فان ذلك اطالة في هذا التفسير الذي أردت فيه أن تكون الفائدة قريبة المأخذ وهذه الأحاديث متشابهة وروايتها كثيرا ما يكون الحديث صحيحا بسبب عدالتهم وشهرتهم ولكن يطعن فيه بسبب غفلة رجل منهم أو خطئه أو نحو ذلك . فإذا تفيدنا الاطالة ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق . فلما أتمها قال . فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه ثم روى حديثا بنى المهدي وتكلم في جرحه وتعديله . انتهى

﴿ كلام رجال الصوفية ﴾

قال العلامة ابن خلدون ﴿ إن المتقدمين منهم لم يخوضوا في شيء من هذا وإنما كان كلامهم في المجاهدة بالأعمال وما يحصل عنها من المواجيد والأحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي ﷺ والتبري من الشيخين . ثم حدث بعد ذلك القول بالإمام المعصوم . (أقول وقد تقدم هذا في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - فافترأه ان شئت فانه مستوفى هناك) وكثرت التآليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية يدعون ألوهية الامام بنوع من الحلول والآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عود الأمر في أهل البيت مستدلين بأحاديث المهدي التي تقدم بعضها هنا . ثم حصل بعد ذلك عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الاله فيهم وظهر أيضا منهم القول بالقطب والابدال وكأنه يحكى مذهب الرافضة في الامام والقباء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرق أن عليا رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظهر منهم أيضا القول بالقطب وامتلات كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر وبنوا ذلك على أصول وأهية وربما استدلوا بكلام المنجمين في القرانات ﴿

قال ﴿ وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب (عناق مغرب) وابن قسي في كتاب (خلع النعلين) وعبدالحق بن سبعين وابن أبي واطيل تلميذه في شرحه لكتاب (خلع النعلين) وأكثر كلماتهم في شأنه ألقاظ وأمثال وربما يصرحون في الأقل أو يصرح مفسرو كلامهم بأن هناك نبوة خلافة فلان فيحدث تكبر وتجبر وباطل وهناك تكون ولاية وخلافة للولاية فلان ثم كفر . فكما كانت النبوة لها خلافة فلان فتجبر هكذا للولاية خلافة فلان ثم كفر والولاية للفاطمي المنتظر وسماه ابن العربي الحاتمي (خاتم الأولياء) وكفى عنه بلبنة الفضة مشيرا الى حديث البخاري في (باب خاتم النبيين) إذ قال ﷺ مثل فيمن قبل من الأنبياء كمثل رجل ابنتي بيتا وأكمله حتى اذا لم يبق منه إلا موضع لبنة فأتا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللينة حتى أكملت البنيان ﴿

ويقولون ان الولاية لها مراتب كمراتب النبوة وخاتم الأولياء كخاتم الأنبياء . فخاتم الأنبياء أكمل بنيان الأنبياء وخاتم الأولياء أكمل بنيان الأولياء غاية الأمر أن النبي ﷺ لبنته من ذهب وخاتم الأولياء لبنته من فضة . وقال ابن العربي فيما نقل عنه ابن أبي واطيل وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون بعد مضي (خ ف ج) من الهجرة وذلك بالجل ٤٨٣ سنة وهي في آخر القرن السابع . ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حل ذلك مقلدوهم على أن المراد بتلك المدة (مولده) وأن خروجه بعد ٧١٠ يخرج من

ناحية المغرب . أقول وأنت تعلم أن ذلك لم يتم . وأطال العلامة ابن خلدون في نقل كلامهم على هذا النحو ثم قال ﴿ والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله . قال وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أرىناك هناك وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ، ووجد أم آخرون قد استعانت عصبيتهم على عصبية قريش إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبين من بنى حسن و بنى حسين و بنى جعفر وهم منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم يبلغون آلافا من الكثرة . فان صحّ ظهور المهدي فلاوجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم و يؤلف الله بين قلوبهم في أتباعه حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحل الناس عليها واما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم الى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة . ثم أفاض في ذلك وأبان أن ما يدعيه العامة والاعمار في ذلك من الدهماء لا يرجع الى عقل ولا هدى ولا كتاب منير

هذا ما أردت تلخيصه من مقدمة العلامة ابن خلدون في أمر قرب الساعة وفي أمر قيام المهدي لتستبين سبيل الرشاد ويقف المسلمون بعدنا على آراء قد انتشرت قبلنا في بلاد الاسلام وفرقتهم وزعزعتهم . فاقتراب الساعة بالمعنى المتقدم وظهور المهدي كلاهما قد أضعف عزائم الأمة وأورثها الخور . ومن أعجب العجب أن ينسب هذا للعلامة الكبير ابن العربي . ولقد اطلعت في الفتوحات المكية على هذا المعنى في مواضع منه فان صح هذا ولم يكن مدسوسا عليه من أهل زمانه كان ذلك دال على داء فتاك أصاب الأمة كلها وقطع أحشاءها فاذا وصل الداء الى كبار العلماء والأولياء فقد وصل الى قلب الأمة وهذا هو الموت . يسمع المسلم بقرب قيام الساعة بالمعنى المتقدم التي قد ظهر كذبها فيقول لم أعمل ولم أجد والناس سيموتون جميعا ويسمع بالمهدي المنتظر فاذا قام داع سارع اليه الجهلاء . والتفوا حوله ثم يقوم آخر فيتبعه آخر وهكذا حتى ان مشايخ الصوفية كل منهم قد اتخذ لنفسه أتباعا وأراهم أنهم أحق بالله وبالحقائق وغيرهم من أمم الاسلام جاهلون ولست أذكر شيخا خاصا فان هذا التفسير عام للمسلمين ولكني أقول قولاً جامعاً

أيها المسلمون . ويا أيها العلماء . اسمعوا . حمّ الأمر وقضى الله بالحق . هاهي ذمة الاسلام قد تفرقت شيعا وذاق بعضها بأس بعض . ليس لكم والله ملجأ إلا الرجوع لنفس القرآن وقراءة جميع العلوم ودراسة هذه الدنيا من العلوم الفلكية والطبيعية والسياسية وهكذا . اذا درس المسلم علم الفلك نظر فقال يا الله أنت خلقت آلاف آلاف الكواكب وأرضنا بالنسبة لتلك المخلوقات كما تقدم لوصفرت حتى صارت جوهرها فردا ثم صغرت العوالم على مقتضاها صارت العوالم كلها ألف مليون أرض كأرضنا هذه على حالها اليوم . هنالك يقول المسلم . فاذا كانت أرضنا هذه حالها فهي أشبه بالعدم . فمن هو هذا الذي يدعى انه قد حل فيه الله وما الأرض ومن عليها . ثم ينظر المسلم فيرى حكمة وابداعا وغرائب وعجائب في أصغر حشرة وورقة فيدهش لابداع الله و يتبهر بالحكمة وهناك يقرأ المسلمون العلوم ويعرفون الصناعات ومتى فعلوا ذلك رفعوا أعينهم أما الاتكال على المهدي وانه سيجيء فيتبعه الناس فعنى هذا أنهم متكئون عليه في اسعادهم ولم شعنهم والله عز وجل هو الذي خلق الناس وأعطاهم عقولا وأمرهم انهم هم الذين يجتهدون ويجتهدون بأنفسهم - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره -

سيأتي لهذا المقام بقية في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - الى قوله - كل الينا راجعون - . وقصارى القول هنا أن الله عز وجل ما أنزل كتابا من السماء ولا علم علما إلا مريدا بذلك ايقاظ الهمم . فاذا قصد المسلمون من الراضية والشيعة والامامية ومن تبعهم من

الصوفية المتأخرين بالمهدى أن يكون سببا في اسعادهم وهداهم مرة واحدة فقد أخطؤا وليعلموا أن الطفل لا يولد إلا بعد نموه في الرحم بالتدرج . هكذا لا تكون الهداية والرحمة العامة التي تجعل الناس أسرة واحدة إلا بجد واجتهاد من الأم كلها التي أهمها الأم الاسلامية المستقبلية التي تنتشر فيها هذه الآراء وبها يجتدون في الرقي . هنالك يعقل الناس معنى التعاون العام والهداية العامة والعيش بسلام مع الأم والروح العيسوية التي ورد ذكرها في الأحاديث الشريفة . وقد قدمنا في هذا التفسير في غير ما موضع أن المدار على هذه الروح العامة بالجد والاجتهاد منا نحن الذين نعيش في الأرض . هنالك لامانع يمنع من نزول المسيح ابن مريم لأنه يجد الناس يقبلون دعوته . وقلنا هناك إن المدار على هذه الروح في أهل الأرض لاعلى رجل واحد أو رجال يسقون الناس الهدى سقيا بلا استعداد ولاهدى . واعلم أن الأم اليوم أخذت تتقارب في السياسة وتسمى للسلام كما سيأتي في سورة (المؤمنون) . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - ثم من مضفة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم - ﴾

اعلم أن هذا المقام قد استوفيته في أول سورة (آل عمران) وتبين لك فيه كيف كان الله مينا في علم الطبيعة كما كان مينا بالكتب السماوية مفهما نوع الانسان في سفر الكائنات مالا يتحملة كتاب من الكتب ولا يعقل حكيم من الحكماء . وهناك ترى كيف كان الخلاف بين هيكل الألماني الفيلسوف وبين بعض علماء ألمانيا في تكوين الأجنة وكيف كانت أدوار الجنين في بطن أمه دالة على تناسق العوالم الحيوانية وأنها درجات وكيف كان هذا الكتاب الذي أودعه الله بطون الأممات مفصلا تفصيلا بحيث تقرأ أبوابه بابا بابا كما تقرأ كتب الديانات وكتب العلوم من الحساب والهندسة والطب . وكيف ترى أجسامنا ونحن أجنة تفتح باب العوالم الحية فترى كأنها حيوان الماء تارة وحيوان البر تارة وتزرع عنه صورته مينا مصير الانسان بصورة واضحة وأنه سائر الى طريق الكمال وهذا كله من قوله تعالى - لنبين لكم -

وهل لك أيها الذكي أن أقص عليك الآن من تفسير هذه الآية مالم أعرفه وأنا أفسر في سورة (آل عمران) منذ نحو ستة ونصف فهناك فسرت قوله تعالى - لنبين لكم - تفسيراً علمياً . أما الآن فلافسرها تفسيراً خلقياً أديا لتعجب من هذه الدنيا ونظامها والتبيين واختلافه وأن الله كما بين العلم في دروس الطبيعة بين الأخلاق فيها . فاعلم هداك الله الى طريق الحق واجتباك الى سبيل الرشاد أن المضفة المسوأة وغير المسوأة اللتين جعلنا لتعليمنا قد شملت مواعظجة

(١) ذلك أن الانسان يرى أن من الناس من يخلقون صما ومنهم العمى أوفاقدو قوّة النطق أومعوجوا اليدين أوالرجلين أوضعيقوا العقل أومشوهو الخلقه ومنهم من يخلقون وانما هما تويمان ملتصقان لاينفكان حتى يموتا . كل ذلك يكون خلقه أثناء التخلق في الرحم وقد يطرأ بعض ماتقم بعد الولادة وهم في طريق الحياة . تلك كتب كتبت بحروف كبيرة . هذا كتاب كتبه الله للناس بحروف كبيرة ولكن أكثر الناس لايعلمون . إن الله وضع النظام على هيئة ثابتة ولكنه هونفسه يحرق القانون ويغيره ليرشدنا أن هناك نواميس وقوانين أرقى فهناك نظام الأجسام الحيوانية والانسانية ترى أن المواد الغذائية المستخلصة من أرضنا ومائنا وهوائنا قد اقتصت وحبست في أجسامنا فلم يفلت الهواء الى أعلى ولا الماء الى الأنهار ولا المواد الأرضية الى أرضنا وهي ما اقتصناها من الحبوب والفواكه والخضر . فترى الانسان والحيوان قد حكما هذه العناصر في أجسامهما . فهذا أول برهان على أن النظام الطبيعي فوقه نظام أعلى وأن هناك قوّة قاهرة قد حكمت على هذه العناصر أن تغير خلقها وأن الانسان يقدر أن يبقل العادات السيئة فيه بعادات حسنة كما غيرت طبائع الذرات التي هي فيه

(٢) نرى أن من الحيوان ملاحواس له إلا اللس كدود الفاكهة والدود الذي في باطن الحيوان . ومنه

ماله حاستان وثلاث وأربع فقط كبعض الفيران تعيش في الظلمة فتفقد حاسة البصر لعدم لزومها . كل ذلك مخلوق في الطبيعة والناس يشاهدونه ويشاهدون الدود يعيش بالحواس ماعدا اللس . ومعنى هذا التبيين أن الله يقول لنا انظروا الدود انه حي وقد فقد الحواس الأربعة وأعطيتكموها فانظروا ماذا تصنعون بها انها شبكات لصيد العلم لترتقوا عن هذا العالم فعليكم أن تفكروا بهذه الحواس في هذا العالم واني ما أعطيت نعمة إلا وقد جعلت بجانبها نعمة فهمومكم وغمومكم أكثر ألف مرة من غموم وهموم الدود لكثرة حواسكم واتما فعلت ذلك لأضطرركم الى العمل بها واقتناص الآراء بشبكتها . فاهم الذي أحاط بكم لحشكم على الاهتداء بالعلم لتخرجوا من هذا العالم . كل هذا خلقت بين ظهرانيكم ولكني أعلم أن هذا الدرس لا يفهمه إلا القليل لذلك أردت أن يكون الدرس من نفس الانسان فجعلت المضغة تارة مسواة وتارة غير مسواة لترى العمى منكم فتعرفون نعمة ربكم وترى الصم وترى البكم وترى الزمنى ومن ضعفت أيديهم ومن فقدوا عقولهم . كل ذلك لانه واني ماجعلت هذا فلتة أو غفلة أو عدم عناية بل جعلت هذا الأبين لكم فتقولون ان أكثر الناس أصحاب العقول والحواس والأعضاء . وهؤلاء الذين خلقوا ناقصين أو حدث لهم النقص فيما بعد انما جاؤا لنقرأ دروسنا عليهم ونعرف أن تلك المواهب نعمة يجب أن تقتنصها ونعرف النعمة التي ستزول عنا كما زالت عن غيرنا فنسرع بالاستفادة منها . واذا كنا لم نفهم نقص تلك الحواس والأعضاء في الحيوان فنحن مستعدون لفهم نقصها في الانسان لأن الحيوان الذي نقص شيئا من هذا لا يؤثر فينا لشيوع ذلك النقص في نوعه كاللذود ولكن النقص والتشويه في جسم الانسان أسرع أثرا في نفوسنا وأبقى علما وأبلغ معنى . هذه القراءة ليس يعرفها الناس جميعا . هي قراءة لا يعقلها إلا ذوو العقول الكبيرة لأن حروفها وكلماتها هذه الصور الحيوانية والانسانية وهي كبيرة وهذه الكبيرة لا يفهمها إلا العقل الكبير . فاذا قال الله تعالى في كتبه السماوية ان الناس سيحشرون وكتب ذلك بالحروف الهجائية أو سمعوه بأصوات هوائية فموه فهمما على قدر طاقة عقولهم ولكنه اذا مزق حجب الطبيعة بأن فتك بها وهدم كيانها وجعل عاليها سافلها في جسم الحيوان وخالف طبعها فجعل الخفيف والثقيل والمتوسط كله في شكل واحد . واذا حرم بعض الحيوان حواس . واذا فرق الأمراض والنقص حسا وعقلا وأعضاء على الناس لم يفهم هذا إلا القليل ولهذا قال الله - لنين لكم - تبيننا تعقلونه بعقولكم وتدرسونه بأنفسكم

فها أنت ذا أيها الذكي عرفت حكمة نقص بعض الأعضاء أو الحواس نقصا خلقيا أو عارضا وأن ذلك دروس يدركها الحكماء وانها مقسودة وان كان ظاهر الطبيعة يفيد انه عارض غير مقصود . وهالك مسألة التوأمين المخلوقين المرتبطين معا برباط تام بحيث يولدان معا ويموتان معا في عصرنا الحاضر وكيف كانت حياتهما وهذا أيضا من مسألة المضغة غير المخلقة ليبن الله لنا بهذا أمرين يقول أنعمت عليكم بأن كلامكم خلق مستقلا فلم يتصل بجنين آخر . ويقول أيضا ان اتصال اثنين معناه الاتحاد في أمور الحياة وهذان الاثنان لما اتصلا لم يمنع ذلك كلا منهما عن مزاوله أعماله الخاصة به وهو مع ذلك مرتبط مع الثاني أشبهه بارتباط الأمة كلها وأهل الدين الواحد كلهم وأهل الأرض قاطبة . فهذان التويمان الملتحمان قد تلازما موتا وحياة وان اختلفا صفات كما تختلف الأمة الواحدة في أحوالها ولكن التضامن فيما بينهم يجعلهم متحدين ارتقاء وانحطاطا وضعفا وقوة وهالك مسألة التوأمين

(٣) التويمان المتصلان

اعلم أن العالم الانساني الآن أصبح يدرس الفرائب والمجانب أكثر من ذي قبل . أخذ يدرسها مجرد التعجب وشاع هذا التفرج وكثر . ولماذا هذا . ذلك لأن السكك الحديدية والسفن البحرية والطائرات الهوائية قربت المسافات فأخذ أصحاب المجانب يعرضونها على الناس ويتناولون دراهم والناس فرحون بما

يشاهدون . وما جعل الله الغرائب إلا للدراسة لأن الناس لا يدرسون ولا يتفرجون غالبا إلا على ما كان نادرا وهذا النادر كلما كان أندركان العلم به أعجب وألذ . علم الله ذلك في الانسان . فإذا عمل . خلق العمى والصم الخ كما قلت لك ليدرسها الناس وجعل أندرك من ذلك وأعجب التوأمين وقد خلق الله في هذا العصر توأم كثيرة منها ما عرفناه ومنها ما لم نعرفه لعدم ظهوره

(١) فن ذلك (تويمان هنديان * أحدهما) يسمى (راديك) والآخر (دوديك) وهما بنتان عملت لهما عملية جراحية ففصلتا بعد سنة ١٩٠٠ بوضع سنين وكانتا لا تبلغان تسع سنين وعاشتا بعد فصلهما . ثم إن اتحاد التوأمين قد يكون في الصدر أوفى الرأس أوفى البطن أوفى الحوض

(٢) ومن التوأم التي عاشت (تويمان صينيان) وهما ذكران كانا في السابعة عشرة من العمر وعاشا بعدها وهما قويا البنية وقد اتحدا في طوق القص أى العظم الصدرى فانه يستطيل قليلا ويخرج من الصدر حتى يلتقى برفيقه فيتحدان . وهذان التويمان لم يظهر عليهما تعب من هذه المشاركة

(٣) وهناك (تويمان ساميان) من بلاد (سيام) خلقا متقابلين أحدهما اسمه (شانغ) والآخر اسمه (انغ) وأبوهما اسمه (بونكر) ولدا في قرية (بانكوك) بسيام سنة ١٨١١ وقد اتحدا بعظم القص في أسفل الصدر بزائدة لحمية ضخمة وفي جهة أخرى وقد جلا الى أوروبا وهما طفلان وسافرا الى أمريكا وعرضا نفسيهما للفرجة فجمعا مالا كثيرا وعاشا في (كارولينا) في الولايات المتحدة واشترى كل منهما عقارا واتحدا أن يقيم كل منهما مع الآخر في ملكه ثلاثة أعوام وكان الناس يحترمونهما وتزوجا أختين سنة ١٨٤٣ وأحدهما وهو (شانغ) ولد له عشرة أولاد سليمى البنية إلا صبيا وصبية ولدا أصميين . وولد لثانيتها وهو (انغ) ١٢ ولدا كلهم صحيحو البنية . فلما كانت الحرب لأهلية بالممالك المتحدة خسرا كل مالهما فسافرا لأوروبا . وفي سنة ١٨٦٣ مال شانغ الى الافراط في المسكرات وظل أخوه معتدلا في كل شئ فاتحدا في كل شئ واختلقا في الأخلاق وفي سنة ١٨٧٢ أصاب (شانغ) المذكور ألم عصبى في العين اليمنى ثم انحلال في سائر بدنه ثم ضعف جدا . وفي سنة ١٨٧٤ أصابته نزلة صدرية لم يسرع في معالجتها وبعد مدة أفاق (انغ) وظل (شانغ) نائما فنادى (انغ) بعض أولاده ليوقظ عمه فناداه الغلام (عماه عماه) وحركه اذا هوميت فصاح (هوميت) فاضطرب (انغ) وقال بنغمة البأس الحزين (فاذن أنا مائت أيضا) ثم انقطع بوله وعسر نفسه ومات بعد أخيه بساعتين وسنهما (٦٣) سنة

(٤) (تويمان متفاوتان) أحدهما ضامر والآخر تام كامل ويحمل الآخر كأنه طفل . وأغرب وأشهر هذا النوع رجل هندي يسمى (لالو) ولد في (لكنو) ببلاد الهند ومعه توأم آخر متصل به في بطنه كانا في أول الأمر متساويين في حجمهما فلما كبرا ظل أحدهما صغيرا ولم ينم إلا قليلا فأصبح كأنه طفل يحمله شاب ولما كان ذلك أمرا غريبا جعل يطوف المدن يعرض نفسه للفرجة في الأسواق وفي آخر ما عرف عنه انه كان في الولايات المتحدة في العقد الثاني من القرن العشرين اه

ها أناذا عرضت عليك ما عرضه الله على الناس في أسواقهم ومدنهم الكبيرة . إن الله وضع في الناس حب الغرائب لأنها دروسهم . فالعامة للتعجب والخاصة يقولون . كلا . فالتعجب أول العلم بل هو الباعث عليه ويقولون ان هذه التوأم وان بدت لعين الناظرين انها رمية من غير رام أو خطل في الطبيعة فانا نقول انها مقصودة للدراسة . يرى الناس التوأمين (شانغ) و (انغ) وقد عاشا معا وماتا معا ولكن أحدهما قتله الحجر والآخر معتدل وقد عاشا في هناء واشتركا في السراء والضراء . هكذا الانسانية كلها وألأمة كلها وأهل الدين الواحد يعيشون ويقسمون الأفراح والأتراح . فاذا طاش فرد أو أفراد من الأمة والتورا ولم يقوموا بواجبهم كان ذلك اضعافا للامة . فعلى بقية الأمة أن يقوموا المعوج منها والاسرى الداء من المريض الى الصحيح

جسما وعتلا واقتصادا وسياسة وهكذا الأمم كلها متصلة اتصال التوأمين فأى نقص حصل في أمة أثر في الأخرى فاذا نقص محصول القمح في أمة أو محصول القطن أو غيرها أثر في الأمم الأخرى غلاء الأسعار ونقص التجارة وأى ضعف في أمة يتصل بالأخرى فان هذه الضعيفة لا تستطيع استقبال صناعتها ولاتجارها . ان العالم الانساني كله لم يخرج عن كونه مثل (شانغ) و (انغ) وأن أم الشرق النائمة سقطت معا ولا تقوم إلا معا فاذا لم يقوم بعضها بعضا ولم يساعد بعضها بعضا التقتتها أوروبا . إن الأمة الواحدة وأهل الدين الواحد بينهم تضامن حقيقي إن هذا التوهم نراه بأعيننا مكتوبا بالحروف الكبيرة يفسر لنا قول النبي ﷺ ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا﴾ وتمثيل المؤمنين في الحديث بالجسد الواحد اذا اشتكى عضومه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والجلي . إن الله بين لنا بهذين الانسانين وأمثالهما تضامن الناس وأن علماء الشرق ينفعون أهل الغرب بطريق غير مباشر وبالعكس وانه خلق هذين في (سيام) وجعل قوتها بالفرج عليهما لينشر ذكرهما في الكرة الأرضية وليكونا درسا للناس وعبرة وتفسيرا لهذه الآية ولولا جهما المال وجعها له ما وصل خبرها الى مصر وما جعلتها درسا لقوله تعالى - لنين لكم -

فأهل الدين الواحد . وأهل القرية الواحدة . وأهل الأمة الواحدة . وأهل الأرض الواحدة بينهم تضامن وهم يجهلون وتعارف وهم يتعافون . إن الانسانية لاتزال طفلة الى الآن والعقل الانساني لا يزال أمامه عقبات وعقبات ومفاوز ومفاوز حتى يصل الى غايته المنشودة وطلبت المرغوبة وأعماله العالية وأغراضه العالية إن كل امرئ كأنه مسؤول عن جميع الانسانية وأن كل الانسانية كأنها مسؤلة عن الفرد وأن السواس في أوروبا وثرثرتهم وقولهم الانسانية ينطقون بألفاظ هي أصل المقصد الانساني ولكنهم ينفون ضدها . ذلك لأن الانسانية اليوم لفظية وسيجيء يوم للنوع الانساني يكون فيه أرق منه الآن وتحقق هذه المطالب وتذهب عنه تلك المثالب - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلا - ﴾

اعلم أن التناسل على ﴿ قسمين ﴾ التناسل بطريق الذكر والأنثى . والتناسل بغير ذلك . أما القسم الثاني فانه يشمل جميع الأحياء الدنيا كالميكروبات والديدان وبعض أنواع النبات التي لازهر لها وهو على أنواع

- (١) الحى اذا بلغ أشده انقسم الى قسمين وكل منهما ينقسمان قسمين وهكذا على التعاقب
- (٢) أن ينقسم الحيوان الواحد الى عدة حيوانات
- (٣) اذا بلغ الحيوان أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تنمو وتناسل ويموت فنفس جسمه يقسم ويذهب ويعدم هو وتخرج حيوانات هي أجزاءه في الأصل
- (٤) أن ينبت على جسم الحيوان شئ كأنه أصل غصن لشجرة ثم يبلغ فينصل فيصير حيوانا مستقلا ومن هذه الأنواع ما ذكره اللورد (أقبرى) في كتابه ﴿ جمال الطبيعة ﴾ وهومن النوع الأول هنا أن بعض الحيوانات الدنيا يحدث في وسطها حث ولا يزال هذا الحث يندق ويدق حتى ينصل القسمان المقدم والمؤخر فيصير كل منهما حيوانا مستقلا . وهنا يرد سؤال فيقال أيهما هو الأول وأيها هو الثاني . إن هذين الحيوانين كانا واحدا فن منهما هو الذى كان أبا ومن منهما هو الابن أم الواحد انقسم اثنين واذا قلنا بالثاني وقد علمنا أن كلا من هذين الاثنين ينقسمان ولا يزال الانقسام الى ما لا يعلم منتهاه . أفنقول ان هذه الحيوانات خالدة لن تموت . أم ماذا . هذا من عجائب الحكمة والناس على هذه الأرض تائهون متصرون . لجل الله الذى حيرنا وجل العلم الذى أشرق على القلوب . فليحيى الله العلم وليحيى الله قلوب المسلمين وأما القسم الأول وهو ما يكون تناسله بالزواج فانه يكون بواسطة البيض فالجنين يكون في البيضة وهو

على ﴿ قسمن ﴾ قسم تخرج البيضة منه قبل تكوّن الجنين كالحشرات والطيور وبعض السمك فان البيض يخرج منها ويتم الجنين بأعمال أخرى كحضان الطيور له الى أمد معلوم ثم يخرج من بيضته . وقسم تبقى بيضته في الرحم حتى تفقس ويخرج الجنين حيا يتحرك كما نرى في ذوات الثدي ومنها الانسان الذي كلامنا فيه في هذه الآية . واعلم أن هناك في رحم المرأة سائلا في المبيض كمثل البيضة التي نشاهدها للدجاج فلها ما يشبه الزلال في البيضة الدجاجية وفي داخل ذلك المح وهو الذي نراه أصفر في بيض الدجاج . وفي داخل ذلك المح جرثومة صغيرة منها يتكوّن الجنين والبيضة البشرية قطرها من $\frac{1}{100}$ الى $\frac{1}{130}$ من القيراط والمح الذي فيها قطره $\frac{1}{700}$ من القيراط والبقعة الجرثومية قطرها $\frac{1}{3000}$ من القيراط وهذه هي التي يتكوّن منها الجنين والجنين يتغذى من دم الأم المنتشر في جسمها . ودورة الدم في الجنين تخالف دورته في الطفل بعد الولادة . فالشريان في الجنين يحمل دما ور يديا والوريد يحمل دما شريانيا فتى ولد انعكس الأمر . فتعجب من الترتيب المحكم . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء - الخ ﴾

هنا ترى عجائب النبات مع الحيوان . ستري ما يدعش له لبك اتري بعقلك الحكمة واضحة جلية في هذه الدنيا الجيلة عند الحكماء القبيحة عند الجهلاء . اتنا نحيا واتنا نموت ونفرح بأن نبقى ونحزن بأن نموت ولكن اذا تأملنا هذا النظام فرحنا بابداعه وانشرحنا لاتقانه ووجدنا عجبا . لعلك تقول وما العجب أقول أنظر ﴿ لأمرين غريبين ﴾ ثانيهما أغرب من أولهما . أما الأول فان النبات البالغ عدده ٣٣٠ ألفا كما تقدم عن العلامة (سبنسر) على ظهر كرتنا الأرضية مختلف في كل شئ قدرا ولونا وطعما ومنفعة الخ وهذا الاختلاف ناشئ من اختلاف الأغذية واختلاف الأغذية ناشئ من تعاطي النبات نفسه بحيث إن كل نوع منه يجتذب من الأرض مارات له . ألا ترى أن نوع الجير والصودا والبوتاسا وحض الكبريتيك وحض الفوسفوريك والسلكا والكلور دخلت في القطن وفي القمح وفي الفول وفي البطاطس وفي الذرة وفي قصب السكر بمقادير موزونة مختلفة الوزن و باختلاف وزنها صارت ملابس أو أغذية للانسان أولغيره كما رأيت في البرسيم وقد تقدم الجدول موضحا في سورة (البقرة)

انظر كيف كان اختلاف المقادير الغذائية من الأرض والهواء سببا في هذه المنافع والعجائب المختلفة . ثم انظر كيف كان هذا . كان هذا باجتذاب النبات لما يناسبه . وهنا يقال كيف رتبت الفتحات الشعرية . كيف نظمت . كيف قومت بحيث لا تدخل في النبات إلا ما يناسبه . لا تدخل الصودا في شعر القطن إلا ٣٦ من المائة ولا في حب القمح إلا ٢٦٦ من المائة ولا في حب الشعير إلا ٤ من المائة ولا في حب الذرة إلا ٣ من المائة وهكذا . كيف رتبت تلك الفتحات بحيث لا تقبل إلا هذه المقادير . ذلك هو النظام السارى في جميع النبات لا يمتص إلا ما هو لازم له

﴿ نبات الكرنب ﴾

قال بعض أطباء الفرنجة في هذا العصر « انه نافع غذاء ودواء . إنه يشتمل على عناصر كيميائية ذات قيمة منها الفوسفور والحديد والمائيزيا وفيه مادة كبريتية تتضح من تصاعد رائحته عند غليه في المطبخ . ويقول إنه طعام عسر الهضم يجب المبالغة في طبخه ليسهل هضمه واذن يفيد المصابين بالإمساك لأنه يسلك الأوعية الهضمية ومع ذلك ينشأ منه أرياح فالصابون بالتلبك المعدي يجتنبونه وجوبا ويجب أن يضاف اليه نحو الزيت وهو يصلح للمصابين بالالتهاب المعوي كما يصلح لأصحاب التلبك المعدي كما تقدم قال وكان الأطباء ينصحون باللبن الياغورتى (الزبادى) لاصلاح المعدة وتطهيرها فان الكرنب يقوم مقامه اذا صنع على طريق مخصوص

وعصارة الكرنب اذا تناولها الصبي بمقدار ملعقتين كبيرتين أفادته فائدة عظيمة في إبادة الدود والجراثيم من المعدة . انتهى

ألا تنظر رعاك الله كيف دخل فيه الحديد والمائيزيا والكبريت والفسفور . وكيف التقطت الأنابيب الشعرية ذلك من الأرض وأخذت تبحث حتى جعت ذلك ثم بالله قل لى أين هذه المواد الحديدية والفسفورية والكبريتية والمائيزية وكيف اجتمعت وأين الطفل يشرب من العصير الكرنبي المجتمع من هذا كله فيقتل دودة وأين الرجل الذى أصيب بالتهاب معوى فيفيده والذى أصيب بتلبك معدى فيضربه وما المناسبة بين الكرنب ومعدة الأطفال ولأعماه التى هى ملتته فيخفف التهابها والمعدات المتلبكة فيزيد التهابها ولماذا يكون هذا مناسباً لذلك . هل كانت تلك الفتحات مقدره بحيث لا تدخل إلا هذه المواد وقد علمت أن دخولها يكسب النبات نماء ثم هذا النبات يكون فيما بعد قاتلاً لدود البطن فى الصبي مصلحاً للمعدة عند قوم ضاراً لها عند آخرين . ذلك هو العجب فى هذه الدنيا التى هى عبارة عن دار للدراسة . هذا هو الأمر الأول الذى هو الغريب . أما ﴿ الأمر الثانى ﴾ وهو الأغرّب والأعجب فانظر ما يأتى

﴿ تعاون الحيوان والنبات على الحياة وهما لا يشعران ﴾

من الدلائل الدالة على أننا فى عالم واحد كأنه انسان واحد أو حيوان واحد وأن ما فيه متواصل متعاون متعاطف متبادل المنافع كما تتبادلها أعضاؤنا وهذا ما تراه فى هذا المقام

﴿ تنفس الانسان وتنفس الحيوان ﴾

إن التنفس يكون فى الحيوان وفى النبات . فى الحيوان ظاهر كما تراه فى تنفس الانسان وذوات الأربع والطيور والزحافات وهكذا السمك وهذا الأخير بالخياشيم . وهكذا الهوام جميعها تنفس بالآلات صغيرة جداً وهكذا النقايات . وهكذا ترى السم الذى يجرى فى عروق الحيوان والانسان تجرى فيه كرات دموية وهذه الكرات أيضاً تنفس فتأخذ الاوكسوجين من الدم الذى هى فيه سائحة وتفرره بعد ما يصلحها كما تنفس نحن فى الهواء . هذا هو تنفس الانسان والحيوان وكرات الدم فيه . فهناك تنفس الحيوانات العليا ﴿ إن الهواء يدخل فى الرئة فيتحد أوكسجينه ببعض المواد الفاسدة فيه فيتحوّل الى حامض الكربونيك وحامض الكربونيك المذكور هو الغاز الذى يصمد بالزفير فما من حيوان إلا وهو يأخذ الاوكسوجين ويخرج الحامض الكربونيك وتراه اذا تنفست قد جعل طبقة مغطيه وجه المرآة وما هو إلا مادة خميه مما خرج مع الزفير ﴾ أما النبات فانه يتنفس بعكس الحيوان . إنه يمتص الحامض الكربونيك ويخرج الاوكسوجين عكس ما يفعله الحيوان . الحيوان يتعاطى فى تنفسه الاوكسوجين والنبات يتعاطى الكربون المركب مع الاوكسوجين أى يأخذ جميع الانسان . فكما لا ينمو النبات إلا بالأقذار التى نبذها الانسان والقمامات التى رى بها خارج منارله والمواد البرازية الخارجة من جسمه وقد استقرها . هكذا فى التنفس لا يأخذ النبات إلا ما خرج فى زفير الانسان مريباً ضاراً بصلاح جسمه فيكون فساداً للانسان حياة للحيوان

﴿ كيفية تنفس النبات ﴾

إن الحيوان يتنفس بالرئة أو بالخيشوم أو بجملده كما ترى فى الحشرات التى يكون جملدها فى الحقيقة كالنخل أو كالغرابال اذا نظرت اليها بالمنظار المعظم . فهذه كلها لا تنفس إلا بجملدها ولذلك لا تسمع للزناير ولا للذباب ولا للصراصير صوتاً تنفسياً بل كل هذه الأصوات المسموعة منها أصوات أجنتها كحركات أوتار العيذان لا كأصوات الحيوانات ذوات الرئة . أما النبات فانه يتنفس بأوراقه . إنك ترى على ظهر كل ورقة من الأوراق النباتية اذا نظرتها (بالمكروسكوب المعظم) آلافا وآلافا من الفتحات المستطيلة وهذه الفتحات هى التى تقابل الهواء ومنها يدخل فى تجاويف ومجار أشبهه بالتجاويف والمجارى التى فى رئة الحيوان والانسان وكل تجويف

قد سقف بقباب صغيرة مصفوفة صفا منظما بحيث تكون كل واحدة مع الأخرى كالبناء المتناسب المنسق
﴿ مقادير ما يتنفس الانسان والحيوان ﴾

إن الانسان على وجه الأرض يمتص من الاكسوجين في السنة نحو (١٦٠٠٠٠٠) مليون متر مكعب
ويقدر العلماء أيضا أن الحيوانات الأخرى تمتص أربعة أمثال هذا المقدار والانسان يخرج في اليوم ٢٥٠
غراما من غاز حامض الكربونيك وفي ذلك ٧٥ غراما من الكربون الخالص وهو الفحم . وقد حسبوا أن سكان
القطر المصري وحدهم ماعدا الحيوان يخرجون في السنة (٤٠٠٠٠٠٠) طن من الفحم في السنة . فانظر
الى جميع من على الأرض . فأهل القطر المصري نحو (١٤) مليوناً وأهل الأرض نحو (١٥٠٠) مليوناً
والحساب سهل عليك . فاذا دام الانسان والحيوان الذي هو أضعافه يخرجان فحما على هذا المنوال فإن الجوّ
يتملئ سماً لأن الحامض الكربونيك مادة سمية وانظر ذلك في الحمام فإن المادة الكربونية اذا حبست فيه
وقد تصاعدت من الفحم قتلت من في المكان . فهكذا الجوّ كله يصير كالسم بسبب تصاعد الفحم من أفواه
كل حيوان فأفواه الحيوان مثل موقد الفحم والجوّ كالحمام والناس أشبه بمن في الحمام
فانظر كيف قضت الحكمة أن يكون (حامض الكربونيك) المذكور هو الذي يصلح لتنفس النبات
ويكون صلاحه كما كان فساداً للانسان فإن الكربون المذكور يدخل في النبات ليغذيه ويقوى أغصانه
وفروعه وثماره فمتى أخذ الحامض الكربونيك من الهواء قلله فاغتنى بالكربون وأرجع للهواء الاكسوجين
كي يرجع للانسان فيصلح دمه

يا عجباً . ايها الناس تعجبوا . يدخل الحامض الكربونيك جرم النبات فيقبله ويحله ويأخذ منه الكربون
أى الفحم وهو ما به نموت في الحمام وما به تغطي المرأة بأنفاسنا وما يسمم جوتنا ثم يخرج من الفتحات
الاكسوجين نقياً خالصاً لينظف الهواء ويرجع الاكسوجين ثانياً الى الانسان فيدخل رثتيه ويصطاد الكربون
أى الفحم المحترق في أجسامنا لأن عضلاتنا مشتملة على مادة خميرة قد أخذتها من الدم الذي أخذه من النبات
فيتحد الاكسوجين بالكربون المذكور ويحمله الى خارج أجسادنا كما يحمل الزبالون والكناسون القمامة
الى خارج المنازل ومتى حمل الهواء سار به جارياً حتى يوصله الى داخل الورق والورق يتقبل تلك القمامة
والكناسة فينظف هناك ويرجع لنا الاكسوجين ثانياً . فالهواء هو المنظف لدمنا من الكربون الحامل
ذلك الى النبات ليغتنى به فهو كالسواب تحمل السماد الى الزرع . فالهواء والحيوان كلاهما ينظفان أجسامنا
ومنازلنا ليصلحنا الزرع الذي بصلاحه نعيش . فانظر هذه القضايا العجيبة المتقنة البهجة لنوى العقول

﴿ جوهره في مقال عام في قوله تعالى - يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا بالبرهان - الخ ﴾

لما اطلع على هذه الآيات أحد أصحابي من أهل الفضل قال لي إن هذه الآيات جاءت للاستدلال بظواهر
خلق الانسان على اليوم الآخر ولكن الانسان اذا نظر لهذه الكائنات التي على الأرض أدهشه أن كل كائن
فيها قد منح كل ما يحتاج اليه ونال من الفرائز والطباع ما يكفل صلاحه . فهل فكرت يوماً في غرائز هذا
الانسان وطباعه . وهل دراستها على حقيقتها تكفل له سعادة الدنيا والآخرة اذا عمل بها . فقلت إن ما تقوله
أيها الأخ لقول عام وذو صرام بعيدة وليس لي بتحقيق ما قلته يدان ولا أدري كيف يصل العقل الانساني الى
ما تقول وهل في قدرته ذلك وهل سيوفق له يوماً . أنا لا أدري . انما أقص عليك قصصاً مما تخيلت سابقاً
فلعل فيه سداداً من عوز وبصيصاً من العلم ومبدأ للحكمة التي تريدها

في ذات يوم كنت جالسا خارج القاهرة في ضواحيها بين الأشجار والزرع ليلاً أتأمل النجوم والمجرة
وأسرح الطرف في عجائبها وألمح من خلالها جمالا وحسناً وبهجة وفي أثناء ذلك أسمع غويراً للأعشاب وأصوات
الحشرات ونغمات الأغصان الراقصات على نغمات أوتارها والرياح تعبث بها وكأن تلك الأغصان فرحات بمداعبة

الرياح جذلات طربات بعناقها مغتبطات بعشقتها وغرامها ووصلها فحرك ذلك المنظر من قلبي ماسكن وأثار في من الوجدان ما بطن ووله القلب وله الأغصان وسكرت النفس لجمال النجوم والنور وبهجة الرياض ونفحاتها المطربات . هنالك أخذني ما يشبه السنة وكأني أرى أممي نورا بها نزل من السماء الى الأرض وأخذ يجتمع ويتكوّن قليلا قليلا بهيئة انسانية حتى رأيتُه أمام عيني انسانا سويا ولكنه كان كالمهيم بأمر عظيم فما كان إلا كبح البصر حتى رأيتُه قد ظهرت أمامه بلاد واسعة ومدن شاسعة وبحار عظيمة فما كان إلا طرفة عين حتى أمر الوفود من الأقطار فحضروا وأخذ يقلب طرفه فيهم كأنه يمتحنهم بنظراته ويدرسهم بلحظاته فما أسرع أن انتقى أرقامهم عقلا وأرفعهم أدبا وأشرفهم نفسا فكان أولئك خمسة رجال لا يزيدون ثم أمر الوفود الحاضرين الذين لا يحصيهم العد ولا يحصرهم الحساب ولا يمتد إليهم الطرف أن انصرفوا فما كادت الاشارة تبدو منه حتى خلا منهم الفضاء في أسرع من مبيض البرق واختلاج العين ونبضة القلب فلا أدري أفي الجوّ طاروا أم في الأرض غاروا أم رجعت أجسامهم الى العالم الأثيري فرجعت الى أماكنها حالا وظهرت هناك ليقوموا بمهام الملك . ولم يبق من هؤلاء الجوع إلا الخمسة الذين هم أمام ذلك الملك (بكسر اللام) الذي نزل من السماء ملكا (بفتحها) وهؤلاء الخمسة أمامه واقفون خاضعون خاشعون مطيعون اذا أمرهم إثمروا واذا نهاهم انتهوا - وهم من خشية مشفقون - . عنت له وجوتهم وخشعت له أبصارهم وظلوا له قانتين فقال لهم ابنائي أتم المصطفون الأختيار من مملكتي . نثرت كسائتي فوجدتكم أصليها مكسرا وأصعبها مراسا وأقوها بأسا . اطلعت على مافي ضايركم فوجدتكم للحق عاملين وللفضل مجتدين وعن الجبل معرضين ولأمرى مطيعين إن مملكتي واسعة الأطراف بعيدة الأكناف شاسعة المطاف لا يصلح لقيادها إلا أتمم فلا تصلح إلا لكم ولا تصلحون إلا لها ها أناذا وليتكم زمامها وأعطيتمكم قيادها فاسمعوا قولي وأطيعوا أمرى . فلما سمعوا ذلك قالوا سمعوا وطاعة نحن عبيدك الخاضعون وخدامك المطيعون فرنا نظمك وقل نسمعك فقال ان مملكتي قسمتها (٣٦) مقاطعة وقد وليت كلا من الأوّل والثاني (١٠) مقاطعات والثالث (٩) مقاطعات والرابع (٥) مقاطعات والخامس مقاطعتين . هلموا الى ما أمرتكم وتوجهوا الى ممالككم وليكن عندي علم بكل ما يحدث فيها بحيث أراه وأنظر اليه فقالوا له أريد منا أن ننبئك بأبناء هذه الدار بالكتب فشرح الحقائق ونقدمها لك فقال . كلا . ان هذا عمل الجهال ملوك الأرض . إن العالم الأرضي الذي أتمم فيه عالم متأخر وطرق الاقحام والاستفهام عسرة صعبة وليس بين الناس وبين ما يعبرون عنه علاقة . لقد كان أهل هذه الأرض قبل التاريخ يعبرون عما في نفوسهم برسم صور الأشياء تقريبا ثم نوعوا في التعبير والرسم واخترعوا الحروف الهجائية المعبرة عن المعاني ولا مناسبة بين حروف (ق ا م) وبين الفعل المخصوص إلا كالنسبة بين أمرين متباينين لا علاقة بينهما كالماء والحديد وانما الذي تصنعونه لي يناسب مقامي لأنني من الملأ الأعلى وعالم القدس فلتكن اللغة التي تخاطبوني بها نفس صور الأشياء التي هي الحقائق واضحة جلية ظاهرة . فقوموا من فوركم ولتحضروا لي حالا لوحا عظيما يقبل جميع الصور التي تحضرونها وليكن ذلك اللوح يقبل ما لا يتناهى من الصور لا تحجب صورة صورة ولا تشكل شكلا بحيث اذا رسمت صورة ثم رسمت فوقها آلافا غيرها لا تحجب العليا منها السفلى بل تكون كلها حاضرة عندي . فهذه هي الكتابة التي تليق لمقامي ومركزي في السموات العلى التي كنت فيها قبل تمثلي عندهم فلم يكذب ينطق بهذه الجمل حتى رأيت لوحة عظيمة لا تنتهي لأمدها قد مدت أمامي وهم حولها ينتظرون الأوامر فقال احضروا صور ممالككم بهيئة الخيالة (السينا) فما كان إلا كبح البصر حتى رأيت ما يشبه (السينا) التي أراها في بلادنا المصرية وعددها خمسة قد نصبت أمامي كاملة تامة وما كان إلا كبح البصر حتى رأيت صوراً تلوح في تلك الآلات السينائية وأنواعها (٣٦) صورة وما كادت تظهر للأعين حتى رسمت الصور على تلك اللوحة وهكذا أخذت الصور تترادف وأنا ألاحظ الملك قد شغل بها وكلما رسمت طبقة ظهر جمال في اللوحة

يعقبه جمال آخر يرسم طبقة أخرى وهكذا طبقاً عن طبق صور فوق صور . كل ذلك لم يتجاوز من الزمان لمحات أو ثواني كما يرى الانسان في عالم الأحلام . هنالك أخذت أفكار وأقول من هذا الملك الذي كان ملكاً ومن هؤلاء الخمسة وماهى بمالكهم وماهذه اللوحة ثم ماهذه الجباب كلها وما كاد هذا الخاطر يلوح لى حتى تبدى لى شخص كهية انسان فقال - ولاينبتك مثل خير - أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرّجّب أنا ابن بجدتها وأبو عذرتها فاسمع لما ألقيه اليك ولا تتجمل من قبل أن أدلى اليك بما عندي . فقلت هذه هدية من ربى أتقبلها بالشكر وأخذها بالقبول ونعمة أنعم الله بها على ليلاوى أشكرأم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم . فقال ان هذا كله صور أمامك ليلقى اليك علما جا فتعرف معنى كون الانسان علماً صغيراً ومعنى ﴿ من عرف نفسه عرف ربه ﴾ ومعنى قول على كرم الله وجهه

دواؤك منك وما تشعر * ودواؤك منك وما تبصر

وتزعم انك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر

فان هذه الأبيات والجل الحسنان تسمعونها يا أهل العلم ولا تدركون مغزاها بل أكثركم يقول حين يسمعها (أسمع عجيبة ولا أرى طحنا) فهذه ألقىت اليك لتعرف الله واليوم الآخر من نفس صورة الانسان ويستغنى الناس بما نذكره لك الآن عن البراهين الجدلية والفلسفة الوضعية والتعسفات اللفظية ويقرّ بما أرى لك العاقل والجاحد والملاحظون والشاكون اذا كانوا يعقلون . فقلت فاشرح لى ما وصفت وبين لى ما ذكرت فقال أما هذا الملك الذى صار أحد الملوك الأرضية فهو روح الانسان إذ حكم عليها أن تحبس فى هذا الجسد الأرضى . وأما الوزراء الخمسة فهى الحواس الخمس . وأما الممالك التى توصل أخبارها فهى للعين النور والظلمة والقرب والبعد واللون والشكل والحجم والصغر والكبر والحركة . ولحاسة اللس عشرة أيضاً وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والنعومة والثقل والخفة واللين والقساوة . ولقوة الذوق (٩) مثل الحلاوة والحوضة والملاوحة والدسومة والمرارة والعضوة والحراقة وطعم المز والعدوية . وللأذن الأصوات الموسيقية الانسانية وغير الموسيقية وأصوات الآلات الموسيقية وأصوات الحيوان والجماد . ولحاسة الشم نوعان الخبيث من الروائح والطيب منها . فهذه (٣٦) نوعاها كل هذه العوالم التى سخرت للانسان ولا يضبطها ويحكمها إلا بحواسه الخمس . وأما ما رأيت من اللوحة فهى مخه والقوى التى فى دماغه . وهذه جعلها الله للانسان تقوم مقام الألواح التى يكتب فيها للأطفال للدراسة والألواح الحجرية التى كان يكتب عليها قدماء المصريين والبابليين والآشوريين وأهل الهند فهؤلاء كلهم كانوا يكتبون على ألواح حجرية تبقى آلاف السنين وعشرات الآلاف فتلقن للأبناء ما فعله الآباء ولذلك لما أرسل موسى عليه السلام ألقىت له الألواح مشاكلة لما كان فى زمانهم من اقامة الألواح والكتابة عليها . فهذه اللوحة التى تراها أمامك تصور لك هية لوحة دماغ الانسان التى ترسم فيها صور الأشياء الآتية من عوالم المادة التى لاتعدّ مثل الألوان التى هى من عوالم الابصار فهى أنواع سبعة أحر وأصفر وأخضر الح وكل لون منها يتنوع الى مالا حصر لها من أنواع الجبال والبهجة واختلاف الأشكال . فهذا عالم واحد من عوالم القوة الانسانية وعوالم الانسان كما قلنا لك ٣٦ علماً تحكمها حواسه . فاذا كانت الألوان علماً واحداً يشمل مالا حصر له من الأصباغ والألوان فى الكواكب والماء والأرض والزرع والسهل والجبل والحيوان والانسان فكيف بما بقى من العوالم المقتررة (٣٦) علماً . فلوح الانسان أرقى من ألواح أهل الأرض . فالألواح أهل الأرض الحجرية وغيرها ليست شيئاً مذكورياً بجانب لوحة الانسان لأنها تسع مالا يتناهى من العوالم مع صغرها . فالوح الانسان واحد يشمل عوالم لامتنهى لعنتها وهو أشرف من ألواح أهل الأرض وكتبهم وطواميرهم ودفاترهم فهو أشرف الدواوين وأرقاها وأعلاها وهو يدل الانسان على الله وسعة علمه وانه واحد وعلمه واحد ولو حه المحفوظ واحد يجمع مالا يتناهى واذا قال

الله - بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ - وقال - كل في كتاب مبين - فان هذا البيان يعرف الانسان ان كتاب الله ليس ككتبتكم . واذا كان لوح عقولكم أشرف من لوح تكتبون فيه بما لا يتناهى وأتم في الأرض التي مثلت في العلم الحديث عندكم بجوهرفرد بينما العالم حولها يمثل بألف مليون أرض فكيف بمن خلق هذه العوالم كلها ونفاكم في هذه الذرة الحقيرة وقال لكم - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فلا جرم يكون لوحه المحفوظ وكتابه القديم وعلمه بالنسبة لما لاح لكم في عقولكم أكبر وأكبر من نسبة العوالم لكم في أرضكم الحقيرة وبهذا تفهمون قول الامام الغزالي ﴿ ان اللوح المحفوظ كالقوة الخيالة في الانسان ﴾ فان هذا القول منه ضرب مثل لا غير . فكما ضرب الله المثل باللوح الذي ترونه أمامكم ضرب الغزالي مثلا بلوح أشرف منه وهو القوة الخيالة في الانسان كلاهما ضرب مثل يقرب المعنى . ثم قال لي ذلك الهاتف فهذه أول ثمرة من ثمرات هذا المثل الذي أمامك تعرف به معنى ﴿ من عرف نفسه عرف ربه ﴾ فلا تأسف الله مطيعون له طاعة الحواس للانسان ولكن بلا تشبيه ولا تمثيل فالملائكة عوالم مستقلة خلقها الله كما خلق الأرواح فايك أن تظن غير ذلك . فكما خلق الكواكب والأرض والسماء خلق الملائكة فهم مخلوقون لله كالأجسام وهم له مطيعون ﴿ الثمرة الثانية ﴾ الايقان باليوم الآخر وهنا بيت القصيد . انظر رحمك الله وتجب من غرائز الانسان وطبائعه (١) انك لا ترى حيوانا ولا انسانا إلا وقد خلق فيه دافع يدفعه للتغذية وتناول الطعام والشراب فالطفل بكى للطعام فوجد لبن الأم وغير الطفل أحسّ بجوع يؤلمه فوجد مقتضى ذلك الألم ومطالبه وهو الطعام أشكالاً وألواناً وأنواعاً . فهذا عجب كأن الغرائز هي نبراس هذه الدنيا وكأن هذه الأجسام الحيوانية والانسانية نموذج هذا الوجود أحست بالجوع وأحست بالعري فوجدت طعاماً وملبساً . هذا عجب أن تكون غريزة الجوع والعطش والاحتياج لللبس مقرونة بوجود ما يناسبها وهذا أعجب العجب أن تكون البواطن والغرائز مخلوقات على نسبة العوالم الخارجية . ومعنى هذا أن القوى التي فيكم لم تخلق إلا ومعها مطالبها وهذه فائدة عظيمة جدا سيكون لها شأن عظيم

(٢) ثم هنا مسألة ثانية وهي مسألة حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل وهكذا كل ذكر وكل أنثى من كل حيوان في الأرض فهذه كلها يهوى ذكرها أنثاها وبالعكس أحب الذكر أنثى فوجدتها أى ان أعضائه هيئت وغريزته الباطنة خلقت متناسبة مع وجود أنثى تكون معه وهكذا أمر المرأة مع الرجل فن العجب أن كل واحد منهما وجد الآخر فذكورا الحيوان والانسان كوّنت لتكون مصاحبة لأنثى فحصل ذلك فعلمنا أن شهوة التناسل لما خلقت في كل منهما لم تعطل كما لم تعطل شهوة الغذاء وهذا عجب ثم قال أنا أقول لك هذا عجب ولكنكم أنتم لاتعجبون لأن العجب انما يكون من الغريب وهذا أمر واقع فيكم فلا تعقلونه

(٣) ثم ان كلا من ذكران الحيوان والانسان أحب أن يكون له ولد فحصل ذلك نتيجة لما تقدم

(٤) ثم ان الانسان منكم يحب أن يكون له ملك وحشم فتم ذلك لكم قليلا أو كثيرا . وخلق للأسد أنياب محددة لتأكل اللحم . وخلق له الحيوانات آكلات الحشيش . وخلق في بني آدم أناس مغرمون بالعلم وآخرين مغرمون بالملك فكان العلم وكانت الممالك

(٥) وقد خطر للانسان من أول تاريخه وتمنى أن يطير في الجوّ ليسعى الى حبيبه ويجتمعما حتى قال

الشاعر العربي

بكيت على سرب القطا إذ مررت بي * فقلت ومثلى بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعير جناحه * لعلى الى من قد هويت أطير
جفاؤني من فوق غصن أراك * ألا كلنا يا مستعير نغدير
وأى قطة لم تعرك جناحها * فعاشت بذل والجناح كبير

فلم يكن الانسان في هذا الخطر ضالا أو غاويا . كان الشاعر يقول ذلك وما كان ليخطر له أن الانسان يوما سيطير في الجوّ ويشارك الطير . إذن خواطر الانسان وأمانيه محترمة فلقد طارت فتاة أمريكية من أمريكا الى أوروبا في ساعات معدودات فحركات الشركات للسيريين القارتين بالطائرات إذن هذا الشاعر كان خاطره حقا فقد صارت الطائرات اليوم تجرى في الساعة ٣٠٠ كيلومترا مع ان قطار السكة الحديدية يجرى نحو ٦٠ كيلوا في الساعة وقد سار الطيارون في قارة استراليا واخترقوها في سائر جهاتها وقطعوا مفازة هناك مسافة ١٥٠٠ ميل بين مدينتي (برث) و (دربي) هناك و ٤٨٠ ميلا من (اديليد) الى (ملبورن) و ٥٠٠ ميل من (ملبورن) الى (سدني) و ٥٠٠ ميل من (سدني) الى (برسين) وهناك شيخ في السبعين من عمره قطع بالطيارة في يوم ١٢٠٠ ميل مع انه كان يقطع هذه المسافة في ستة أسابيع على جواده وقد سيرت الطائرات الى مسافات أكثر من أربعة ملايين ميل من غير أن يصيب أي راكب من ركابها أو سائق من سائقيها أو ميكانيكي بها خدش في أصبعه

فتبين من هذا أن ماتمناه الانسان من الطيران حصل فعلا ولا بد من أن حال الانسان وأعماله ستغير في القريب العاجل ولا يعلم إلا الله ماذا سيكون غدا وان غدا لناظره قريب والى هنا انتهى الأمر الخامس (٦) إن الانسان فوق ذلك قد أحب البقاء الى ما لانهاية له وعشق الكواكب وأحب البحث فيها والاطلاع على عجائبها . هذه غريزة من غرائز الانسان وهي غريزة مقدسة لها قيمة بل هي أرقى مما قبلها واشتهى الطعام فوجده والزوجة فوجدتها وهكذا الولد والمال وأن يطير في الهواء فهكذا هو يشتهي أن يطوف العوالم كلها ويسير بين النجوم ويعيش الى الأبد . هذه جبل عليها الانسان . أحب الانسان الاطلاع على العوالم . ثم قال هذا المهاتف لي بعد ذلك لقد جاء في كلامك سابقا في سورة (الأنعام) وفي سورة (يونس) كلام عن الكواكب والمجرى والسم (جمع سديم) وهذه كلها عوالم يحب الانسان الاطلاع عليها فكيف تعطل هذه الغريزة ولا تعطل الغرائز التي قبلها ولم تصدق تلك وتكذب هذه . كلا . هذه غريزة صادقة لأن ما قبلها صادق كله . إن هذا القول أقوى الأدلة على بقاء أرواحكم واطلاع الفضلاء منكم على العوالم العالوية والمنكرون منكم بعد الاطلاع على هذا البرهان انما ينكرون بالاستبعاد لا غير . فكما استبعد الناس الطيران في الجوّ لأنهم لم يروا الناس يطيرون هكذا هم يستبعدون بقاء الأرواح والاطلاع على العوالم العالوية لأنهم لم يروا أرواحا تطير في الجوّ وتشاهد الكواكب بعد موتها . أما العقل فقد شهد بهذا البرهان . فقلت هل تسمح لي أن أناقشك . قال قل ماتشاء . قلت أنت بنيت هذا البرهان على الشوق والحب وأن كل ما أحبته فطرنا العاقمة لا بد من وجوده . فكما كان الغذاء والنساء والأموال والطائرات وقد طلبتها نفوسنا . هكذا ستبقى أرواحنا وتطلع على العوالم العالوية ولكني أقول اني اذا خاطبت الناس بما تقول ردوا على قائلين هذه الحجّة مردودة لأن الشوق الى الاطلاع على العوالم العالوية ليس عاما في الناس بل هو خاص بطبقة ممتازة فكيف أدخلته في البرهان فردت على قائلنا ليس اختصاص غريزة الاطلاع بطبقة من الناس قادحا في انها غريزة . أأنت ترى الأطفال لا يفرحون بجمال النساء وانما يفرحون بالحلواء . فمثل الحكماء في الأمم إلا كمثل البالغين العارفين بقيمة النساء فالناس جميعا بالنسبة لهذه الطائفة الممتازة أشبه (بالعنين) بكسر العين الذي لا يرى وجهها لمصاحبة النساء وزواجهن . فقلت قد فهمت . فقال ودونك عالم السموات . هذا العالم البهيج . انظر ماذا ترى . انه يظهر فيه كل يوم كشف جديد عنكم فقد ظهر لكم في هذه الأيام أن هناك (سدما لوليه) وهذه السدم ظهر انها عوالم مستقلة كنظام مجرتكم وكل سديم منها سعته كسعة مجرتكم ومجرتكم قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وعرضه ٢٠ ألف سنة نورية . ومعنى هذا أن النور الذي يجرى من الشمس الى الأرض في (٨) دقائق و (١٨) ثانية . وما بين الشمس والأرض يقطعه القطار في أكثر من ٣٥٠ سنة

وتقطعه قلة المدفع في ١٢ سنة . فهذا النور لا يقطع طول مجرتكم إلا في مائة ألف سنة الى آخر ما تقدم
ومن هذه السدم التي تعادل مجرتكم ما يقال له (غيوم مجلان) ومنها ما يقال له (سديم المرأة المسلسلة)
ومنها ما يقال له (الشلياق الخلقى) ومنها ما يقال له (سديم السلاق اللوبي) ومنها ما يقال له (سديم الجبار غير
المنتظم) . ولقد وجدوا أن (سديم المرأة المسلسلة) يبعد عنكم نحو (٩٠٠) ألف سنة نورية ، وهناك
(سدم لوليه) تبعد عنكم أضعاف ما تقدم . وهناك سدم تبعد عنكم مائة مليون سنة من سنى النور . ثم
ان (سديم المرأة المسلسلة) يجرى نحو مجرتكم بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية وأكثر السدم اللولبية تبعد
بسرعة (٦٠٠) كيلومتر في الثانية . ثم ان جرم (سديم المرأة المسلسلة) يساوى جرم شمسكم ألفي مليون
ضعفاً وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة وأرضكم تدور على نفسها
مرة واحدة كل ٢٤ ساعة (انظر صور هذه السدم الأربعة في الصفحة التالية)

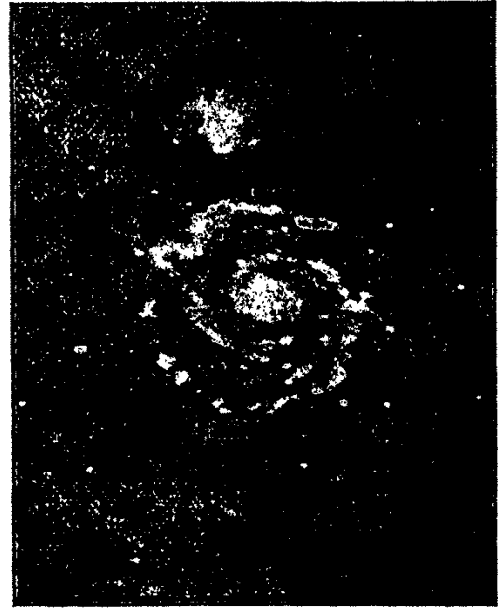
ثم قال لى . هل تذكرت شيئاً عند اطلاعك على هذا . قلت نعم تذكرت قوله تعالى - وان يوماً عند
ربك كآلف سنة مما تعدون - وقوله - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - فهو انما حد هذه المدد على
قدر عقولنا والا فعند الله أيام كل يوم منها مائة ألف سنة أو مليون سنة وهذا يوم مقداره (١٧) مليون سنة
لا كالسنين عندنا بل هي سنة نورية والسنة النورية تعد سنوها المعتادة عندنا بالملايين . فقال أحسنت إذ
فهمت . فقلت الحمد لله رب العالمين . فقال ان ولوعكم بهذه المجانب دليل على بقائكم بعد الموت كما كان
ولوعكم بالطعام والنساء وبالطيران دليلاً على حصولها وقد جاءت في الوجود ، تم البرهان على - اليوم
الآخر - والحمد لله رب العالمين . كتب في ليلة الثلاثاء ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٨ م

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً - ﴾
اعلم أن هذا ان أهمل قواه ونفسه . أما ذلك الذي جعل حياته كلها نافعة علماً وعملاً فانه اذا كبرت
سنة فان عقله يزيد لا ينقص . ولقد أحصوا المخترعين في أوروبا فوجدوا أكثرهم ممن زادوا على الستين .
ولقد رأيت المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر سابقاً قد عاش نحو ١١٥ سنة وهو قوى العقل
يدبر الجامع الأزهر كله بعقل منير وفكر حاضر . ومن أعجب العجائب أن يكون رجال من أوروبا مثل (كلنسو)
الوزير الفرنسي يحسن في نفسه في زمن الشيخوخة بأنه شاب إذ بلغ الثمانين وهو نشط كالشباب قد أم الصلح
مع ألمانيا وذهب الى بيته في الريف يفكر لمنفعة بلاده وهو لا يصدق أنه شيخ . جاء له الدكتور (فورنوف)
ليجري له عملية جراحية ترجع له الشباب فقال لست شيخاً . يقرأ كتب الاغريق ليعرف علم المتقدمين
ويكتب مقالات في الصحف ويقول ﴿ يجب أن نلقى مرساتنا ونستقر على صخر المعرفة ﴾ ويقول ﴿ كل
يوم يمر بي هو برهان لى على انى أجد نفسي بنشاط تنقلى ولست أعرف شيئاً كثيراً ولكنى أتقبل ما أعرفه
كبدياء كما أتقبل نتيجة معرفتي ﴾ ويقول للشباب ﴿ يجب أن تسموا الى أكثر ما تستطيع حتى تحصل على
أقل مما ترمى اليه ﴾ ويلعب الألعاب الرياضية في الشيخوخة كأنه شاب ولا يشرب الخمر والتبغ ويقول انهما
دون رجوليتي . هذا رجل افرنجى والله يقول لنا في القرآن - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض -
ويقول بعض العلماء عندنا ﴿ ان العالم يكون أطول عمراً من غيره ﴾ وهذا حق فقد ثبت بالاحصاء أن رجال
الدين أطول أعماراً وأن النابغين العبقريين أطول أعماراً من الجميع . فاذا كان أهل أوروبا الذين حاد
مجموعهم عن الفضائل النفسية قد ظهر فيهم أمثال هؤلاء فأولى ثم أولى نحن المسلمين فان ديننا يأمرنا بكل
ما هو جليل . انتهى

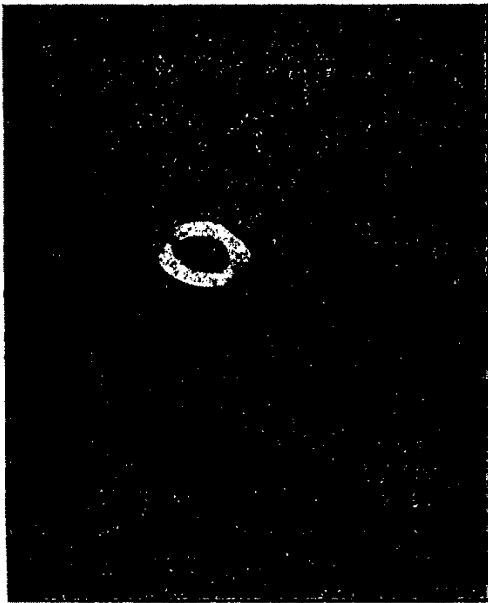
﴿ ايضاح الكلام على النبوغ (العبقرية) وبيان انه يدخل في قوله تعالى - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - ﴾
قد شاعت في أوروبا فكرة أن النابغين العبقريين مجانين وانهم يموتون ناقصي العمر وألف (لومبرود)



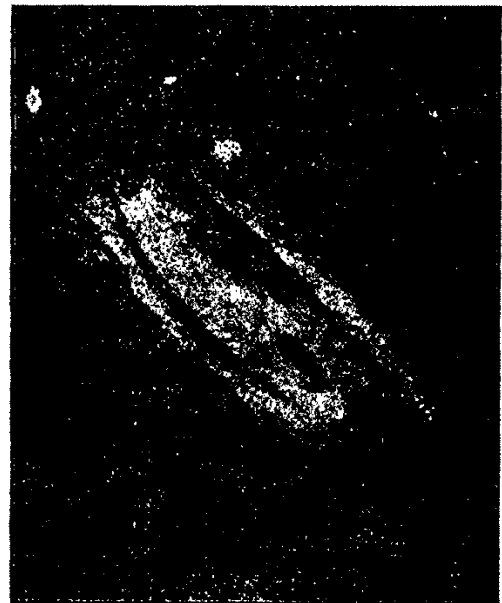
(شكل ٢ سديم الجبار غير المنتظم)



(شكل ١ سديم السلاقي اللولبي)



(شكل ٤ - سديم الشلياق الحلقي)



(شكل ٣ سديم المرأة المسلسلة اللولبي)

كتابا كبيرا في هذا المعنى وتلميذه (ماكس نوردو) له كتاب أكبر منه وقد رأيت في كتب (جوستاف لوبون) المترجمة ما يفيد أن التابعين نصف مجانين . والحقيقة التي لا مرأى فيها أن التابعين لهم صفات منها (١) انهم في زمن الصبا يحسون بنقص وشين يلحقهم فيجعلون حياتهم وقفا على العمل كي يرفعوا أنفسهم من الخزي والعار

(٢) ثبت بالاختبار انهم يعنون بصحتهم أشد العناية ودليلك على ذلك ما جاء في التوراة من عناية كثير من العظماء المذكورين فيها بصحتهم . وترى الصحابة والتابعين يتجنبون اللذات ويحرقونها زهدا في الدنيا وكان ذلك صحة لهم وكانوا يحافظون على النظافة وعلى السواك وللسواك اليوم القدر المعلى وكانوا يأكلون الخبز غير منخول الدقيق زهدا وظهر اليوم انه أعظم وأفيد للصحة وظهر الآن بعض سرّ قوله تعالى - ولتسألن يومئذ عن النعيم - وبعض سرّ قوله تعالى - أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - الخ وأن الاكثار من أكل الحلاوى وأنواع اللحوم . كل ذلك مقصر للأعمار مخرب للأهم مدلل للنفوس . (اقرأ هذا المقام في سورة طه عند قصة آدم وابلis في آخر السورة) .

وكان (افلاطون) يقول ﴿ الجسم السليم يرقى بالنفس كما ان النفس السليمة ترقى بالجسم ﴾ إذن النابغة يحسن بنقص في الشرف وفي الجسم فهو أبدا يجتهد في اكمال نفسه فيهما (٣) وقد ثبت بالاحصاء أن هذه الطائفة تعيش طويلا فقد أحصى أحد الأمريكان عدد الذين بلغوا السبعين بين العبقريين فوجد انهم خمسة أضعاف نسبتهم بين سائر الناس فقد بلغ (تيتيان) الرسام الطلياني المائة من عمره ومات بالطاعون ولكن كان موته أمرا مستغربا عند أصحابه لما كانوا يعرفون فيه من القوة وكان (كارليل) معمودا فبلغ ٨٢ سنة وكان يسير في هذه السن خمسة أميال في اليوم . وكان (فاجنر) ضعيف الجسم فعاش الى السبعين . وكان (نابليون) مزاجه أشبه بمزاج الأنتى فقاوم نفسه حتى صار يدوس الدول دوسا . انتهى

إذن تبين من هذا كله أن قول بعض أساتذتنا في قوله تعالى - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - له شاهد من الواقع الحاصل في الأمم وأن حصول الخرف والجهل بعد العلم يتأخر في هذه الطبقة أولا يكون وانما قلت هذا ليكون نموذجا لأناس يظهرهم الله في أمة الاسلام ويرون في أنفسهم مهمة عالية فليعلموا أن الله مع المحسنين وأن هذه القاعدة التي وضعها للناس في أنه يجعلهم مخرفين تتأخر في هذه الطائفة النافعة للناس لأنه خصصهم لنفع عباده وخير الناس أنفعهم للناس والحمد لله رب العالمين

(القِسْمُ الثَّانِي)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءً
الْمَا كَيْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ
مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ
فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ
لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ *

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَلْتُمْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ
 عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنْفَاءُ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ
 * ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
 ثُمَّ مَحْلَاهَا إِلَى النَّيْتِ الْعَتِيقِ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ
 مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْخَافِيَيْنِ * الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ
 وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالْبَدْنَ
 جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا
 وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ * لَنْ يَتَلَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَتَأَلَّهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ
 سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ *

(١) اعلم أن هذه السورة متصلة بما قبلها فإن آخر سورة (الأنبياء) كان في أمر القيامة كقوله تعالى
 - يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب - وما قبلها من الآيات كقوله - واقرب الوعد الحق - الخ وأول
 هذه الاستدلال على البعث بالبراهين العقلية

(٢) ان السور المتقدمة قد أقيمت فيها الحجج الطبيعية والنبوية على الألوهية غالبا . أما في هذه السورة
 فقد جعل العلم الطبيعي من براهين البعث كما أنه من براهين وجود الله . لقد جاء ذكر العلوم الطبيعية في
 (سورة الحجر) على مقتضى ترتيب المواليد . وهكذا تكرر ذلك في السور بعدها . وهما في هذه السورة قد
 جرى فيها بعلم الأجنة استدلالا على البعث وكذا بنظام المواليد الثلاثة استدلالا عاما في قوله - ألم تر أن الله
 يسجد له من في السموات والأرض - الخ فهنا سلسلة المواليد منتظمة تماما . كواكب للأضواء عليها وجبال
 وشجر ودواب والناس ثم حشرهم وهذه هي المواليد من أولها إلى آخرها عناية بالعلوم الطبيعية

(٣) تقدم في السورة السابقة وما قبلها ذكر الأنبياء وبراهينهم لقومهم . أما في هذه السورة فالخطاب
 من الله رأسا للأمة الحاضرة وهو خطاب يسترعى السمع ويوجب علينا ولو على سبيل فرض الكفاية تفصيلا
 وفرض العين اجبالا أن نعرف جميع ماصنع الله في أرضه وسماؤه وما دبر في خلق الأجنة والنبات والحيوان
 (٤) ولما تم الكلام على الاستدلال على البعث وما لحق به شرع سبحانه يذكرنا بما يناسبه وهو أما كن
 الحجج وأعماله فان الحجج انتقال من حال إلى حال جديدة . ففيه يترك الانسان وطنه وملابسه المعتادة ويصرف
 ماله ويلبي دعوة ربه رافعا صوته بالتلبية تاركاً لبس الخيط مهرولا ما بين جبلين طائفا حول بيت الله واقفا
 والشمس فوق رأسه وهو مخبت خاشع والناس معه كذلك ملين لرهبهم خاضعين له واقفين معا فلا أهل
 ولا مال ولا ولد راجعين إلى منازلهم تائبين من الخطايا منتظرين الموت . كل هذا أشبه بالحشر في أكثر صفاته
 لذلك ذكر الله الحجج بعد البعث فقال (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) أي وهم يصدون (و) عن

(المسجد الحرام) أى الدخول فيه (الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه) أى المقيم (والباد) الطارى
أى جعلنا المسجد الحرام للناس مستويا فيه العاكف والباد فهما مرفوعان بسواء الذى هو منصوب عند حفص
• وقرئ - العاكف - بالجر على البدل من الناس (ومن يرد فيه) فى المسجد الحرام أى مراد (بالحاد
بظلم) حالان مترادفان أى عادلا عن القصد ظلما (نذقه من عذاب أليم) فى الآخرة وخبر إن فى قوله - إن
الذين كفروا - مقتر تقديره نذيقهم من عذاب أليم (و) اذكر (إذ بوأنا لآبراهيم مكان البيت) أى حين
جعلنا لآبراهيم مكان البيت مباءة أى مرجعا ليعبد فيه ويعمره إذ رفع البيت أيام الطوفان وكان من ياقوته
حراء فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنت مكان البيت فبناه على أسه القديم وأوحينا إليه (أن لا تشرك
بى شيئا) من الأصنام (وطهر بيتى) من الشرك والأوثان وكل قدر (للطائفين) أى الذين يطوفون بالبيت
(والقائمين) أى المقيمين فيه (والركع السجود) أى المصلين (وأذن فى الناس) ناد فيهم وأعلم . والأذان فى
اللغة الاعلام والناس أهل القبلة (بالحج) بدعوة الحج (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (وعلى
كل ضامر) أى ركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله (يأتين) صفة لناصر أى جماعة الابل
• وقرئ - يأتون - صفة لرجال (من كل فج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم)
دينية ودنيوية كالمغفرة والتجارة (ويذكروا اسم الله) عند أعداد الهدايا والضحايا وذبحها (فى أيام معلومات)
هى عشر ذى الحجة عند أبى حنيفة وآخرها يوم النحر وعند ابن عباس أيام عرفة والنحر وأيام التشريق وقيل
انها أيام النحر وثلاثة أيام بعده (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها) أمر بإباحة (١) اذا كان الهدى
تطوعا وكذلك الأنحية . وأما الواجب فلا يأكل منه عند الشافعى (٢) ولا يأكل من جزاء الصيد والنذر
ويأكل مما سوى ذلك عند ابن عمر وأحد واسحق (٣) وقال مالك مثل ذلك وزاد فى التحريم فدية الأذى
(٤) وأصحاب الرأى حرّموا الأكل من كل واجب الاדם التمتع والقران وانما يأكله الزمن الذى لاشئ له وهو
قوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) ثم ليقتضوا تفهيم) أى ليزيلوا أدرانهم أى ليخرجوا من الاحرام بالخلق
وقص الشارب وتنف الابط وقلم الأظفار والاستحداد ولبس الثياب . والحاج أشعث أغبر مادام لم يزل هذه
الأوساخ (وليوفوا نذورهم) ما يندرون من البرّ فى حجهم (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام التحلل
أوطواف الوداع (بالبيت العتيق) القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو الذى أعتقه الله من تسلط الجبارة . الأمر
(ذلك ومن يعظم حرمات الله) أحكامه وكل ما يلح استباحته ومنه الحرم وتكاليف الحج والكعبة والمسجد
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فكل هذه من حرمات الله التى لا يحل انتهاكها (فهو) أى فالتعظيم (خير
له عند ربه) ثوابا (وأحلّت لكم الأنعام) أى أحلّت لكم أن تأكلوها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم
(إلا ما يتلى عليكم) تحريمه فيما تقدم فى سورة ﴿المائدة﴾ وهو - حرمت عليكم الميتة والدم - الخ (فاجتنبوا
الرجس من الأوثان) أى اتركوا الرجس الذى هو الأوثان فهى نجاسة معنوية أقبح من النجاسة الحسية
(واجتنبوا قول الزور) وهو أعم من عبادة الأوثان كتحريم السوائب والبحائر وغيرها وكشهادة الزور
• يروى أن النبي ﷺ قال ﴿عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية﴾ والزور من الزور وهو
الانحراف (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) وهذا وما قبله حالان من الواو فى اجتنابوا (ومن يشرك
بالله فكأنما خر) سقط (من السماء) الى الأرض (فتخطفه الطير) أى تسلبه وتذهب بسرعة (أو تهوى
به الريح) أى تميل وتذهب به (فى مكان سحيق) بعيد . هذا تشبيه مركب وهو أبلغ التشبيهات ، يقول من
أشرك بى فقد أهلك نفسه هلاك ليس وراءه هلاك بأن صورت حاله بصورة حال من خرّ من السماء فتخطفته
الطير ففرقت أجزائه فى حواصلها . أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المهالك البعيدة . الأمر (ذلك
ومن يعظم شعائر الله) أى دين الله ومنه فرائض الحج ومواضع نسكه والهدايا وتعظيم هذه اختيارها غاية الثمن

حسانا سمانا (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب . ولا ريب أن القلب منشأ كل بغير وكل تقوى (لكم فيها منافع) من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة (الى أجل مسمى) أى الى أن تنصر (ثم محلها) أى وقت وجوب نحرها منتهية (الى البيت العتيق) والمراد انها تنصر فى الحرم والحرم فى حكم البيت إذ الحرم حريم البيت . تقول بلغت بلد العدو وأنت انما اتصل مسيرك بحدوده . وأولى من هذا أن تجعل الشعائر عامة كما تقدم وتعظيمها اتمامها . والمنافع التى للناس فيها تكون بالتجارة الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل أمة) ولكل أهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا كما جعلنا لكم هذا المنسك لأننا هكذا نجتمع قلوب الناس باجتماعهم فى مكان العبادة (ليذكروا اسم الله) وحده ويجعلوا نسيكتهم لوجهه إذ لا غرض من المنسك إلا تذكير العبود (على مارزقهم من بهيمة الأنعام) عند ذبحها (فإلهكم إله واحد فله أسلموا) أخلصوا التقرب (و بشر المحبتين) المتواضعين المخلصين (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لا شراق نور جلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من البلاء والمرض والمصائب التى لا يقدرون على إزالتها (والمقيمي الصلاة) فى أوقاتها (و بما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة وسميت بذلك لضخامتها (جعلناها لكم من شعائر الله) من اعلام دينه (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها صواف) قائمات قد صفن أيديهن وأرجلهن . كيفية الذكر أن تقولوا عند ذبحها ﴿ الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك واليك ﴾ (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الأرض أى ماتت (فكلوا منها) أمر اباحة (وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسألة (والمعترى) والمعترض بالسؤال * وقرئ - والمعترى - (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها وهى منقادة (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولادماؤها) المهرقة بالنحر من حيث انها دماء ولحوم (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن ترفع اليه الأعمال الصالحة والاخلاص وهو ما يريد به وجه الله ثم كررها ثانيا تذكيرا للنعمة فقال (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله) لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره (على ما هداكم) أى أرشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه فتقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا (و بشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه ويذرونه . انتهى التفسير اللفظى . وهنا ﴿ خمس لطائف ﴾

(١) فى قوله تعالى - والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد -

(٢) فى قوله تعالى - فكلوا منها -

(٣) فى قوله تعالى - لكم فيها منافع الى أجل مسمى -

(٤) فى قوله تعالى - ولكل أمة جعلنا منسكا -

(٥) فى قوله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها -

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - والمسجد الحرام الذى جعلناه - الخ ﴾

اعلم أن هذا المقام وهو مقام الحج قد استوفيت فى سورة (البقرة) فارجع اليه إن شئت ولنخص الكلام الآن بما فى هذه الآية واعلم أن الله عز وجل لم يخلق الخلق سدى ولم يخلقهم فى أرضه سهلا بل أحاطهم بضروب الحوافظ التى تحفظهم وهى المعقبات التى تمنع عنهم الأذى كما تقدم فى قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه - وأن الله يعامل الناس معاملة الرحمة والطف والعطف ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك جهلا تاما لما انهم مشغولون بأمور المعاش والأخلاق القاطعة للره عن التذكر والتفكير . ولقد تقدم لك فى هذه السورة انه جعل الهواء صلة بين النبات والحيوان بحيث يكون موصلا لمادة الفحم من نفس الحيوان

الى النبات وبه ينمو النبات ويتخلص الاكسوجين فيذهب الى الحيوان . أما الكربون الذى بقى فى النبات فانه يدوم فيه حتى يأكله الانسان . والمقصد من هذه الجملة أن الناس والحيوان والنبات على الأرض أشبه بأعضاء جسم واحد فالنبات يغذى بكر بون خرج من الانسان والانسان يغذى بنفس النبات وفيه الكربون ثم هذا الكربون يذهب الى النبات ثانيا وهكذا . وانما ذكرت لك هذا اتكالا على فهمك ماتقدم قريبا فى هذه السورة وليكون مقدمة الى ماسياتى فى هذه الآية . فانظر كيف كان كل من الحيوان والنبات يرسل الى الآخر منافع ولا يعلم كل منهما بذلك بل هم جميعا غافلون فالنبات والحيوان والانسان كل هؤلاء غافلون إلا بعض ذوى العقول الكبيرة . فانظر كيف أحاط الله الانسان بصنوف النعم ودفع عنه النقم وهو لا يشعر . ومن دفعه النقم عنه أن خلق فى الأرض جبالا لتفصل بين الأمم ليصفو فيها الهواء اثلا يكون التعفن فيفسد الجو لتلاصق العمران ولثلا يتعدى المرض والعدوى والوباء بلدة الى أخرى وأيضا ليتحصن بها من هربوا من الظلم والجور فى المدن الظلمة فيهربوا الى جوار ربهم فى أعلى الجبال ويعيشوا مع الوحوش التى فررت من ظلم الانسان . فالجبال إذن أمان للناس من هذا القليل . هذا هو الأمان الطبيعى والديانات نزلت مصداقا لما فى الطبيعة واقرار لما هو نافع وتحريم لما هو ضار . فمن أبدع المنافع وأجل المفاخر الدينية أن جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وجعل الحرم للناس سواء العاكف فيه والباد وجعله حرما آمنا لا يصاد صيده ولا يقتل فيه أحد ومن دخله فهو آمن . اليه يهرب كل مظلوم ويأجأ كل مضطهد فقام فى الدين مقام الجبال الشاهقات يكون حصنا يأوى اليه الخائفون وهذا مقامه رفيع وفضله عظيم ففيه يعبد الله وتشرق النفوس وتبتهل الى ربها . وهالك آراء العلماء فى الآية

(١) يستوى فى البيت العاكف فيه والبادى فى تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه وفضل الصلاة فيه وهو قول مجاهد والحسن

(٢) أو المراد من المسجد الحرام جميع الحرم والتسوية فيه أن المقيم والبادى سواء فى النزول فيه ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير أنه لا يزعم أحد أحدا اذا كان قد سبق الى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء فى البيوت والمنازل * ويقال ان الحجاج كانوا اذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة أحق بمنزله منهم وأمر عمر أن لا تغلق أبوابهم فى الموسم . وعلى هذا لا يجوز بيع دور مكة واجارتها والأرض إذن لا تملك ولوما كنت لم يستو فيها العاكف والبادى . فلما استويا كان حكمهما حكم المساجد وهو قول أبى حنيفة . وعلى القول الأول يجوز بيع دور مكة واجارتها وهو قول طاووس وعمرو بن دينار وهو مذهب الشافعى وقد قال الله - الذين أخرجوا من ديارهم - فانسبها اليهم واشترى عمر ابن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم اه

فانظر كيف حرم ابراهيم الحرم ودام تحريمه فى الاسلام ليكون ذلك أمنا للناس وموطنا للعبادة وموضعا لاجتماع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وقد امتن الله بذلك فقال فى آية أخرى - ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شئ عليم -

يقول الله انى جعلت البيت الحرام قياما للناس الخ لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض أى لتنظروا أولا فى حكمة كون الحرم قياما للناس ثم تفكروا فى بقیة حكمه فى السموات والأرض التى هى من قبيل العناية والحفظ من الآفات الطارئة عليكم من السماء والأرض فأنا أحفظكم منها ولن تقدرُوا على معرفتها إلا بالدراسة والعلوم ولن يقدر الناس أن يدركوا شياً من عنايتنا بهم إلا بدراستها فاذا أمنتهم فى الكعبة بطريق الدين . فياحسرة على العباد لجهلهم . فكى من مصيبة عنهم رفعناها . وكى من نازلة دفعناها . وكى من قاصمة كسرناها . وكى من داهية أزلناها . فنحن نكلوكم بالليل والنهار وأنتم لاتشعرون . فأنا حرمت

الحرم ليفكر العقلاء فيه ويقولوا ان ربنا حرّمه لنا من فيه وهل له أفعال غير هذه واذن يدرسون نظام هذا الوجود ويقولون نعم تحيط بالانسان الرزاي من كل ناحية ولكن هناك عطف ولطف يمنع المصائب عنه ومنه المسألة المتقدمة في الكربون المتواصل بين الحيوان كله والنبات . هذا هو معنى قوله تعالى في سورة (المائدة) - جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام - الى قوله - ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شئ عليم - . فهذه المسألة التي يظنها الناس سهلة وهي تحريم الحرم فتح باب لدراسة نظام الله في حفظنا في السموات والأرض

واقدم أهم الله أهل أوروبا أن يجعلوا (سويسرا) ملجأ للذين يفرّون من الظلم أو المجرمين السياسيين وقد اصطالحوا على ذلك . فتجب كيف أهم الله الناس أن يعملوا عملا قد أنزله الله على ابراهيم بطريق الوحي . فهنا ملجأ سياسي اختاره الناس وهناك ملجأ ديني اختاره الله . ذلك ليعلم الناس أن ربنا هو الذي يلاحظ عباده ويرحمهم في هذه الدنيا . فلما لم تكف الجبال للفارين من الظلم أهم قوما أن يلجؤا الى مكان يصطلحون عليه ليأمنوا فيه . فالجبال مأمن طبيعي إلهي وسويسرا ملجأ سياسي والحرم ملجأ إلهي ديني والله يقدر الليل والنهار

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - فكلوا منها - الخ واللطيفة الثالثة في قوله تعالى - لكم فيها منافع الى أجل مسمى - ﴾

أما اللطيفة الثانية فقد اتضحت في تفسير الكلمات فلانعيد ما ذكرناه وانما نبين أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا فأمر الله بمخالفتهم . وأما اللطيفة الثالثة فاعلم أن المنافع المذكورة في الآية كدرّها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها . فهذه المنافع قد اختلف فيها العلماء (١) اذا جعلها الانسان هديا وسماها لذلك لم يكن له بعد ذلك شئ من منافعها عند مجاهد وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس ومنافعها له قبل ذلك التعيين (٢) للهدى تلك المنافع بعد التعيين للهدى فيركبها ويشرب لبنها عند الحاجة الى أجل مسمى أي الى أن تنحر عند عطاء

(٣) يجوز ركوبها والحل عليها من غير ضرر بها عند مالك والشافعي وأحمد واسحق ويجوز كذلك أن يشرب من لبنها بعد ما يفضّل عن ربي ولدها (٤) لا يركبها إلا أن يضطر اليه وهذا لأصحاب الرأي (٥) والشعائر غير ذلك من المناسك منافعها بالتجارة والأسواق الى أجل مسمى أي الى الخروج من مكة وبالأجر والثواب الأخرى في أعمال مناسك الحج الى اقضاء أيام الحج ﴿ مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر

كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - ﴾

حادثي رجلان قد حججا في هذا العام (سنة ١٣٤٦ هجرية) أحدهما ممن يجوبون الأقطار ويتبوؤن الأمصار ويعاشرون الكبراء والأمرء وأهل الحل والعقد . والثاني من العامة وأهل الصناعة فاتحدت آراؤهما على ما يأتي

﴿ إن الحجاج اذا حلوا (منى) ونصبوا خيامهم بعد الافاضة من عرفات يتقرّبون الى الله عز وجل بالهدايا والضحايا من الابل والغنم ويتركون أكثر تلك الهدايا على الجبال المحيطة بهم صباحا فلا تجيء الضحوة الكبرى إلا وقد انتشرت الروائح المنتنة الحية فلكت الهواء ودخلت الانوف واحتات كل رئة من رئات الحجاج الذين هاجروا الى ربهم . وهذا التغير السريع وفساده بسبب الحرارة الشديدة من الشمس والآن هذا الزمان يكون

الحج فيه صيفا والصيف قوى الحرارة لاسيما في الأقطار الحجازية المحرقة بالحرارة الكاوية القاتلة فلا يجب اذا امتلأ الجو بالعفونة في بضع ساعات فلا ترى القوم إلا أناسا مالت رؤوسهم وتقلصت شفاههم وحانت منبتهم وأودعوا حفرا . ولا سبب لهذا إلا فساد الجوّ بما خالطه من تلك الروائح الكريهة القاتلة من الهدايا والضحايا في العيد وفي أيام التشريق . فلما سمعت ذلك منهما في حديث طويل قلت لهما . أليس هناك فقراء يتناولون هذه اللحوم . قالوا . كلا . ثم كلا . قلت ان هذا أمر منكرو . كيف يفعل المسلمون عن هذه الامور المحزنة ثم سألتهما كم عدد الذين يموتون . فقالا مامن عشرة أو ثمانية إلامات منهم واحد أو اثنان . فقلت كم عدد الحاج في هذه السنة . فقالوا يقربون من ثلثمائة ألف . فقلت وبكم تبلغ الهدايا التي يتقربون بها . فقالوا تقدر بمبلغ (٥٠٠) ألف جنيه أو أقل قليلا . فقلت يا عجبا . ان صحّ هذا تكون هنا (مصيبتان) بل مصيبتان وهما هلاك أنفسنا وهلاك أموالنا . أما الأموال فهي تلك الضحايا التي جعلها الله لأهل مكة وسكان حرمه الشريف حلالا يأكلون منها كما قال تعالى على لسان ابراهيم - فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون -

اللهم إنك قد استجبت دعوة ابراهيم عليه السلام . وهاهي ذه القلوب تهوى اليهم . وهاهي ذه الثمرات قد رزقوها ولكنهم لم يتعاطوها . فيا عجبا لأمتنا الاسلامية . يقول الله تعالى - لعلهم يشكرون - فهل شكر أهل الحرم على هدايا تقم لتعطي الجوّ عفونة ورائحة خيثة . هذا ما كان من أمر الهدى . أما الأنفس وهلاكها فان هذه الضحايا والهدايا بدل أن كانت نعمة لبقاء النفوس وحياة المسلمين من أهل الحرم أصبحت وبالا وهلاك للحجاج القادمين من الأقطار . فكأن هذه النعم انقلبت نقما على أولئك الحاج بهلاكهم وعلى نفس أهل الحرم لأن الناس اذا عرفوا أن الوباء يحلّ بساحتهم في منى بسبب الضحايا وشاع ذلك وذاع ينفر العقلاء وأهل العلم عن الحج ولا يحج بعد ذلك إلا الجهلاء ، فاذا فرضنا أن (٣٠٠) ألف حاج يموت منهم في (منى) عشرة آلاف أو عشرون ألف فهذا عدد لا يستهان به وهذه مصيبة كبرى لا يحتملها دين الاسلام فما كدت أنطق بهذا حتى ابتدرني أحد أهل العلم وكان حاضرا في المجلس فقال ماهذه الضجة وماهذه المخاوف ومن أين أتيت بهذه الأقوال ومن قال لك ان رائحة الذبائح والهدايا والضحايا تورث الموت والطاعون . قلت أسمعك كلام المؤرخين والأطباء فتبسم قايلا وقال قل . فقلت . قال العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان ﴿ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات ﴾ مانسه

﴿ وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرنا أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء . وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفونات والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيوانى وملابسه دائما فيفسرى الفساد الى مزاجه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وان كان الفساد دون القوى والكثير يكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحيات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة ﴾ انتهى المقصود منه

هذا كلام (ابن خلدون) وهو من أجل علماء الاسلام المطلعين على العمران بل يقل نظيره في الأمم المتأخرة الاسلامية . وقد جاء في كتاب ﴿ كنوز الصحة ﴾ المؤلف حديثا أيام عصر محمد على باشا الكبير بمصر مانسه (في صفحة ١٧١ عند الكلام على الطاعون)

﴿ إن مرض الوباء يكون في الغالب قاتلا ومن أصيب به يموت سريرا بعد ٢٤ ساعة أو ٤٨ ساعة وذاكر العلاج ولا محل لذكره هنا . ثم قال أغلب الأطباء يقولون بعدوى هذا الداء وانه ينتقل من شخص لآخر باللامسة لاسيما أطباء أوروبا فلذا اخترعوا (الكرتينا) وهي كلمة معناها (أربعون) أعنى ان الأشخاص

المظنون فيهم ذلك يمكثون مدة أر بعين يوما في محل واحد لا يخالطهم أحد معرّضين للهواء ﴿ انتهى
فلما سمع جليسننا العالم ذلك ضحك واستغرق في الضحك وصار يضرب كفا على كف وقال - قل أبالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن - . أبهذا تجيبنا . أتقول في دين الله وتسدلّ عليه بكلام مؤرّخ تارة
وطيب تارة أخرى . مالنا ولا بن خلدون . ومالنا ولكتاب (كنوز الصحة) . انت تقول ان ترك الضحايا على
الجبال أورث الموت لبعض الحجاج فطلبت منك أن تبرهن على أن هذا الترك منكر فلم تشف غليلا . ترك
الناس هداياهم التي أمرهم الله بها على الجبال بنى والشرع لم يحرم ذلك . هذه سنة متبعة لا يسأل الله أحدا
عن ذلك . ذبحنا الضحايا وتركناها أما تعفن الجوّ وما أدراك ما تعفن الجوّ فهذا أمر لا دخل له في الدين فمن
مات من الحجاج مات بأجله وسواء أكان سببه ما زعمته من الروائح الكريهة أو غيره فهذا شيء والهدايا والضحايا
شيء آخر . المسلم لا يلزمه أكثر من ذلك ولم نسمع من علمائنا مثل ماتقوله وقد قال الله تعالى - ما جعل
عليكم في الدين من حرج - . ذبحنا الهدايا وتركناها ونحن لسنا مسؤولين عن شيء غير هذا . أما قولك في
الهواء الطاعون والكرنتينا فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . فدعنا من هذه الأراجيف واتق
الله ولا تضع وقتك فيما لا يفيد . فلما أتمّ صاحبي مقالته صدق عليه الحاجان اللذان ألقيا إلى هذا الحديث
وأمتنا على كلامه وقالوا بلسان واحد إن بعض المنتورين هناك سألوا بعض العلماء فقالوا لهم هذا أمر الشرع
فلم نفهم أما الآن فقد عرفنا الحقيقة . فتح الله عليك أيها الشيخ فلقد أثرت بصائرنا وشرحت صدورنا وقد
كان الشيخ طنطاوى يكاد يضلنا عما وجدنا عليه علماءنا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن
هدانا الله . فلما أتموا مقالاتهم قلت لهم جميعا هذا بيت بنيتموه على غير أساس فلا سمعكم ما يهدمه من أساسه
ولتعلمت نبأه الآن . فقالوا ليس في الامكان أبدع مما كان والا فانت يبرهان . فقلت قد ذكرت في (سورة
الكهف) في التفسير ما قاله ابن القيم وهذا نصه تحت عنوان ﴿ تغيير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ﴾
قال هذا فصل عظيم النفع جدّا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج والمشقة وتكليف
ملا السبيل اليه وما يعلم أن الشريعة الباهرة لاتأني به فان الشريعة مبنها وأساسها على الحكم والمصالح وهي
عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة
الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان أدخلت فيها بالتأويل . وقد ذكر لذلك أمثال
منها انه شرع لهذه الأمة وجوب انكار المنكر وتغييره ولكن اذا كان انكار المنكر يستدعي منكرا أشدّ
منه فانه لا يسوغ الانكار في هذه الحالة الخ . انتهى المقصود من كلام ابن القيم الذي نقلته في سورة الكهف
وهو صريح في أن المفسدة تجتنب في الاسلام . فبالله أي مفسدة أكثر من ضياع . . . ألف جنيه بلا فائدة
لأهل الحرم وهلاك آلاف من حجاج بيت الله الحرام . فقالوا بلسان واحد أيها الأستاذ إذن أنت تريد أن
تهدم نفس الاسلام فان الهدايا التي ورد بها صريح القرآن تريد أنت تحريمها . إن تلك الضحايا والهدايا منها
الواجب ومنها المندوب فأنت بهذا التقرير قد جعلت الواجب أو المندوب حراما . فقلت حاشا لله فان هذا كفر
وإني أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وانما الذي أبتغيه أن نسير على سنن القرآن والقرآن لم ينزل لما يضرنا
بل نزل لما ينفعنا . وهذه الهدايا اذا صح ما قلتموه لي انقلب خيرا شرا وهذا لا يرضاه جاهل فضلا عن عالم
وهذا قول امام من أئمة المسلمين عرف حقيقة الاسلام وفهم قوله تعالى - اعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة -
فاننا أمرنا بالتفكر في الدنيا قبل الآخرة . فان القيم رحمه الله تفكر وصرّح بالحقيقة ومن لم يحكم أمر الدنيا
فليس له في الآخرة من نصيب . إن الهدايا في (منى) مصلحة ولكن ترتبت عليها مضرّة ضياع الأنفس
والأموال وهي انما كانت لبقاء الأنفس لا هلاكها . فليجد المسلمون للتخلص من هذا المرض والجهل
العظيم والعار على أمة الاسلام . اللهم ان هذه غفلة وعلى المسلمين أن يتخلصوا منها . فقالوا فهل أنت عندك

مخرج لذلك . فقلت أنا لا أقول شيئاً فربما يوافق مذهباً ويخالف مذهباً ولكنى أترك الأمر لمجلس يجتمع فيقرر ذلك من علماء الأمة فيكون اجماعياً . فقالوا ان ما ذكرته عن ابن القيم حسن وأقرب إلينا من كلام المؤرخين والأطباء ولكنه قول عام ونحن الآن في أمر ديني عظيم فنحن نرفض الاكتفاء به فان كان عندك علم فائتنا به والا فأرحنا من مقالك الذي أطلت به في هذا المقام . فقلت أليس دين الاسلام يجرى على مقتضى سنن الله عز وجل والعقل . فقالوا يظهر أنك ليس عندك فوق ما تقدم لأن هذا القول داخل في قول ابن القيم فدعنا منه وائتنا ببرهان والا فسلام عليك . فقلت ها كم ماورد في السنة جاء في الربع الرابع من (الإحياء) في باب التوكل (صفحة ٢٦٠) مانصه

﴿ فان قيل ان من شرط التوكل أن يترك الانسان الحجة والفسد عند تبليغ الدم فانه يجب أيضا أن يكون من شرط التوكل قياسا على ذلك أن من تلذغه عقرب أوحية لا ينجيها عن نفسه إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلذغ الظاهر فأى فرق بينهما فان قال قائل وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزال لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجمدة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وأجرى بها سننه . ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لاندخل على الوباء فناقى بأيدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نفر من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله فيهم - ألم ترى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم - فوجعوا الى عمر فسأله فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رأيه أنفر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله . ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لأحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان إحداها مخضبة والأخرى مجذبة أليس ان رعى المخضبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف يسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله ﷺ فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله يقول « اذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وجد الله اذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس . فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من شروط التوكل ﴿ اه

ثم ان صاحب الإحياء بعد ذلك أخذ يبين الحكمة في نهى الناس عن الخروج من أرض الوباء فعلاها بأنهم لو خرجوا من أرض الوباء وتركوا المرض به لم يجد هؤلاء المساكين من يعول أحياءهم أو يدفن موتاهم وضرر الباقين بالمرض بخروج الأصحاء محقق وضرر الأصحاء غير محقق بالبقا . فاذن في الخروج الاحتراس من ضرر مظنون والوقوع في ضرر محقق ﴿ هذا ملخصه . انتهى ما قصدته من الإحياء ولكنى أقول إن هذا السر أظهره الله في عصرنا الحاضر فقد أجمع أطباء الأمم أن انتقال الموبونين من الأماكن التي بها الوباء ينشر جراثيم المرض في العالم وهذا قام عليه البرهان وصار محققا من غير شك . إذن سر النبوة ظهر الآت وأن الدخول بأرض الوباء قاتل لنفس الداخلين والخروج منها قاتل للناس في الأقطار الأخرى . وهذا السر من الأسرار التي أتى بها الاسلام وظهرت حديثا . فقالوا لقد شفيت صدورنا وشرحت قلوبنا وأثرت بصائرنا بحسن بيانك وانا لمسرورون ولكن القول يحتاج الى مزيد بيان وإيضاح . الله ذكر هذه الهدايا في نفس القرآن وأنت أثبت بكلام عمر في أمر الوباء وانه يفر من قدر الله الى قدر الله . أتريد بذلك أن يفر الحلج من (منى) أى انهم لا يحجون . إن المسألة مشكلة تحتاج الى بيان . ماذا تريد بقولك هذا . أتريد ان الناس لا يذبحون

في (منى) لأجل هذه المفسدة . قلت لقد قلت لكم سابقا ان هذا لا يقول به مسلم جاهل أو عالم . فقالوا ماذا تريد إذن . فقلت أنا أترك المسألة لأهل الحل والعقد من علماء الاسلام فهذا شأنهم . فقال أحدهم لماذا لا يتعد المسلمون على حل هذه المشكلة فينتفع أهل مكة الفقراء بالهدى ويمتنع الهلاك عن أرواح حجاج بيت الله . فقلت ان الله علم هذه الحيرة قبل أن يخلق مكة والحرم وحل هذه المشكلة حلا اجاليا . فقالوا كلهم بلسان واحد فتح الله عليك فأسمعنا كلام ربنا . فقلت قال الله تعالى في (سورة الحج) - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات (وهي أيام النحر) على ما رزقهم من بهيمة الأنعام * فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير - ثم قال أيضا - ولكل أمة جعلنا منسكا ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - أى عند ذبحها وقال بعد ذلك - والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها - أى سقطت على الأرض - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - أى الراضى والسائل - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - ثم قال بعد ذلك - كذلك سخرناها لكم لتكبروا الله على ما هداكم - أى الى تسخيرها والتقرب بها

(١) فهنا ذكر انهم يذكرون اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها - على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - فعبّر الله بأنه رارقنا وماذبح وترك على الجبل ليس رزقا لنا بل هو رزق الحيوانات التي لا ترى وتخرج في الهواء وتدخل أجسام الأحياء فيموت الجحاج

(٢) ثم قال - فكلوا منها - أى من لحوم الهدايا والأضحية اذا كانت للتطوع وهكذا من الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد على خلاف في ذلك لانطيل به (٣) ثم قال - وأطعموا البائس الفقير - والأمر هنا للوجوب . أوجب الله علينا أن نطمع البائس الفقير أما ذبح الهدى على الجبل وتركه ليقتل المسلمين فهو مضاد لكتاب الله تعالى والله هو الذى قال ذلك

(٤) وقوله تعالى - ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام - فالتعبير برزقهم يدل على أنه يراد أن تكون تلك الذبائح رزقا لنا لا رزقا للحيوانات الذرية التي تقتل المسلمين بالوباء

(٥) وقوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - تأكيد لما تقدم في هذا المقام

(٦) وقوله - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - أى تشكرون انعامنا عليكم كما قاله المفسرون وأى انعام في ترك الذبائح في الجو لتكون هلاكا للحجاج وو باء يقتلهم . فهذه ليست نعمنا لنا نشكر عليها بل هي نعم توجب الرضا والصبر وفرق بين الشكر والصبر فالشكر على نعمة والصبر على نقمة فلو جعل الله هذه الانعام نقمة لنا بحيث تكون سببا في الوباء لقال غير هذا فكان يقول سخرناها لهلاك بعضكم وابتليناكم بها لعلكم تصبرون فسنكفر عنكم سيئاتكم

فلما سمعوا ذلك قالوا والله ان العيون مقفلة والجهل عم أكثر الناس و يظهر أن العقلاء في الأمم الاسلامية لا يريدون أن يتفكروا في هذا والله ان هذا هو الحق المبين والله لتنتشر هذه الفكرة بين المسلمين فليس بعد هذا بيان . فهل عندك بعد هذا بيان . فقلت . وليس وراء الله للراء مطلب . هذا كلام الله وهذا كلام رسول الله وهذا كلام العلماء . فاذا يقول المسلمون بعد هذا . فقالوا نظرت ان الوهابية يعارضونك . فقلت أشهد الله أن هذا الكلام اذا وقع في أيديهم وبلغتموهم ماقلته الآن وكانت الحال هناك كما وصفت فانهم لا يخالفونه انهم ينصرون السنة ومتى وجدوا حقا اتبعوه . فقالوا وكيف تحل المشكلة . ليس في منى أحد يأخذ تلك الذبائح . فقلت كم لهذه المسألة من حلول فاذا اتفق علماء الاسلام على أن تجعل تلك الذبائح في (منى) في يد قوم عقلاء من أمم الاسلام وتصنع بصناعة لحفظ تلك الأجسام من التعفن ثم توزع على المحتاجين فيأكلونها

فان هذا حل سهل إن أقره العلماء ووافق مذاهبيهم فاني واثق أن علماء كل مذهب لا يتحوّلون عنه فليحلوا هذه المشكلة بحل يوافق الجميع وأما ماقلته فأتما هو ضرب مثل لآلئ لاأريد أن أدخل في التفصيل كما تقدم وإنما أختم قولي بأن أذكركم وأذكر المسلمين جميعا بقول الله تعالى - جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد - فالكعبة والبيت الحرام قيام للناس بالأمان من القتل مكانا وزمانا وما يهدى الى الحرم يكون قياما للناس من حيث الثوب للهدى باطعام الفقراء وهذا في (سورة المائدة) فمن نصب مائدة آمن أضيافه زمانا ومكانا وقدم لهم الطعام . ويقول في سورة (النساء) - ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما - أي لا تعطى نحو الأطفال مثلا المال لثلاث يضيعونه في غير موضعه والمال عليه مدار حياتنا فكيف نسلمه لمن لا يحفظه . فالمال قيام لنا أمرنا بالمحافظة عليه من سفهائنا والهدى والقلائد قيام لنا فاذا نحن حافظنا على المال فلاندعه في أيدي السفهاء لأنه قيام لنا فمن باب أولى نحافظ على ما هو قيام لنا من الأنعام فلاندعه يطيح منا فوق رؤس الجبال ويهدينا طاعونا وموتا زؤاما أي لانجعل ما هو قيام لنا هلاكنا لأجسامنا . واذا لم ندع أحد القيامين للسفهاء فهل ندع القيام الآخر يهلكنا بدل أن يكون حياة لنا . هذا خارج عن العقل وعن الدين فالدين يرفضه والعقل يبنده ألافيفكر علماء الاسلام فوالله ان الله يحاسب كل من اطلع على هذا ولم يفكر فيه - إن الله عزيز ذو انتقام -

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - ولكل أمة جعلنا منسكا - متعبدا ﴾

اعلم انه ما من أمة خلت إلا ولها أما كن للعبادة وذلك ليجمع الناس على رأى واحد ومكان واحد لتهدد القلوب وتجتمع المختلفات وتتفق المشارب . إن من اطلع على هذا التفسير وأمعن فيه النظر واطلع على ما اقتطفنا فيه من ثمرات العلوم وجمال الثمرات وبهجة الحكمة يوقن أن العالم الذي نحن فيه خلق للتضامن والاتحاد . واذا تبين لك في هذه السورة كيف كان تعاون مملكة النبات ومملكة الحيوان على الحياة وهما لا يعلمان وكيف كان الهواء جاريا بينهما ناقلا مادة الفحم من نفس الحيوان معطيها الى النبات وهو يفتدى بها معدا نفسه لتغذية الحيوان ثم يدور الدور . ثم اذا نظرت في سورة (الحجر) وفي سور غيرها ترى هناك كيف كان النحل والحشرات الأخرى رسلا بين الأزهار ملقحة الاناث من الذكران شاربة العسل . وترى في سورة (العد) كيف كانت كل ورقة فيها قوّة تمنع الصواعق ولولا الورق والشجر لأهلك الصواعق كثيرا من الحيوان . وترى في سورة (البقرة) وغيرها كيف كان السحاب في بعد مخصوص فلا هو بالقرب جدا ولا هو بالبعيد جدا والا لبل الثياب في الأوّل وعطل الحركات ولفاجأ الناس المطر في الحال الثانية من غير انذار فاذا رأى الناس السحاب حسبوا له ألف حساب وكانوا منه على حذر خيفة الأيبي ولا يذرو . واذا نظرت في سورة (العد) أيضا عند قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - تعلم أن كل ما حولنا من غاز وسائل وجامد يؤدى لنا منافع على شرائط مخصوصة ولولاها لكان كل نافع ضرا علينا . اذا عرفت هذا أيقنت أن الاتحاد سار في هذا الكون وأن كل جزء مرتبط ببقية الأجزاء بطريق مخصوص

. اذا كان هذا في العالم كله فانظر في نوع الانسان الذي نحن بصدده فقد جعل الله له في كل أمة مكانا يتعبدون فيه ومنسكا يجمعهم ليكون الاجتماع رابطة بينهم ارتباطا عقليا روحيا لا ارتباطا طبيعيا كارتباط الانسان بالحيوان والنحل بالزهر والذكور بالاناث والمطر والسحاب والبرق بالخلوقات الحية . ان ذلك رابط طبيعي ولكن الله عز وجل يريد ترقية الانسان ترقية روحية فحتم على العبادة ليتصل بربه وحتم على الاجتماع ليرتبط بأبناء جنسه ارتباطا قلبيا روحيا حتى اذا عرفهم في الدنيا كانوا معه بعد الموت في صفاء وهناء . فهنا مدرستنا وهناك محل عملنا والنهايات على مقتضى البدايات والأعمى هنا أعمى هناك والمهتدى هنا مهتد هناك والله لم يجعل الرزق بسعينا ولا الحج والعمرة والجهاد بجدتنا إلا لاثارة الحية والنخوة واطهار الثمرات العقلية

لتكون لنا هناك نورا مينا قال تعالى - نورهم يسمي بين أيديهم وبأيمنهم - والدين الواحد يجمع الأمم المختلفة في الأخلاق والأعمال والعادات فكأن الأرواح المختلفة كرة كوكبية ذات عناصر مختلفة وصور متقنة صنعها الخالق لمنافع هناك سنعرفها ومن يمت يرها

﴿ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم - ﴾
 هذه الآية وآيات أخرى في هذا القسم أبانت مقاصد الحج فليست ظواهر الأعمال مقصودة لذاتها . إن ظواهر العبادات والمناسك والطواف والسعي ورمي الجرات والوقوف بعرفات والتجرد من المحيط وغير ذلك كلها يراد بها مايقوله الحاج ﴿ لييك اللهم لييك لاشريك لك لييك ﴾

يراد بهذا كله خلوص القلوب من علاقتها بهذه المادّة الأرضية وحينها الى العالم الأعلى على شريطة أن يكون الناس إخوانا لأن الهناء هناك على مقدار التصاب والارتباط وشعور الانسان بالاخوة العائمة والصدقة التامة بين الاخوان . واعلم أن الله قد جعل بين الناس روابط طبيعية كاللغة وكالجنس وكالوطن وكالمالك الجامع لأمم مختلفة وذلك كله جعله بالصفة التي خلقها وأهداها للناس والدين جاء لأعم من ذلك . جاء ليجمعهم كلهم على رأى واحد وهو التعاون بالمودة للخلاص من هذه الأرض وبند العلائق الدنيوية . إن المدار على ما ذكرناه فلا صلاة بنافعة ان لم يكن الله في ذكر العبد كأنه يحاطبه ويكلمه ويشافهه في الصلاة . إن الحج لأثره له مالم يكن نتيجة اطراح هذه الحياة . إن الزكاة إن الصيام إن الصدقات كل ذلك للتخلص من ربة هذه الحياة . فالجوع وبذل الصدقات للتبرى من العادات والصلاة للعروج الى عالم الجبال وخطاب الله المطلع المشرق نوره في القلوب . انتهت اللطيفة الخامسة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
 بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
 يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتُ
 وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *
 الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ
 وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
 وَبِئْرٍ مُعْتَلَّةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ * أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ
 آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْنَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ *
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَنفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ

* وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
 رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَتَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ
 يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 * وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ
 عَقِيمٌ * الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لِيُدْخِلَنَّهُمْ
 مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ
 عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
 فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ
 وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً
 إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ *
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ
 تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
 ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ * لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَارِعُكَ
 فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ * وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا آيَسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَّبِعُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْمُتُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِتُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) أي يدافع غائلة المشركين عن المؤمنين . ومن هذا القبيل - إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا - وإنما يدافع عنهم لأنه يحب من يؤدون الأمانات والشاكرين للنعمة ويغض غيرهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان لأمانة الله كفور لنعمة وبهذه الآية فلتستمسك أباها الذكي . ولتعلم انك اذا نشرت ما نكتب في هذا التفسير من الحقائق العلمية وأذعتها في الأمة الاسلامية بالطريق الذي سلكناه والمنهج الذي أثبتناه والسبيل الذي اتبعناه فاعلم انك منصور والله يدافع عنك لأن الأمة اليوم في حاجة الى التطور في أعمالها والترقي في أخلاقها والخروج من سقطاتها . واذا اقت بما أشرت اليك فان الله معك . ولتعلم أن أمثالك في الأقطار الاسلامية يسلكون هذه السبيل ويجددون مجد الاسلام وينشرون نحو ما أقول في هذا التفسير فتق بوعده الله كما وثقت به واتى لولا ايقاني بأن هذا اليوم له مابعده وأن الأمة اليوم غيرها بالأمس وأن المسلمين سينقلون الى أطوار أخرى وأحوال أعلى ومقام أسمى ماسطرت حرفا . ولتعلم أن هذه السبيل وحدها هي المسرعة الى ذلك الرقي فان ديننا فيه عناصر الرقي وقد تركت جواهرها فهأنت ذا بشر الناس وعلمهم وقم فيهم خطيبا والله معك واقرا - إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور - (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي بسبب كونهم مظلومين . وذلك أن مشركي مكة كانوا يؤذون أصحاب النبي ﷺ أذى شديدا جدا حتى طفح الكيل وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ما بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم صبرا فاني لم أوامر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله هذه الآية وهي أول آية نزلت بالإذن بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية (وإن الله على نصرهم لقدير) وهذا وعد لهم بالنصر كما وعدهم بدفع أذى الكفار عنهم . فانظر كيف وعد الله مریدی الإصلاح بدفع الأذى عنهم

ووعدهم أيضا بالنصر عند الحرب . فاعلم انك أيها الذكي منصور في حربك العلمى وجهادك الاسلامى كما نصر رسول الله ﷺ في جهاده هو وأصحابه الحربى

ولقد رأيت كيف نصر الله الأنبياء في سورة (الأنبياء) السابقة ثم أتبعها بهذه السورة لتستبين السبيل فيقول الله هاأناذا نصرت الأنبياء وأنت يا محمد تكون مثلهم فلا نصرتك على الكفار كما نصرتك على الأنبياء إن الله جمع الحج والجهاد والبعث في سورة واحدة لأنها من قبيل واحد . فالحج للخروج من المألوفات والولوج برب البريات والجهاد لخلص النفس من أسر العادات والانطلاق الى عالم الشهادات أو الرجوع بالحرية والاستقلال والبعث مكمل لها لأنه انطلاق من عالمنا الأرضى الى العالم السماوى . فالجهاد والحج بعث مصغر يتلوها البعث المكبر ولذلك قدم أكبرها وألحقا به

﴿ نصر الله الأنبياء المذكورين في السور السابقة ونصر سيدنا محمدا ﷺ وأصحابه ﴾

واعلم أن الجهاد في هذه العصور هو الجهاد العلمى فانه لاحرب ولاضرب ولاسيف ولامدفع إلا بالعلم والعلم يفعل اليوم مالاتفعله أعظم المدمرات فهو ينبه الشعوب ويفرس في القلوب حب الكرامة والبحث والاتحاد والجهاد . فاذا نشرت ما يكتب في أمثال هذا التفسير فأنت قائم بالجهاد بل هو الجهاد في مستقبل الزمان . إن العقائد في مستقبل الزمان هي الملجأ الوحيد للأمم فانشروا ما كتبناه وما يكتبه سوانا . فسترى آثار العمل ظاهرة في الاسلام ولقد وعد الله بالنصر

﴿ برهان دينى ﴾

واعلم انك كما قال الامام الغزالى رحمه الله « اذا أردت أن تصدق ديننا فاعمل بما فيه فان كانت النتيجة كما جاء فيه فذلك دليل على صدقه » وأنا أقول بين للناس مافى هذا ومافى أمثاله مما يجب الناس في العلوم وانظر ماذا يفعل الله وهو القائل - إن تصروا الله ينصركم - والقائل (وان الله على نصرهم لقدير) إن الذى يهملك من هذه الآيات أن تتخذها نبراسا لك وإياك أن تتوهم أن هذا خاص بنبينا ﷺ وأصحابه انه لنا الآن وهو يتلى علينا فنحن المبشرون (بفتح الشين) به فاذا متنا بشر به من بعدنا ووعدوا بجزائره . فجاهد ثمجاهد ثمجاهد واتى موقن برقى الاسلام فى القريب العاجل ثم أبدل من الذين قرله (الذين أخرجوا من ديارهم) بركة (بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) كقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

أى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم ومحل - أن يقولوا - جر بدلا من - حق - (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بالجهاد واقامة الحدود (لهدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة فى الصحراء (وبيع) هي معابد النصرى فى البلاد (وصلوات) هي كنائس اليهود وهي بالعبرانية صلواتا (ومساجد) هي مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعنى فى المساجد أى فلولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض لهدمت فى شريعة كل نبي معابد أمته كالصلوات لليهود الخ (ولينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه وقد تم ذلك فعلا فقد سلب الله المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم . أقول وسيدور الزمان دورته على نحو غير الذى مضى فينصر الله دين الاسلام ويكون مافى هذا التفسير وأمثاله مما ألقاه الله على أفئدة المصلحين من أجل الأسباب التى بها ينبغ فى أمة الاسلام رجال فى العلوم الطبيعية والفلكية والاقتصادية بها تفتح المدارك وتقوم الدول وتنظم الشؤون ويكون العالم السياسى المسلم داهية فى السياسة وقد كان بالليل متهجدا ذا كرا لربه مصليا مستغفرا . هذا الذى سيكون فى المستقبل القريب . وستشيع فى أمتنا العلوم التى امتازت بها أوروبا علينا وسيصير الفحم والكهرباء والطيارات وأمثاله من أقل الأشياء علما عند المسلمين وتصبح كلمة اسلام وكلمة شرق أرقى من كلمة غرب وكلمة أوروبا وبين ويرجع المجد كما كان أولا وقد

وعدنا الله بالنصر وقد وعدت أنا بذلك من أيام الشباب بأني سأقّي هذا التفسير وليس المقام مقام شرح كيف كان هذا الوعد فذلك ليس مجاله ولكن الذي يدعشني جدّ الدهش اني أبشره تبشيرا في الصغر ثم اني أعيش الى هذه السن وأجد الخاصة والعامة من الأمة الاسلامية تودّ أن آتمّ هذا التفسير هذا مصداق لهذه الآية ولينصرن الله هذا الدين بل هذا الأسلوب من الدين وهو اجتماع العلم والدين الذي قد أنزل القرآن لأجله وقد خفي في القدر وبرز اليوم ظاهرا جليا واضحا يتلألأ في سماء الجبال وبهاء الكمال في مجبوحه المجد العلمي والشرف الانساني . سينصرت الله هذا الأسلوب من الدين . سينصرك الله أيها الذكي فقم في المسلمين بشرهم بمستقبلهم أتر العزمات والقوى الكامنة . إن في الشرق لقوى كنت وعقولاً نامت فأيقظها بقلبك وجاهدتها بلسانك فالاسماع أذن الله أن تكون واعية والقلوب أذن الله أن تكون عاقلة ولينصرنك الله وهو خير الناصرين كما نصر المسلمين في القرون الأولى (إن الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لا يمانعه شيء . ثم بين السبب الذي من أجله ضمن النصر لهم بأنهم مصلحون و بأنهم هم في أنفسهم صالحون وهذه الطائفة جديرة بالمساعدة الإلهية فقال مبدلا من الموصول وهو لفظ من (الذين ان مكناهم في الأرض) كملت نفوسهم باقامة الصلوات ومناجاة الله في أكثر الأوقات وهذه المناجاة توصل لهم روحانية خاصة بها يهتدون في دياجير الحياة وهذا لا يعرف إلا بالتجربة وهو قوله (أقاموا الصلاة) ولا معنى للصلاة ولا فضل فيها إلا باستحضار المعبود والتوجه اليه فيها على قدر الطاقة بحيث يجعل العبد نفسه كأنه انسلخ من البشرية وانطلق الى حال الملكية . فهذه الصلاة هي المعبر عنها بانها أقيمت من قومت العود اذا عدلته ولا معنى لاعتدال الصلاة إلا باتمام أركانها ولا معنى لأركانها إلا استحضر المعبود وحضور القلب عند نطق اللسان . هذه هي الصلاة التي جعلها الله من صفات من ينصرهم ويكونون خلفاءه في الأرض وهو حين مناجاته يلهمهم الخيرات فيما بين الصلاة والصلاة وقوله (وآتوا الزكاة) ليكونوا عوناً لأهمهم ولا يتقيدوا بالقيود الثقيلة المالية التي تقعد النفس عن أشرف الامور (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فهم بعد أن كملت نفوسهم بالامور العلمية والروحية الدال عليها مناجاة الله في الصلوات وبذلوا الأموال ليخلصوا الأنفس من شحها والعقول من عقاها ولينعموا على من حولهم أخذوا يكملون غيرهم كما كملوا هم فيفيضون على الناس من علومهم كالنهر يفيض بالماء وكالشمس تشرق على الآفاق وينعمون المفاسد الناشبة في الأمم لتزول من طريق كمالهم . هذه هي الصفات التي جعلها الله لمن تولى نصرهم وهذا هو الذي تمّ فعلا زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فقد قلبوا الأرض قلبا وزينوا وجهها بالعلم والعمل أيام الأمويين والعباسيين فتم العلم ونعم العلماء ونعم الدين ونحن ان شاء الله سنخلفهم وستخلفهم أنت أيها الذكي فاذا كانوا قد زينوا آسيا و افريقيا وبعض أوروبا بالعلوم ثم خدوا وركدت ريجهم وأخذت أوروبا علومهم وطردهم من بلادهم فان الدور سيدور وسأخذ دورنا في الاصلاح وسنقيم الصلاة كما أقاموها ونؤتي الزكاة كما أدوها ونعلا الأرض عدلا كما ملؤها ولا نتكل على أحد فان الهداية ستم ربيع الاسلام ويكون الناس اخوانا وياك أن تقول ان زمانه بعيد بل هذا هو زمانه والعلم هو المرشد الأمين ولا بد أن يكون العلم هو أول السعادة وهو آخرها . فلتكن الهداية حالة في سائر القلوب وليعلم العلم الربوع وليلهج بجمال هذا الوجود الأطفال والنساء والصبيان والشيوخ الركع وليقم بالأمر القائمون - ولتعلمن نبأه بعد حين - (ولله عاقبة الامور) فهي الى حكمته راجعة . ولما كان هذا القول ربما استبعدته العقول ونفرت منه النفوس أيام النبوة قبل حصول النصر وهكذا أيضا الآن عند كتابة هذا التفسير فيقول المسلم ويك من أين لنا النصر وأكثر بلاد الاسلام في يد الفرنجة وهم لنا غالبون . أقول على رسلك هكذا كانت بلاد العرب أيام نزول هذا القرآن فكانت بلاد العرب مرسحا للدولة الفارسية وللولة القياصرة وكان لهم فيها نفوذ وأي نفوذ فلم يمنع ذلك من تحقيق هذا الوعد بعد نزول هذه الآيات . أقول لما كان الأمر كذلك وهذا يدعو قوما للتكذيب وآخرين للشك أردفه الله بقوله

(وان يكذبوك فقد كذبت قباهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين) أى أمهلتهم حتى مضى زمن آجالهم المقطرة (ثم أخذتهم فكيف كان نكبر) أى فكيف كان انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا . هذا ما قاله الله ونزل في زمن لم يكن للمسلمين فيه نصر وقد ضرب لهم أمثال الأمم السالفة المذكورة في سور تقدمت . فهؤلاء الأنبياء مضت قصصهم فذكرهم لأن قصصهم معلوم للسامعين فلم يبق إلا الاعتبار بهم . أما نحن في هذا التفسير فانا نقول اذا نصر الله المسلمين بالصفات الأربعة المذكورة فانه الآن أسرع اليانا نصرا لأن العبرة عندنا بنفس المسلمين لأنه وعدهم ثم نصرهم كما قرأت الآن . فلثالث عندنا محسوس . فهم اعتبروا بعاد وثمود وأن أتباع الأنبياء نصروا وان غيرهم خذلوا وكانت أقرب أمة اليهم أمة اليهود فلذلك كثر ذكرها في القرآن . أما نحن فأقرب الأمم اليانا أمة الاسلام أسلافنا وأسلافنا توالى عليهم النعم أولا والنقم آخرا فهم في القرون الأولى كانوا يعقلون فلما انقضى أجل النصر انقلبوا جاهلين فحق عليهم القول في المنذر في الشام في مصر في شمال أفريقيا وهانحن الآن نعيد الكرة ونقول ان شاهدنا من نفس أمتنا فليكن الله أسرع نصرا لنا لأننا لسنا مكذبين ولكننا غافلون نائمون . فابقاظ الأمم أسهل من إحيائها وابقاظ أهل الكهف أسهل من إحياء الأموات . إن الله ضرب المثل لآبائنا بالأمم وضرب المثل لنا بآبائنا الأولين فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون . ثم أخذ يفصل ما أجله من حال هذه الأمم مبينا مناظرها بعد هلاكها ليعتبر المسلمون وليزيلوا الظلم من الأمم شرقا وغربا فقال (فكأين من قرية أهلكناها) باهلاك أهلها (وهي ظالمة) أى أهلها (فهي خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها على سقوفها بأن سقطت السقوف وخرت من فوقها الحيطان وأخاوية خالية مطلة على عروشها التي سقطت بينها والحيطان مائلة مشرقة عليها (وبئر معطلة) أى وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها كانت عامرة في البوادي فهي اليوم متروكة لا يستقي منها هلاكهم (وقصر مشيد) أى مرفوع أو محمص أخليه عن ساكنيه . ومن الآبار المذكورة والقصور بئر في سفح جبل بحضرموت وقصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلاه أهلكتهم الله تعالى وعطلهما وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح لما نجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فبات في حضرموت فبنوا مدينة حاضروا وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فأقاموا دهرًا وتناشوا حتى كثروا وعبدوا الأصنام وكفروا فأرسل لهم حنظلة المذكور وكان حمالا فقتلوه في السوق فكان ماتتقم * ويقال ان حضرموت سميت بذلك لموت صالح فيها لما استقر بها وكأين منصوب بمقتل يفسره المذكور . ولما كانت أحوال الأمم مكشوفة في خرابها مسطرة في قصورها المحتربة وآبارها المعطلة وقراها المهتمة والعقول لا تفهمها والناس لا تذكروها أردفه موجحا الأمم مقرعا لهم فقال (أفلم يسيروا في الأرض) ليروا مصارع الجاهلين ومصير الظالمين (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما حل بتلك الأمم إذ نسيت عقولها فأهملتها وعاشت في دعة في قصورها تغربت عليها وأن سنة الوجود أن لا يقوم إلا بالعلم والعمل فأما الظلم فان مرتته وخيم (أو آذان يسمعون بها) ما يتلى عليهم من الوحي الذي يحضهم على التشمير لدراسة حال الدول ونظام الأمم دارسها وقائمها غائبها وحاضرها حيا وميتا ليقتبسوا من الأحياء ويعتبروا بالأموات . فالوحي هذا دأبه وهذه وجهته فهلا سمعوه بآذانهم فقاموا بالأعمال حق القيام ولما كان الناس جميعا بأبصار وآذان قال الله ليس كل مبصر مبصرا ولا كل حامل سيف بشجاع ولا كل راكب جواد بفارس أردفه بقوله (فانها لانعمى الأبصار وان سامت الأبصار . وذكر الصدر للتأكيد ونفى التجوز وللتذكير بأن العمى الحقيقي ليس هو المتعارف (ويستجانونك بالعذاب) المتوعد به استهزاء وقد شاهدوا الأمم الهالكة ولكنهم عمى عن الاعتبار بها (ولن يخلف الله وعده) فهو على صراط مستقيم ونظام ثابت فكما فعل فيمن

قبلكم يفعل فيكم (وانّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون) لأنّ السنّ واحدة فسيكون ماسيحا بكم مضاهيا لما حلّ بمن كان قبلكم . واذا قلتم قد طال العهد ولم يحلّ العذاب فأين العذاب فإنّ الله حلیم وألف سنة عنده كيوم عندهم بل ليس عند ربك صباح ولا مساء بل الصباح والمساء تحت أمره وعلى ذلك ينفذ وعده بعد أمد طويل عندهم قريب عنده كما قال - إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا - لأن كل ما هو آت قريب وذلك إشارة لعذاب الآخرة فإذا تأخر عشرين ألف سنة مثلا فهي كعشرين يوما عندهم وهذا شيء قليل ولا يكون ذلك اخلافا للوعد . هكذا خراب الأمم فإن الأمة العربية حلّ بها الانحلال بعد أزمان النبوة بنحو ستائة سنة فهو كنصف يوم ونصف اليوم شيء قليل جدا . فالله تعالى يقول سنّتي لا بد من اتّمامها ولا بد من اهلاك الظالمين ولو بعد حين أمّا وأفرادا في الدنيا والآخرة أو أعدّتهم في الآخرة فقط مع الأكدار في الدنيا وهم لا يشعرون ثم أنّ ما ذكره من عدم اخلاف الوعد وان طال الأمد فأبان انه كم من أمم مهلت فطال عليها الأمد وهذا قوله (وكأين من قرية) وكم من أهل قرية (أمليت لها) أمهلتهم كما أمهلتكم (وهي ظالمة) مثلكم (ثم أخذتها) بالعذاب (والتي الصبر) والى حكمى يرجع الجميع

﴿ لطيفة لتبيان ما تقدّم ﴾

هل تحب أن تسمع أيها الذكي نفس هذا في أمننا الاسلامية . انظر كيف قام أسلافنا بالعلم والحكمة واشتغل الخلفاء وأهل النظر من علماء المسلمين في الشرق والغرب بالعلم وقد نقلوا العلم عن الأمم ومنهم اليونان وهناك أزهرت في الشرق علوم هي الفلسفة العربية وهكذا امتدت الحكمة والعلم الى أوروبا في دولة اسلامية هي الدولة العربية الأندلسية التي جمعت الحجازيين والعراقيين واليمنيين والمصريين وأمّا أخرى واستمرت على ذلك أمدا طويلا ونبع من بينهم ابن رشد الفيلسوف المشهور فأهانته المسلمون وأذلوه وطرده الى مراكش وشتتوا شمل تلاميذه وأكثرهم من اليهود وقد كانت للرجل في العالم صولة فاقرأ كتابه أيها الذكي وانظر كيف يقول ان علم التوحيد اليوم بين المسلمين نظريات وقواعد أصعب جدا من معرفة الله وانما معرفة الله بما نشاهد من الطبيعة . وسرد على ذلك أدلة ومنها ماسياتي في سورة (النبا) فذكر كيف جعل الله الأرض مهادا والجبّال أوتادا . وبالجملة دعا في مؤلفه الصغير الى ماندعواليه الآن هو وأمثاله في ذلك الوقت كأن الله يريد أن يجري على سنّه أى انه يعزّ قوما بعد ذلهم ويذل قوما بعد عزّهم على مقتضى سنة الوجود فلم يرض المسلمون هذا العالم ونفوه وشتتوا تلاميذه فذهبوا الى أوروبا وتركوا التكلم بالعربية ونقلوا علم ابن رشد الى العبرية ومن هؤلاء انتقل العلم الى أوروبا فان مؤلفات ابن رشد التي هي شروح على كتب (أرسطو) ترجمت الى اللغة اللاتينية ودرست بالجامعات الاوروبية وظلت الفلسفة العربية قائمة مقام كتب (أرسطاطاليس) في البيات الفلسفية الى آخر القرون الوسطى بل عاشت الى النصف الأوّل من القرن السابع عشر . قال (فولتير) ان اللاهوت المسيحي قد اتخذ (أرسطاطاليس) أسناده الوحيد أما في الجامعات فان العلوم حين بدأت تدب فيها الحياة في آخر القرن السادس عشر لم يزد أهل العلم على أن رجعوا الى مبادئ (أرسطو) واتخذوها قاعدة لأعمالهم ثم زادوا عليها الى أن وصلت الى الخال الجيبية الآن وما زالت تدرس بالجامعات الاوروبية والأمريكية الى اليوم باللغات المختلفة

هذا مجلّ العلم في العالم الانساني وأنت ترى من هذا أن ابن رشد في الأمة الاسلامية كان السبب في انتشار علم الفلسفة الى نصف القرن السابع عشر أى منذ قرنين ونصف تقريبا من تأليف هذا التفسير . فانظر يارعاك الله . انظر وتجب من أمة طال الأمد عليها فقسست قلوبها فطردت علماءها وعصت كبارها . طلب القرآن البحث في كل شيء ، في البئر المعطلة وفي القصر المشيد . طلب السفر في الأرض للنظر والاعتبار . وقد قال علماءنا ان السفر ﴿ سفران ﴾ سفر جسمي يتبعه سفر عقلي فبعد أن يطوف الانسان الأرض ويشاهد ما فيها

من عامر وخراب يرجع فيفكر ويجعل لذلك فكرة علمية ينفع بها الناس هذا هو القصد . فالسفر الجسمي أشاره بقوله - أفلم يسيرا - والسفر العقلي أشاره بقوله - فتكون لهم قلوب يعقلون بها - ولكن المسلمين إذ ذاك كانت قد خضت شوكتهم وآنت جهالتهم فاستمروا مرعى الجهالات وبغضوا العلماء

﴿ نظر المسلمين في المستقبل ﴾

نظر المسلمين في المستقبل القريب سيكون في ﴿ أمرين ﴾ في أمر الأمم المعاصرة لنا والأمم الفانية الهالكة فاذا رأوا أمة العرب في الأيام الأولى قد أهلكها التتار من ناحية المشرق لما استمروا مرعى الجهالة وأم أوروبا من جهة الغرب فانهم ينظرون الى قصر الحمراء وقصور الخلفاء في الأندلس وآثارهم المشهورة وأعمالهم العظيمة وينظرون الى آثار الفراعنة في مصر وآثار الدولة العباسية في العراق والأموية في الشام ليرجعوا المجد الذي فقدوه وليدرسوا العلم الذي هجروه . هذا من جهة . ومن ﴿ جهة أخرى ﴾ يدرسون أم أوروبا وأم أمريكا وأم اليابان ويكثرون من هذا كله دروسا نافعة ويكونون لهم دروس من ذلك في نظام مدنهم وحياتهم ويعتبرون بما ولده الجهل من هلاك أهل استراليا وأهل أمريكا الأصليين وقصورهم المشيدة المهتمة وآبارهم المعطلة . ولقد وجدوا في أمريكا اهراما كاهرام مصر . ولقد قرأت في الجرائد العربية منذ ١٥ سنة أنهم كشفوا هناك مدينة قديمة تحت الردم وتلك المدينة مسورة بسور من حجر شكله على شكل ثعبان عظيم

هذا هو النظر اللائق بالمسلمين الذي يدعو اليه القرآن . فليقرأ المسلمون آيات الله في الشرق والغرب وانما القرآن مرآة تريك أعمال الأمم . فاذا قال الله سيرا في الأرض فانظروا فهذا هو المقصود من السفر ومن النظر ثم قوله - وهي ظالمة - اشارة الى ظم الجهل وظلم الأحكام والاغارة على الناس وغير ذلك فليس الظلم خاصا بالمعاصي بل ان تعطيل الأرض والقعود عما فيها من الثمرات وعمما في باطنها من المعادن وأمثال ذلك أيضا من الظلم . واذا كان في الأرض منافع وليس لنا فيها فائدة فلنأذن لمن يههم أمرها باستخراجها لمنفعة الناس ونشاركهم في الثمرات

﴿ علوم الحكمة أيضا في الأمم ﴾

وقد أصاب اليونان قبل العرب ما أصاب العرب في العلم فأول مانع ناعق الخراب بديارهم كان بالتبرم من فلسفة (أرسطو) فأعقب ذلك قانون صدر بنى الفلاسفة جميعا سنة ٣١٦ ق م ثم عفت آثار الفلسفة من اليونان كلها ففقدوا استقلالهم باستيلاء الرومان عليهم فهذا مماثل ما حلّ بأمة العرب بعد ذلك بنحو ١٥٠٠ سنة فان الفلسفة والعلم والحكمة طردت من بلادهم وأصبحت ديارهم مأوى للأجانب يقيمون فيها وهم ظالمون ولا قاعدة لاستقلال البلاد سوى علوم وحكمة ونظر وهل هذا سوى قوله تعالى - أفلم يسيرا في الأرض - الخ وهل التعقل شئ سوى علوم الحكمة والفلسفة . إن هذا الدين دين الفلسفة والحكمة . ولما جهل بعض الناس العلوم الحكمة أبعدها عن القرآن فحق القول على أكثرهم لأنهم لا يعلمون . وقد تقدم ملخص رقى العلم وانحطاطه في الاسلام عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس - الخ في سورة الأنعام . ثم الكلام على اللطيفة التي أردناها فلنشرع في تفسير بقية القسم (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أي أوضح لكم ما أنذركم به (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) في الجنة (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) مساقين للشايعين في نشرها والمعاجزة مغالبة تقول عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه في التحيز لأن كلا منهما يطلب اعجاز الآخر عن اللحوق به (أولئك أصحاب الجحيم) النار الموقدة . ولما كان أولئك الساعون في المعاجزة يكذبون بالدين إما عنادا واما جهلا لشبهات طرأت عليهم وأمور في الدين جعلتهم يتكلمون فيه فأخذوا يبنون على ذلك الشك أقوالهم ومسايعهم للحط من قيمة الدين أفاد سبحانه أن ذلك هو ديدن الدنيا وما ينزل فيها من العلوم والديانات فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) فالرسول من جاء بشرع جديد

والنبي يع ذلك ويم من جاء لتقرير شرع سابق كأنبيا بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ومثلهم علماء الاسلام فهم كهؤلاء الأنبياء فكل عالم مفكر في الاسلام فهو كنبى لهذه الأمة * ولقد قيل ان النبي ﷺ قال « ان الأنبياء ١٢٤ ألفا وأن الرسل ٣١٣ » وقوله (إلا اذا تمنى) أى قرأ كما قال حسان ابن ثابت في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخرها لاقى حمام المقادر

وقوله (ألقى الشيطان في أميته) أى ألقى الشيطان على سامعيه ومتبعي دينه الشبهات في معاني قراءته فيقول قوم انه سحر وقوم انه كهانة وهكذا . ويقول آخرون بعد عهد النبوة إن هذا الدين لا يصلح للعلوم وإنما هو للعبادات وقارى العلوم رجل طيبى وهكذا . أو يقول قوم ان محمدا ﷺ يعلمه بعض الناس وذلك قول الذين كانوا في زمانه ﷺ (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) بأن يقيض للأمة من يزيل الخرافات أو الأحاديث المكذوبة ومن ذلك أن هذه الآية نفسها قد جاء فيها أحاديث لم ترد في كتاب من الكتب الصحيحة كالموطأ للمالك وصحيفى البخارى ومسلم وجامع الترمذى والسنن لأبى داود والنسائى فهذه الكتب الستة لم يرد فيها هذا الحديث الآتى الذى شغل المفسرين وجعل هذه الآية معنى غير ما كتبناه فان كتاب (تيسير الوصول لجامع الاصول) الذى جمع ما في هذه الكتب الستة لم يذكر هذا الحديث في تفسير هذه السورة . فإذن هو حديث ليس مما يستحق أن يذكر فضلا عن أن يرد عليه أو يجاب عنه وهو أن الشيطان وسوس الى النبي ﷺ عندما قرأ قوله تعالى - ومناة الثالثة الأخرى - فجرى على لسانه أن قال (تلك الغرائيق العلى وان شفاعتهن لترجى) ثم نبهه جبريل بهد ذلك فاغتم فعزاه الله بهذه الآية وهذا كذب صراح . وفي هذه الكلمة لفظ الغرائيق عبارة عن الأصنام شبت ببعض طيور الماء (ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ثم قال الله تعالى مينا سبب تمكن الشيطان من إلقاء الشبهات (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) أى الفريقين (لنى شقاق بعيد) عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به) بالقرآن (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادى الذين آمنوا) فيما أشكل عليهم (الى صراط مستقيم) وهو النظر الصحيح الموصل الى الحق (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أى في شك مما ألقى الشيطان في قلوبهم عند قراءة القرآن عليهم (حتى تأتيم الساعة) القيامة أو أشرطها أو الموت لأنه القيامة الصغرى أو الساعة الصغرى (بغثة) جفاة (أو يأتيمهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وهو يوم عقيم لا خير فيه ولا ربح (الملك يومئذ لله) أى يوم القيامة (يحكم بينهم) بالمجازاة للكافرين والمؤمنين (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين * والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا) في الجهاد (أوماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) وهو الجنة (وان الله لعليم) بأحوالهم (حليم) لا يجمل بالعقوبة

(فصل في تفصيل الكلام على قوله تعالى - إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أميته -)

اعلم أن الله عز وجل جعل نظامه في الدين كنظامه البديع في الطبيعة . تأمل فيما فعله الله في الحقول وانظر . أأست ترى انه خلق القمح والذرة والقطن وسائر النباتات التى يحتاج اليها الناس ومع ذلك تراه خلق بجانبها نباتات أخرى تخلق في الأرض معها وتقتات من الأرض فترى الحشائش محضرة مع الذرة ومع القطن ومع سائر البقول والأشجار وترى أن الفلاح لا ينام ولا يسكن حتى يزيل تلك الحشائش فيتوفر الغذاء لنفس الشجر ولنفس النبات . هذا هو الأمر الذى حصل في نفس القرآن . ترى أن الله أنزل القرآن فيقرؤه الرسول وترى أن العرب قالوا ساحر كاهن وهكذا فاستبان الحق وجاءت غزوة بدر ونصر الله المسلمين مصداقا لما

الآيات التي يقول فيها انه منصور . هكذا في زماننا ترى أم أورو بأرسل جيوشا من القيسيين يفتقون المدارس في الشرق وقد طردوهم من بلادهم لاضرارهم بسياساتهم فيقولون للمسلمين ان دينكم ملوّه ومحقوق بالخرافات والأكاذيب فيشككون المسلمين في الدين . وترى المسلمين أنفسهم دخل عليهم الغش والخداع من جهلة الوعاظ وصغار العلماء ان هذا الدين لا يعيش مع العلوم فجعلوه دين خول . وكما نسخ الله وسأوس الشيطان أيام النبوة هاهوذا ينسخها اليوم بالعلم والعمل . أما العلم فانظر فيما يكتبه المسلمون اليوم في أقطار الأرض وانظر في هذا التفسير ألت تجد أن هذا الدين هو دين المدنية العالية . أفليس هذا ناسخا لما ألقاه الشيطان في القلوب . وأما العمل فتجب كيف ألهم أمة الترك أيام هذا التفسير أن تطرد القيسيين من بلادها مع أنها أعلنت أن صبغة حكومتها ليست دينية بل هي صبغة دنيوية . أليس هذا ناسخا لما ألقاه الشيطان على ألسنة القيسيين من أن هذا الدين دين تأخر ثم هم يملنون دياناتهم في بلاد الاسلام . أو است ترى أن هذا معجزة ومصداق لهذا الوعد . أفلم تر أن الله نسخ ما ألقى الشيطان . نعم ان الله نسخه وسينسخه أكثر . فلنقم أيها الذكي بنشر أمثال هذه المسائل بين الأمة المسكينة . هذا والله من معجزات القرآن . هاهوذا نسخ ما ألقى الشيطان في العقول لما تقهقرت الأمم الاسلامية وأصبح كل من ارتقى منصبا في أم الشرق من المسلمين انما يكون من المتعلمين في مدارس المسيحيين الذين جعلهم الله فتنة واختبارا لعقول الأمة - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة -

إن حشائش الوسأوس الشيطانية حول المعاني القرآنية في العقول الاسلامية أخذت تحصدتها مناجل البراهين في أمثال هذا التفسير ويزيلها من أرض الاسلام أمثال الترك والأفغان - إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب -

﴿ جوهره في ايضاح تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - الخ ﴾
 وذلك فيما أورده السيد أحمد بن المبارك مؤلف كتاب ﴿ الابريز ﴾ ذلك العالم المحقق المطلع على كتب الدين وعلى كتب الحكمة المعروفة في بلاد الاسلام منذ قرنين من الزمان إذ سأل الشيخ عبدالعزیز الدباغ ذلك الرجل الأمي الذي كان يسمع (بضم الياء) ذلك العالم من العلم ما يجمله جميع علماء الاسلام قاطبة فقد سأله ابن المبارك المذكور عن مسألة الغرائيق وقال له هل الصواب مع عياض ومن تبعه في نفيها أومع الحفاظ ابن حجر فانه أثبتها وقال بعد أن ذكر أسانيد عن سعيد بن جبیر قال قرأ رسول الله ﷺ - أفرأيت الملات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى - فألقى الشيطان على لسانه ﴿ تلك الغرائيق العلى وان شعاعتهن لترنجى ﴾ فقال المشركون ماذا كرأهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا . قال ثم ذكر تخريج البزار في القصة وكلامه عليها وما يتبع ذلك واعترض على أبي بكر بن العربي الذي ردّ هذه الرواية وعلى عياض كذلك إذ جعل روايات الحديث مضطربة ضعيفة . ثم قال أحمد بن المبارك المذكور للشيخ الدباغ بعد ذلك فما هو الصحيح عندكم في هذا وما الذي نأخذه عنكم فقال رضى الله عنه الصواب في القصة مع ابن العربي وعياض ومن وافقهما لامع ابن حجر وما وقع للنبي ﷺ شئ من مسألة الغرائيق وانى لأعجب أحيانا من كلام بعض العلماء كهذا الكلام الصادر من ابن حجر ومن وافقه فانه لو وقع شئ من ذلك للنبي ﷺ لارتفعت الثقة بالشريعة و بطل حكم العصمة وصار الرسول كغيره من آحاد الناس حيث كان للشيطان سلطة عليه وعلى كلامه حتى يزيد فيه ما لا يريد الرسول ﷺ ولا يحبه ولا يرضاه فأى ثقة تبقى في الرسالة مع هذا الأمر العظيم ولا يفتى في الجواب أن الله ينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم آياته لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضا لأنه كما جاز أن يتسلط على الوحي في مسألة الغرائيق بالزيادة كذلك يجوز أن يتسلط على الوحي بزيادة هذه الآية برمتها فيه وحينئذ يتطرق الشك الى جميع آيات القرآن والواجب على المؤمن الاعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجبة لمثل هذا الريب

في الدين وأن يضر بوا بوجهها عرض الحائط وأن يعتقدوا في الرسول ﷺ ما يجب له من كمال العصمة وارتفاع درجته ﷺ الى غاية ليس فوقها غاية ثم على ما ذكره في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي - الآية يقتضى أن يكون للشيطان تسلط على وحى كل رسول ومرسول وكل نبي مني زيادة على تسليطه على القرآن العزيز لقوله تعالى - من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته - فاقتضت الآية على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه ولا ريب في بطلان ذلك

هذا ما قاله الشيخ عبد العزيز الدباغ . ثم قال الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك ﴿ ما أدق نظر الشيخ (بريد الشيخ عبدالعزيز) مع كونه أمياً ﴾ ثم أورد كلام البيضاوي الذي يفيد ما يقرب من المعنى المتقدم ثم قال ابن المبارك أيضا ﴿ ان العصمة من العقائد هي التي يطلب فيها اليقين . وقد عدّ الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الخبر الذي يجب القطع بكذبه ﴾ وردّ على ابن حجر الذي يدعى صحة الحديث بأن ذلك في الامور العملية التي يكفي فيها الظن من الحلال والحرام . أما الامور العلمية الاعتقادية فلا يفيد خبر الواحد في ثبوتها فكيف يفيد في نفيها وهدمها . ثم قال ابن المبارك المذكور ﴿ ثم قات للشيخ رحمه الله ما الصحيح عندكم في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته - وما هو نور الآية الذي تشير اليه فقال رضى الله عنه نورها الذي تشير اليه هو أن الله تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الأنبياء الى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الايمان لأتمه ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشدّ المعالجة ومن جانتهم في ذلك نبينا محمد ﷺ الذي قال له الرب سبحانه وتعالى - فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وقال تعالى أيضا - وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين - وقال - أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين - الى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ثم الأمة تختلف كما قال الله تعالى - ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر - فأما من كفر فقد ألقى اليه الشيطان الوسوس القاذحة له في الرسالة الموجبة لكفره وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وساوس لأنها لازمة للايمان بالغيب في الغالب وان كانت تختلف في الناس بالقلّة والكثرة وبحسب المتعلقات . اذا تقررت هذا فمعنى تمنى انه يتمنى الايمان لأتمه ويجب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح . فهذه أمنية كل رسول وكل نبي و إلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقى في قلوب أمة الدعوة من الوسوس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك الله عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتنوا به فخرج من هذا أن الوسوس تلقى أولا في قلوب الفريقين معا غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين ﴾

وبعد ما ذكر هذا الشيخ ابن المبارك عن الشيخ الدباغ قال ان هذا التفسير من أبداع ما يسمع وأخذ بورد الطرق التي فسرت بها فوجدها كلها ضعيفة أو مخالفة للعقيدة . ولما كتبت هذا واطلع عليه أحد الاخوان الفضلاء قال إن هذا الشيخ قد نقات أنت عنه في (سورة الكهف) عجائب عن العلم لم نسمعها من أكثر العلماء إذ قال هناك ﴿ ان المسلم يعبد الله لذاته بدون نظر الى جزاء في الدنيا ولا في الآخرة وهذا مقام عال جدا ﴾ فهل تسمعنا شيئا من تفسيره لبعض الأحاديث حتى نرى وجهته . فقلت نحن الآن في تفسير القرآن . فقال هذه مسألة محيية رجل أمي يفسر القرآن ويعترض على رجال الحديث ولا تجبه آراء ابن حجر ويصوّب كلام عياض ثم بعد البحث يرى الشيخ ابن المبارك العالم العظيم أن هذا حق من حيث الحديث ومن حيث علم مصطلح الحديث ومن حيث علم الاصول ومن حيث المنطق . فرجل مثل هذا نريد أن نشم رائحة تفسيره لأى حديث من الأحاديث أو بعض آيات أخرى . فقلت له . لقد سأله الشيخ ابن المبارك عن قوله ﷺ ﴿ ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ﴾ فأجابه الشيخ الدباغ بجواب استغرق ما كتبه منه . ٤ صفحة في

النسخة المطبوعة وجمع فيها ما بين القراءات المشهورة وما بين الأخلاق النفسية . وهنا زاد عجبى حين قرأت هذه المعاني التي ذكرها الشيخ الدباغ فانها ترجع الى علم النفس وتنتهي الى اسعادها تامة بحيث يصبح الانسان وهو في هذه الدنيا كأنه في أعلى عليين في الجنة . فهذه المعاني التي ذكرها ذلك الشيخ الأمامي لو اتصف بها انسان أصبح كأنه روح طاهرة سعيدة في الدنيا قبل الآخرة . فقال صاحبى فأرجو ذكر بعض هذه المعاني التي ذكرها . فقلت ذكر في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف (سبعة أصناف) من العلم وهي

(١) الآيات الآمرة بالصبر والدالة على الحق والمزهدة في الدنيا

(٢) الآيات الدالة على الدار الآخرة

(٣) النور الذي وضعه الله في بنى آدم وأقربهم به على الكلام وخص النبي ﷺ بخصائص فيه

(٤) الآيات المتعلقة بصفات الله تعالى

(٥) الآيات الدالة على أحوال الخلق الماضين وهي القصص

(٦) الآيات التي فيها الكلام على الكفار

(٧) الآيات التي ذكر الله فيها نعمه الفائضة على خلقه

وسمى هذه السبعة هكذا بالترتيب (حرف النبوة . وحرف الرسالة . وحرف الآدمية . وحرف الروح . وحرف العلم . وحرف القبض . وحرف البسط)

فقال صاحبى هذه أشياء لافائدة منها فأين العجائب التي فيها وأين البواطن . الرجل قسم القرآن أقساما وجعل لكل قسم اسما صفات الله وأخبار الماضين وهكذا . أعطى كل واحد منها اسما وكفى فأين الأسرار وما هذه إلا أشياء مكررة لما عرفه الناس في القرآن فما هذا الذي تذكر انه يأتي بغرائب . فقلت أنا ذكرت لك انه أتى بالمعنى في . ع صفحة فهل هذه الكلمات هي كل ما قاله . فقال ما الذي أدهشك من كلامه . فقلت الذي أدهشني من كلامه انه دخل من هذه الاصول السبعة الى غوامض النفس الانسانية . فقال أريد أن تذكر نبذة منها . فقلت قد قسم كل واحد من هذه السبعة الى سبعة أخرى جعلها (٤٩) * مثلا تجده في البسط الذي جعله دالا على ذكر نعم الله على عباده فيما تقدم قد قسمه الى (سبعة أقسام) فالأول منها الفرح الكامل وهو نور في الباطن ينبئ عن صاحبه الحقد والحسد والكبر والبخل والعداوة مع الناس لأن هذه الأوصاف ونحوها منافية للفرح واذا وجد نور الايمان مع هذا الفرح في الذات نزل عليه نزول مجانسة وموافقة وتمكن من الذات على ما ينبغي وكان بمثابة المطر النازل على الأرض الطيبة فتتولد من ذلك أخلاق طيبة (والثاني) منها سكون الخير في الذات دون الشر وهو نور يوجب لصاحبه أن يكون الخير سجية له وطبيعة فترى صاحبه يحب الخير ويحب أهله ولا يجول فكره إلا في الامور الموصلة اليه ومن فعل معه خيرا لا ينساه أبدا وأما من فعل معه سوا ووصله بأذية فان مضى وقته ينسأه ولا يبقى في فكره حتى انك اذا اختبرته بعد ذلك وجدت قلبه فارغا من ذلك وهو مطمئن مستبشر بمثابة من لم يقع له شئ يؤذيه فهذا من كمال البسط (الثالث) منها فتح الحواس الظاهرة وهو عبارة عن لذة تحصل في الحواس الظاهرة وذلك بفتح العروق التي فيها فتكثيف تلك العروق بما أدركته الحواس وبهذه اللذة يكمل البسط . ففي البصر لذة بها يحصل الميل الى الصور الحسنة وفي السمع لذة بها يحصل الخضوع عند سماع الأصوات الحسنة والنغمات الشجية وهكذا بقية الحواس . ففي كل حاسة لذة زائدة عن مطلق الادراك والفرق بين فتح الحواس الظاهرة الذي هو من أجزاء البسط وبين كمال الحواس الذي هو من أجزاء الآدمية التي هي أحد الأحرف السبعة المتقدمة أن فتح الحواس يزيد على كمالها بفتح العروق السابقة فان فتح العروق زائد على الادراك الذي في كمال الحواس وبذلك الفتح الحاصل في العروق والتكثيف الجاذب لصاحبه يقع الانقطاع الى المدرك فترى صاحبه ينقطع مع كل نظرة الى كل ما يراه

وقد تحصل له غيبة خفيفة مع ذلك الانقطاع بخلاف مطلق الادراك فانه لا يحصل معه هذا الانقطاع . وكم من شخص يرى أموراً حسنة ولا يتأثر بها . وكم من آخر يسمع أصواتاً حسنة ولا تقع منه على بال . وبهذا الفتح والتكليف يحصل كمال البسط . انتهى ما أردت منه

فقال صاحبي ولماذا اقتصر في الاختيار على هذه المسائل الثلاث دون باقيها البالغة (٤٩) مسألة مكتوبة في (٤٠) صفحة وهل من هذا دهشك . فقلت نعم . قال ولماذا . قلت لأنها تناسب آية - وما أرسلنا من قبلك من رسول - الخ وتناسب هذا التفسير عموماً . قال فأوضح لي ما قلت . فقلت إن هذا التفسير قد شرح الله صدرى فيه الى جلال هذا العالم ونظامه وبهائه وحسنه ولولا انشراح صدرى ما أمكنتى أن أكتب مما كتبت حرفاً واحداً . ألا ترى أن عجائب هذه الدنيا وابدانها ومحاسن النجم والشمس والقمر والنهر والجبل والشجر والزهر مبذولة كلها لكل انسان وحيوان ولكن ادراك بنى آدم أكثرهم لهذا الجلال وادراك الحيوان ليس يعطيهم لذة بل أكثر الناس وجميع الحيوان يدركون هذا الجلال ولكنهم لا يحسون بالجلال فيما يشاهدون والمختص بادراك هذا الجلال طوائف اختصهم الله بذلك فطروا على هذا الذوق والاحساس بالجلال . وبهذا الاحساس بالجلال يثبت الايمان الناشئ من الاطلاع على العجائب في العالم وهؤلاء هم الذين نسخ الله ما أتى الشيطان في قلوبهم كما تقدم في قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - الخ . أليس هذا هو الأمر الثالث في مقام البسط الذى هو من الأحرف السبعة التى أنزل لها القرآن . إن هذا المعنى الدقيق والفكرة التى لا تخاطر ببال أكثر الناس قد أوضحه هذا الأمل لنا ايضاً ما شفى الصدور وهو عجيب جداً . هو أمر حاضر عند النفوس ولكنها لا تعبر عنه فعب عنه هذا الأمل الذى فتح الله عليه وهذا الجلال وادراكه هو الذى قاله علماء التريية . إن علامة النبوغ إنما هو العجائب فإذا رأينا صبياً مغرماً بالمشاهد العجيبة فهذا الغرام دليل على رقيه وقبوله للعلم وعلى قدر جمود العقل عن ادراك الجلال وذوقه يكون ضعف ذلك المدرك . أفلا تجب أن يكون تعبير هذا الصالح أعجب ما يصفه الواصفون في هذا المقام ثم إن كل ما جاء في هذا التفسير وغيره من جلال هذه الدنيا مهما أطر بنا حين قراءته ومهما أدهشنا جلاله . أفليس مقصود ذلك كله اسعاد النفس وحليتها بالعلم والحكمة أولاً والعمل بما يمكن العمل فيه ثانياً . قال بلى . قلت فإذا كانت النفس مشغولة بالحسد بحيث يحل في القلب الحزن لما يرى من نعمة أسبغها الله على أحد أقاربه أو أصحابه مثلاً أو كانت مغتظة حاقدة على من أساء اليها . أفليس ذلك الحقد وذلك الحسد ينفضان على النفس حياتها ويحجبانها عن الاقتداء بما انطوت عليه جوانحها من الصور العلمية الجليلة التى أدركت جلالها وأحست بيهاها وكيف ينسخ الله ما يلقي الشيطان من قلب معمر بالذائل والعداوات والوساوس . إن النور والظلام لا يجتمعان وأى سعادة أعظم من سعادة امرئ أصبحت نفسه مشرقة بهجة بهية في نفسها ثم ازينت بالصور العلمية - نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء - فأنا أيها الأخ اخترت هذه المسائل الثلاث لهذه الحكيم . ثم قلت . إذن هذا الصالح الأمل يريد بأحرف القرآن في النهاية أن تكون الروح خالصة من الشوائب بحيث تكون قريبة من ربها والقرب كل القرب إنما يكون بأمثال هذه الصفات . فما التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ولا الفرقان ولا كتب الحكمة اليونانية والرومانية والاسلامية والاوروبية إلا طرق لاسعاد النفس وأجل سعادة لها أن تكون هذه بعض صفاتها وأن الذى نكتبه في هذا التفسير مما يفتح أبواب السعادة لها وسيأتى بعدنا أناس يشرحون هذه المعاني إذ تكون الأمة قد استعدت لها والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

فقال صاحبي . أما ما ذكرته فحسن جداً لأنك ربطت الكلام الذى استطردت به في حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بالمعاني التى فى آية الغرائق حتى لا يتوهم القارىء انه ابتعد عن الموضوع ولكن أين الثريا وأين الثرى فأين سبعة الأحرف التى جعلها معاني وأذواقاً وأخلاقاً شريفة وسبعة الأحرف اللهظية . ان هذا

الكلام بعيد عن ظاهر الحديث . فقلت إن هذا قاله نفس الشيخ ابن المبارك للشيخ عبدالعزيز إذ قال له مانصه ﴿ إن المراد بالأحرف السبعة ما يرجع الى كيفية النطق بألفاظ القرآن كقول عمر رضى الله عنه « سمعت هشام بن حكيم يقرأ القرآن على حروف لم يقرئها رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ مصوّباً لكل من حروف عمر وحروف هشام إن هذا القرآن أزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه وهذه الأحرف التي ذكرتكم أوصاف باطنية وأنوار ربانية في ذاته ﷺ لا يمكن أن يختلف عمر وهشام فيها حتى يجيبهما رسول الله ﷺ بأن القرآن أزل عليهما » فقال رضى الله عنه اختلاف التلفظ التي في أحاديث الباب فرع عن اختلاف الأنوار الباطنية فتسكين الحروف ورفعها ينشأ عن القبض والنصب ينشأ عن حروف الرسالة والخفض ينشأ عن حروف الآدمية ولكل آية فتح خاص وذوق معلوم . فلما سمعت هذا الكلام المدور بادرت فقرأت عليه الفاتحة وصدرت من سورة البقرة فسمعت منه في بيان ذلك التفريع ما يبهرنى ثم أعدت القراءة وقرأت بسبع روايات قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو بن العلاء البصرى وأبي عامر وعاصم وحزرة والكسائي فسمعت في ذلك المحجب المحجب ورأيت القراءات السبع تختلف باختلاف الأنوار الباطنية فظهر لي والحمد لله وله المنة ما كنت أطلبه منذ نيف وعشرين سنة في معنى الحديث وقد طلبه قبلى الحافظ ابن الجوزى نيفا وثلاثين سنة فظهر له وجه في معنى الحديث ثم ذكر انه وقف عليه لغيره ولكنه قاصر على التلفظ واختلافها فذلك الوجه وغيره مما قيل في الحديث (انما تعلقوا فيه بظل الشجرة الخ) وقال الشيخ ابن المبارك قبل ذلك ﴿ إن جلال الدين السيوطى نوع الأقوال فيه الى أربعين قولاً ومع وقوفى على كل ذلك لم يحصل عندى ظن بمراده ﷺ بل بقيت على الشك حتى عرفت الحقيقة من شيعنا ذلك الأسمى ﴾ انتهى ملخصاً

فلما سمع صاحبي ذلك قال إذن الشيخ الدباغ ر بطواهر الألفاظ ببواطن الأنوار واختلاف العلماء رجع الى الألفاظ مع الجهل بتلك الأنوار . قلت نعم . قال عجبا . كيف يكون في العالم عقول ونفوس مشرقة الى هذا الحد . أليست هذه النفوس أرقى من نفوسنا نحن . فقلت نعم ان هذه النفوس التي تتصف بالصفات التي ذكرها الشيخ الدباغ عجيبة فهى صفاة لا كدر معه وعلم لا جهل معه ونور لا ظلمة معه . واذا كانت نفس الشيخ الدباغ على هذا النمط فهى من عالم أسمى من مستوانا الذى نعيش فيه . واعجب لما ذكره هو ونقلته في سورة (الكهف) من وصفه لطبقات الصوفية في الأمم الاسلامية وشرحه مسألة ذكر الأسماء والأوراد وأن أكثر هؤلاء لا ينالون من الفتوح قليلا ولا كثيرا وشرح طرق الصوفية في أدوارها الثلاثة وكيف يقول هناك ﴿ إن أكثرهم طلاب دنيا لا طلاب آخرة ﴾ . فقال وما الحكمة في ظهور أمثال هؤلاء في أمة الاسلام . قلت يظهر لي أن هؤلاء يخلقون في الأرض لامور منها

(١) ان الانسان اذا فتح الله عليه بشئ فألف في العالم يعلم أن علمه بالنسبة لغيره كالندم وأن هذه الظواهر ليست شياً بالنسبة للحقائق

(٢) ومنها أن المسلمين اليوم أصبحوا أجهل الأمم بسبب الشيوخ الجهلاء الذين يوهمونهم أنهم عندهم علوم مكتومة فيقال لهم أيها الشيوخ الجهلاء انظروا لهذا الشيخ هل أفضمتم علوما على تلاميذكم كعلوم هذا الشيخ الأسمى مع أنكم تجهلون ظواهر القرآن والعلوم . إذن هذه الدعاوى كاذبة . ولقد أحسن مصطفى كمال باشا في إخراج أولئك الشيوخ من زواياهم وجعلهم مع الناس يعملون كما يعملون لأنهم لم يفيدوا الأمة شيئاً

(٣) أن يجد العلماء في العلم لأنه لا ساحل له واذا جهل علماء الاسلام ظواهر العلوم فكيف يصلون لبواطنها فعليهم أن يقرؤا سائر العلوم والله هو الذى يصطنى للحقائق من يشاء

(٤) ان هذا الشيخ قد اطلع على بعض العلوم قبل ظهورها كما سيأتى في سورة (النور) فسأ نقل عنه

هناك انه رأى جبال الثلج في الجؤمر يدا بذلك تفسير قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد -

فقال اننى شاهدت جبال الثلج فى الجو والبرد يصنع من ذلك الثلج بفعل الله تعالى وهذا حقا قد كشف بالطيارات فى عصرنا الحاضر وستراه مرسوما فهذا عجب بل معجزة للقرآن فكيف ينزل القرآن بذلك ولم يكن معلوما ثم كيف يأتى رجل أمدى فى خبر به قبل حصوله والمسلمون وأهل أوروبا جميعا كانوا يجهلون ذلك ثم يظهر فى هذه الأيام فقط وقد رسم فعلا . أفليس هذا عجباً وهذا فى زماننا ليس بدعا فاذا اطلعت على كتابى المسمى (الأرواح) رأيت عجباً فان الصبي الجاهل وقت التنويم ينطق بما يجهله أكبر فيلسوف فى أرضنا . وهذه (لورا) بنت الحاكم الأمريكى نطقت بعشر لغات لم تكن لتعرفها من قبل . ولقد تقدم بعض هذه المسائل فى هذا التفسير كالذى جاء فى سورة البقرة عند مسألة السحر وبابل وهاروت وماروت وفى مواضع أخرى فيها وفى غيرها

(٥) ان ذلك يوجب على المسلمين أن يكونوا أعلم الأمم بهذه العلوم الجوىة والسماوية والأرضية

(٦) ان هذه تحمل لنا مشاكل كثيرة فان العقلاء فى هذه الأرض يدهشون إذ يرون كواكب مشرقة وأنوارا متلاثة وحسابا منظما وسحابا مطرا وأنهارا وجبالا وحيوانا وجمادا ونباتا . فهل كل ذلك لأجل خدمة هذا الانسان فى الشرق والغرب ونفوسهم على ماهى عليه من الضعف والجهل والحقد والحسد . ووجه الحل أن يقال ان هناك أرواحا عالية أرقى من هذه وأن هذه الأرواح الأرضية الانسانية اليوم لاتزال فى حال الطفولة ولاضير فى ذلك فالرجل العاقل والحكيم الفيلسوف يربون الصبيان الذين لا يدركون إلا قليلا . إذن نفوسنا فى هذه الأرض اليوم تربي بالنعم والنقم والبأساء والضراء وهى تتخبط حتى تموت وترقى فى عوالم حتى تصير فى عالم أعلى وهى فيه متحدة مع اختلافها أشبه باتحاد أضواء الشمس السبعة مع اختلافها فان الزرقة تخالف الحرة وهى معها متحدة اتحادا تاما وهذه الألوان اجتمعت واتحدت لرقى العوالم الأرضية . فإذن تزول الحيرة من نفوسنا أوتقل فى هذا النوع الانسانى المصنوع أبدع صنع ثم هوى الرذائل مدفون . فانا نقول اذا كنا نحن الآن على هذه الحال فلاعجب فعن يربينا الله ويعطينا من العلم والأخلاق على مقدار طاقتنا وبه نفهم قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين - فالأرواح فى أحسن تقويم على حسب جبلتها كما ظهر من أحوال وأقوال (الشيخ الدباغ) فهو يصف لنا صفاء النفوس وجمالها وبهاءها واوله من الأرواح العالية التى أنزلها الله من عالم الأرواح لتعطينا حكمة وعلما وليست من درجتنا ولامن جبلتنا التى قد غمست فى حاة هذه الأرض . ومن عجب أنه فى تفسير هذا الحديث وهو حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ أتى بزبدة الرذائل والفضائل التى أدرجها (الغزالي) فى الجزء الثالث والرابع من (الاحياء) وسماها (المهلكات والمنجيات) فهذه كلها تضمنها الحديث عند هذا الشيخ العظيم الذى لم يتعلم . ومن عجب انه لمأسأله ابن المبارك العلامة المتقدم ذكره عن الحديث المذكور أجابه بقوله اصبر الليلة حتى أسأل النبى ﷺ ثم أخبره فى اليوم الثانى بما سمعت بعضه هنا . إذن هذه روح كبيرة أشرفت فى أرضنا لتدلنا على نقصنا أولا ولترينا أن هذا القرآن ليس القصد منه هذه الظواهر وحدها فالألفاظ والمعانى المتعارفة مقدمات لامور وراءها وهذه العلوم وهذه المعارف وراءها علوم ومعارف - فليرتقوا فى الأسباب - وهذا يفسر لنا ما جاء فى (علم الأرواح) حديثا . ان بعض الأرواح لما سئلت لماذا نرى الكاملين عندنا تكذب عليهم الأرواح أجابت لا كامل فى أرضكم فالأولى أن تقولوا صالحين ولو كنتم كاملين ما حشرتم فى هذه الأرض . إذن نحن هنا فى الأرض ناقصون ونحن يربينا الله الآن ولم يصل أكثرنا للكمال ولاقاربه واذا كان هناك بعض الكاملين أمثال الدباغ المذكور فانا لانعرفهم ولانخالطهم لعدم الملاءمة بيننا وبينهم . وغاية الأمر أن أهل الأرض الآن يتشبهون بالأرواح الكاملة فى أمور . منها أن رئيس الولايات المتحدة قد أعلن فى هذه السنة أى سنة ١٩٢٨ السلام العام بين الأمم وقد وافقته كتابة أكثر الدول على ذلك كما ستراه موضحا فى سورة (المؤمنون) عند قوله تعالى - وان هذه أمتكم أمة واحدة - ومعلوم أن هذا كله اتحاد لفظى الآن فهم جميعا متحدون لفظا ولكنهم يصنعون

السلاح ليلا ونهارا . إذن ليسوا كألوان الشمس السبعة بل هم كالذئاب العاويات وقد لبسوا ثوب الملائكة وعسى أن تكون هذه الظواهر مقدمات لحقائق في مستقبل الزمان . ومنها أن عمال كل حكومة يعملون لمصلحة واحدة وهم متعدون ولكن هذا اتحاد صناعي وانما هذا كله يفهمنا أن هذه النفوس تفعل ظواهر ماخلقت له وان لم تصل اليه فعلا كما نرى الصبيان يركبون أعوادا كأنهم ركاب خيل إذ يفعلون ماخلقوا له وهم لا يعلمون فأهل الأرض الآن يفعلون في سياساتهم ماظواهره تنبئ عن الحقائق وأن هذه النفوس الانسانية لن تنال سعادتها إلا بعد قطع عقبات في عوالم أخرى بعد الموت وتترك قيودا وقيودا من الأخلاق الشائنة والأكاذيب والنفاق ومادامت لم تصل لهذه السرجات فهي في سجين الجهالة معذبة مضطربة في جهنم البرزخ ويظهر لي أن قراء هذا التفسير من الأمم الاسلامية سيكثرون على رأي واحد وعلى مشرب واحد في الشرق والغرب . ذلك لأن الدين الاسلامي فيه ليس متشعبا بل هو دين واحد ورأي واحد وفكرة واحدة ففيه ظهر أن هذه العلوم التي تدرسها الأمم كلها هي أصول دين الاسلام . فأتم الاسلام بعدنا هم الذين سيقروا كل علم وكل فن . إذن سيتحدون مشارب وآراء ولايختلفون ولا يكونون كالذين تقدمونا من أمم الاسلام المتأخرين في الزمان الذين ظنوا أن الاختلاف في فروض الوضوء أو في مدة الحيض أو في ركعات الوتر أمر عظيم فقراء هذا التفسير يعلمون حق العلم أن اختلاف الأئمة في الفروع لايجب التفريق . فاذن هؤلاء القارئون لهذا التفسير وأمثاله في عصرنا سيكثرون هم الذين عليهم نظام جمهور المسلمين يقودونهم الى اصلاحهم وسعادتهم واتحاد بمالكهم ودولهم ونظامها والله خير حافظا وهو الهادي الى سواء الصراط

هذا ما عنت لي في تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته - وما تبع ذلك من تفسير حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ وما شا كل ذلك والمحدث رب العالمين فقال صاحبي . اذا كان الله قد خلق أناسا بيننا قد امتازوا امتيازاً عظيماً بحيث أصبحت معارفنا بالنسبة لمعارفهم شيئاً قليلاً . فاذا صحّ هذا كان ذلك موجبا ﴿ لأمرين * أولاً ﴾ حزننا على جهلنا بالنسبة لهم ﴿ ثانياً ﴾ أن النفس تشرب الى هذه المرتبة وتبقى طول حياتها مؤملة أن تنالها . ولايخلص الانسان من هذين الأمرين إلا اذا كان غير مطلع على مثل هذا أو اطلع عليه ونبذته وكذبته وأراح نفسه وليس كل امرئ قرأ هذا يستطيع التكذيب فان الآراء التي تقال في تفسير آية أو حديث مثل ما تقدم هنا لاتدع عاقلاً يشك في تفوق قائلها . فقلت اعلم أن المراتب التي نحن عليها والسير الذي نسيره في حياتنا هو الذي سنه الله عز وجل وهو الأقرب لسعادة نفوسنا ورفيقها في الدنيا والآخرة وهذا هو القانون العدل والصدق والنور الالهي . فأما ما يكون بالمصادفات والامور النادرة فهو الذي لا يلائم حالنا ولا يصلح لنا نظامنا الذي في هذه الدنيا . ألا ترى رعاك الله أن الجنين لا يتكوّن إلا تدريجاً ولم تجر عادة الله أن يجعل النطفة رجلاً سوياً في يوم أو بعض يوم ولو أن الله ألقى علينا العلوم دفعة واحدة وازدجت في أفئدتنا وشاهدنا في هذه الدنيا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان ذلك لا نحتمله عقولنا ونحن في هذه الأجسام الأرضية . فاذا حجبتنا الله الآن فليس هذا لاذلالنا . كلا والله بل هو لسعادتنا لأننا لو تحمّلنا ذلك لأعطاء لنا كما أتاحت للجنين أن يقتحم المشيمة والرحم ويشق له طريقاً ويخرج من سجن الرحم الى هذه الدنيا الواسعة وينظر كواكبها وشموسها وأقمارها . فاذا كان مدبر هذا العالم لم يحجب الجنين عن مشاهدة عوالم لاحصر لعتها بعد أن استكمل مدة النمو في الرحم وهو لا يشاهد هناك شيئاً إلا انه مسجون في الظلمة . هكذا لا يحجب صانع هذا العالم ومدبره أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية عن الاطلاع على ما وراء الحجب لأنه لو أطلعنا عليها قبل أوانها لكان ذلك وبالاً علينا وذهاباً لعقولنا واهلاكاً لنفوسنا . هنالك قال صاحبي هذا القول مقبول والبرهان حق وصدق ولكن لو أردت بما وراء من كلام هؤلاء المفتوح عليهم لثرى ماذا يقولون فانهم إن أيدينا رأيتك وطابق مقالم برهانك هنالك تطهّن

النفوس وتهدأ القلوب وتنشرح الصدور ويقول كل امرئ منا (رضيت رضيت) واذن يكون قارئ هذا التفسير وأمثاله منشرح الصدر لا يحزن على ما حرم من مراتب عالية علمية ولا يندم على ما ذهب منه من تلك الثمرات العلمية . فقلت نعم هم الذين قرروا هذه الحقائق بأوضح مما ذكرت وأبين مما شرحت . قال إنى لنى شوق لسماعه . فقلت لقد نقل الشيخ أحمد بن المبارك المذكور عن شيخه الدباغ انه ذكر ما يشاهده المفتوح عليهم من السموات والأرضين وأفعال العباد فى خلواتهم ويشاهدون نار البرزخ وهى الممتدة بين السماء والأرض وهى التى تذهب اليها الأرواح بعد خروجها من الأشباح على درجاتها وهناك الأرواح الناقصة فيها وهى هناك فى منازل ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش وأهلها فى صعود ونزول دائماً لا يكلمك الواحد منهم كلمة واحدة حتى تهوى به هاروته وقال ان هذه النار غير نار جهنم فجهم وراء هذه العوالم . وهنا ذكر أن هذا المفتوح عليه يشاهد الأفلاك والنجوم وهكذا ثم قال ويجب عليه أن لا يستعظم شيئاً من هذه الامور وأن يستصغر كل ما يرى والا وقف به الحال وصار أمره الى الانتكاس لأن الذات فى زمن الفتح شفافة تشف كل ما تستحسسه وهذه الأشياء المشاهدة كلها ظلام فاذا ركن الى شئ منها وقف فى الظلام وانقطع عن الله عز وجل ولذلك كان غير المفتوح عليه فى ساحة الامن وكان المفتوح عليه فى غاية الخطر إلا من عصمه الله . واذا كانت الذات قبل الفتح مشغولة عن الله عز وجل بنحو اللوز والزيب والحصى فضلاً عن الدرهم والدينار والنساء والأولاد فكيف لا يفتن بعد الفتح بمشاهدة العالم العلوى والسفلى ومساعدة الشياطين له على ما يريد ولا عصمة إلا بالله . قال ومن وقف مع شئ من هذه الامور السابقة كانت الشياطين معه يدا بيد وصار من جلة السحرة والكهان . ثم ذكر المقام الثانى وهو الكشف النورانى فذكر انه مقام مشاهدة الأنبياء والملائكة على حقيقتهم ومع ذلك يحتاج أيضاً الى عناية وضبط نفس انتهى

﴿ رأى الشيخ الخواص والشيخ الشعرائى فى هذا المقام ﴾

ولقد قال مثل ما تقدم الشيخ الخواص لتلميذه الشعرائى إذ قال له ﴿ أكل الأولياء من دخل الدنيا وعمل فيها بالأعمال الصالحة ولم يشعر بكمال نفسه ولا شعر به أحد من الخلق حتى يخرج من الدنيا وأجره وافر لم ينقص منه ذرّة قال فقلت له وهل ينقص الولى بمعرفة الناس بكماله فقال نعم أما سمعت قوله ﷺ (خصّ بالبلاء من عرفه الناس) فلا يزال الودّ يقوم له فى قلوب المعتقدين الى أن يستوفى جزاء أعماله الصالحة كلها لأن الودّ والمحبة ما قاما فى باطن الخلق إلا من ظهور كماله لهم فأحسن أحوال من ظهر كماله للخلق أن يخرج من الدنيا مفلساً بالأعمال الصالحة سواء بسواء قال فقلت له فهل يدخل الفتوح الالهى استدراج ومكر فقال نعم يدخله المكر والاستدراج ولذلك ذكر الله الفتح فى القرآن على نوعين (بركات وعذاب) حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى - ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - وقال تعالى فى حق قوم آخرين - فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد - وتأمل قول قوم عاد - هذا عارض ممطرنا - لما حجبتهم العادة قيل لهم - بل هو ما استجلمتم به ريح فيها عذاب أليم - تدمر كل شئ بأمر ربها - قلت له فما علامة فتح الخير وفتح الشرّ فقال كل فتح أعطاك أدباً وترقياً وذلك نفس فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح أعطاك أحوالاً وكشفاً واقبالاً من الخلق فأحذر منه فانه نتيجة عجبت فى غير موطنها فتنقاد الى الآخرة صفر اليدين مع إساءتك فى الأدب إذ طلبت ذلك فان كل من طلب تجليل نتائج أعماله وأحواله فى هذه الدار فقد عامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقة قال فقلت له فاذا حفظ الله العبد واستقام فى عبوديته وعجل له الحق نتيجة ما أوكرامة فهل من الأدب قبولها أو ردّها فقال الأدب قبولها ان كانت مطهرة من شوائب الحظوظ النفسانية . ثم ذكر أن الكمال أن يقابل الانسان جميع العوالم بما يناسبها ويعطى كل ذى حق حقه ويأخذ الأشياء بالحق ويردّها بالحق انتهى

و بعد أن سمع صاحبي هذا قلت له . أفلمست ترى أن كلام هذين الصالحين هو عين ماقلته لك وأن استجبال الاطلاع على العوالم في الحياة الدنيا يشابه من كل وجه استجبال الأم اسقاط جنينها قبل موعد مولده . فانظر لهذا التحذير والتخويف وأن المطلع على هذه العوالم معرض للخطر العظيم . ولتعلم اني أنا كنت أحب أن أقف على هذه الحقيقة من كلامهم فاستقرت نفسي الآن وانشرح صدري ورضيت رضاء تاما بما نحن عليه الآن من هذه الحال فلنسر في التفسير ولنشرح صدر من يقرؤه فلا يحزن على أنه لم يطلع على عوالم جيلة فان هذه قد عدوها شهوة نفسية توجب الانقطاع عن الله وجعلنا نحن أشبه بالسقط اذا سقط من الرحم قبل تمام المدة . ثم قلت له واني أيها الأخ لم أكن لأجاريك فيما سألتني عنه في هذا المقام مع خروجه عن موضوع تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي - الخ إلا لما أترقبه من توالي الحسرات والوساوس في قلوب الذين يقرؤون التفسير إذ يقولون لماذا يفتح الله على أمثال الدباغ ويتركنا وهذا الحزن يضر بالقارى ضررا بليغا ويعطل رقى الأمم الاسلامية كما انه فعل ذلك مع آبائنا وقرؤا في كتب المتقدمين أمثال ما ذكرناه هنا فقطعت نفوسهم حسرات وأضاعوا الزمان في التلهف على درجة الكشف وهم في بحر لحي - أما الآن فقد حصص الحق واستبان السبيل واستوفينا هذا المقام عقلا ونقلا بحيث لا يبقى في نفس الأذكياء من قراء هذا التفسير وأمثاله حسرة أولوعة بل يقرؤون ويعلمون الأمة ويسرون في رقبها محبين للعالم ولله مرقين للشعوب الاسلامية خصوصا والانسانية عموما يريدون بذلك وجه الله

فيا أيها الأذكياء اعملوا في هذه الدنيا كما تعمل الكواكب والشموس والأقار تسير مطيعة لربها لاتبني جزاء ولا شكورا . واياكم وأن تطلبوا حظوظ نفوسكم بل كونوا عبادا لله مخلصين . هذا ما أرجوه لنفسي وسيكون هذا رجاء من يقرؤون هذا التفسير

هذا ولتكن أيها الذكي مفكرا في أهل زمانك فان الأمم الاسلامية اليوم على ما كانت عليه منذ قرون فانك ترى في كل قرية شيوخا لهم مریدون والنادر فيهم من فتح عليه وهم جميعا يتغنون بهذا القول يوهمون الناس انهم وارثون هؤلاء الأعلام فيجب تحذير الناس منهم فأكثرهم خطر على الأمة الاسلامية إذ يقولون لهم ان علم الغيب هو العلم الحق والناس محجوبون ويغضونهم في العلوم المشهورة وهذا ضلال فلقد تحقق أن تلك العلوم لا تحصل إلا للنادر منهم وهي في غير أوانها وأن أكثر من فتح عليهم يصحون سحرة وكهاناً . وبناء عليه اذا وجد المسلمون منهم من يخبر بالغيب فهذا ليس ولاية بل قد أصبح هذا الرجل كاهنا أو ساحرا فأما الولي الاسلامي فهو غير هذا ولذلك يجب تطهير البلاد الاسلامية ممن يدعون الاخبار بالغيب ولوصدقوا أو ممن تظهر على أيديهم الخوارق ليظهروها للناس فان هؤلاء غالبا ضارون بالأمم الاسلامية ولذلك أحسن مصطفى كمال باشا في طردهم من البلاد . فما أكثر هؤلاء إلا قوم عاطلون يأكلون من أموال الأمة ولا يعملون لها شيئا . هذا ولما أتممت هذا واطلع عليه صاحبي قال والله لقد أخرجتني من مأزق صعب . ذلك اني كنت أقرأ اسمين من أسماء الله تعالى قد حسبتهما بالجل ليطابقا اسمي في حساب الجمل فكنت أقرؤهما كل صباح وكل مساء بمقدار عددهما ظانا أن الله سيفتح عليّ بهذه القراءة ويريني الجانب في الدنيا ولكن تبين لي الآن انني مخدوع لأن هذا الذكر ليس لوجه الله وأيضا لو فرض انني فتح عليّ وشاهدت ما في قلوب الناس لم يكن لذلك فائدة واني أتلهي بما أشاهده من أحوال الناس وبما في قلوبهم وأعتقد اني وصلت الى الله ولم أصل في الحقيقة إلا الى شهوتي والى موافقة الشيطان فان نتيجة ذلك على فرض حصوله أن يعتقد الناس فيّ ويقبلوا يدي ويأتوني بالخبرات من عرق جبينهم . وأي شيطان أضلّ من شيطاني حينئذ وهناك لا يكون للناس مني فائدة إلا اني أؤمهمم بأني وقفت على علوم تقطع دونها الاعناق فيقفون متسرين ويحقرون علوم المسلمين من تفسير القرآن وعجائب مخلوقات التي ستظهر فيهم وتنتشر بعد ظهور أمثال هذا التفسير ويبقى

المسلمون في درجة الذل والانحطاط وأوروبا تسبقهم هي وأمريكا والصين واليابان ويحيطوا ببلادهم من كل جانب وذلك كله بسرّ وصولي واطلاعى على الغيبات التي لاتفيد المسلمين إلا أن يعظموني . أنا أقول هذا وأنا موثق أن الشيوخ في بلاد الاسلام هذا شأنهم قد أضلوا المسلمين وأبعدوهم عن العلوم فسأت الحال واعتقدوا في شيوخهم انهم أعظم العظماء حتى انى سمعت عن بعض المسلمين في بلاد الغرب انه قال هل سيدنا محمد ﷺ أعظم شرفا من شيخنا فلان وأنا لا أحب أن أذكر اسمه هنا لأن تلاميذه يملأون الأقطار وانما قال ذلك لأنهم يسمعون انه يطير في الجوّ ويحي الموتى ويعمل أعمالا لم تسمع لنبى من الأنبياء . هذا قولى وأستغفر الله لى وللمسلمين والمسلمات . ثم قلت ان ماشرحتة الآن هو الذى كان يجيش بنفسى لاسيما انى لما قرأت كتاب (راجا يوقا) المترجم من الهندية حديثا الى الانجليزية وجدت هذا الكتاب يجعل السعادة خاصة بمن يصلون الى ماوراء الحس ويكشف لهم عن عوالم الغيب مع انهم وثنيون ولهم ذكر خاص ورياضة خاصة بأن يحبسوا التنفس داخل الرئة أو خارج الفم وانما يفعلون ذلك كله لأجل الكشف والظاهر أن هذا نقل كله الى متصوفة المسلمين المتأخرين وتوعوا فيه بدليل أن النقشبندية عندهم هذا التنفس عينه ويمزجونه بذكر الله أما أولئك فيمزجونه بلفظ (اوم) وهى حروف ثلاثة تدل على الآلهة الثلاثة عندهم التى هى ثلاثة وهم واحد فهو كدين النصرى سواء بسواء . ولما قرأت هذا المذهب عجبت كل العجب كيف يقول هؤلاء انهم قد كشفت لهم العلوم وكيف يتبعهم قوم عندنا من المسلمين وهذه حال محيرة جدا ولعلّ الله ألهم الشيخ الدباغ والشيخ الخواص الذين عرفا هذه الحقائق ودوتوها حتى نستأنس بها الآن فى هذا التفسير فتكون أشبه بنبراس لمن بعدنا إذ يعلمون أن هذا الكشف هو الكشف الظلمانى وانه نوع من السحرا والكهانة . ولقد كنت أهير فى أمرى وأقول اذا كان أرباب الكشف قد ملؤا بلاد الاسلام فلماذا نرى هذه البلاد متأخرة كما ان الهند كذلك وهل هذا الكشف قد سلخ المكشوف عليهم من الانسانية حتى تركوا اخوانهم فى المذلة ولا يساعدونهم فأما الآن فقد عرفنا أن ذلك ليس مقصود الانسانية وأن هذه شهوات نفسية واننا نستعيز بالله منها وانها كالمال والولد والذكر والصيت قد تغرّ الانسان وقد يضلّ بها أقوام وقد يصيرون مشعوذين مشعبدين . فهذه الحال لاتدل على رقى نفس فهى كالرجل المنوّم (بفتح الواو) تنويم مغناطيسيا فليس حضور الروح به دالا على سمو المنزلة بالأخلاق العالية والمنزلة الشريفة فى العلم والحكمة والفضيلة ومنفعة العموم . وأنا أرجو أن يكون قراء هذا التفسير هم الذين يعثون فى نفوس المسلمين الحية ويفهمونهم بما يفتح الله به عليهم . وانى أجد الله عزّ وجل إذ علمنا ما لم نكن نعلم وفهمنا هذه المسألة التي لم أكن آمل أن أقف على حقيقتها فانى كنت أقول أنا لا أقدر أن أحكم هذا الحكم إلا اذا كنت مطلعا على ماوراء الحجب أما الآن فقد علمت أنا وعلم كل من قرأ هذا التفسير حقيقة الحال من غير أن تقع فى خطر كشف الحجاب الذى كنا نظن انه لا بد منه لمعرفة هذه الحقيقة واذن نقول ما قاله بعض كرام الصحابة ﴿ لو كشف عني الحجاب ما ازددت يقينا ﴾ انتهى

اللهم ان المسلمين الذين أحاطت بهم الدول من كل جانب وقفوا حيارى بين مدارسوه فى كتب السادة الصوفية وبين ما يشاهدونه حولهم من أعمال الأمم النافعة لهم ولغيرهم فهم أصبحوا عالة على الأمم ولا يبدون حرا كما وسكت علماءهم لأن نفس العلماء متحيرون . فسيرى المسلمون الكهرا بء والمغناطيس والبخار وغيرها قد انتفع الناس جميعا بها وهم لم ينفعوا الأمم اليوم بشئ مطلقا فهم يقرؤن كتاب ﴿ الفتوحات المكية ﴾ لابن العربي وفى ﴿ الإحياء ﴾ للإمام الغزالي عن الفتح الربانى . وفى رسالة أيها الولد للغزالي أن هناك فتحا ربانيا به يرى الانسان ماوراء الحجب والمسلمون بين ذلك متحيرون هل ينقطعون عن العالم للذكر حتى يصلوا لهذا المقام أو يفمضوا الأعين عن كتب أسلافهم مرة واحدة كما فعل مصطفى كمال فى أمة الترك أم ماذا يصنعون والله لقد حرم المسلمون من أمثال (توماس الفا اديسن) الذى بلغ سن الثمانين فى (١١ فبراير سنة ١٩٢٧)

والذي اخترع المصباح الكهر بآئى والآلة الحاكية (الفونوغراف) وآلة الصور المتحركة (السينما) وغيرها حرم المسلمون من رجال العمل . وقد كان آباؤهم هداة العالم قاطبة . فلولاهم لم يكن أولئك المخترعون والمستنبطون كما تقدم في سورة (التوبة) وغيرها . إذن فليكن ما كتبناه في هذا التفسير وما كتبه العقلاء في أم الاسلام نبراسا . فليعلم المسلمون في أقطار الأرض علما ليس بالظن أن محاولة كشف الحجاب قد خاف منها رجال الصوفية وجعلوها أشد ابعادا عن الله من المال والولد والله يقول - واتبعوا من لم يزد له ماله وولده إلا خسارا - فالخسار هناك يكون أكثر كما تقدم . فليقم المسلم الآن بخدمة المجموع الانساني كله ان أمكن والا فأى مجموع يقدر عليه واذن يكون خليفة لله خالق الشمس والأقمار الطائعات لرب العالمين والحمد لله رب العالمين ﴿ النبات والديانات ﴾

ان الله أنزلنا في هذه الأرض لاسعادنا وليس لاسعادنا أن يعطينا العلم أو الرزق ونحن ساكنون ساكنون ان الرزق اذا أعطى بلا اجتهاد والمال اذا أعطى بلا عمل وكذا العلم اذا أتى بلا كد ذهن والدين اذا نزل الى الأرض ولم يكن هناك فيه شبه تعترض العقول وتقف الشبهات المذكورة في طريق فهم الديانات أصبحت الأجسام معطلة والعقول كاسدة فان الرزق لو عمّ الناس أجمعهم بلا تعب لأصبحوا نباتا فان النبات يحيا ويعيش على العناصر المحيطة به والناس هم الذين يأتون له بالسماذ . لذلك جعل الله رزق الناس موقوفا على عملهم لتقوم بذلك أجسامهم وتجري دماؤهم وتصلح أحوالهم وتقوى عضلاتهم وأكثر الناس جهال لا يفهمون أن العمل الشاق لا بد منه لصلاح أجسامهم . لذلك حرم عليهم الكسل وأزهمهم العمل لتحصيل القوت كي تقوى أجسامهم وتصلح حالهم وسلط الحشائش على زرعهم وتلك الحشائش تضعفه وتقل ثماره . فعلى ذلك كرما منه ليكثر مادة الحيوان من تلك الحشائش والحيوان لا قدرة له على الزرع ويحوج الانسان لازالته فتزيد قوته الجسمية وادراكه العقلي في استنباط الحيل لآبادة ذلك

﴿ حياة الحيوان والديانات ﴾

هكذا ترى الحشرات والهوام والحيوانات الصغيرة المسماة بالمكروبات قد سلطها الله على الحيوانات النافعة في ديارنا من الطيور التي تربي ومن حيوانات الحث والسقي كل ذلك ليتلينا بالعمل لاصلاح حيواننا . حيوانات الله التي أنزلها لاهلاك زرعنا وقتل حيواننا وكذا نباتاته التي سلطها على زرعنا وملا به أرضنا جعلها معا يملآن السهل والجبل وملا بهما الجوّ وأحاطنا بها من كل جانب وسلطها علينا ولم يؤثر الجوّ فيها كما يؤثر فينا وفي أنعامنا فجعلها أقدر على الزمهرير في الشتاء والحرور في الصيف ونحن وحيواننا ونباتنا ضعاف أمام كل شئ . هذا من الله ليتلينا مريدا بذلك تقوية أجسامنا بالعمل وعقولنا بالحيل . ولولا هذا لسكننا مترفين منعمين منغمسين في الملاهي فيكون الفناء العاجل . هكذا الديانات لو أن الدين نزل الى الأرض ولم يكن شبهات ولا خيالات كالدين الاسلامي وقبل الانسان القضايا ولم يبحث فيها ولم يكن بحث ولا تنقيب . لو كان كذلك لماتت العقول ولضاعت الأمم وأصبحت الأمة كلها من العامة الجهلاء فان الناس ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ عامة مقلدون . وحكماء محققون . وأوساط متشككون . فالعامة تابعون العلماء والحكماء وقفوا على الحقائق . أما الشاكون فأنما هم الشبان الذين ارتقت عقولهم عن طبقة العوام ولم يصلوا الى طبقة الخواص فهؤلاء هم الذين يبتلون بالبحث حتى يصلوا فن وصل الى مرتبة الحكماء وعرف الحقائق فهم الذين قال الله فيهم - وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله هاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم - وهو البرهان بعلم الحكمة كما تقدم . وأما القاسية قلوبهم فهم الذين حين شكوا تركوا النظر وحرقوا كل شئ وناموا فالعامة ليس عليهم ملام انما اللوم على الذين امتازوا عن العامة فعرفوا أن هناك شبهات لا بد من تمحيصها فأعرضوا عنها وما هذه الشبه إلا باب الحكمة والعلم فاذا تركوها بقيت في عقولهم وتراكت عليهم

واعلم أن هذا المقال الذى ذكرته قد رمى طيرين بحجر واحد فان الشبه القائمة فى الديانات على نفس الأنبياء ومازلوا به تقوم على نظام الكون وجماله فكيف يكون الكون جيلا منظما وخالقه هكذا يفعل إذ يوقع الناس فى مشاكل فى حقوقهم وزروعهم ودياناتهم وأعمالهم . فالجواب قد عرفته فى ﴿ الأمرين ﴾ الذين ونظام الطبيعة ﴿ فالشيطان يوسوس ليشك الانسان فى النبوة قائلا ان القرآن ليس منزلا لما فيه من كذا وكذا ويوسوس قائلا إن هذا العالم ليس منظما فاذن ليس له خالق فيجاب بما أجبتنا به مؤقتا وأن هذا باب من أبواب الحكمة فاجتهد أن يفتح عليك وسترى من آيات الله العجب فتوجه الى الله وهو يعلمك . واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم -

﴿ فصل فى أن العقاب يجب أن يكون على قدر الذنب وتمثيل ذلك بإيلاج كل من الليل والنهار فى الآخر ﴾ قال تعالى (ذلك) أى الأمر ذلك وقد استأنف سبحانه بعده فقال (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد فى الاقتصار (ثم بنى عليه) بالمعاودة الى العتوبة . يقول الله ان من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك خلق على الله أن ينصره سواء أكان ذلك من الأمم أم من الأفراد (لينصرنه الله إن الله لعفو) يعفو آثار الذنوب (غفور) يستأنف أنواع العيوب . وانما ذكر هذين الوصفين لأن من بنى عليه قد كان الأولى له أن يصبر ولا يعاقب الباغى لما جاء فى القرآن من طلب العفو كقوله تعالى - ولئن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور - وقوله - وان تعفوا أقرب للتقوى - وقوله - فمن عذنا وأصلح فأجره على الله - فللمنتقم قد ترك الأفضل والله قد تكفل بنصره اذا بنى عليه كره ثانية أيضا اذا عاقب بمثل ما عوقب به فهو عفو له غفور لتركه الأفضل وهو العفو عن الباغى منها على أن العفو خير وأبقى (ذلك) النصر (بأن الله يوجب الليل فى النهار ويوجب النهار فى الليل) أى ذلك النصر للظالم بسبب انه قادر على ما يشاء ومن عجائب قدرته انه يدخل ساعات الليل فى النهار فيأخذ الليل فى القصر والنهار فى الطول وذلك فى فصلى الشتاء والربيع ويدخل ساعات النهار فى الليل فيجعلها فى الليل ويأخذ النهار فى النقص والليل فى الزيادة وذلك فى فصلى الصيف والخريف ولا يأخذ أحدهما من الآخر إلا على مقدار ما أخذ الآخر منه وذلك فى بلاد مصر لا يمدد أربع ساعات فأقصر نهار عندنا عشر ساعات وأطولها ١٤ وهكذا العكس فلا يأخذ النهار من الليل ولا يأخذ الليل من النهار إلا بحسب واحد فلذلك جعلت الانتقام من الباغى على مقدار جرمه لا يزيد ولا ينقص كما جعلت كل ليل لا يأخذ من كل نهار إلا ما أخذه الآخر منه

(١) فاذا كان ذلك فى مصر أربع ساعات أى ان كلا منهما ينقص فى النهاية ويزيد فى النهاية عن الآخر أربع ساعات

(٢) فى أطراف الهند والصين يكون ساعتين

(٣) وفى بلاد الهند وبعض البلاد الفارسية أربع ساعات كالقاهرة

(٤) وفى البحر الاسود وقرب القسطنطينية ست ساعات

(٥) وفيما يقرب من باريس وبرلين ونحو ذلك ثمان ساعات

(٦) وفيما يقرب من بحر الشمال وماوالاه (١٠) ساعات

(٧) وفيما وراء ذلك ١٢ ساعة و١٤ و١٦ و١٨ ساعة شمالى بحر البلطيق وفيما بينه وبين رأس الشمال

تصل زيادة كل منهما عن الآخر فى النهاية الى (٢٠) و (٢٢) و (٢٤) ساعة ثم تكون الزيادة بالأشهر ويكون أطول نهار يصل الى ستة أشهر وأطول ليل يكون ستة أشهر وهنا يتساوى الليل والنهار كما تساوى فى خط الاستواء . فى خط الاستواء كل منهما (١٢) ساعة دائما وفى القطبين كل منهما ستة أشهر دائما فيما بعد جزائر (جرولنده)

هذا معنى الآية . يقول الله ان الليل لا يأخذ من النهار ولا النهار يأخذ من الليل إلا على مقدار ما أخذ الآخر منه فانظروا حسابي في ذلك وافعلوا مثل ما فعلت ولا تنتقموا إلا على قدر الذنب لأن هذا هو العدل وأنا العدل واني أسست السموات على العدل وما سكي قام على العدل . هذا هو العدل وهو المساواة والانصاف في كل شيء . فإياكم أن تنتقموا فوق ما رسمته لكم لأنكم قد خالفتم القواعد التي رسمتها . واياكم والحقد على من عاقبتموه ودوام الغضب بل ارجعوا بعد ذلك للمساواة والاخلافتم عدلى ونظامى فليكن كل شيء في أعمالكم وأخلاقكم بميزان وعدل . انى قد جعلت المساواة في كل شيء نموذجاً للعدل عندكم ورسمت لكم الخطة فاتبعوها وأنا القائل - والسما رفعها ووضع الميزان - فهذا هو الميزان - أن لا تطفوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - فكما وزنت الزيادة والنقص في الليل والنهار بحسابي فزنوا أعمالكم في الانتقام كما وزنت أنا واني لن يرانى إلا الذين يسرون على صراطى وهذا صراطى فأياكم أن تحيدوا عنه . فأنا نصرت الذى بنى عليه كرة أخرى اذا كان عقابه الأول بمثابة ما عوقب به لأنه فعل ما فعلته في الليل والنهار من الحكمة والمساواة (وأن الله سميع) يسمع قول المواقب والمعاقب (بصير) يرى أفعالهما فلا يهمل مثقال ذرة (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بأن الله هو الحق) الثابت في نفسه الذى هو مبدأ لكل موجود فاذا اختلف الليل والنهار وتفاضل المتعديان من الناس فهو مصدر هذه الخلائق المتدخلة وهي تزيد وتنقص وهوثابت لادارة شؤونها فالتحركات لا بد لها من محرك فان لم يكن ثابتاً فلا بقاء لها (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) لأن الأصنام وكل ما يعتقد فيه الالهية غير ثابت إذ هو متغير تتناهب الأعراض كسائر الخلق (وأن الله هو العلى) على الأشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ذلك بأن الله يولج الليل في النهار - أيضا ﴾

لما كان القول المتقدم في شأن المحاربة والقتال وأن ذلك لازم لبقاء المساجد والكنائس وما أشبهها وقد طال المقام في منازعات أهل الأرض ومنازعتهم أراد الله سبحانه أن يفرح العقول ويخرجها من انحصارها في الامور الجزئية الأرضية الى باحات الجدل وساحات الجلال ويقول ارفعوا رؤسكم الى أعلى . إن قتالكم مع الكفار ونصرتم عليهم وعقابكم للباغين عليكم ونصرى لكم ليس هو المقصود من الدين ولا من الحياة . هب انكم نصرتم على الباغين وعلى الكافرين . فهل هذا هو المقصود من وجودكم . كلا . هذه أمور أخلاقية والأخلاق اعتدالها صراط مستقيم والصراط المستقيم لا يقصد لذاته بل هو موصل لغيره . الصراط في الآخرة فوق جهنم يتوصل به الى الجنة ولا يمكن ذلك لكم إلا بالتهاج الصراط السوى في الدنيا بالأخلاق الفاضلة كالعفو او كالانتقام على قدر البنى وهذا كله ليس مقصوداً لذاته بل المقصود أن نفوسكم بعد هذا تتفرغ الى ما هو أعلى فالأخلاق في الدنيا بيدها الفتح بالعلوم فيهنم يكون صراط لآخرة فالجنة على مقتضى الاخلاق في الدنيا والعلوم فيها بل ان أولى الأبواب من الناس في الدنيا يرون أن العلم في الدنيا والابتهاج به جنة حقيقية عجبت لهم ويفرحون بالموت اذا أمموا ماوجب عليهم على قدر طاقتهم لعباد الله ويقولون إنا اذا متنا زدنا علماً ويقرؤون - وقل رب زدنى علماً - ويقرؤون - نورهم يسرى بين أيديهم وبأيامهم - وذلك النور هو العلم الذى كسبه في الدنيا ويقولون معنى ماورد ﴿ وعمليون لأولى الأبواب ﴾ أى ان أعلى لذة للنوع الانسانى الوقوف على الحقائق . ويقولون إن لذة الطفل بالغرائب حوله وازدياد الفرح بكل جديد عند سائر الناس مبادئ يعرف منها أن فطرنا لا سعادة لها إلا بالعلم . فاذا ذكر الله الليل والنهار في معرض القتال والانتقام وأبان كيف يكون العدل مع ان الناس لا يشعرون عادة بالمناسبة بينهما فما ذلك إلا لأن الأمر عظيم وأن الحياة ظلمات والحكمة والوقوف على الحقائق نور . فاذا حاربنا فلتكن النهاية نصب أعيننا وهي الاغتباط بالعلم . واذا عفونا فليكن كذلك وتكن وجهة الانسانية العلم . وقد أصبح هذا العصر العلم فلا دنيا إلا بالعلم ولا مال إلا بالعلم ولا نار إلا بالجهل

ولا فقر ولا ذل إلا بالجهل . هذا هو السبب في ذكر الليل والنهار في هذا المقام . أفليس ذلك بمجيب فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجوعون ويمثل هذا فلتعرف بلاغة القرآن . هنا تتضاءل الفصاحة والبلاغة المجردة من الحكمة والعرفان . هنا يذوب علم البلاغة المعروف . إن عالم البلاغة الذي لم يذوق من علوم الحكمة حظا ولا من علوم العجائب السماوية والأرضية كفلا خلق ليكون مقدمة لمن ينظر في العوالم فهو أشبه بصراط مستقيم يتوصل عليه إلى جنة العرفان . فالبلاغة التي يدرسها الناس في المدارس أشبه إذن بعلم الأخلاق الذي لا علم بالحقائق إلا بعد الاتصاف بمضمونه . وإذا كان علم الأخلاق النفسي لا بد منه للوصول إلى الحقائق العلمية في السموات والأرض هكذا يكون علم الأدب اللفظي من البلاغة وما يحتاج إليه من العلوم كالنحو والصرف واللغة والمعاني والبيان والبديع والاشتقاق والتاريخ وما أشبه ذلك فهي كطريق مستقيم يتوصل به المطلعون على عجائب هذا العالم إلى فهم تلك الحقائق من القرآن . فإذا سمعت قول المبتدئين في العلم القائلين إن القرآن لا يعرف إلا بالبلاغة العربية فاعلم أن تلك المعرفة هي الصراط الموصل لغيره وليست هي نفس علم القرآن والمقصود منه كلابل هي طريق يوصل لما هو المقصود وهو أدراك الحقائق مثل ما كتب لك الآن بعضها . فبلاغة القرآن شيء ومعرفة معاني القرآن وعلومه شيء آخر فالمقدمات غير المقاصد والمقدمات بلا مقاصد شجر بلا ثمر ولفظ بلا معنى والقانع بها مغرور والله هو الولي الحميد اهـ

﴿ فصل في ذكر عجائب الأرض بعد العجائب السماوية ﴾

قال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام تقرير (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات (إن الله لطيف) باستخراج النبات فيصل علمه واطفه إلى كل ما جل ودق (خير) بكل تدبير ظاهر وباطن (له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقا (وإن الله لهو الغني) في ذاته (الحميد) المستوجب الحمد بصفاته وأفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض) جمعها مذلة لكم معدة لمنافعكم (والفلك تجري في البحر بأمره) الجلة حال (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه) لإبشيتته - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - فترجع الأرض والسموات رتقا كما كانتا رتقا وقد تقدم إيضاحه في ﴿ سورة الأنبياء ﴾ إذ تصير كرة الشمس وجميع السيارات حولها في حال كالحال الأولى مشتتة مفرقة ثم تصير كرة نارية وهكذا (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) إذ جعل هذه العوالم بنظامها الحالي ولم يرجعها إلى الحال الأولى فيفنى ما عليها وتكون هي كرة نارية غازية (وهو الذي أحياكم) بعد أن كنتم جادا مما سبب لكم من بقاء العالم على هذه الحال ولم يبعثه فتصطك الأرض بالسموات (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) بالبعث (إن الإنسان لكفور) لجود نعم الله لأنه محفوظ محوط بأنواع النعم وهو لا يشكر عليها

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - ﴾

نرجع إلى مسألة الحرب كرة أخرى ولننظر كيف ذكر الله أنزال الماء من السماء في حيز الكلام على الانتقام بعد أن ذكر أولا إيلاج الليل في النهار . يقول الله إن الانتقام من الباغي يكون بالعدل كما عدلت وأنا خلقتكم للعلم فلتكونوا علماء . فهكذا هنا يقول أفلم تنظروا إلى الأرض كيف أنزلنا عليها الماء من السماء فاحضر النبات . اعلم أن الأمم إن لم تهذبها الحوادث ولم تؤدبها الكوارث ولم توقظها النوازل ولم تعلمها التجارب بقيت بلهاء نائمة نائمة . فالأمم كالأفراد لا يقومون من غفلاتهم ولا يستيقظون من نومتهم إلا بموقظات الأيام ومزعجات الليالي . ولعمرك لم يبعث الحرب الكبرى في أمم الغرب والشرق (سنة ١٩١٤) إلا تلك الكتب التي أبرزها علماء الألمان قائلين ﴿ الأمة بلا حرب ميتة ﴾ فإذا رأينا أمة قد غفلت أبنائها وجهل شبانها وتنعموا وانغمسوا في اللذات فليُنزل عليها مطر الحرب وليسبب لها امطار القنابل ونيران الصواعق المرسلات من الطائرات ولتزعجها الجيوش الجرارة والجحافل الكرارة في حنادس الظلم وفي حجارة القيظ . هنالك ينبت يسها

ويخضر شجرها وتزهو حدائقها بأفانين الحكمة وأزاهير العلم . هنالك يستيقظ الشبان من سباتهم . هنالك الأفراح والمسرات . هنالك تبتهج البلاد . إن البلايا والمنايا رافعات الأعلام في الأمم مشيرات كوامن الأخلاق والمواهب والسجايا . لن تظهر كوامن الأخلاق ومجائب الفرائض وصفوف الفضائل إلا بانزال ماء المحن عليها فهنالك تهتز النفوس وتنبث من كل زوج بهيج من المكارم والسجايا والفضائل والمزايا . هذا ملخص ما قاله علماء الألمان حتى أناروا نائرة الحرب الكبرى . وقد قال ذلك من قبلهم (سقراط) في كتابه إلى الاسكندر وقد تقدم في هذا التفسير وهو أن الأمم لا تطيق النعيم والراحة والدعة فان ذلك يبيت العزائم ويخمد الهمة وانما يرفعها إلى العلامات الأعمال وانارة العزائم . أقول فالرصاص المتهاطل ولا القذائف من القنابل إلا كالطل والوابل أصاب أرض النفوس فأنبث ريحان الهمة وأشجار الحكم فأزهرت وأثمرت وأغنت الواردين والصادرين ولقد جاء في علم الأرواح أنهم سئلوا عن الحروب فأجابت إحداها قائلة « ان الحوادث العظمى في الأرض والحرب الطامة تكون لغرض احداث تبدل عام في نظام أرضكم وتكون فيها أرواح قد حلت الأجسام الأرضية غير صالحة للارتقاء فيحل بها الفناء وتسكن أخرى أعلى منها أرضكم بحيث يخلق الله في بطون الأممات أرواحا أرقى عزيمة من أرواح الموجودين فحصل محل الذاهبين ولذلك يكون الاختراع والتقدم دائما بعد النوازل العظيمة كالحروب الطامة والزلازل والوباء » انتهى

فانظر قول علماء الألمان وقول (سقراط) وقول الأرواح . أليس هذا عين ما في القرآن . أليس ذكر اخضرار الأرض بعد انزال الماء عليها هو عين ارتقاء النوع الانساني بعد الحروب والرصاص والوباء والزلازل والاهلاك العام في بقعة أوجهات متعددة . لعمرك إن هذا من أسرار القرآن . إن من يسمع القرآن وهو لم يدرس الحكمة واكتفى باللغة العربية وتوابعها وبلاغتها يظن أن ذلك تكرار وتكرار فأنه ذكر في أول السورة انه ينزل الماء على الأرض فتتهتز وتنبث من كل زوج بهيج يستدل به على البعث . وهنا ليس لذلك ولاغيره بل ليدلنا على ما ذكرناه وأن الأمم يتجدد شبابها بالحروب ويقاس عليها النوازل الكبرى كالزلازل والوباء العام . ان من يسمع القرآن وهو لم يدرس العلوم لأشبه بمن يسمع لغة أجنبية وهو لا يفهمها فانه يظن أن كلماتها عبارة عن نعمة واحدة ليست مفصلة ولا مختلفة كمن يرى الشبح من بعيد فانه لا يعرف أعضائه ولا ماهو . هكذا نحن نرى الكواكب وهي لبعدها عنا لا نرى فيها إلا قطعاً لماعة كالماس ولا نرى ما فوق ذلك هكذا كل علم وكل فن نجعله ومن ذلك القرآن . فذكر اخضرار النبات مرة بعد أخرى وذكر ايلاج الليل في النهار و ايلاج النهار في الليل في مواضع مختلفة يجعل أكثر الناس لا يعلمون ما المقصد من هذا التكرار والعلم هو الذي يجلي الحقائق . إن القرآن لا يعرف إلا بقراءة علوم طبيعية ورياضية وفلكية وسياسية واجتماعية وروحية والله الهادي إلى سواء الصراط اه

(بهجة العلم في قوله تعالى أيضا - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير -)
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على نعمة العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على ما علمت وعلى ما نشرت من الحكمة في الشرق والغرب وعلى ما ألهمتنى فألفت كتاب (أين الانسان) في نحو سنة ١٩١٠ أي قبل كتابة هذه الأسطر بنحو ١٨ سنة وأجدك على أنك شرحت صدرى لهذا التفسير واني ذكرت فيه كثيرا من الحقائق العلمية والسياسية وقلت إن الشرق والغرب يجب أن يكون عقلاؤهما وعلماؤهما متحدين لارتقاء نوع الانسان وانهم الآن لجهاهم قد تركوا مواهب العقول مبعثرة هنا وهناك ومنافع الأرض والهواء والأضواء متروكة منبوذة وهم هائمون في ضلالهم جادون في غواياتهم وحروبهم يأخذون يد ماني يد عمرو من المال جهالة ونذالة وقد ترك أضعافه وأضعافه في خبايا الأرض وخفيات الطبيعة ونسي السؤاس وعظما الأمم في كل أمة من الأمم أرضا منبوذة لاتزرع ومنافع مهجورة لاتعرف ذلك للجهل العام في هذا العالم . فالأرض الصالحة للزرع

في الأمم المنبوذة المهجورة تنادى بلسان فصيح قارئه قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - . الماء ينزل من السماء ويملاً الأنهار والأنهار تجري على اليابسة وتمرّ والناس غافلون عن انعام نظامها . هذا نهر النيل ببلادنا يجري الى البحر الأبيض المتوسط ويقولون إن البلاد بها نحو مليون وسبعمائة ألف فدان تصلح للزراع ويريدون أن يدبروا الماء الواجب لها حتى تخرج للناس رزقا . هذا مثل واحد من أمثال كثيرة . فالناس لشرهم في الشرق والغرب يتركون أمثال هذا أضعافا مضاعفة في كل أمة وتمتد أعينهم الى مافي أيدي اخوانهم جهالة قديمة العهد توارثتها الأمم كبرا عن كبر لأن العقول لم تكن مهياة لأن تعقل - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - فليس الرزق خاصا بانتهاج مافي أيدي الناس قاصرا عليه بل هنا رزق أوسع وهو أن الأرض تخضر بانزال الماء عليها . إن الأمم لم تكن عندها مواصلات كما في عصرنا ولم تكن العقول وصلت الى هذا النمو وعلى قدر اختلاط الأمم واتصالها يكون التفاهم والتعقل وسيعرف الناس قيمة الأرض وزرعها ومنفعتها ومنافع الاشتراك العام في الثمرات ان الأرض لله والناس كلهم أمة واحدة كما سيأتي في سورة (المؤمنون) وكل أمة قسرت في تعليم أبنائها أوفى نظام أرضها أوفى استخراج منافعها العامة فالأمم كلها يجب عليها أن تشاركها في استخراج تلك المنافع طوعا أو كرها وتلزمها بذلك وتأمرها بتعليم جميع من فيها . إن في كل أرض من المنافع ما ليس في غيرها وفيها من الخواص ما ينفع المجموع في الكرة كلها وتقويت خواص أرض في أمة من أمم الأرض أو خواص عقل من عقول أبنائها حرمان لأهل الأرض كلهم من تلك الخواص في الحالين . فلكل الأمم الحق في مطالبة كل أمة بإبراز مالهها من المواهب العقلية والخواص الأرضية وغير الأرضية . هذا هو الذي كتبت معناه في كتاب (أين الانسان) وعرفه أهل أوروبا وكتبوا فيه . وأنا أزيد عليه الآن ما لم أكن أعلمه إذ ذلك من العلم - وفوق كل ذي علم عليم -

هل كان يخطر لأهل العلم أن النبات كالانسان سواء بسواء . هل كان يخيل لنا ونحن ندرس في الفلسفة القديمة ونقرأ فيها أن النبات يحس بالضوء وبالجهات بدليل أنه يميل الى جهة النور اذا نغذمن نافذة وينحرف عن الظلمة وأنه يسير على جبل نصب له بين حائطين ولا يميل عنه وأنه يميل الى الرطوبة ويتجافى عن اليبوسة بعروقه الضاربة في الأرض . وبالجملة له احساس بما يلائمه احساسا مبهما . أقول هل كان يخطر لنا ونحن نقرأ تلك الفلسفة ثم نكتبها في هذا التفسير في (سورة الرعد) ونحن نوازن هناك بين القديم والحديث . إذ رسمنا هناك بالتصوير الشمسي أنواعا من النبات الذي يصطاد الحشرات ويهضمها وقد رسم بعضه وهو قابض على الحشرة ليتلعها وقدزود وقوى بالعسل وبالشكل الجليل وبالدهاليز المسواة المنمقة اللساء التي تغرى النباب بالولوج حتى اذا دخل المكان فرحا بعسله وجماله ونعمته انتقص النبات عليه فافترسه افتراس الآساد للغزلان والتمور للبقرا الوحشى . أقول هل كان يخطر لنا إذ ذلك أن عالما نباتيا يظهر في الهند في أيامنا هذه ويقابل الوزير المصرى أثناء طبع هذه السورة تقريبا في أوروبا ويدعوه الوزير المصرى الى مصر ويحضر اليها ويلقى محاضرة في دار (الجمعية الجغرافية) يوم الاثنين ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٨

ان هذا العالم المسمى (جاجاديس بوز) الهندي قد برع في هذا العلم حتى اخترع ما لم يخترعه أحد في أوروبا ولا في اليابان ولا في أمريكا إذ وصل علمه الى أن النبات كالانسان سواء بسواء فهو يحس وهو يتحرك وله دورة عصارية (أى بعصارة النبات) كالدورة الدموية للانسان وله احساس بألياف جعلته يحس أسرع من احساس الانسان وهو يمرض ويتأثر بالسّم ويشقى من المرض بعقاقير طبية . وبالجملة أصبح النبات كالانسان سواء بسواء في كل أحواله وكأنه نطق بقوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فاعجب كيف جعل الله الانسان نباتا وهذا العالم (جاجاديس بوز) يقول كذلك بل انك سترى في نص خطبته وتجربته أن الشرارة الكهربية

أثرت في النبات قبل أن تؤثر في الإنسان كما استراه قريبا . أفلاترى أن هذه نعمة أنعم الله بها علينا إذ أرسل هذا العالم الخطيب الى مصر أثناء طبع هذه السورة لجعلها درسا وشرحا لما في هذا التفسير من العلم ومن نظام الأمم العام . ومن عجب أن القرآن أكثر من التمثيل بالنبات في أطوار كثيرة فان زهد في الدنيا قال - انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الخ وان استدل على البعث قال - وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - وهكذا والعلماء يقولون ﴿ إن الانسان نبات مقلوب أغصانه يده ورجلاه ورأسه هي جذر النبات ﴾

إذا عرفت هذا فلا ذكر لك خطبة هذا العالم الذي قام دليلا على ماقلته في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ من أن عالم الشرق ينفع الغرب وبالعكس وأن جهل الأمم يمنع العلم عن بعض أمم الشرق اضعاف للأمم كلها ومنها تلك الأمم المستعمرة لغيرها لأن ثمرات العقول في الأمم المغلوبة قد ضاعت على الناس جميعا وعلى هذه الأمة القاهرة . ذلك العالم الذي أدخلته النمسا في المجمع العلمي لديها وزاره ملك (بلجيكا) في معنده العلمي (بكالكتا) . ذلك العالم الذي أدهش نوع الانسان باختراعه فقد كان الناس قد اخترعوا (الميكروسكوب) الذي يجسم الأشياء ألفى مرة ولكنه هو اخترع (كروسيكوغراف) يكبر الأجسام خمسين مليون مرة وهذا أمر عظيم وبهذا أظهر لنا سرّ النبات الذي يحس أكثر من الانسان . وقبل أن أنقل اليك الخطبة بحذافيرها أضرب لك مثلا في إحساس الانسان وحركاته لأن إحساس الانسان وان كنا نعرف ظواهره فيه خفايا وغرائب تحتاج الى ضرب الأمثال

﴿ طرق البريد وطرق المواصلات في يد الانسان ﴾

سترى في سورة (المؤمنون) في نفس هذا المجلد عند ذكر الانسان ونموه اني سأشرح لك نظام اليد الانسانية مقتصرًا عليها لتكون نموذجا لمعرفة غرائب جسم الانسان . فسترى هناك أن اليد الواحدة من يدي الانسان قد وجدوا لها (١٢) طبقة . ولما كان هذا الشرح ستراه هناك عدلت هنا الى ضرب مثل ليكون تنويعا في الشرح مع سهولة في التعبير لمناسبة ما هنا حتى تقيس عليه عجائب النبات حتى اذا قرأت خطبة العالم الهندي فهمت معنى ألياف الحس وقوة الحركة في النبات فلا مثل لك اليد بمدينة عظيمة وهذه المدينة عليها سور من الخارج يحفظها ومتى دخلنا من باب السور وجدنا (ادارة البريد البرقي) أي التلغراف الذي لاسلك له ووراءها (ادارة الطرق والمواصلات) ووراء هذين (أنابيب المياه) لسقي أهل المدينة

هذا كله حاصل في يد الانسان من جهة ظاهرها وحاصل نظيره فيها من جهة باطنها وتفصيله كما ستراه هناك موضعا بعضه بالتصوير الشمسي . إن ظهري الانسان عليها جلد فهو أشبه بسور المدينة وتحت الجلد مباشرة أعصاب الحس - أي التي توصل ما يقع على الجلد من إحساس بمكروه ومحجوب الى المخ ولولا هذه الأعصاب المواصلات لم يحس الانسان بحرق يده أو بقطعها فيضرب أو يحرق وهو لا يحس - بألم . فهذا الاحساس مركزه في الدماغ وفي داخل الفقار أي في الجهاز العصبي . فهذه الأعصاب عليها مدار الحياة إذ لو لم تكن هلك الناس والحيوان عن آخرهم وهم لا يشعرون . ثم وراء هذه الطبقة طبقة أخرى يشرحها علماء الطب بأيديهم مستقلة فيها أعصاب الحركة . ومعنى هذا أن أعصاب الحس - حينما توصل الخبر بالضر أو النافع وبالمؤلم أو السار من الجلد الى المخ تأمر القوة الحاكمة في المخ بأسرع من لمح البصر أعصاب الحركة أي التي في الطبقة التي تحت هذه الأعصاب التي سمينها (ادارة المواصلات) كالطرق الحديدية والطائرات وأنواع السيارات . فهذه الأعصاب أي أعصاب الحركة تقبض اليد مثلا أو تبسطها أو نحو ذلك من الأعمال المختلفة . فان كانت تلك الأعصاب من جهة ظاهري اليد بسطت وبالعكس فان أمرت القوة العاقلة في المخ أعصاب الحركة بقبض اليد مثلا هيأت أعصاب الحركة التي في جهة باطن اليد فقبضت اليد وان أمرتها بالبسط هيأت أعصاب الحركة التي في جهة ظاهري اليد

فبسطت اليد . فللبسط أعصاب وللقبض أعصاب والمخ هو الأمر لكل حال بما يناسبها
 اذا فهمنا هذا في أمر اليد فهمنا مامعنى الاحساس فى الحيوان ومامعنى الحركة . واذا عرفنا أن وراء
 أعصاب الحس فى اليد وأعصاب الحركة الأوردة والشرايين التى تغذى الجسم بالدم فهنا معنى قول هذا العالم الهندى
 أن فى النبات عصاره تفعل فعل الدورة الدموية فى الانسان
 فلنخص ما يأتى فى أمر اليد أن هناك سورا يحيط باليد ووراء السور طرق البريد بجميع أنواعه ووراء
 البريد طرق الحركة والأعمال بجميع أنواعها ووراء هذه الطبقة الأنهار والترع والخلجان وهذا الترتيب عجيب
 فان وضع الطرق البريدية والبرق (التلغراف الذى له سلك أو اسلاك له) وراء الجلد الذى سمينا سور المدينة لأجل
 أن تصل الأخبار حالا الى المخ ولولم يكن هذا الوضع على هذا النظام لاختل أمر الحياة لأن الجاد إذن لا يحس بما
 ينتابه من قطع أو حرق فيهلك الانسان لعدم الاحساس لأن الاحساس قد وضع بعيدا عن هذه الطبقة وهذا
 سره عجيب وحكمة منظمة غريبة . ومعلوم أن ما بعد العلم إلا العمل والعلم مقدم على العمل والعلم هنا يكون
 بأصاب الحس فوجب أن تكون أعصاب الحركة تالية لها ليكون العمل . لذلك كانت أعصاب الحركة
 تحت أعصاب الحس كما نرى سلوك التلغراف فى بلادنا المنسربة فوق الأعمدة المنصوبة . ونرى القضب المنصوبة
 أسفل منها على الجسور وعليها القطرات تمر . ولا جرم أن هذه تقابل أعصاب الحركة فى اليد ثم اتنا نشاهد
 على جوانب الجسور التى عليها قضبان السكة الحديدية ترعا جانبية تسقى الحقول . فهنا أسلاك التلغراف تحتها
 قطار السير فى الأرض وتحتها الأنهار لسقى الأرض وهنا كذلك سواء بسواء فأعصاب الحس فى مقابلة أسلاك
 التلغراف وأعصاب الحركة تحتها فى مقابلة قطار السكة الحديدية والشرايين تحت ذلك فى مقابلة الترعى التى بجانبى
 الجسر الذى عليه تجرى القطرات . فجل الله الذى شرح لنا ما فى أجسامنا باظهار نظيره فى الخارج وأصبحنا
 نرى الأعمال فى المدن تضارع أعماله هو فى أجسامنا وأجسام حيواننا وأجسام نباتنا . اللهم إني أحجك جدا
 كثيرا على نعمة العلم وعلى نعمة الايضاح ونعمة الفهم اذ فسرت لنا بهذه الأعمال قوله تعالى - وفى الأرض آيات
 للوقنين * وفى أنفسكم أفلا تبصرون -

يقدم الله الآيات التى فى الأرض على الآيات التى فى الجسم . لماذا . لأننا لانفهم الآيات والمجائب التى فى
 نفوسنا إلا بعد أن ندرس المجائب التى فى الأرض كما رأيت الآن إذ صارت طرق سكة الحديد والترعى بجوانبها
 والتلغراف من فوقها هى عينها نفس ما فى أيدينا وما فى أجسامنا وما فى حيواننا وما فى نباتنا من الترتيب والنظام
 البديع . هذا ما أردت أن أقدمه لفهم محاضرة الاستاذ (جاجاديس بوز) الهندى فهناك نصها
 قام السر (جاجاديس) فصفق له الحاضرون وبدأ بالكلام على الرابطة بين الشرق وبعضه وقال إن
 العلم لاوطن له ولا دخل للدين فى البحث العلمى . وقد قوبلت هذه الكلمات بالارتياح والاستحسان . وعمل
 السر (جاجاديس) تجربة دلت بها على أن النبات يحس أكثر من الانسان فقد أوصل شرارة كهربائية الى
 بعض الأشخاص ثم أوصلها للنبات ولم تحدث الشرارة تأثيرا فى الشخص ولكنها على العكس أحدثت اهتزازا
 فى النبات ثم سلط بعد ذلك شرارة قوية على النبات فأماته ثم امتحن النبات على أثر الحادث بجهاز يميز الحياة
 من عدمها فثبت أن النبات قد مات . وأجريت تجربة أخرى فوضع مقدارا كبيرا من السم على النبات فحدثت
 به اهتزازات تدل على الفناء . ثم أخذ المحاضر مقدارا من مستخرج نباتى خاص وألقاه على النبات فعادت
 اليه الحياة . وكانت كل هذه الأعمال موضع الاهتمام من الحاضرين واستخدم الفانوس السحري أثناء إلقاءه
 المحاضرة وقد ظل يلقى ساعة ونصف ساعة وهذا تعريبيها

ليس فى تاريخ الجنس البشرى حوادث ذات مغزى مثل قيام المدينتين العظيمتين على ضفاف نهري
 النيل والكنج . وقد كان هناك اتصال فكرى منذ (٢٢) قرنا مضت بين البلدين العظيمين (مصر والهند)

عند ما أرسل ملكنا العظيم (اسوكا) رساله الى هذا القطر وأوصاهم أن يقدّموا معارفهم وأن يتحدوا بالشعب ويرتبطوا به برابطة الاخاء . فلما جاءتني الدعوة التي وجهتموها الىّ أحييت في نفسي ذكري الماضي . ولقد لقيت من الوزراء دعوة الشرق الحارّة ورأيت من الشعب ما جعلني أشعر بأنّي واحد منكم فقبلت ما اقترحتموه عليّ وهو أن أتخذ بعض الطلبة منكم تلاميذا لي لأطلعهم على الطرق الحديثة التي تميّط اللثام عن السرّ العظيم الذي تكنه الحياة . ومع ان العلم ليس متاعا خاصا بالشرق أو بالغرب وهو عام يشمل جميع الأمم والشعوب فان الشرق يصلح لتقديم مساعدات كبيرة لترقية العلم بفضل عقلية ومواهبه الموروثة التي تلقاها من جيل الى جيل . أما التصوّرات الشرقية المنقّدة التي تستطيع أن تستخلص من مجموعة الحقائق المناقضة في الظاهر نظاما جديدا في الوسع ضبطها وكبح جماحها بقوة التركيز والعادة التي جرينا عاينها في حصر الفكر . وهذا الضابط هو الذي يمنحنا القوّة التي تساعدنا على استقصاء الحقيقة بصبر لاحتد له . ولما كان السالم أجمع يعتمد بعضه على بعض فقد زاد تراث الجنس البشري ونما بفضل المجري الفكري المستمر الذي يفيض عاينا جيلا بعد جيل . ولا ريب أن الاعتراف بهذا الاعتراف المتبادل هو الذي ربط الشعوب البشرية العظيمة وقبدها معا ومن استمرار المدنية ودوامها

﴿ حياة النبات والحيوان ﴾

إن الرأى المتفق عليه اجالا هو أن حركة الحياة الميكانيكية تختلف في الحيوان عنها في النبات اختلافا كبيرا . فالحيوان يحسّ ويتأثر بهزّة كهربائية سريعة . أما النبات فيعدّ اجالا بأنه لا يحسّ بضربات متوالية وللحيوان أنسجة نابضة لسورة الدم المغذى بخلاف النبات فان المزغوم انه لا يشتمل على أنسجة نابضة وأعضاء الحواس في الحيوان تلتقط رسائل الحوادث الخارجية وتنقل اختلاجاتها بواسطة الأعصاب فتحدث حركات عكسية أما النبات فالمزغوم أنه خلو من مثل هذه الأنسجة الناقلة . وعلى هذا فالمنظرون أن هناك مجرى بين للحياة يجريان جنباً الى جنب دون أن تكون لأحدهما علاقة بالأخر ولكن هذا الرأى خطأ في خطأ وكان من جراء النظريات الفاسدة وما أحدثته من أثر أن عرقل تقدّم العلوم والمعارف . والعقبة الحقيقية التي عرقلت سير البحث في حياة النبات هي الحقيقة الواقعة وهي أن تفاعل الحياة يقع داخل الشجر المظلم الذي لا تستطيع عيوننا اختراقه والوصول اليه فكان لا بد لنا والحالة هذه من اختراع آلات غاية في الدقة والحساسية تستطيع الوصول الى أصغر وحدة من وحدات الحياة لتدوين نبضها وهزّاتها . وقد كان اختراع (الميكروسكوب) الذي يحسّم الأشياء أنى مرة عهدا جديدا في تقدّم علم الحياة . أما جهازى المعروف باسم (كروسيكوغراف) الذي يكبر الأبحام تكبيرا هائلا يبلغ خمسين مليون مرة فقد أخذ الآن يميّط اللثام عن غرائب عالم جديد فبدأ النبات نفسه يكشف عن أسرار حياته الخفية . وقد صنع هذا الجهاز هنود ميكانيكيون تدرّبوا في معهدى . ومعلوم أن التقدّم الاقتصادى في أية بلاد يتوقف على التقدّم في الاكتشاف والاختراع . ومن هذه الوجهة يستطيع العقل الشرقى اظهار ما فيه من قوى كامنة . وقد كانت النتائج الجديدة التي حصلنا عليها في معهدى فيما يتعلق بتأثير العقاقير الطبية في الحيوان والنباتات ذات شأن عظيم في ترقية الطب . وقد كان لمراقبات التمثول التي سجلها جهازى المجهر الفائق فضل في جعل تفاعيل التمثول من المربيات وتسنّى بواسطته تحديد ناموس التمثول ومعرفة هذا الناموس من الامور الجوهرية للتقدّم في الزراعة العملية التي يتوقف عليها اعداد المواد الغذائية للعالم

﴿ النبات أشدّ إحساسا من الناس ﴾

ما كان الناس يظنون أن النباتات العادية حساسة أما الآن فقد عرف ذلك بالاختبار الجيب بواسطة الجهاز الذى يسجل أدنى حركات التقلص

(نزع الموت في النبات)

وضعت نباتة في الكرسي الكهر بائي بعد بلها قليلا لتسهيل سير الكهر باء فيها وقد ظلت النباتة هادئة هنيهة كما تبين ذلك من ثبات خط الضوء المنعكس من الجهاز المجسم ثم أدير مفتاح كهر بائي فسمع دوي كالرعد في الجهاز فأحدث ذلك تقالفا من النباتة واندفعت خط الضوء بعنف الى اليسار ولكن النباتة لم تكن قد ماتت بعد ثم سمعت دممة التيار الكهر بائي المهلك أعقبه تقلص آخر شديد وانحرف خط الضوء مباشرة نحو اشارة الموت الذي لارجوع بعده الى الحياة وقد سلط تيار آخر على النباتة ذاتها فلم تتأثر بل سكنت سكوت الموت

(دورة العصارة)

إن الدورة الدموية في الحيوان يسببها دفعات الأنسجة النابضة التي تتخذ في الحيوانات الدنيا شكل أنبوبة مستطيلة وهذه الدفعات تسير الى اتجاه خاص بواسطة حركة دودية في النبات أيضا وبها تقوم الدورة العصارية في النبات . وأعجب من ذلك ما للعقاقير من التأثير نفسه في ضربات النبض في الحيوان والنبات سواء . وقد بلغت دهشة الحاضر ين أشدها عندما عرض (السر جاجاديس بوز) أمامهم تأثير السم وترياقه في ضربات بعض النبات فان استعمال السم جعل النبض يضعف شيئا فشيئا على حين كان ضغط العصارة الذي هو بمثابة ضغط الدم في الحيوان ينخفض باطراد حتى كاد يتلاشى وكانت النباتة في هذه اللحظة تحتلج بحيث لومالت قليلا شطر الموت لوقف دولا ب حياهما ثم استعمال كمية من خلاصة نبات هندي فشهد الحاضرون إذ ذاك النضال بين الحياة والموت الى أن تغلب فعل الترياق في النهاية فاستطاعت النباتة الافلات من مخالب الموت وعلى هذا المنوال اكتشف تأثير عدد كبير من النباتات الهندية وخاصياتها الطبية التي لم تكن معروفة قبلا وفائدة بعض هذه النباتات هي أعظم جدا من أية عقاقير أخرى معروفة في عالم الطب وقد وقع فعلا أن استعمال خلاصة إحدى هذه النباتات في ضفدع سكن قلبه كاية فعادت اليه الحياة . ولا ريب أن هذا البحث سيؤدي الى وضع (فرما كونبا) جديدة تضاف اليها من العقاقير لتخفيف آلام الانسانية وأوصابها

(تدرج الحياة من النبات الى الحيوان)

يمكننا أن نتبع مدارج سلم الحياة الطويل ونرى أن النبات هو أقرب اليها كثيرا مما كنا نظن وندرك أنه ليس نموًا نباتيا غسب بل ان أليافه الدقيقة كلها إحساس وقد تبين لنا أن النبات يتأثر بالصدمات الخارجية بحركة تقلص تبدو منه وأن جسم النباتة يرتبط بعضه الى بعض بخيوط موصلة حتى ان الهياج الذي يحدث في أي جزء منه يسرى فيه كله . وقد تسنى لنا أن نسجل ضربات نبض حياة النبات ونجد انها تقوى وتضعف بحسب درجة قوة الحياة فيه وانها تسكن عند موت النباتة ونرى من هذه الحال وغيرها من الأحوال الكثيرة أن تفاعيل الحياة في النبات والانسان متشابهة وانه بالاختبارات التي يمكن أن نجريها في النبات يتسنى لنا أن نخفف آلام الناس وأوجاعهم) انتهت الخطبة

هذه هي الخطبة التي خطبها ذلك الضيف الهندي النابغة في علم الحيوان وبه صح ما طالمنا قلته في هذا التفسير كما سيأتي في سورة (المؤمنون) عند قوله تعالى - وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاقنن - وأن الناس جميعا يساعد بعضهم بعضا في العلم وأن الانسانية اليوم لانزال طفلة جاهلة فاعلماء في الأمم إلا كالملائكة وما السؤاس في الأمم إلا كالملائكة ظاهرا وكذئاب ووحوش باطنا فهم ذئاب يلبسون لباس الملائكة هذا هو العالم الأرضي الآن وربما يأتي زمان يصبح الناس في هذه الأرض كلهم متساوين فهم إذن يسعدون سعادة لم يحلم بها نوع الانسان . ولكن إياك أن تظن أن أهل الأرض مهمما نالوا من الاتحاد والعلوم يصلون الى منتهى السعادة في هذه الأرض بل ينالون سعادة نسبية . ألا ترى أن أهل الأرض اليوم محبوسون فيها لا يستطيعون الصعود لعالم الأفلاك وهم في هذه الأرض ولا يقدررون على الصعود في جو أرضنا إلا بطيارة

لها شرائط مخصوصة فإذا اختل شرط منها أحرقتها النار وأحرقت من فيها كما قال تعالى - يا معشر الحق والإيس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان - وإنما لم يكن لهم سلطان على ذلك لأن الأرض اليوم تجذبنا إليها بشئ يقال له الجاذبية وما هذه الجاذبية إلا نوع من المقامع المذكورة في أول السورة لأن أرضنا من عالم المادة الغليظة فلها بجهم نوع شبه فعندنا مقمع يقعدنا في الأرض ويبعدنا عن الجوّ ومقمع يؤلنا بالجوع وآخر يؤلنا بالعطش ثم بالسبق ثم بالغضب ثم بالطمع ثم بالحسد الخ فعندنا الآن مقامع تعد بالعشرات كلها تؤذينا وتقهرنا على الأعمال للضر والنفع والجلب والدفع فهي كالمقاع الحديدية في جهنم . فهانحن أولاء نحسّ بدافع يدفعنا عن الارتفاع في الجوّ نسميه الجاذبية والهواء الجوّى يضط على أجسامنا بعشرات القناطر لحفظها كما تقدم في (سورة النحل) عند قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل - الخ

نحن هنا أجسامنا غليظة لا تقدر أن نطالع الأفلاك ولأن نسيح في المشتري أو المريخ فضلا عن الشمس والجوزاء وما أشبه ذلك . أهل الأرض جميعا محبوسون فيها قد منعوا من أقطار السموات العلى لفظ أجسامهم لأن أرواحهم لا تزال طفلة فإذا ارتفعت وخفت ساحوا في أقطارها وعرفوا أخبارها . إن الله حبسنا هنا وجعل حبسنا مرقيا للمحبوسين بدليل أنه جعل محل الحبس دار أعمال فأتى لهم بجميع ما يحتاجون إليه في أعمالهم من أعمال الكسوة والغذاء والزينة . فهاهوذا زرع الأرض وشقّ أنهارها وزانها بكل جبال وكال وقال لهم هذه أرضي فهي وإن كانت سجننا لم أجعلها محل عقاب بل دار تعليم فمن لم يتعلم أولم يتهذب فأنا له بالمرصاد وعلى ذلك تكون هذه الدنيا مهما ارتقى أصحابها لا يبلغون الكمال المطلق لأن الكمال المطلق في عوالم الجنات والحد لله رب العالمين

﴿ فصل في ذكر أن كل أمة لها شريعة ونحو ذلك ﴾

قال تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا) أى لكل أهل دين جعلنا شريعة تعبدوا بها (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعك في الأمر) في أمر الدين (وادع إلى ربك) إلى توحيد (إنك لى هدى مستقيم) طريق إلى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحق (فقل الله أعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة (الله يحكم بينكم يوم القيامة) يفصل بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة بالثواب والعقاب كما يفصل بينهم في الدنيا بالحجج والآيات (فيا كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض) فلا يخفى عليه شئ (إن ذلك فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (إن ذلك) أى ان الاحاطة واثباته فى اللوح المحفوظ (على الله يسير) لأن علمه مقتضى ذاته (ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) حجة على جواز عبادته (وما ليس لهم به علم) حصل لهم بالاستدلال (وما للظالمين) الذين ارتكبوا هذا الظلم (من نصير) يدفع العذاب عنهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) لأن القرآن يبين ما يحتاج إليه فى الدين وفيه دلائل العقائد الحقّة (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار لغيظهم ولما جدوا عليه من المذاهب الباطلة (يكادون يسطون) يبطشون (بالذين يتاون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشرّ من ذلكم) من غيظكم على التالين (وسطوتكم عليهم هو) (النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) النار

﴿ لطيفة فى قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا - ﴾

لما جاء قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - وبين به كيف تجدد الأمم بأهوال الحروب ويصلح الناس وتنشأ شعوب أرقى مما قبلها كما ينشأ فى الأرض بسبب ما هطل من المطر فيها نبات على آثار النبات المهيّم الذى كان فوق الأرض أعقبه بتيان بعض ذلك كأنه مثال له فقال هانحن أولاء أرسلنا أنبياء وخلقنا أمما وقد طال الأمد عليها فقست القلوب فأردنا أن نجدد ملكنا ونحيى مدارس من

دروس الاصلاح الأخلاقي والعلمي فأرسلناك وأمرناك أن تمزق الأغشية التي غشت على العيون والأباطيل التي ربت على القلوب والحجب التي نصبت بين الخلق وبين الحق تارة بالقول وتارة بالقرآن وتارة بالحرب وسجال الطعان حتى نخرج أمة للناس وشريعة جديدة تجدد ما اندرس ونحبي ما مات من فضائلنا في خلقنا واصلاحنا لشؤونهم فجعلنا لك شريعة غير شرائعهم حديثة النشأة أوجبها الجهاد العلمي والحربي كما ينبت نبات جديد أثر المطر فتخضر الأرض لمالنا من اللطف في الجليل والصغير . فكما وصلنا الى دقائق النبات وجيليل الشجر مواهب ومحاسن وجليناها للنظرين هكذا أبدعنا شريعتك وجعلناها قائمة مقام الشرائع الدارسة والديانات المائة لنحبي الآمال ونجدد الأمم كما نجدد النبات بعد النبات والشجر بعد الشجر فكيف يجادلونك في أمر نحن قدرناه أو ينازعونك فيما اخترناه . إيمانحن قدرنا أن نجعل هذا العالم في ارتقاء كما نجدد ما اندرس ونحبي الموات فهكذا نحبي الأمم . ان الأمم من الأرض فلهم شأنها فانا نحن المنزلون مطرا والموحدون علما نحن المزجون السحب المرسلون الرسل والزارعون النبات والمجددون الأمم بشرائعها إذ لا نبات لأمة إلا بشريعتها ولا شريعة باقية ولا كتاب إلا مع رسول فكيف يجادلونك وقد ظهر الحق وأصبح البرهان واضحا على مقتضى سنن الكون المشاهد لهم وهم لا يفقهون فأجبههم ان جادلوك بأن الله بأعمالهم عليم وهل يخلف وعده ويخرم سنه ويقف حركة الأمم الأرضية المستقبلية لأناس لا يعقلون . ان الحق غالب والباطل زاهق فلتغلبن في الدنيا وليحكمن عليكم بالعقاب في الآخرة فان الله يعلم ما تفعلون وكيف لا يكون ذلك وهو يعلم ما في السموات والأرض قد كتبه في اللوح المحفوظ

﴿ بدائع القرآن ﴾

من تأمل في هذه الآيات عجب من أسلوب الكتاب العزيز فبينما نحن في حرب وجدال مع أعداء الدين اذا نحن بين الكواكب المشرقات وبدائع السموات وأضوائها المشرقات والأنوار والظلمات ثم انتقلنا الى الرياض النضرات والمزارع الخضرات والأزهار الجليات والأثمار النضرات ثم انتقلنا الى فلك في البحر جاريات ونظرة سامية الى السموات وابتهاج بحفظها وهي سائر

فهذا معرض تجلت فيه صور جميع ﴿ المواليد الثلاث ﴾ الانسان والنبات والحيوان فالحيوان مما سخر لنا في الأرض . ففي هذه السورة ذكرت المواليد مرتين مرة في أولها ومرة في آخرها حثا على النظر في الموجودات وتنبيهها أن الحرب والقتال مهد لدرس العاوم فطرد العدو من البلاد وحفظ الثغور واقامة الحدود سبيل لاقامة الامن وحفظ البلاد من الاضطراب . هنالك يتفرغ العقلاء للنظر في هذه المبدعات والتحلي بهذه المكرمات ، واني أجد الله عز وجل إذ جعل أول حياتي في الحقول فدرستها درسا سطحيا قبل أن أعرف تفسير القرآن وعجبت من بديع الاتقان وصنع الرحمن ولما اطلعت على العاوم الحديثة ودرست الفلسفة القديمة رأيت أن القرآن يصون نحو الحكمة ودراستها والحقول وفهمها والجنات وعلمها والأشجار وأنوارها والأزهار ولقاحها والثمار ومنافعها والعيون وجريانها فلتكن الحقول درس المسلمين ولتكن السموات لمنار المعلمين ودرس المفكرين والشموس والكواكب محور تعليم المعلمين - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون -

﴿ بهجة العلم ومسامرة في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر

وادع الى ربك إنك لعلي هدى مستقيم - ﴾

إن الله عز وجل جعل المناسك مختلفات ولكنها تصبح كأنها عادات عند الأمم ودين الاسلام هو الهادي الى خير المناسك . إن من ينظر ديانات الأمم وعاداتها يجداختلافا كاختلاف الألوان واللغات والأطعمة وهكذا . تذكر ما تقدم في أول سورة (طه) إذ ذكرت لك هناك قوما من السودان عند ساحل الذهب بأفريقيا في

ملكة (اشانتى) وكيف كان دينهم وعاداتهم من أشق العادات والديانات وترقب ما يأتى فى أوّل (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيرا - إذ ترى هناك قوما على نهر (نيجر) قد أسلموا وتبدلت عاداتهم بالنظافة والصلاة والعدل بعدأ كل الرم والظلم وقيح العادات . فالله يقول أيها الناس أتمم مختلفون فى أحوالكم وهذا الدين هو الهدى فاتبعوه . فهل لك أن أحادثك بما جاء به المستر (مسون) العالم الأمريكى الرحلة الشير ذكره حين رجوعه من رحلة فى أواسط افريقيا حيث قضى خمسة أعوام مقبلا بين القبائل هناك . وقد نشر بعض الأخبار عما شاهده فى هذه الأقاليم والى القارىء تعريب احداها وهى خاصة بالمرأة

(الزواج)

قال « مررت بقبائل عديدة من العبيد منهم رحلة يتنقلون من جهة الى أخرى كما يفعل العربان فى البادية ومنهم مقيم فى قرى صغيرة يننون بيوتها من القش والطين . والمرأة عند جميعهم تقوم بأعمال شاقة قلما يقدم عليها رجل حتى انى مررت بقبيلة لا عمل للرجل فيها إلا اعداد الطعام والقيام بالأعمال البسيطة فالمرأة هى التى تخرج الى الصيد والقنص فتعود بالطيور والحيوانات الى زوجها وتلقها بين يديه ليعدّها للأكل بينما تستمر هى فى العناء والتعب . أما اذا هوجت القبيلة واعتدى عليها عدو ما فان الرجال تهب حينذاك مع النساء للدفاع عن الجنس المشترك فيتناول كل واحد قوسه ونباله . على أن النساء يتولين بأنفسهن القيادة . ورايت قبيلة أخرى تعيش فيها المرأة بعكس ما ذكرت فهى لاتعد انسانا فى نظر الرجال بل حيوانا داجنا ترسله الأرواح العالية كما يسمون آلهتهم لخدمة الرجال فاذا ما وضعت المرأة طفلا يدخل اوالد عليها ويسأل من يحيط بها من النساء (ذكر أم أنتى) فاذا أجابوه (ذكر) هلل ورقص وتقدم من زوجته ووضع على عنقها قبلة والقبلة فى عرفهم أن بعض بأسنانه عنق زوجته ثم يأخذها بيده ويوقفها ويخرج بها الى الهواء الطلق حيث ينادى جيرانه من أبناء القبيلة ويطلعهم على الخبر السار مفاخرا بزوجه . أما اذا أجابوه (أنتى) فانه يغطى وجهه بيديه ويلعن امرأته وساعة زواجه بها ويخرج غاضبا ولا يعود الى مواجهتها إلا بعد أن يكبر الطفل ويستطيع السير على قدميه . هذه هى العادة المرعية عندهم . ومن أفضح ما رأيت أن الأخ يتزوج بأخته وأن الرجل الواحد كثيرا ما يتعاقد مع رجل آخر على أن يزوجه بيناته جميعهن أيا كان عددهن » أما الزواج فيتم عند تلك القبيلة بالطريقة الآتية « يوجد على مقربة منهم فى إحدى الغابات الكشيقة حيوان صغير نادر الوجود جدا يسمى (غومى) وهو من نوع من الغزلان لا يزيد حجم جسمه على جسم الخروف الصغير فيهب على الرجل الذى يرغب الزواج من احدى الفتيات أن يقدم لها هدية غزالا من تلك الغزلان فيخرج الرجل بعد الاتفاق مع والد الفتاة ولا يعود الى القبيلة إلا حاملا الحيوان المطلوب . أما اذا لم يوفق الى صيده وحمله الى عروسه فانه لا يعود الى القبيلة بل يرحل عن تلك البقعة ويبحث عن مكان آخر يعيش فيه . واذا ساعده الحظ وعاد بفرسته فانه يقدمها الى الفتاة التى تصيح بعد ذلك ملكاله يفعل بهما يشاء ويملك عليها حتى الموت والحياة . ومررت بقبيلة أخرى من عادة النساء فيها أن ينزعن عنهن الشعر سواء كان من الرأس أو من الجسم فاذا نظرت الى امرأة منهن لانتجد على جسمها كله من رأسها الى قدمها شعرة واحدة . أما الرجل فانه يترك شعره ينمو وكثيرا ما يلبأ الى دهن جسمه بمركب نباتى يستعمله القوم لانماء الشعر فترى الرجل وهو أشبه بالقرود كثير الشعر كشيده والمرأة هناك تمتاز عن أخواتها بكبرشفتيتها وضخامتها فالمرأة الجميلة هى التى تكون شفتاها أضخم من شفتى غيرها من نساء القبيلة فتراها والحالة هذه تستعمل طرقا غريبة وتستنبط الحيل لتضخم شفتيتها كما يستعمل الرجل طرقا أخرى لانماء شعره . ومن أغرب ما رأيت قبيلة لا يطلب فيها رجل امرأة للزواج بل المرأة هى التى تختار زوجها وتطلبه من أمه فاذا رضيت الأم تمّ العقد بين الفريقين ولا رأى للرجل فى ذلك . واذا كان لا يرضى بالمرأة التى طلبته لزوجها فان الزواج يعقد بالرغم منه وليس عليه إلا الطاعة العمياء . ورأيت

أيضا قبيلة من العار فيها أن تكون المرأة نحيلة الجسم كما انه من العار فيها أن يكون الرجل ضخمة الجسم بل يجب أن تكون المرأة ضخمة والرجل نحيلة . والمرأة النحيلة الجسم لا يجد من يرضى بها زوجة كما ان الرجل الضخم لا يجد من ترضى به زوجا والله في خلقه شؤون »

هذه بعض ما يختلف الناس فيه من العادات والأديان والله يقول - فلا ينازعك في الأمر وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم - اه

﴿ كيف كان مبدأ اشتغالي بالعلم ﴾

لقد ساقني لذكر هذا الموضوع تكرار الآيات القرآنية للعالم الفلكية والطبيعية فاترت أن أذكر لك أيها الذكي ماشاقني الى هذا وما أثر في النفس في أول حياتي لترى كيف أنعم الله عليك وساق لك العلم سهلا شيئا حلوا جنيا فأقول أيضا لما رمزت اليه آنفا ما يأتي

لقد كتبت هذا الموضوع في أول كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ الذي نشر منذ (٢٠) سنة فلا أذكر هنا ما أذكره في النفس من تلك الأحوال فأقول

كنت في أول أمرى مجاورا بالجامع الأزهر ثم قامت الحوادث العرابية ودخل الانجليز بلادنا فانقطعت ثلاث سنين عن العلم وكنت في أثناء ذلك أزاول الأعمال الزراعية بيدي مع من يزرعون وقد اعتراني مرض طويل في المعدة لازمني وقد كان والدي في مرض أيضا وفوق ذلك كله كنت أفكر في هذه الدنيا وأقول ياليت شعري ألهذا خالق . وهل الأنبياء كلوه انى لا أصدق إلا اذا عرفت أنا بنفسى ولا أتكلم على أحد . ان هذه الطرق الحديدية تجري عليها القطارات وليست من صنع المسلمين . فياليت شعري ماذا يقول الفرنجة الذين صنعوه . هل لهذا العالم إله أنا لا أصدق إلا اذا عرف عقلى . ان هذا العالم ليس فيه شئ من النظام . انه مبعثر . انه مختل معتل . انى أرى هذه البقرات وهؤلاء الرجال والنساء وهذه الحبات من الذرة توضع في الأرض وهذا الماء الجارى فيها وهذه المحارث التى تشق الأرض كل ذلك غير متناسب ولا منتظم فالمرأة واقفة والرجل كذلك والمحراث ممتد مستطيل من الأرض الى أعلى كأنه زاوية والثوران رؤسها الى الامام والرجال والنساء رؤسهم الى أعلى والماء يجرى على الأرض لا يرفع رأسه مثلهما . فهذه الدنيا مضطربة مرتبكة مختلة لا أرى فيها نظاما ولا احكاما واذا فقد النظام والاحكام فلا إله خالق ان هى إلا أحوال متغيرة وأمور مبعثرة ولها الاتفاق وأظهرتها المصادفات . فلما أحسست بهذه الخواطر رجعت الى نفسى وقلت ان العلماء فى الدين يقولون اننا ننظر للعالم العاوى والسفلى فهأنذا نظرت فلم أجد إلا خلاا ولم أزد إلا شكاً فلم يبق عندى أمل إلا فى أمر واحد وهو أن أوجه قلبى الى من صنعنى فان كان موجودا أجبني وهذا هو الأمر الذى أجعله نصب عيني حينئذ شممت عن ساعد الجد وأخذت أصوم بعض الأيام وأصلى بعض الليالى فكنت أجد فى ذلك لذة وسرورا وتوجهت اليه سائلا بقلب محترق . ولكم قلت يا خالق هذه الدنيا . أنا لم أخلق نفسى بل وجدت انى هكذا وانى أوجه قلبى الى ذلك الموجود الذى خلقنى واذا كان خالقا لى فهو عظيم وكبير ورحيم وأن لى جسما وروحا فلتتوجه الروح اليه ولتسأله أن أقف على الحقيقة . يا الله أنت خلقتنى فعلمنى . أوام . ومن لى بأن أقف على هذا الوجود وسرّه فأكتب ما أقف عليه لمن بعدنا حتى اذا وجد فى الدنيا من احترق فؤاده لمعرفة هذه الدنيا رأى أمامه ماجربت من الأعمال وما قاسيت من الأحوال فيهدى ولا يجد هذا العناء . وصرت أطلب ذلك فى الحقول وعلى شطوط الأنهار . ولكم دعوت فى الخلوات وناجيت فى الصلوات فى المنزل وعلى شطوط الأنهار . وتارة أحضرت تفسير القرآن للعجلالين وأقرأ تفسير الألفاظ الذى كتب هناك فأقول يارب هذه الظواهر لم أقف على سرّها أما اللفظ ففهمته فأين عجائب الدنيا . وبيننا أنا كذلك إذ وقع فى يدي كتاب جاء فيه حديث ﴿ لقد أرسلت على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبرها ويل له ويل له ثم قرأ ﷻ - إن فى خلق

السموات والأرض - الخ ﴿ فقلت هذا حسن أمن هذا الباب كان دخول الأنبياء فصرت أقف على شواطئ الأنهار وفي الحقول وأنظر الى السحاب وأفكر فيه وهذا ابتداء الهجب . وتارة كنت أجلس على شاطئ نهر يسمى (أبا الأخضر) ومعى كتاب (الجلالين) وكتاب ابن عقيل فى النحو وأطالع فى هذا وفى هذا وأقول ياسبحان الله ان القوم حولى فى الحقول لا يسمعون لابن عقيل ولاغيره فكيف أقرأ هذه الأشياء ولاشأن لها فى بلاد الفلاحين ولكن كان الوجدان يسوقنى والفكر يشوقنى . وتارة أبحث على حشرات بين الأعشاب عسى أن أجد فيها مايشم منه رائحة النظام والاحكام . وأذكر انى مرة عثرت على حشرة صغيرة مستطيلة الشكل قد خطت عليها خطوط بيض ناصعات وأخرى حرقانيات وقد كان منظر الخطوط جيلا بهيا وقد رسمت الخطوط بهيئة نظامية وان لم أكن أعرف إذ ذاك شياً من الهندسة فقلت إن صانع هذا الكون قد جعل فى هذه الحشرات نظاماً فلاأبحث عن النظام وعن الاحكام فعمى أن أوفق وتذكرت ما كنت أسمعه من الأشياخ أن العلم كله أصله فارسى لأن الأزهر إذ ذاك لم يكن كهيئته اليوم وما كنت لأظن أن أحداً فى الدنيا يعرف شيئاً من هذه الكائنات وأن الذين عرفوها قد ماتوا أيام تدهور المسلمون مع ان المدارس فى مصر كانت زاخرة بتلك العلوم وأورو بامشحونة بها ولكن التلميذ يتبع مايلقى اليه اتباع الولد لأمه والمسيحى للقسيس والمسلم للشيخ والولد لأبيه والناس جميعا محبوسون فيما يعلمون يجهلون ماوراءه بل ينكرونه ثم أخذت أطالع تفسير القرآن كل يوم ربعا وكان الجزء يتم فى ثمانية أيام وكنت أحفظ التفسير عن ظهر قلب حفظا عقليا ظنا منى أن فهمه حرام كما كان يقال إلا بتوقيف من الشيخ ثم أخذت أدرس ذلك أشهرا قليلة وأنا أدعو الله فاستجاب الدعاء ووصلت الى الأزهر ثانيا وزال خطر الاقطاع منه وآتمت العلوم التى كانت فيه على وجه التقريب ثم دخلت الى مدرسة (دارالعلوم) وكانت زاخرة بكل ما أريده ووجدت فيها كل ما كنت أصبو اليه وأنا فى الحقول وكنت أتجيب أن يكون هذا فى بلادنا وأنا عنه محجوب فوجدت أن النفوس الانسانية قد بحثت وفكرت . ولقد كنت أعتقد أن الدروس التى أقرؤها عبادات وانها خير العبادات حتى فن الرسم فكنت أرسم فى الدرس وأنا معتقد أنه عبادة لأنه مشحذ للذهن مقول العلم معلم للنظام الذى كنت أبحث عنه فى الحقل فلاأجده . كل ذلك بعد ما درست القرآن فى الأزهر الشريف على جلة الشيوخ الكبار ثم صرت مدرّسا فى المدارس المصرية الابتدائية والتجهيزية والعالية وكذا (الجامعة المصرية) أيضا فى قليل من الزمن . وفى أثناء ذلك كنت اختلس من الوقت ما أقدر عليه وأؤلف كتبا فبلغت الرسائل والكتب مايقرب من أربعين ونشرت بين المسلمين وذلك لأنى بعهدى الذى عاهدت الله عليه ولم يكن فى شئ من ذلك منى تكلف بل كان الوجدان هو الذى يسوقنى وهناك تجلت فى النفس أحوال تدعو الى النشر بين المسلمين لاسحل لذكراها الآن . وهأنا اذا أكتب فى هذا التفسير مايفتح به على . أقول وانى الآن أجد الله عز وجل إذ وصلت فى التفسير الى هذه السورة وما كان ذلك من اليسور ولا بعضه ولكن الله هو الذى أعانى وهو الذى سهل ذلك لى وان أقصى ما أردته فى هذه الحياة أن أتم هذا التفسير وأن ينشر وعند ذلك أعتقد انى أديت ما أعتقد انه واجب على ديننا ووجدانا وهناك هناك أشعر باتمام المطالب وأن ولوعى بنشر هذه الآراء كولوعى بمعرفتها فأنا اليوم كنفسى من قبل يوم أن كنت صغيرا هنالك الاهتمام بالتعليم وهنا الاهتمام بالنشر وهما فى النفس سواء بل انى أجد فى القلب شديدا الاهتمام بتأنيهما أكثر منه بأولهما . وهأهوذا أمانة فى يديك أيها الذكى وستقرأ فيما كتبه الكاتبون من الأمة الاسلامية فى الشرق والغرب فاجعل نصب عينيك هداية المسلمين - ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز -

﴿ أمة الاسلام والعلوم ﴾

هذا هو الدين الاسلامى وهأهوذا القرآن يذكر المواليذ الثلاثة فى سورة (الحجر) ومابعدها الى هذه السورة نحو ست مرات منها مرتان فى النحل ومابعدها الى هنا وهذه أورو با المسيحية فانى لما قرأت اللغة الانجليزية

واطلعت فيها وفيما ترجم من لغات أخرى ألفت العلوم هناك زاخرة وألفت صلاتهم ليس فيها شيء إلا ما يقرب من قولهم « ربنا آتنا خبزنا يوماً بيوم الخ » ووجدت أمة الاسلام هذا شأنها ودينها غني بالمباحث في العالم كله وهي غافلة نائمة . ومن عجب أن المسلم لم يدعه الى العلوم كلها القرآن فحسب بل نرى انه في صلاته يقرأ كل صباح ومساء - الحمد لله رب العالمين - والحمد هنا على التربية العاقمة للعالم كله ويكون الحمد على مقدار ما عرف الانسان من النعم والامعرفة للنعم إلا بالعلم . وترى المسلم في ركوعه يقول مخاطباً لربه ﴿ خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين ﴾ فكيف يقرأ السمع والبصر والمخ والعظم والعصب وهو يجهلها وربما مات المسلم وهو لا يدري ما عصبه ولا ماهي وظيفته . والأقرب من ذلك قول المسلم في السجود ﴿ سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره - تبارك الله أحسن الخالقين - ﴾ فكيف يعرف انه أحسن الخالقين وهو يجهل تشريح العين وطبقاتها السبع ورطوباتها الثلاث ويجهل طبقات الأذن وما فيها من المجائب . أما العائمة فهم مشغولون فكيف ينال الخاصة . وكيف ينال الأذكى . وكيف تكون صلاة المسلم حادثة له على علم التشريح وعلى علم وظائف الأعضاء وعلى علم الحس والمحسوس وهو لا يحس بهذا كله . أنا لا أقول ان الجهل بهذا يخرج عن الدين . كلا . فان رجة الله واسعة وليست تسع المسلم وحده بل تسع جميع الناس والحيوان وكل مخلوق ولكن المقام مقام ارتقاء العقول والشعوب بقدر الامكان . يقول المسلم عند الرفع من السجود ﴿ سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ﴾ وهذا هو كل العلوم فالعالم كله ليس شيئاً سوى هذه الأربعة فهذا حيث على تعليم هذه الدنيا إن الدين الاسلامي دين حكمة وشريعة . دين يأمر بجميع العلوم . وها أنا ذا أدت ما على من النصح وتركت الأمر لمن بعدنا وسنفرق الدنيا وسيقوم بهذا رجال ذوو عقول كبيرة ونفوذ وشوكة بين المسلمين وسيقبلون نظام الدنيا ويمثلونها حكماً وعدلاً - ولتعلمن نبأ بعد حين -

﴿ فصل في ضرب المثل بالذباب والأصنام ﴾

قال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل) بين لكم حال مستغربة أوقصة راتقة (فاستمعوا له) لبيانه وأتم متفكرون فيه (إن الذين تدعون من دون الله) من الأصنام (لن يخلقوا ذباباً) لا يقدر على خلقه مع صفه وضعفه (ولو اجتمعوا له) أي خلقتهم وإذا كانت هذه الأصنام تهجز مع اجتماعها عن خلق أضعف المخلوقات فكيف تعبد وهل يعبد إلا الخالق (وإن يسلبهم الذباب شيئاً) من الطيب الذي كان العرب يضعونه على الأصنام أو الطعام الذي يضعونه بين يدي الأصنام فيقع الذباب عليه فيأكل منه ويسلبه (لا يستنقذوه منه) لا يستنقذوا ما يختطفه من طيبها ومن الطعام الذي بين أيديها فهي لم تهجز عن خلق الذباب فحسب بل الذباب سطا عليها فسلب ما جمعت به فججزت عن دفع أضعف مخلوق (ضعف الطالب والمطلوب) الذباب والأصنام فالذباب طاب لما سلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم للاستلاب منه وهو عاجز (ما قدروا الله حق قدره) إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب الذي هو أضعف الخلق ونظير هذا قول الشاعر

فلو اتى بليت بهاشمي * خولته بنو عبد المدان

لهان على ما ألقى ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ثم قال تعالى (إن الله لقوي) على خلق كل ممكن (عزيز) لا يغلبه شيء أما الأصنام فانها لا تقدر على خلق أضعف الأشياء وهي من النلة بحيث يغلبها أضعف المخلوقات فلا قوة لها إن الله قوي عزيز فلم يكن لمخلوق أن يكلمه وكيف ينسئ للمخلوق التكلم مع الخالق عظيم القوة رفيع الجانب إلا اذا تحلى بالفضائل وتناهى في الكلمات فهناك يستعد للأخذ عنه والتلقى منه كالملائكة والأنبياء فالأولون رسل للآخرين لأن العلم لله وهو منزله عن المادة وهو يلقيه الى الملائكة والملائكة يوصلونه الى الناس بأذن الله تعالى . فهذا تقرير لقدرة الله

وعظمته وأن الكفار ماقدروه حق قدره لذلك قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) ليدعوا سائر الناس الى الحق والاستقامة والارتقاء وهؤلاء يقتدى بهم الناس ليخرجوا من الجهالة الى أعلى الدرجات في العلم لاهذه الأصنام التي زعمتم انها شافعة لهم عند الله . فالأصنام حجيرية والملائكة أجسام نورانية أقرب الى الله من أكثر البشر وهم يعلمون الأنبياء الذين هم صفوة الخلق وبهذه الوسيلة ينشر الدين وهناك تكون الشفاعة بعد انتهاج خطة العلم فأين الثريا وأين الثرى وأين الأجسام الكشيفة من الأرواح الشريفة (إن الله سميع بصير) يدرك سائر الأشياء (يعلم ما بين أيديهم) ماقدّموا (وما خلفهم) وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون (والى الله ترجع الامور) فى الآخرة (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى صلوا (واعبدوا ربكم) وحدوه وأخلصوا له (واقبلوا الخير) صلوا الأرحام وتحلوا بمكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة (وجاهدوا فى الله) أى من أجله أعداء دينه ممن يسطون على المؤمنين من الأمم ومن الشهوات الكامنة فى النفوس والجهالة التي تحصر الدين فيما لا يؤدى الى سعادة المؤمنين (حق جهاده) أى استفراغ الطاقة فيه * قال ابن عباس ﴿ لا تخافوا فى الله لومة لائم فهو حق الجهاد ﴾ وقال أكثر المفسرين أن يكون بنية صادقة خالصة ولتكون كلمة الله هى العليا واستدلوا بحديث الصحيحين ﴿ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ﴾ ولما كان جهاد النفس أحد الجهادين بل هو الجهاد الأكبر لأنه لاجهاد لعدو من لم يتصف بصفة الشجاعة والشهامة وهذه لانكون إلا بأخلاق راقية ولذلك قال رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ﴾ ثم قال تعالى (هو اجتباكم) اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته ولنصرته (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى ضيق ففتح باب التوبة لمن أذنب برد المظالم للظالمين والاستغفار ورخص فى المضائق لهم وشرع الكفارات والديات فى حقوق العباد إن الله وسع دينكم توسعة (ملة أبيكم ابراهيم) وانما كان أبانا لأنه أبو نبينا ﷺ والنبي أب لأمته لأنه أحياهم حياة روحية (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن فى أيامه. (وفى هذا) القرآن لأنه جاء فيه قول ابراهيم - ومن ذريتنا أمة مسلمة لك - فهذه التسمية التي ذكرها من قبل جاءت فى نفس القرآن بسبب تسميته قديما وقوله تعالى (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بأنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) متعلق بقوله - وجاهدوا فى الله - الخ وما بينهما اعتراض . وقد تقدم فى سورة البقرة أن ذلك يلزم المسلمين أن يكونوا أمة أرقى الأمم أخلاقا ومعارف وعلوما وحكمة وعدلا ونظاما حتى يكونوا شهداء على الناس والشاهد عالم بما عند المشهود عليه مطلع على أحواله حتى يفصح عن شهادته ويقدمها . وهذه الأمة الاسلامية قد أخذت دورا مهما من تلك الشهادة وسيرجع لها دورها أوفرمما كان ويقوم فيها حكماء وعلماء يدرسون الأمم ويعرفون دخالها ويكونون مصلحين لما اعوج من أخلاقها سواء دخلت تلك الأمم الاسلام أم لا وشهادتهم عند الله يوم القيامة يسبقها العلم فى الدنيا بالمشهود عليه والعلم لا بد أن يكون عن حقيقة فنحن شهداء على الأمم والنبي شهيد علينا « ليكون شهيدا على الأمم طبعا ، والله شهيد على النبي وعلينا وعلى الأمم . فالله شهيد والنبي شهيد ونحن شهداء . فانظر الى هذه الصفة الحسنة . وصف الله فى القرآن انه شهيد فالله شهيد على ما يفعل جميع الناس مطلع عليهم والنبي ﷺ شهيد على أفعالنا ونحن على أفعال الأمم . هذا هو الذى ينتج من جهاد المسلمين فهم يجاهدون جهادا علميا وجهادا عمليا وجهادا خلقيا ليكونوا متخلقين بأخلاق الله أى مرشدين للأمم نافعین للعباد يرشدوهم اذا رأوا منهم تقصيرا كالأنبيا للأمم وكما يفعل الله مع الأنبياء . ولقد كان المسلمون فيما مضى سبب انتشار العلوم العقلية فى الأمم وهم السبب فى اسقاط هيبة وسلطان رؤساء الدين على الأمم حتى أدلوهم فلماذا نشطت المدنية فهذا مما جاء من لوازم الشهادة لأن الشهادة عن علم . ولما علم المسلمون سابقا أحوال الأمم فى دينها أخذوا يذكرون لهم بطلان تقاليدهم فزال كثير منها . وعسى أن يكون فى الأمة بعد حين أم أعلى من معاصريها

فيكون درسهم لأحوال تلك الأمم وتقدم لعقائدها ونظاماتها ومعاملاتها مع بعضها بمثابة تحمل الشهادة الذي يسبق أداءها عادة وبهذا ينمو في تلك الأمم شرف المقاصد وجلال الأعمال . ثم قال تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما خصكم به من أنواع الفضل والشرف فمن حق من أشرف على قوم أن يكون خيرهم وأتم جعلكم الله أشرف الأمم فليس من اللائق أن تكون أوروبا المسيحية هي المشرفة على العالم الانساني . كلا بل يجب أن تكون الأمم الاسلامية في الأرض هي التي تشرف على العالم الانساني بالحكمة والعلم والاخلاق والعناية بالأمم وتكميلها وارشادها واسعادها والوصاية عليها فان الرسول شفيق بأتمته التي هو شهيد عليها فلتكن أمته التي هي شهيدة على الناس ذات علم وشفقة على العالم الانساني تعلمه وتحمي الأمم المظلومة سواء أكانت على دينها أم على غير دينها لأن رسولنا شهيد علينا وهو بنا شفيق رحيم فانك نحن شهداء على الناس ونحن لهم مصلحون معلمون مرقون مهذبون أكثر مما فعل آباؤنا الأوثلون . ولما كان ذلك قد يكون فيه ريب فيقال كيف نكون شهداء على الناس وقد مرّ على المسلمين زمان ضعفت فيه شوكتهم ذكر ما يزيد ذلك الشك فقال (واعتصموا بالله) وثقوا به في مجامع أموركم (هومولاكم) ناصركم (فنعن المولى ونعم النصير) فلامثل له في الولاية والنصر بل لامولى ولاناصر سواه . وفي ذكر ابراهيم في هذا المقام وانه سمانا المسلمين وانا نكون شهداء على الناس تذكير بما جاء في سورة البقرة إذ جاء فيها - لتكونوا شهداء على الناس - واذا قرأت ما كتبتنا هناك علمت كيف كان عليه السلام مشغوقا بالعلوم الفلكية والطبيعية . ففي ذكر ابراهيم هنا اشعار بذلك فهو سمانا مسلمين وهو نفسه كان مغرما بالعلوم الطبيعية والفلكية فاذا سرنا على منواله سعدت بنا الأمم وكنا شهداء عليها (انظره في سورة البقرة)

﴿ لطيفة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ ﴾

ربما يظن المسلمون أن هذا المثل للكفار وحدهم وأن الله يقول لهم أتم عبدتم الأصنام والأصنام في غاية الضعف وأحقر مخلوقاتي كالذباب سلب منها طيبها وطعامها والصنم لا يقدر على دفعها عنه وعلى ذلك أتم تعبدون أضعف شيء فليس بقادر على أن يخلق أضعف مخلوق بل أضعف خلق يسلبه وهو لا حراك له بل لا يحس ولا يعقل . يقرأ المسلم هذه الآية ويظن انه خرج منها لاله ولا عليه . كلا . إن المسلم واقع في شرك هذه الآية مخاطب بها كما خوطب الكافر بالله . يقول الله هذا الذباب أضعف مخلوقاتي وقد اختطف من الأصنام طيبها وما كلفها وهي ضعيفة والعاقل يفكر فيجد هذا المثل فتح باب علم الحيوان . فتح باب الحكمة . ألم تركيف كان الذباب مسلطا علينا كما هو مسلط على الأصنام . أليس الذباب يسلبنا بعض ما نملك كما يفعل بالأصنام ألسنا نحن ضعافا أمام هذا الذباب . أليس هذا الذباب إذا أحسن فينا بقدر في أعيننا أورأى رطوبة في منازلنا أو طعاما بين أيدينا انقض على أعيننا فوضع فيها بيضه فأفرخ البيض دودا والدود يعنى العيون أو يضعها أليس الذباب ينقض على طعامنا فيضع فيه بيضه فيكون أذى للآكلين وفيه مادة سمية من ذلك الذباب لأن الله خلقه من المواد القذرة التي تراكت في المدن ليصلح الهواء . أليس ذلك داعيا لدراسة علم الذباب وعلم الحشرات وعلم الحيوان لتعرف ما فيه من المضار والمنافع لتحتس من الضر وتأخذ النافع . إن الله لم يذكر هذا المثل اعتباطا بل ضر به لتعليم المسلمين . إن القرآن يقرأ لنا الآن ونحن نسمعه فلسنا مشركين بالله كلا . ولكننا جاهلون بنعمته والجاهل بالثمن محروم منه مبعده عنه وأوروبا سبقتنا بهذه العلوم فسلطها الله علينا فلندرس تلك العلوم

﴿ درس من كتاب انجليزى مترجم عن الفرنسية على الذباب ﴾

هذا هو الدرس الذي يليه المعلمون في العالم الغربي على تلاميذهم وبعض المسلمين لاهون ساهون نائمون لا يعلمون أن ديننا يأمرنا بدرس هذه الموالب من كتاب ﴿ العلوم الطبيعية ﴾ تأليف (بول بيرت)

المطبوع سنة ١٨٩٠ م . يشرح الاستاذ معلما لتلاميذه صفحة (٩) من الكتاب وما بعدها . خاطب الاستاذ تلميذا قائلاً : أرى فرق بين الذبابة والحصان . فأجاب الحصان كبير والذبابة صغيرة . فقال الاستاذ حسن . ولكن ليس المدار على الحجم صفرا وكبرا فقد نرى الحصان صغيرا والذباب كبيرا عند الاستعانة بالمنظير المكبرة وتسليطها على الذباب فيرى انه أكبر من الحصان وأمثاله . فأجاب تلميذ آخر . كلا . إن الذبابة لها جناحان والحصان لا جناح له . فقال الاستاذ لقطع الجناحان والذبابة حية أفليس الحصان إذن كالذبابة . فما الفرق . فقال تلميذ آخر . كلا . بل الذباب لا شعر له والحصان له شعر . فقال الاستاذ أوافق أنت بما تقول . امسك بالذبابة وانظر اليها بهذه الزجاجية . انظر الشعر عليها فلها شعر كما للحصان . فقال آخر إن الذبابة لها ستة أرجل والحصان له أربعة أرجل . فقال الاستاذ هذه ملاحظة مهمة ولكن أليس يجوز أن تكون الذبابة قد فقدت رجلين كما فقدت الجناحين . فأبى فرق إذن بينها وبين الحصان . حينئذ جاء دور الاستاذ فقال اضغطوا على الذبابة فضغطوا عليها فلم يبق إلا الجلد والأرجل والجناحان . قال لهم . فأما الحصان فانه لو وقع البيت عليه فتهشم فاننا نجد أن الحصان فيه مواد باقية صلبة فأما الذبابة فلم نجد من هذه شيئا فيها وهذه المواد الصلبة هي العظام إذن يكون الحصان وأمثاله حيوانات ذات عظام ولها هيكل عظمي يحفظ البدن ولها مادة ملونة وهو الدم ذلك لأن الذبابة لم نجد فيها تلك المادة الملونة فتكون النتيجة هكذا إما أن تكون الحيوانات فقيرة لها هيكل عظمي واما أن لا تكون كذلك . فذات العظام يلاحظ أن لها دما والتي لا عظام لها لادم لها ، ومن هذا الدرس السهل قسم جميع الحيوانات أى من تشرح الذبابة وتشرح الحصان . واستمر الاستاذ يلقي الدروس حتى شرح الحيوانات كلها . ولأخلص لك الكتاب كله في موجز من اللفظ لترى عجائب القرآن - ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا - من الجاهلين الذين لا استعداد عندهم - ويهدى به كثيرا - من العلماء المفكرين

﴿ أقسام الحيوان أربعة ﴾

(القسم الأول . الحيوانات الفقرية) وهي التي ذكرناها الآن وهذه تشمل
 (١) الانسان (٢) وذوات الأربع (٣) والطيور (٤) والزواحف (٥) والسماك
 فهذه الخمس هي أقسام الحيوان الذي اشتمل على هيكل عظمي وفقرات ودم . فالانسان والبهائم من الخيل والبغال والحير والأنعام من الإبل والبقر والغنم والسباع كالذئب والكلب والطيور الجارحة وغيرها الجارحة والزواحف كالحيات والعقارب والسماك في البحر وهو معروف . كل هذه لها عظام ودم ولكل نوع من هذه أصناف كثيرة ﴿ القسم الثاني . الحيوانات الحلقية ﴾ أى التي تركب جسمها من حلقات مجتمعات منضجات يكون منها جسم هذا الحيوان وهذا القسم أنواع وهي

(١) الحشرات (٢) والعناكب (٣) وذوات الأرجل الكثيرة (٤) والحيوانات القشرية (٥) والدود
 أما الحشرات فهي ما كان لها ستة أرجل ولها إما جناحان كالذباب الذي هو أصل الدرس واما أربعة
 أجنحة كأبي دقيق الذي يعيش في بلادنا المصرية ويكون منه الدود الذي يفسد شجر القطن وهذا سلينا قطننا
 فلذلك يدرسه الناس الآن في مصر بعض الدراسة . وهناك حشرات أخرى لها أربعة أجنحة تسمى باللسان
 الافرنجى (درا كوفلاى) . وأما العناكب جمع عنكبوت فهي ما لها ثمانية أرجل ضعف ما لذوات الأربع
 وأما ذوات الأرجل الكثيرة فهي ما قد تصل أرجلها الى عشرين زوجا من كل ناحية عشرون رجلا ويقال
 لها في بلادنا المصرية (أم أربعة وأربعين) . وأما الحيوانات القشرية فهي تشمل قراض الخشب وحيوانا
 يسمى (كرايفش) باللسان الافرنجى وهو مركب من حلقات مدججة قوية . وأما الدود فهو يشمل دود
 الأرض والعلق وهذاان رؤسهما متصلتا بجسمهما وليس لهما أرجل وليس جلد لهما صلبا قشريا كالجلد (كرايفش)
 ﴿ القسم الثالث ﴾ من الحيوانات الهلامية التي جسمها أشبه بالفالودج الذي هو نوع من الأطعمة ومن هذا حيوان

يسمى (القوقعة) وهذا الحيوان جسمه يكون من هذا الهلام . وقد أعطى وقاية من المحار تقيه العاديات والمهلكات وهي معدة كمنزل تسكن فيه . ومنه حيوان يسمى باللسان الافرنجى (ميوزل) وجسمه محفوظ بين صدفتين من المحار . فهذا القسم وهوالثالث من أقسام الحيوان لاعظم له فليس من ذوات الفقرات ولا حلقات له فليس من ذوات الحلقات فهو إذن حيوان هلامي (القسم الرابع . الحيوانات الشعاعية) وهذه منها ماهو على شواطئ البحار المسمى (سمك النجم) ومنها ماهو في البحار يعيش كهيئة مستعمرات مكونة من تلك الحيوانات الصغيرة ومن اجتماعها تتكون أجسام صخرية وقد تتكون منها جزائر . فترى هذين النوعين يختصان (بأصوين * الاول) أن لهما فم مركزيا يشاهد في الوسط (الثاني) أن الحيوانات حول ذلك الفم ترجع الى حلقات ضوئية تحيط بذلك الفم أو المدخل . ثم ان مشاهدة صورتها تدخل في النفس عجبا فان (سمك النجم) تراه على هيئة بهجة ذات خمسة فروع تحيط بمركزها وتلك الفروع كأنها أصابع الانسان وذلك الوسط كالكف وكل أصبع من هذه الأصابع محلى بأهداب تغطيه وفي أصول تلك الأهداب تشاهد نقطا مضيئة كأنها مصابيح لامعة على طول تلك الأصابع وهذه صورته (شكل ٥)



وهناك أيضا الحيوان المسمى باللسان الافرنجى (بوليا) فانك ترى الفم المتقدم أو المدخل ليس متسعا كما في سمك النجم بل تراه نقطة صغيرة تحيط بها حيوانات لاحصر لها مجتمعة بهيئة ثمان ورقات جيلاوات ذات شعاع جيل وهذه صورته (شكل ٦)

(شكل ٥ - صورة السمك النجمي)



(شكل ٦ - بوليا)

أما الحيوانات التي تتكون كهيئة مستعمرات وتكون في وسط البحار فهي حيوانات جسمها مكون من كتلة هلامية ليس لها أعضاء متميزة وتفرز رواسب حجرية تأخذ شكل نباتات ولذا تسمى (الحيوانات النباتية) وتسكن قاع البحار وأشكالها مختلفة وبعضها يستعمل في الصنائع وذلك كالمرجان والاسفنج فالمرجان حيوان معروف يستعمل حليا وتفرزه حيوانات اخطبوطية لتسكن فيه وهو يشبه شجرة عديمة الأوراق وهو كثير الوجود في البحر الأبيض والأحمر مثبتا على الصخور وتكون الحيوانات على المرجان كأزهار وهذا هو الذي حل العلماء قديما أن يعتبروه نباتا زمنا طويلا وهذه صورته (شكل ٧)



(شكل ٧ - رسم المرجان)

هذه أقسام الحيوانات التي خلقها الله وبنها في الأرض وجعلها درسا لنا . وقد نقلت لك عن الفيلسوف (اسبنسر) انها تبلغ نحو مليونين أعني ألف وهذا العدد هو المقسم على هذه الأنواع فنه ذوات الهيكل العظمي وهي الحيوانات الفقرية ولها دم وهي الانسان وذوات الأربع والطيور والزواحف والأسماك . ومنه ذوات الحلقات وهي الحشرات والعناكب وذوات الأرجل الكثيرة والحيوانات القشرية والدود ومنه الحيوان الهلامي كالتقواقع التي على شواطئ البحار . ومنه الحيوان الشعاعي الذي ترى أطرافه لامعة حتى سمي (سمك النجم) . فهذا مجمل هذه المخلوقات . انظر كيف ذكر الله هذا المثل ونادى الناس جميعا والمسلمون من الناس طبعاً فنحن من الناس واذن هذا النداء لنا . يقول الله - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - يا عجباً هل الله يقول استمعوا له إلا اذا كان المثل عجيباً وفيه علم كثير . قال الله في هذا المثل - فاستمعوا له - وقال في القرآن - واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا - فكان الله أمرنا باستماع القرآن كله وأمرنا باستماع هذا المثل على الخصوص ثم أورد هذا المثل . نحن نسمع القرآن لنقرأ فيه علماً . و«نحن أولاء قد سمعناه وسمعنا آباءنا فكانوا من ممالك عظيمة وهي الدولة العباسية والأموية وغيرهما قديماً وهكذا الدولة الأفغانية والفارسية حديثاً وعسى أن يلحق بهما بقية الاسلام . ومن استماع القرآن كان علم الفقه الذي تشعبت مذاهبه فاذا استمعنا لهذا المثل فماذا نصنع به . ندرس الحشرات ودرس الحشرات يستلزم دراسة الحيوان كله ودراسة الحيوان فيها سرّ الربوبية ومجائبها وحكمها والمواهب التي أسديت اليها وبها ارتقاء العقول وبها ارتقاء الدولة كل ذلك من دراسة الذباب . الذباب الذي ألف كتاب الحيوان كله على التمثيل به والله مثل به ليقول انظروا خلقي . فكانه لما ذكر المواليد مراراً وكررها في هذه السورة مرتين أتى هنا للحيوان بمثال وهو الذباب النشط ذو الأرجل الستة والجناحين

﴿ جوهرة في قوله تعالى - وان يسلبهم الذباب شيئاً - أيضاً ﴾

كيف يسلب الذباب منا ومن الأصنام طعامنا كالعسل وغيره وهو صغير . وكيف ترى عيناه تلك الدقائق قسطظها لأن الخطف لا يكون إلا بعد العلم وعلمها بنظرها فهل تقدر على ذلك النظر . ثم ان الذبابة شديدة الحرص فن أين أقبلنا عليها لنذبها عنا طارت حالاً فكيف كان ذلك مع ان الانسان منا لا يرى إلا ما أمامه وستأتي الاجابة على هذا السؤال قريباً هنا . وذكر الذبابة هنا وهي من نوع الحشرات مقدمة لذكر أمثالها كالنمل الذي سيأتي ذكره قريباً والعنكبوت الذي سيذكر بعده فالنحل والذباب والنمل المذكورة في القرآن من الحشرات وقد عرفتها والعنكبوت نوع آخر ليس من الحشرات بل هو مستقل ولذلك ذكر بعد ذكرها مستقلاً . أما بقية الحيوان فأكثرها مذكور في القرآن اجالاً وما لم يذكر فهو في قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - ثم أمرنا باقتفاء آثار العلماء لنعلم الأشياء فقال - وقل رب زدني علماً - وقال - وفوق كل ذي علم عليم -

﴿ روضات الجنات ومناهج الحكمة في قوله تعالى أيضاً - وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه

منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز - ﴾

اللهم أنت المحمود على نعمة العلم والحكمة التي عشقناها وتمتعنا بها في هذه الأرض إذ هي رياض غناء لأولى الألباب . أينما أدرنا العين ووجهنا وجوهنا نرى إحصاءاً وهندسة وبهجة وجمالاً . اللهم لست أقول هذا تقليداً ولا تزويقاً . ولكني أقول الآن والفؤاد مفعم بالبهجة والحكمة . يرى أكثر الناس الجمال في الورد والزهر والتمر وأنواع الحدائق الغناء ولا يتعدى نظرهم الجمال الظاهري وهانحن أولاء نراه في كل مكان - فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم - نراه في المواضع التي يأتيها الانسان أن ينظر اليها وفي الذباب والحشرات الطائرات . تلك الحشرات التي خلقتها لتطهير الأرض من الرطوبات وأنواع العفونات حتى لا ييم

الطاعون والوباء والأمراض القتالة نخلت تلك الحشرات وجعلتها ملطفة للجو مبعدة للمرض إذ تستحيل تلك المواد العفنة الى أجسامها الحية فينقلب الضرر نفعاً والموت حياة ولكن جاء في الحديث ﴿ كل أم يتبعها ولدها ﴾ فهذه العفونات والرطوبات مع انها استحالّت الى أجسام تلك الحشرات حفظت ما كانت عليه من الاضرار إذ لامعطل في الوجود فتحول ضررها العام ووبؤها في تلك الحشرات الى ما فطرت عليه تلك الحشرات من أنها تنقل المرض من زيد الى عمرو فتعمى الأبصار وتورث الوباء والطاعون وأنواع الأمراض المختلفة الأخرى . ذلك شأن الحشرات كالذباب المذكور في الآية فهي نعمة تدفع الأذى ولكنها تكون رسلاً بين المريض والصحيح وسفراء بين الأحياء فتنتقل الأمراض وتعطى العدوى وتعمها . هذه وظيفة الحشرات . فإذا كانت هي مخلوقة من القاذورات متغذية بها عاكفة عليها فهي صالحة لحفظ خواصها وهي الاهلاك والابادة والشئ من معدنه لا يستغرب وهي من عناصر اختصت بالاهلاك واحداث المرض فهي تكون قيمة على ما خلقت منه قائمة بشأنه مساعدة لإبادة الأحياء فوق هذه الأرض وتشارك الحيات ونحوها الحشرات في انها مخلوقة من القاذورات والرطوبات فهي تكون سامة اذا كانت أمكنتها قنطرة ضارّة وتكون غير سامة اذا كانت أمكنتها التي تعيش فيها غير قنطرة ولا رطوبة فيها وهذا عجب فانها ان تغذت باصول نظيفة زال منها السم وان تغذت بأغذية قنطرة مننتة تضرّ بالصحة كان في جسمها السم وأضرّت بالناس . إذن ليست كل حية سامة . فالسم نتيجة الأغذية إذن الأغذية هي التي تنتج النتائج التي تضرّ والتي تنفع فلما كان الذباب كله ضاراً كان سببه أن غذاءه كله من العفونات والرطوبات كالحيات السامة لاغير

﴿ بيان أوصاف الذباب والحشرات وكيف كثرت وكيف سلط الله عليها مهلكاتها ﴾

الحشرات كلها لها ستة أرجل وأجنحة وأنبو بتان ممتدتان عند رأسها بها تتفاهم مع غيرها ولكل من هذه الحشرات رأس و بطن وصندوق وهي تبيض كما يبيض الطير ولكن الفرق بينهما أمور منها (١) أن الطير تحضن بيضها وتعنى بأطفالها . أما هذه الحشرات ومنها الذباب الذي نحن بصدد الكلام عليه منه ما يعنى بيضه كالطيور وذلك كالنحل والنمل ومنها ما لا يعنى بيضه بل يتركه ولا يعرف أين تفقس ذرّيته كالذباب والجراد . فهذان النوعان وأمثالهما يتركان بيضهما ولا يلزمان بحفظه بل تقوم بحفظه العناية الإلهية في البرّ والبحر

(٢) ومن الفرق بين الطيور والحشرات أن الطيور يخرج جينها من البيضة مباشرة تام الحلقة والأعضاء مثل ما ترى في السجاج والحمام والعصافير فهذه تخرج ذرّيتها من البيضة تامة كما كانت آباؤها . أما الحشرات كالزناير والذباب والنحل والنمل فهي على غير هذا النمط . ذلك انها تخرج من البيض أشبه بدود صغير جدا وهذا الدود يتنحى من جلده مرات متعدّدة ويكون ذا أطوار في خلقه ويأكل أكلًا بشراهة وينتهي ذلك بأن ينسج على نفسه نسجاً حريراً قليلاً كما كثر الحشرات أو كثيراً كدود القز وتنام تلك الدودة مدة ثم تخترق تلك الكرة التي نسجت على نفسها وتخرج حشرة تامة كأماها . هذه هي الحشرات وهذه درجاتها في خلق ذرّيتها

﴿ ادخار الحشرات وعدم ادخارها ﴾

وهناك تخرج الذرّية في الجو ومنها ذرّية الذباب فتأكل من هذه المائدة التي نصبها الله لها وهي المواد الرطبة كما قدمنا والعفونات في كل مكان . فالرزق لها موفر والغذاء حاضر لا يكلفها نصيباً ولا مشقة . وليس للذباب عناية بخزن أرزاقها ولا تحمل مؤنة لها ولا تفعل ما يفعله النحل والنمل فهذان فطرهما الله على حب الادخار كالانسان . ذلك أن الذبابة والجرادة والناموسة وأمثالها لا تعيش للعام المقبل فلم يضع الله في فطرتها الادخار . أما النحل والنمل والناموس فانها لا تعيش للعام المقبل فانها ان سلمت من المهلكات لها الآكلات

لأجسامها لم تسلم من برد الشتاء المهلك لأجسامها المريح لأهل الأرض من إيذائها وحملها الأمراض وتوزيعها على الناس ومساعدتها على إهلاك الأحياء على هذه الأرض . ثم إن الذباب والجراد والناموس وأمثالها قد امتلأت الأرض بأرزاقها فلا حاجة للادّخار . فهذان سببان من أسباب عدم ادّخار الذباب وأمثاله للقوت تباركت يا الله . إنك لم تعط إلا بقدر . أعطيت النمل غريزة الادّخار ولم تعطها الذباب . فالاعطاء بحكمة والمنع بحكمة ولديك ملأت بهذه الحشرات البرّ والبحر والسهل والجبل - إن ربّي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

﴿ العنكبوت والطيور والنبات الحيوانى ﴾

تباركت يا الله . أكثرت من الذباب وأمثاله من الحشرات وجعلته ملطفا للرطوبات مقللا لها ثم إنك لم تدره يفسد فى الأرض بما بقى فى طبعه مما استمدّ من غذائه بل خلقت الطيور وأنواع العنكبوت والنبات الحيوانى وأمرتهم أن يتغذون من هذه الحشرات الطائرات تخفيفا للرض وتقايلا للألم . عجبا يا الله خلقت العنكبوت كما سيأتى شرحه قريبا عند قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فى (سورة الفرقان) وأمرتها أن تنصب خيامها وتفسج نسيجها وقات لها أيتها العنكبوت اصطادى من الذباب مائشائين وكنيه فى بيوتك إنك ذات صناعة والذباب لاصناعة له ولا حيلة فكليه هنيئا مريئا . ولقد خلقت أيضا النبات الحيوانى المتقدم شرحه ورسم صورته المتعددة العجيبة فى (سورة الرعد) عند قوله تعالى - يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل - فهناك أنواع من النبات مرسومة مشروحة مبين فى شرحها أنها لا تخلق إلا فى المستنقعات والبرك والأماكن القذرة وقد جعلت مهياة لصيد الذباب . ذلك الذباب الطائر القوى الذى أعطى الله كل واحد منه أربعة آلاف عين صغيرة كل عين منها مستقلة بحيث لو نظرها الانسان بالمنظار العظيم لراها كهيئة عيون الغربال كثيرة تبلغ هذه الآلاف فالعين الواحدة مقسمة عيونا على هذا النمط . فهذه الحشرة مع قوتها وعيونها وأجنحتها يصطادها العنكبوت التى لا أجنحة لها والنبات الصياد الذى لا حول له ولا قوة وإنما أمده الله بالعسل فى داخله وفتح فيه نوافذ أشبه بالمقاصير والقصور وجعلها مسواة مهندمة مصقولة تنزلق الأرجل اذا لامستها وفيها من الداخل مواد سامة حتى اذا جاءت الذبابة وقد رأت ظواهر النبات جميلة الأشكال حسنة بهية ذات رائحة جميلة تقدمت إليها ودخلت فى دهاليزها لتشرب عسلها الذى رأت منه بعضه على أبواب تلك الحجرات فلاتمشى بعض خطوات حتى تنزلق أرجلها وتغمس فى سائل يفرج جسمها فيقتنصها النبات ويهشمها ويهضمها بالمادة الهاضمة التى وجدوها فيه تشبه المادة الهاضمة فى معدة الانسان

فيا عجباً . نبات ثابت فى مكانه يصطاد ذبابا سميعا بصيرا طائرا فى الجوّ وعنكبوت لاجنح له جعل طعامه من الذباب الطائر رجة بالبلاد والعباد . هذه قصة الذباب المذكور فى الآية إذ يقول الله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب - أما الطالب فهو الذباب وأما ضعفه فهو مع ما أعطى من الأعين ومن القوة والأجنحة ووفرة الرزق فى الدنيا ورغد العيش قد التقطه الطير وأكاه العنكبوت التى بيتها أو هن البيوت . فالعنكبوت ذات الثمانية الأرجل أكلت الذباب ذا الستة الأرجل والأجنحة فهو أخف حركة من العنكبوت . ومع ذلك صار طعاما لها وهكذا النبات الحيوانى الذى جعله الله خاصا بأكل الحشرات لتنظيف الأرض من الذباب وأمثاله ، الذباب ضعيف لأن الذى يبتئ أو هن البيوت اصطاده والنبات الذى لا قوة له اصطاده وأبى ضعف بعد ذلك . فهذا الذباب مع هذا الضعف كله غلب الأصنام فأكل ما عليها من الطيب وذلك بحمدته بصره ونفوذه . فانه يقول من ذا يقدر أن يخلق هذا الذباب الضعيف ومن ذا الذى يقدر أن يحكم النظام فيجعل تلك الحشرات مخلوقة بقدر بحيث تكون لغاية وهى تقليل الرطوبات ثم هو يصير طعاما لغيره ويكون بيضه بقدر وقد أعطى

غريزة هو وأمثاله كالناموس والجراد انه لا يضع البيض إلا في مكان يصلح لأن تعيش فيه ذريته متى فقست فهو وان لم يربّ الذرية قد حرص عليها قبل وجودها فوضع البيض في الأماكن التي منها تقتدى بعد فقسها فن هذا الذي يقدر أن يعلم هذا كله ويخلق هذه الخلائق ويعطيها آلاف العيون التي لا تدركها الأبصار وهي تدرك مادق من المواد الصغار . فهل تخلقها هذه الأصنام التي لا تسمع لها ولا تبصر ولا أجنحة ولا حياة هذه يا الله عجائب الذباب الذي خلقته ونشرته في الأرض - ليهلك من هلك - بالأمراض منه - عن بيته ويحيا - بالعلم والمعرفة والنزس - من حي عن بيته - فالأول بتقصيره والثاني بتشميره ووجهه والله هو السميع العليم خلقت يا الله هذا الذباب منذ خلقت الدنيا وأعطيته هذه القوة وزوّقه بالأجنحة والأعين ولكن أكثر أهل الأرض ما كانوا يعلمون وانما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن العالوم والحكمة غافلون . لذلك أرسلت لهم أنبياء فعلموهم وقالوا لهم إلهكم إله واحد فانظروا في عجائب الخلق في البر والبحر فسمع ذلك أقوام وضلّ آخرون وبتوالى الزمان ضلّ أكثرهم . فإذا يفعل الكهنة ورجال الدين . نصبوا لهم الأصنام والمعابد وشرحوا لهم أوصاف تلك المعبودات وأعظموها لأنها أقرب لعقولهم وأدنى من متناولهم ولم يقدر أكثر الناس على فهم هذه العجائب التي ذكرناها في خلق الله فترى الأصنام شاخصة في كل مكان في مصر في العراق في الهند في الصين . وسترى وصف آلهة الصين في أول سورة (الفرقان) وانهم وضعوها فوق الجبال الشاهقة المرتفعة فوق سطح البحر (٥٠٠٠) قدم والدرجات التي توصل إليها عددها (٧٠٠٠) قدم والذاهب إليها يحجها يجد نصبا وتعبا فيحمله قوم الى المعبد فوق الجبل . ذلك فعل الناس من قديم الزمان . إن كهانهم لما رأوا قصور عقولهم مثاولهم القدرة الإلهية والسوام والثبات والحكمة والرفعة والعلق بأصنام هائلة صخرية ثابتة مصنوعة صنعا متقنا مرتفعة فوق الجبال يراها الابن كما يراها الأب جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن فيتحدث بها الأب ويلقى أحاديثه للابن لأنها ثابتة موطدة فوق الجبل كما أن الله العلي ثابت لا يموت رفيع على عظيم حكيم فهذه الأصنام وضعها الناس قديما لتكون مثلا للجلال الله وعظمته أو مثلا للنجوم الزاهرات كزحل والمشتري التي كانوا يعتبرونها آلهة عند كثير من الأمم وهي الكواكب السيارة التي تديرها الملائكة والملائكة عباد الله المكرمون . هذه عبادة المتقدمين . هذه يا الله عبادة الأمم القديمة وديننا لم يقل ان قوما يعبدون الأصنام ولم يرسل لهم نبي قبل الاسلام يدخلون النار . كلا . بل هم يحاسبون على حسب اعتقادهم - وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا -

هذه هي الأصنام وهذا سبب عبادتها وهذا هو الذباب وهذا المتقدم عند الكلام عليه سبب ضعفه ومع ضعفه غلب الأصنام وسرق ما عليها . إذن لتكن الأمم الحاضرة أطول باعا وأرق همة من الأمم السابقة . سبحانك اللهم فلتكن عبادة الأمم الحاضرة في الشرق والغرب لخالق الذباب المبدع العجيب الصنع الحكيم الفعل . فلئن عجز السابقون عن فهم هذا الوجود وجهلوا بدائع الاتقان في أصغر الخلق كالذباب لن يقصر باع الأمم الحاضرة عن معرفة عجائب الحكمة فليرتقوا في العلم وليدخلوا حظائر الحكمة وليدرسوا كل شئ ومنه الحشرات والذباب الذي غلب الأصنام . ان الأمم في مستقبل الزمان حين يطلع فجر الحكمة وتشرق شمس العلم في الأرض لن يقدر أن يعبدوا الأصنام بل هم يدرسون ما هو أعجب من الأصنام وذلك هو هذه الدنيا والمواليد الثلاثة التي رمز لها هنا بالذباب . إن هذه الحشرات وأمثالها لها شأن عظيم في العالم لذلك خصها الله بالذكر ولم يقتصر على انه قال - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقوله - وفي الأرض آيات للموقنين - . كلا . بل قال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها - رادا على المشركين إذ لم يجهبهم ذكر الذباب وذكر العنكبوت في القرآن . إن الله مهد بالاسلام للأمم دراسة العالوم وأشار الى أن العقول اليوم ستفقه هذا الوجود وتستبدل معرفة الصانع في الحيوان والحشرات بالأصنام والشيوخ والمقابر

ومن يعش يره والسلام

﴿ اعترض على المؤلف في مسألة أعين الذبابة التي تعدّ بالآلاف وذكر مدار بينه وبين مدرسي المعارف ﴾
هنا لما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه بعض الفضلاء قال لقد ظهر هنا عجائب الذباب والعنكبوت وأن
الثاني يصطاد الأول الذي هو ضعيف وأن الطيور والعنكبوت تطارد الذباب وأن الأضعف طعمة للأقوى وأن
العيش الرغد للذباب ليس دالا على رفعة القدر بل عيشة النصب عند العنكبوت أ كسبته شرفا وجاها .
وهنا سؤالان أبيديهما ﴿ أولهما ﴾ اذا كانت العنكبوت نافعة بأكل الحشرات وكذلك الطيور إذ يجب المحافظة
عليهما في الحقول والحدائق . فقلت نعم قال العلماء في عصرنا الحاضر « يجب على صاحب البستان وعلى الفلاح
أن يحافظا على العنكبوت لأنها تأكل الآفا من الحشرات فهي نعمة على الفلاح . وعلى الطير كذلك » ولقد
تقدم هذا الثاني في (سورة يوسف) وهناك صور الطيور الممنوع صيدها بمصر وهناك في (سورة طه) طيور أخرى
وجدوها نافعة للزرع وجب حفظها . فقال هذا عجب أن تكون العنكبوت مما يجب المحافظة عليها كأن الله
سماها في القرآن مشيرا للمحافظة عليها . فقلت ان هذه الحقائق غير منتشرة اليوم في بلاد الشرق انتشارا تاما
فقال كيف لا تكون منتشرة وهذه المعارف تدرس لصغار الطلبة . فقلت له ولكنها تدرس بغير تشويق وانما
يقرأ الأساتذة الدروس في أمثال هذا في التعليم الابتدائي والثانوي لمجرد المطالعة اللفظية والاعراب وتحليل الجمل
وصرفها ويصدون التلاميذ عن معانيها لعلمهم انهم لا يمتحنون فيها . وما كان يؤمنى أنى وجدت رؤساء
المدارس بمصر أيام اشتغالي بالتعليم فيها لا يابهنون لمثل هذه الامور وقد كنت يوما في بهو مدرسة (دارالعلوم)
وأنا واقف أمام دوحة صغيرة فيها نسيج عنكبوت وذلك النسيج واضح بجاء حين ذلك ناظر المدرسة فرأيت منى
التفاتا الى ذلك النسيج وهو بيت العنكبوت . فقال وماذا أعجبك منه . قلت ان شكله محفوظ على حاله والأولى
بقاؤه لينظر اليه التلاميذ فيعرفوا شكله للدراسة وتوجيه النظر . فقال هذا أمر لا قيمة له ولولائه بعيد عن الأنظار
لازله وما فائدة هذا وأى علم فيه أو حكمة . هذا أمر لا قيمة له فحجبت كل العجب وعرفت ما اشتهر عن أهل أوروبا
انهم اذا احتلوا أمة من أمم الشرق شرعوا يمتنون النفوس المتعلمة فيلتون العلم اليهم قسورا ولا يحبونهم فيه
خيفة أن تنبعت النفوس الى الحكمة فيفقتون من أيديهم

اللهم إني أجدك انك ألهمتني أن أولف هذا التفسير حتى يكون نموذجا تقرؤه الأم الإسلامية التي حكم
عليها بالاستعماو فلا تحرم مما يحبها في العلم على الوجه الصحيح فيكون ذلك سبيلا لرقبهم واستقلالهم وبقروه
الذين هم مستقلون في بلادهم فيزيدهم شوقا الى العلم والحكمة ويجدون موافقا لما يدرسون من علوم هذه
الدنيا التي هي علوم القرآن الذي هو كلام الله والعلم فعله والفعل والقول متلازمان . فقال صاحبي هذا هو
السؤال الأول قد استوفيناه ﴿ السؤال الثاني ﴾ إنك قلت إن الذبابة لها أربعة آلاف عين فهل هذا القول
تقبله العقول اللهم لا ومن ذا الذي يظن أن للذبابة ثلاثة عيون فضلا عن ١٠ فضلا عن الألف بل الآلاف إن
هذا خارج عن العقول والمنطق فأى منطق هذا وأى عقل يقبله والله إن كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ وكتب
الخرافات لم تجرؤ أن تقول مثل هذا القول بل كتب الخرافات لأصحابها عذرفيها فان الناس لعلمهم أن صاحبها
وضعها على سبيل الرواية لا يزدرون كلامه أما هنا فان جلة مثل هذه يسمعون القارئ لهذا التفسير فينصرف
قلبه ويقول يظهر ان هذا المؤلف ينقل الكلام بلا علم ولا هدى ولا كتاب منيرفا هو إلا أن يقرأ كتابا فرنجيا
مثلا فيعتقد أنه كتزويل من حكيم حميد والافرنج فيهم المخترعون كغيرهم . فاذا قلت لنا إن الذبابة لها أربعة
آلاف عين فعنا اننا قوم لاعقول لنا . فقلت آم كلامك . قال نعم . فقلت أذكرك بما مضى في هذا
التفسير وأن قطرة الماء فيها مئات الالوف من الحشرات وكل حشرة لها عينان وسمع فكيف وسعت هذا
كله . وأذكرك أيضا بأن قطرة الماء تحتوي على ذرات بحيث تعد بعدد (٥) وعلى يمينه (١٨) صفرا .

وأذكرك بأن كل جسم من الأجسام فيه مسام وهذه المسام بينها فتحات عظيمة جدًا بالنسبة للذرات المتلاصقة فهل تستبعد أن يكون للذباية أربعة آلاف عين وماذا تقول اذا أخبرتك أن هناك حشرة تعيش على العليق كبيرة الحجم تكون عينها مشتملة على عيون صغيرة تبلغ (٢٧) ألف عين . فقال هذا كله زيادة في الاستغراب وأن ما ذكرته لا يفيد إلا امكان الحصول وفرق بين الممكن حصوله وبين الموجود الحاصل فعلا . فقلت هل لك أن أقصّ عليك قصصا يناسب حديثي معك الآن ومنه يتضح المقام ويصير الغائب عنا الآن كالعيان . فقال حبا وكرامة . فقلت

﴿ محاورات بين المؤلف وبين بعض المدرسين بوزارة المعارف أيام الامتحان ﴾

لقد كنت يوما جالسا مع بعض الرفاق بعد العصر أيام الامتحان بقصر درب الجاميز وذلك كان في امتحان آخر السنة لاعطاء التلاميذ الشهادة الابتدائية والثانوية كالعتاد كل سنة فقال لي قائل منهم وذلك في سنة ١٩١٥ تقريبا . انظر الى هذا العنق وأوراقه البديعة المنمقة الحسنة الشكل . إن بعض الاخوان يقول ان نظامه أجل من نظام الخمل الفارسي لحسن الاتقان . (أقول ولقد كنت قبل ذلك ألفت كتبا وكتبت في بعضها أن عين الخملة مركبة من مائتي عين لأنني كنت رأيتها في كتاب صغير من الكتب الانجليزية التي يدرسها التلاميذ في المدارس الثانوية . ولقد كان هو وبعض الاخوان اطلعوا عليه فأرسلوا هذا ليحدثني هذا الحديث حتى أذكر ذلك فيكون سببا في الأخذ والرد والقدح فيما أقول كما هي العادة في كل الأمم في أمثال هذا الشأن) فلما قال ذلك أحبته . كلا يا صاح . فقال وما البرهان . فقلت (أولا) ان الحيوان أرقى من النبات (ثانيا) ان عين الخملة مركبة من مائتي عين . فقال أيها الاخوان من منكم يعرف أن عين الخملة مركبة من مائتي عين . فقالوا جميعا . كلا لانعرف ذلك . فقلت أنا قرأتها في كتاب انجليزي . فقال يا فلان يا فلان هل قرأتها وأنت في انكلترا . قال . كلا . ثم كلا وهذا غير معقول وصارت هذه حديث القوم في ناديتهم وسمرهم وطاروا بها فرحا يتغنون بها ويفخرون ويفرحون إذ أظهروا خطأ في بعض هذه الكتب . فقلت لهم يقول الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر - فتوجهت الى أكبر مدرّس في (مدرسة الزراعة) بخوان فأحضر عين الخملة ووضعها تحت المنظار ورأيت بعيني رأسي تلك العين عبارة عن أعين أشبه بأعين الغربال أقل عدد لها مئتا عين ثم قرأ أمامي ما كتبه علماء الخمسا والألمانيات في القرن العشرين وانهم حللوا كل عين تحليلا تاما وشرحوها فوجدوها عيوننا مستقلة نائمة الاستقلال . إذن تكون الخملة لها (٤٠٠) عين على الأقل . فلما تم ذلك أفته في رسالة اسمها ﴿رسالة عين الخملة﴾ وستقرؤها في (سورة الخمل) مع قصتها المذكورة بيته أديبة وترى هناك شرحا لها وافيا ونشرت هذه الرسالة في الجرائد وقرئت أمام محفل المدرسين فسكنوا للحقيقة أجمعين . وأذكر أن أرفعهم مقاما وعلما وقد تعلم في ألمانيا قد كان خاطبني قبل ذلك منكرا هذا الرأي فقلت له هو في الكتب الألمانية والشمسوية والانجليزية فقال كذب الاورويون فقلت لهم معي الى (حلوان) فان مدرّس العلم مستعدا لقابلتنا هناك وهو يريك عين الخملة فهناك سكت واعتذرو بعد ذلك ألفت الرسالة وقرأها واحد منهم عليهم أجمعين كما تقدم

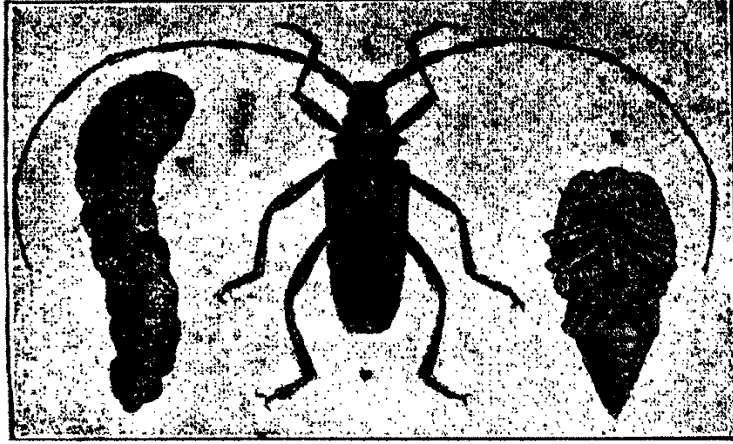
فقال صاحبي هذا عجب ولكني أريد أن أعرف في أي كتاب رأيت أن عين الذباية مركبة من أربعة آلاف عين . فقلت هي تقرأ الآن في مدارس الشرق والغرب لاجدال فيها وهي الآن تدرس في مدارسنا في الكتب المنشورة بين أيدي تلاميذ المدارس باللغة الانجليزية في ﴿كتاب الانشاء﴾ . فقال يا عجبا كل المحب وكيف يعرفها التلاميذ ويجهلها المدرسون . فقلت إن المدرسين صرفت أبصارهم عن أمثال هذا فهي في الكتاب أمامهم ولكنهم يحقرون النظر اليها والتفكير فيها . ألم تر أن المسلمين يقرؤون صباح مساء - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وهكذا حتى ان شيوخ الصوفية قد أمروا تلاميذهم بقراءة آيات دالة على

أمثال هذا النظر مثل قوله تعالى - قل اللهم مالك الملك - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - ومثل قوله - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار - الخ . هم يأمرون تلاميذهم بذلك ومع ذلك لا هم ولا تلاميذهم يتفكرون في خلق السموات والأرض . فقراءة الكتاب وحفظه غير حب العلم وعشقه . ألم تر إلى ما تقدم في قول الشيخ الدباغ ﴿ ليس المدار على أن ترى الجمال وإنما المدار على أن قوتك الإدراكية تذوق الجمال ﴾ فالنظر للجمال شئ وذوق الجمال شئ آخر فكثير من أمم الشرق اليوم حجوا عن ادراك الجمال أى ذوقه وذلك لأسباب طارئة وعوارض حاجبة قال تعالى - وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا - فهذا حجاب مستور مسدول على هذه العقول وهي متى أزيلت عنها المسدولة عليها أدركت الجمال وارتقت إلى حال الكمال . فقال إذن كأنك تقول إن هذه الآية وهي قوله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والطلوب - تدخل فيها هذه المعاني كلها وأن الله أنزلها ليوظ الأمم لقراءة الذباب والحشرات وكل حيوان ونبات . فقلت نعم أنا أقول ذلك والله عز وجل لما أنزل الآية أراد هذه المعاني وأراد معاني لم تصل نحن إليها الآن وهذا فتح باب لرق الأمم التي تقرأ هذا الكتاب المقدس لأنهم متى علموا أن عناية الله بذكر هذه الحشرة موجهة لهم هم أخذوا يتنافسون ويجدون في العلوم والحكمة ويستلذون بقراءتها ويفرحون بدراستها وأن الأمم التي حولنا في الشرق والغرب جميعا يقولون ﴿ إن الرجل لا يكون رجلا نافعاً لأُمَّته فاضلاً إلا إذا درس هذه العوالم وأشرب قلبه حب حكمتها وأدرك بدائنها . فهناك يسو بفكره إلى النظام العام في العالم ويرقى أُمَّته لأن عقله قد أشرب النظام والجمال فصارت الجمال من طبعه بما اكتسبه من النظر في عجائب هنالك يشرق من قلبه ولسانه ويده نور العرفان والعدل واسعاد أُمَّته والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فقال صاحبى ومأمنا سببه قوله تعالى - ما قدروا الله حق قدره - في مسألة الذباب والأصنام . فقلت هذا ظاهر واضح لأن قدر الله إنما يعرف بصنعه لا بصنع البشر أصناما وليس الذباب أعجب شئ في صنعه وإذا كان الأدنى من صنعه فيه عجائب كثيرة فكيف بالأعلى . فاذن الناس لا يعرفون قدر الله ولا عظمتة ماداموا يجهلون صنعه وابداع نظامه . انتهى

﴿ الدود والجنادب والذباب والحشرات والأصنام ﴾

لقد اعتاد الناس في القرى ببلادنا المصرية أن يضعوا على اللبن ملحاً ويسمونه (مش) ويبقونه في القدور أسابيع وقد سدوها سداً محكما وقد وضعوا مع هذا المش جبنا فاذا فتحوها وجدوا هناك ذباباً كبيراً في جوار القدور ودوداً في نفس المش فلا يفكرون في ذلك الدود ولا في الذباب من أين جاء وإذا سألتهم من أين جاء الدود قالوا لك بلسان واحد ﴿ دود المش منه فيه ﴾ وهذا مثل جرى على ألسنتهم وهو خرافة لاحقيقة لها وهكذا يجد الناس اللحم المنتن فيه دود فيظنون أنه كالمش أيضاً ودوده منه وهكذا

واعلم أن الله عز وجل أكثر من هذا الذباب وجعله كأنه سيات يضرب به أهل الأرض ليستيقظوا من الجهالة لاسيا المسلمين . إن هذا الدود هو الذي فقس من البيض الذي وضعه الذباب في المش المذكور وفي اللحم وفي كل منتن من الطعام ثم يصير هذا الدود جندياً أو (شرنقة) ثم تصير ذبابة تامة (انظر صورتها في الصفحة التالية . شكل ٨)



(شكل ٨)

(١) الفراشة الناقمة (٢) والشرنقة التي تراها كأنها محنطة ملفوفة في كفتها (٣) الدودة تتغذى وتمو

لعلّ المصريين القدماء اقتبسوا تخنيط الجثث من هذه الحشرات

إنّ الله عزّ وجلّ أرسل هذه الحشرات بين أيدينا ومن خلفنا تنغص علينا العيش وتذيقنا الأمراض الوبيّلة لندرس هذه الدنيا كأنه يقول لنا أيها الناس هذه الحشرات خلقتها في الرمم وألمتها أن تضع بيضها في طعامكم وشرايكم تشاهدونها كل حين فتعلمون أن القاذورات التي تعافونها وتأبون النظر إليها قد خلقت منها حشرات طائفات عليكم تعطيك الدروس وهي ذات ألوان زاهية باهرة ما بين أزرق زاهر وأبيض يقق وأخضر ناضر وأصفر فاقع وأحرقان وذهي اللون وعقيقه وبنفسجيه . أفلا يبهر عقلكم أيها الناس هذا الجمال . أنا اشتقته من الرمم البالية والقاذورات المنبوذة الكريهة الرائحة والطعم واللون وهذه الحشرات عوالم أعداد أنواعها أكثر من مجموع أنواع الحيوان وأنتم لم تعرفوا منها الآن إلا نحو (٢٠٠ ٠٠٠) وربما تكشفون في المستقبل ألف ألف نوع وكلها تتقلب في الأدوار الثلاثة السابقة . فيبدا ترونها دودة لدنة الملمس تنسل بين التراب والأعشاب اذا هي جندب صلب القشري شب وثبا فاذا هي فراشة ذات أجنحة ذات لون بهيج والدود قد يأكل التراب ويهضمه ولكن الجندب والحشرات لانهمم إلا الأعشاب . ومثل الذباب في نشأته بين القاذورات الجعلان والعناكب والخنافس والنحل وقد قترروا أنواع الخنافس وحدها (٨٠٠٠٠) نوع . ولما كان أمر هذه المخلوقات عجيبا بديعا رأى قدماء المصريين تقديس الجعلان (جمع جعل) لهذا ولما لها من مزايا أخرى كأن تضع بيضها في كرة وتدحرجها مرات حتى تكمل العمل فيها ومنها يخرج صغارها وقد جعلوها رمزا للنخب ورسموها في كتاباتهم على (البايروس) ونقشوها على الهياكل وصنعوا لها التماثيل وكانوا يصلون لها . إذن كان المصريون أولا يجعلونها دلالة على جمال الحكيم المبدع وقدرته ثم تناسوا ذلك وعبدوها هي إذن هناك مناسبة بين ذكر الذباب الذي يعيش في الرمم البالية وبين الجمال الذي هذا وصفه فكلاهما دلالة على مبدع هذا الوجود حتى عبده قوم . ولا جرم أن الحشرات ومنها الذباب المذكور في الآية أبداع من الأصنام وأرقى منها وكلاهما بالضعف موصوف ولكن أحدهما أضعف من الآخر فكيف عبدوا أضعف الضعيفين . إذن هؤلاء الذين يعبدون الأصنام أكثر سخافة ممن عبدوا الجعلان وهؤلاء وهؤلاء في الجهالات سيان . فلتقرأ الأم جميعها نظام الخليقة وبدائع الخلقة ليعرفوا الصانع بصنعه والحكيم بفعله - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - . ولقد اطلعت على جملة في عجائب الحشرات فرأيتها توضح ما نحن بصددده أيضا من كتاب (علم الدين) فأحببت ذكرها لجمالها وحسن نسقها وهامى ذه

﴿ إن الحيوان يخلق أولاً في صورة ثم يتغير وينقلب الى صورة ثانية ثم الى ثالثة وليس التغير خاصاً بالصورة بل يعترى الطباع والأحوال أيضاً حتى لا يبقى فيه شئ من أحواله وطباعه الأولى فتراه يكون في أول مرة كدودة قدرة قبيحة المنظر راسية في قاع البحر مستورة بما في قراره من الوحل والطين فإذا انقضى الوقت المعين لهذه الحالة وأراد الانخراط في سلك الحيوانات الهوائية علا دلى سطح الماء وتعلق بغصن من نباته فعند ذلك يتخلى عن ثوب الديدان ويتحلى بكسوة ظريفة الشكل وصورة بهية المنظر كثيرة الألوان ذات أجنحة كاللؤلؤ والمرجان فيطير بها في الهواء الى حيث يشاء . فانظركيف خرجت هذه الدودة المائية عن ذاتها الأولية الى صفة الحيوانات الهوائية . وبتغير صورتها كما ذكر تتغير جميع طباعها وأحوال . يعيشها واحتياجاتها وسائر حالاتها وبعد أن كان غذاؤها مما في قاع البحر من الحشيش ترعاه دائماً ولائماً ولائمه ولا تستغنى عنه صارت لانهاواء ولا تقربه كما انها بعد أن قضت مدة حياتها الأولية تحت الماء في الطين صارت لا تحب إلا فضاء الجوّ ونسيم الهواء ترح فيه وتعيش به ولا تألف المكث تحت الماء بل لانطقه ولا تقدر عليه حتى لو كلفت أن تقيم تحته لحظة هلكت في الحال فلاناسبة بين حالتها الثانية وحالتها الأولية وكذلك أمثالها من الحيوانات التي تتغير طباعها وأشكالها فان الحيوان ذا الأجنحة الزمرذية الذي تسميه العوام (بالجران) وكان المصريون يعظمونه أصله من دودة تدب في بطن الأرض لانسبة بينه وبينها بوجه من الوجوه وكان الأقدمون يجهلون ذلك الى زمن (أرسطو) وهو أول من فتح باب البحث في هذه المسألة إلا انه تكلم فيها بالظن والحدس واستمر الأمر على ذلك الى هذه القرون الأخيرة فنظر فيها كثير من الحكماء ومشاهير الطبيعيين فظهر أن الحيوان من هذا القبيل حين تخلقه يكون مجرداً عن الأجنحة في هيئة دودة صغيرة ثم يأخذ في الكبر وازدياد الحجم يأكل بعض الحشيش وغيره من المواد الأرضية حتى اذا بلغ درجة معلومة من العمر لبس غير ثوبه وعدم الحركة بالكلية وصار في مقره كأنه قد مات ودفن في قبره فيبقى كذلك مدة تنعدم فيها جميع الأحوال الدودية بتدبير إلهي لاعلم لأحد به ثم يظهر بعد ذلك في صورة أخرى ذات جناحين كالحيوان المعروف عند العاقمة (بفرقع لوز) وقد شوهد أن الدودة في حال انقطاع حركتها ولبثها بمقرها تكون كقطعة عجينة ملتفة في مادة زرقاء تكون لها كالقفن لرم الموتى التي ترى في قبور الأقدمين من المصريين فاذا جاء الوقت المعين خرقت هذا القفن وخرجت منه وصارت في الصورة الجديدة . ومن الغريب أن هذا الحيوان يخرج من بيته الضيق الذي صار قبراً له من غير أن يحصل لأعضائه الدقيقة أدنى خلل وكثيراً ما يكون هذا القبر مركباً من ﴿ ثلاث طبقات * الأولى ﴾ مركبة من مواد موضوعة بحيث ينزل المطر من فوقها ﴿ والثانية ﴾ من مواد ألطف من الأولى شديدة الامتزاج ببعضها وهي لوقاية الجسم من العوارض الجوية ﴿ والثالثة ﴾ هي الثوب أو القفن الذي تقدم ذكره ومن نظري الحيوان المعروف بأبي دقيق وتتبع أحواله وأشكاله وجده يتغير ثلاث مرات ينقلب فيها الى ثلاث حالات ليس بين واحدة منها وبين الأخرى مشابهة البتة حتى يظن انه يموت ويحيا ثلاث مرات مع انه في الواقع ونفس الأمر ليس كذلك وإنما يعتره سكون تام يتعطل فيه عن الحركة الظاهرة مدة من الزمن تشتغل فيها القوة الحيوانية بواسطة آلاتها الخفية بالانتقال من الصورة الحالية الى الصورة الجديدة فاللدودة من أصل خلقها مشتملة على جميع ما يلزم للصور التي تتحوّل لها وتنقلب اليها فكأنما هي في ثلاثة أبواب مختلفة الهيئات بعضها فوق بعض فتشق الواحد منها وتخرج منه فتظهر بهيئة ماتحة فتبقى فيه ماشاء الله ثم تخرج منه وهكذا حتى تظهر في الهيئة الأخيرة فتبقى عليها الى أن تموت بها وبعض الحشرات لا يظهر عليه عند تغير صورته ما قدّمنا ذكره من السكون وترك الحركة ولانعتره كل هذه التغيرات والتبديلات وإنما ينتقل من صورة الى غيرها بتمدّد أعضائه وكبرها مع التقدم في السن وبعضها ينتقل الى عدّة صور يدخل فيها على التوالي من غير أن تظهر عليه حالة السكون المذكورة وإنما تعلم صورته الدودية بعدم وجود الأجنحة وذلك كالحيوان المعروف بالبق .

ومن الديدان المائية ما يبقى سنين عديدة على حالة واحدة ويتغذى بما في مستقر المياه من القاذورات ورم الأسماك فإذا تحول إلى الصورة الأخيرة وظهر في تلك الهيئة اللطيفة لا يعيش إلا زمنا قليلا لا يزيد عن نصف ساعة ثم يموت بعد أن تبيض الأثنى منه بيضا . فمن تأمل في هذه الحيوانات وهي في مستقرها أو رآها وهي مستورة بكفنها في قبرها ونظر تعدد أشكالها وألوانها وصورها واختلافها في كبرها وصغرها وأنتم النظر فيما تظهر به وتنجلي فيه من المنظر البهيج والكسوة الفاخرة المطرزة بما يفوق وصف الواصف ويستوقف النظر الناظر ويزدري برونق الدرر والجواهر من النقوش الغريبة بالألوان العجيبة أذعن بالربوبية خالقها ومبدعها القادر العظيم المدبر الحكيم وخضع لجلال عزه وعظمته وتبرأ من علمه وحوله وقوته فما معلومات الانسان ولو امتد به الزمان بالنسبة لمعلومات الله سبحانه إلا كذسبة المعدوم إلى الموجود . فكيف يطلع على كنه هذه الأسرار أو يستخرج جوهر هاتيك البحار إلا ان أمده الله بأعانه وشمله بحسن عنايته . انتهى ما نقلته من كتاب (علم الدين)

(محاضرة على هذه السورة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ)

في هذا اليوم وهو الثالث من جادى الثانية سنة ١٣٤٣ هجرية أى بعد اتمام السورة بيوم واحد قابلنى أحد علماء الأزهر فسمع بعض هذه الأقوال في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - فقال انى أريد مناسبة بين المثل وبين ما ذكرته من العلم وكأنتك جعلت ذكر الذنابة موضوعا وكتبت عليه والا فالآية ليس فيها إلا شئ واحد وهو احتقار الأصنام التى كان أحقر المخلوقات يسلبها . وكانت تلك المحاضرة بجوار الجامع الأزهر بحضور الطلبة الجاويين . فقلت له إن فيما كتبت ما يقنع بأن ذلك مناسب للآية وان أردت إلا الزيادة عليه فهناك ما به يتضح المقام

(١) قد قمت هنا أن الله قال - فاستمعوا له - فاستمعنا وقلنا لا بد أن تكون هناك أمور وراء المثل

المشهور وهذا كاف في البحث في الذنابة وماتبها

(٢) اتنا اذا سمعنا المثل فلنبحث في جميع أطرافه وهي هنا الأصنام والذباب . وصفت الأصنام بالقوة والذباب بالضعف فلما بحثنا عن الذباب الذى وصفه الله بقوله - وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه - دعانا ذلك الى البحث في تشريح الذباب وقوته وعيونه التى سيأتى ذكرها في (سورة النمل) وفي مهارتها في ذلك ثم في مضارها للانسانية ومنافعها وليس ذلك بدعا فانا نقول إن عادة العرب أن يسترسلوا في موضوع كهذا . ألم تر الى امرئ القيس في معارفته كيف وصف القفر الذى قطعه بأن فيه ذنبا وذكر في الذئب بيتين ونصف بيت فقال انه يعوى وانه لما عوى قال له امرؤ القيس أنا وأنت شأنا قليل الغنى وكل منا اذا نال شيا افاقته ثم ذكر الحصان ووصفه بصفات بلغت نحو ١٧ بيتا . وترى طرفة بن العبد وصف ناقته في ٢٩ بيتا في معلقته وماهى الناقة . يقول انى أمضى الهم عند احتضاره بركبها ثم استمر يصفها . وترى لبيد بن ربيعة العامرى في معلقته يصف الناقة التى يركبها بنحو ١٤ بيتا . ثم يوازن ما بينها وبين البقرة الوحشية بنحو ١٧ بيتا فهذه كلها (٣١) بيتا كلها مذكورة لأجل الناقة . وعمرو بن كلثوم يصف محبوبته في نحو عشرة أبيات وهكذا بما لا حصر له . فاذا كنا نرى العربى القح صاحب اللسان الفصيح يذكر الذئب في عرض الكلام فيصفه ويذكر الناقة وهي ليست محبوبته ولا مقصوده فيصفها وصفا عجيبا وأكثره خيالى مبالغ فيه ويصف البقرة الوحشية التى جعل ناقته أفضل منها جريا وأكثر فى شرحها . لماذا . لأن لها علاقة بناقته من حيث ان الناقة أفضل منها ومتى كان المفضل عليه أشرف كان المفضل أكثر شرفا وهكذا . فاذا كنا نجد اللسان على هذا المنوال وقد وصفوا ما جاء فى عرض الكلام وأطنبوا وصفا ليس له فائدة إلا تسلية العقول وحسن القول واذاعة الفصاحة وأن يقال إن الشاعر بارع وبراعته فى اختراع المعانى الدالة على اطلاعه على أمور كثيرة

أفلا يسوغ لنا أن نصف الذبابة التي ذكرها الله وصفا لامبالغة فيه وهو حقائق صادقة وليس المقام مقام بلاغة فحسب بل المقام مقام أم ترتقي وتعيش وتأخذ حظها من الوجود . فإذا كان أهل اللسان وهم أجدادنا هكذا يفعلون لمجرد التسلية ووصف الشاعر بالبلاغة وتحديث الناس في مجالسهم ليكون تسلية لهم ومضيعة لوقتهم فوالله لنحن أحق بأن نعطر المجالس بعبير الرحمة الإلهية التي تفيض على من يقرأ هذا الكتاب وينظر فيرى آثار رحمة الله وليس يكون ذلك تسلية لمجالسهم فحسب . كلا . بل هو انعاش لمدينتهم وترقية لأمتهم واخراجهم من الدل إلى العز . علم الله قبل نزول القرآن أن أم العرب من شأنهم في قولهم هذا فأنزل القرآن وضرب الأمثال وقال - ثم إن علينا بيانه - فاعمر ك ان هذا من بيان القرآن فلنصف الذبابة كما وصف امرؤ القيس ومن على شاكلته دوابهم لأدنى مناسبة . ثم قلت بعد ذلك (على أنه لو لم يكن ذلك فرضا فليكن من الفكرة العامة في القرآن وهو التفكير في كل شيء كما قدمنا في هذا التفسير فالذبابة لم تخرج عن كونها مما أمر الله بالنظر فيه . أليست مما في الأرض . لهذا ننظر ونفكر

(نط آخر في المحاضرة)

ثم قلت وإذا كنا نرى الذبابة تستلبنا ماعلينا وما بين أيدينا ونجعل الطعام الذي أمامنا قدرا وتضع بيوضها في عيون أبنائنا وفي لبننا الذي نضعه في الجرار وهذا اللبن إذا غطيناه مدة أشهر ورفعنا الغطاء عنه لنا كله كما هي عادة بعض الفلاحين في مصرنا ويسمونه (مش) فإنا إذ ذاك نجد ذبابا كبيرا يعيش في جوف هذه الجرة وهو لم يسمع عن الدنيا ولا نظرها وما هذا الذباب إلا الذي أفرخ في هذا اللبن وأصله كان دودا والدود كان أصله بيضا والبيض كان من الذباب والذباب كان ينزل على اللبن لتقر يط الناس في متاعهم وإنما أنزل على اللبن أو على أعين أولادنا لأن الله هو الذي علمه . علمه انه لا يضع البيض إلا في مكان صالح والمكان الصالح هو الذي فيه غذاء له فتخرج أولاده في اطمئنان وسلام في بيوتنا ومنازلنا أكثر من اطمئناننا نحن على أبنائنا فإنا لاندرى ماذا تعمل الفرنجة فيهم غدا ولا ندرى ماذا يراد بهم ولم نعمل ماعلمته الذبابة ولم نحافظ عليهم هذه هي القراءة التي يقرؤها المسلم في الذباب ويقرأ المسلم أيضا فوق ذلك فيقول إن (أبادقيق) المتقدم ذكره والنمل والنحل والزنابير لها صفات ولها منافع ولها أحوال وهكذا بقية الحيوانات وكذلك الحيوانات الدقيقة المسماة (بالمكروب) التي تسطو علينا فقتلنا وتمرضنا وأبناءنا بالحمل والجدرى وهي التي لم يعرفها الناس إلا في هذا الزمان . فكل هذه حكمها حكم الذباب لها منافع ولها مضار . فيالله وبالله وباللجب . يارسول الله انظر أمتك . انظر أمتك يارسول الله بعد ألف وثلثمائة سنة من الذي ينظر في شؤونهم . تنظر في شؤونهم أهل أوروبا فهم والله الذين يدرسون (علم المكروبات) وعلوم الأمراض ويقولون الطاعون له دواء كذا ويحللون تلك الأمراض . ولقد جاء رجل ألماني الى مصر قبل الحرب وهو الذي نشر هذه العلوم فيها انتشارا مضيقا عليه لسيطرة الأجانب على البلاد . فهل يجوز في شرعة الانصاف أن يجهل المسلمون هذه المضار . أليس النباب وغير النباب يمث بحياتنا ويقتل المكروب أي الحيوانات الدقيقة التي لاترى إلا بالمكروسكوب آلافا وآلافا من أبنائنا ونحن لانعرف بل لانصدق أن العلم ينفع وأوروبا تفوقنا وبالله ما الفرق بين الأصنام وبين الأمم النائمة التي سلطت عليها الهوام والحيوانات الدنيئة . لم يسلط علينا الذباب فقط بل ساط ما هو أنقص من الذباب ونحن لاندرى أن الله خلق شيئا من ذلك . لا لا بل سلط علينا الحيوان ونوع الانسان فنحن تحت تأثير الحيوانات ولا ندرى انها تؤذي بنا بل لاندرى أنها خلقت . ولاندرى أن الجدرى والحصباء والطاعون والحمل كل ذلك يجنود يرسلها الله من الحيوانات التي عرفها الناس والمسلمون نائمون . حيوانات حية تعيش وتلد وتموت ويأيتها تسلبنا الطيب كما سلبت الأصنام ولكنها تسلبنا أبنائنا وزرعنا ولما ضعفتنا وجهلنا سلط الله علينا أوروبا لتقوم بأمرنا وتأخذ الثمن أن تستعبدنا . فهذا هو ما فهمته في قوله تعالى - إن

الذين تدعون من دون الله - وحاشا لله أن أقول ان معنى الآية هذا ولكن أقول إن هذه المعاني رمزية ولاغضاضة في ذلك . فالكنية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه فالعنى في الآية على حاله ولكن يجاء بالمعنى الآخر تبعا ويكون هو المقصود والحمد لله الذى جعل في الأمة علم البيان ليرجع اليه من لم يكفه ما نقول
 فاذا بقى المسلمون مستسلمين لليأس وقعدوا عن العلم والعمل فهم (والعياذ بالله) باقون على التقليد وتكون آراؤهم العتيقة المحصورة كأنها معبودة لهم لعدم انحرافهم عنها . واعمرى بما ذممت الأصنام إلا لأنها قيد للأفكار واقد تقدم حديث ﴿ ان عبادة غير الله عبادة للأهواء ﴾ فتكون النتيجة أن من اتبع هواه فكأنه عابده . فعباداة الأصنام ترجع لعبادة الهوى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه -

فإذن المسلمون هم الذين قيدوا الدين وهم اذا سمعوا قوله تعالى - ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاناً ومتاعاً الى حين - قالوا هذا حق واذا قيل لهم انظروا في بقية المنافع فان الله سخر لكم ما فى الأرض جميعا ولما علم أن علمنا قليل قال - ويخلق ما لاتعلمون - يريد بذلك أن نعلم ما نجهل ويدل عليه - وقل رب زدنى علماً - اذا قيل لهم ذلك يقولون لا لا هذا حرام هذا خارج عن الدين لا يبحث القرآن عنه وأشياخنا وكتبنا لم تقل ذلك . فلنقل لهؤلاء . أيها الناس ان الأمم اذا طال عليها الأمد قست قلوبها والأمة الاسلامية المسكينة حصل لها اليوم ما حصل للأمم السالفة . إن القسيسين فى أوروبا كانوا يحكمون تحكما أدنى الى التهلكة والقرآن ضربهم ضربة دوخت رؤساء الدين وشتت شمل تلك العقائد والتحكم فى الأعراض والأشخاص والملوك كما تقدم فى قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وأمتنا المسكينة محبة لدينها ولكن طرأ عليها ملوك وأمم أذلوها من بينها ومن خارجها وذلك فى نحو سبعمائة سنة وهاهى ذه تريد أن ترجع مجدها ورجوع مجدها بالاسلام أسرع من رجوع مجد أوروبا بالذى ظهر فى نحو ثلثمائة سنة ونحن لا يعوزنا هذا الزمن كما هو سيكون رقى المسلمين فى نفس هذا القرن لأنهم أقرب الى الرقى . فقال أحد الحاضرين أوضح ما ذكرته من علم الحيوان فى أواخر السورة بمناسبة الذباب . فقلت انى قد ظهر لى العجب فى هذه الآيات بعد تمام تفسير الآية . فقالوا وما هو العجب . قلت أرايتم قوله تعالى - إقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق - قالوا هذه أول آية نزلت . قلت انظروا وتعجبوا . أستم تعلمون فيما ذكرته أن العلقة إحدى الحيوانات التى تقدم شرحها . قالوا بلى . قلت أولستم تعلمون أن الله يقول - وجعلنا من الماء كل شئ حى - قالوا بلى . قلت أولستم تعلمون أن العلم الحديث جاء فيه أن جميع حيوانات البرّ على ما يظنون كانت فى البحر ثم انتقلت الى البرّ وان كانوا لا يحسنون أن يعللوا كيفية ذلك . قالوا بلى قد فهمناها الآن . قلت نعم إن الضفادع تخلق فى الماء وتعيش فيه فى صغرها فاذا كبرت خاق الله لها رئة وجعلها من ذوات الدم البارد وأخرجها الى البرّ وتنزل الماء فى بعض الأوقات اذا أحست بأذى خطر وربما اختفت فيه نحو ساعة لا غير ولا تتحمل أكثر من ذلك وقد تكون فيه أمدا طويلا اذا صارت خامدة فى زمن الشتاء شبه الميتة فاذا جاء الربيع حيت . قالوا وما تقصد بهذا . قلت أقصد أن حيوان البرّ على ما يقوله الطبيعيون كان فى البحر فيكون قوله تعالى - وجعلنا من الماء كل شئ حى - أى انه كله كان من الماء وهو أشبه بالضفادع والضفادع تكون لنا مثلا ضربه الله لنا لنعرفنا انها كلها كانت فى الماء ولكن هناك نواميس لانعالمها قد عملها لتلك الدواب فأخرجها الى البرّ كما أخرج الضفدعة . قالوا حسن هذا ولكن ماذا تريد بهذا القول الآن . قلت أريد أن أقول ان العلق من الحيوانات الأرضية الطينية وقد خلق الله الانسان من علق فهو فى أول نشأته يشابه نشأة الحيوانات فى البحر فى قديم الزمان لأن جميع الأرحام مائة كأنها حفظت أصل الخلق وانه كان من ماء . قالوا ثم ماذا بعد ذلك . قلت قال العلامة (قون باير) حفظت جنينين صغيرين فى الكحول ونسبت أن أكتب اسم كل واحد منهما عليه واليوم يتعذر على أن أعرف من أى صنف

هما أمن القواضم أم الطيور أم ذوات الثدي نعم ان أطرافهما لم تكن تكوّنت وهب انها كانت فوجودها في أول تكوّنها لايفيد شيئاً لأن أطراف القواضم وذوات الثدي وأجنحة الطيور وأرجلها متشابهة حينئذ ولايختلف إلا بعد ذلك كما يرى في مقابلة صورجنين الانسان والكب والدجاجة والسلمحفاة . ويقول علماء العصرالحاضر ﴿ ان كل جنين صادر أولاً من بيضة أو بزرّة لا يختلف بناؤها الجوهرى ولايختلف بعضها عن بعض إلا في الحجم والشكل وهذه الخلية تنمو بالانقسام وأجنة الحيوان التي تنشأ من هذه البيضة تكون متشابهة في الأطوار الأولى يصعب تمييز أجنة ذوات الثدي من أجنة الطيور وسائر أجنة الحيوان الفقرية ﴾ ويقولون أيضا ﴿ ان أصل الماهية العضوية في نشو الانسان (علقة نووية) مستديرة الشكل يبلغ قطرها ١ من ١٢٥ من القيراط فاذا ألقيت عليها نظرة بعين مجرّدة رأيتها نقطة صغيرة جداً وانما تتكوّن الخلية الأولى في حال نتاج البيضة أو في حال اختلاطها بمنى الذكورة الخ ﴾

فانظر رعاك الله الى قول علماء العصرالحاضر ان الانسان في أصله علقه صغيرة وهذه العلقه تطوّرت أطوارا شتى فانتقلت من حال العلق الى حال ذوات الفقار منتقلا في أحواله من حال الى حال أرقى حتى يصل الى حال الانسانية . وقد تقدّم في سورة (آل عمران) أن الفيلسوف (هيكل) الألماني حاول جمع جميع الصورالحيوانية المتتابعة من أدناها الى أعلاها كما قدّمناها لك فوجد أكثرها في صور الجنين ولم يجد باقيها وادّعى انه وجدها كلها فأسقطه القوم . والمقام الآن هو أن الجنين يتطوّر في بطن أمّه من أدنى حيوان كالعلق منتقلا في صور حيوانات أعلى من العلق الى أن يصل الى الانسان وان كان هذا لم يتم كشفه وهذا هو قوله تعالى - خلق الانسان من علق - فما ذكره الله منذ ألف وثلثمائة سنة ذكر اليوم بنصه وفصه وقد علمت أن العلق يكون مبدأ لذوات الحلقات وتلك هي الحشرات وذوات الأرجل الكثيرة والعنكبوت . وهذا الخلق وارتقاء الصورة عن أصلها العلق الى الصورة الانسانية هو الذي سباه الله كرما إذ قال - يا أيها الانسان ماغرتك بربك الكريم الذي خلقك * فسواك فعدلك في أى صورة ماشاء ربك -

عجبا للقرآن . يقول ان ربك أيها الانسان كريم . لماذا . لأنه - خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ماشاء ربك - . فالتسوية وتنظيم الهيكل الجسمي كرم من الله فالله كريم . لماذا . لأنه سوى صورنا لما خلقها في الرحم وجعلها متناسبة وقاسها بمقياس عجيب كما تقدم في هذا التفسير فهذا هو الكرم . ثم نرجع الى سورة (العلق) فنراه يقول فيها بعد أن ذكر خلق الانسان من علق - إقرأ وربك الأكرم - عجب . هوهناك كريم . كريم لأنه خلق الانسان من علق فسوّاه فعدله في أى صورة ماشاء ربه ولكنه هو الأكرم . لماذا . لأنه - علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - فالله كريم لأنه خلق الصورة الانسانية وخلصنا من الحيوانية التي صرّت عليها العلقه التي لاتصل الى الانسانية إلا بعد مرورها على صورشتى من الحيوانات وهو الأكرم لأنه يعلمنا ويفتح المدارس ويفهمنا نظام الكون ويرفعنا الى أفق الملائكة . فهذا معنى قوله تعالى - الأكرم - فهو كريم لاختراجنا من الصورة الحيوانية وهو الأكرم لاختراجنا الى الصورة الملكية بالعلوم والكتب ﴿ ملخص المحاضرة ﴾

- (١) سؤال من أحد علماء الأزهر « مامناسبة علم الحيوان لمسألة الذباب »
- (٢) الاجابة « ان المناسبة تقدّمت في السورة وافية »
- (٣) وايضا ان ذكر المثل يستلزم البحث في صفات المثل به فلنبحث في صفات الذبابة ومنها أعضاؤها وقواها وعيونها

- (٤) ونذكر مايناسبها من الحيوان كما فعل شعراء الجاهلية في معلقاتهم
- (٥) بل نحن أولى لأنهم كانوا يصفون لمجرّد الخيال واللهو بالقول والتفاخر به ولاينفعهم في سعادتهم

(٦) وأيضاً الذبابة تسلبنا هي وحيوانات أخرى ما عندنا من الصحة وتورثنا أمراضاً كالجدري والحصبة وذلك بالمكروب . فهل نكون معها كالأصنام ونحن عقلاء
 (٧) إن ذلك يقصد بطريق الكناية والكناية من علم البيان وهو يدرس في جميع المدارس في مصر وغيرها
 (٨) والمسلمون إذا امتنعوا عن البحث في هذا فقد قيدوا الدين
 (٩) والتقييد بالتقليد أشبه بعبادة الهوى وحاشا لله أن أقول أننا كفار ولكن أقول أننا نتبع الأهواء
 وكفى بهذا ضلالاً فإنا عبدنا أهواءنا وذلك فيه على الأقل كفر النعمة

(١٠) وكفر النعمة قبيح جداً من المسلم

(١١) إن في مسألة تشریح الذبابة واستخراج أنواع الحيوان منها سرا وذلك السر أن علماء الطبيعة يقولون أن الإنسان خلق من علقه وتلك العلقه التي نطقوا بها وكشفوها تسارى $\frac{1}{3}$ من القيراط وليس من المعقول أن أحداً من البشر شاهد هذه العلقه وكونه عدلها وسواها في أى صورة هو انتقالها الى الانسانية في الرحم

(١٢) إن التعبير بالكرم في جانب تسوية الجسم . وبالأكرام في جانب الانعام بالتعليم بالقلم باب واسع لارتقاء الأمة المحمدية وغيرها . يقول الله خلقتكم في صور مختلفة مرتقية في الرحم فلأرفعكم في صور روحية مختلفة في حال الحياة الدنيا بالعلم والمعرفة أخرجوا من هذه الأرض كاملين وهذا أشرف

ولما أتممت هذا القول سأل أحد طلبة بلاد الجاره قائلاً « فهل ترى أن العلم في الاسلام اليوم لا يكفي وهل علم الفقه لا يكفي المسلمين وعلم التوحيد » . قلت اعلم أن علم الفقه قد نفع الاسلام وحفظه للآن ولولا البيوع والميراث والهبة والدعوى وما أشبهها وكذا الصلاة والزكاة الخ لم يكن للمسلمين جامعة ولكن هذه محافظة على الموجود . فقال مامعنى هذا . قلت يسمع الفقيه قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - الخ فيؤلف فيه علم الميراث وقد أحسنوا صنعا . ويسمع آية الدين فيؤلف فيه ويستوفيه . ويسمع - وأحل الله البيع - الخ فيؤلف في الربا والبيع . ويسمع - الطلاق مرتان - فيؤلف . ويسمع قوله تعالى - حافظوا على الصلوات - الخ فيؤلف . حسن كل هذا ولكن هذا محافظة على الموجود . ومعنى هذا أن المال الذي تصادف أن الناس جمعوه تكون عليه القضايا ومنه قسم التركات ومنه الصدقات ومنه بناء المساجد ومنه الدفاع عن البلاد الخ . ولكن إذا قيل لبعض العلماء (لا كلهم لأن علماء الاسلام اليوم غيرهم بالأمس بل لم يبق من تلك الطبقة إلا القليل) إقرأ - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً - أو قيل له - وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون - وإذا قيل له - وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون - الخ وإذا قيل له - وجعل لكم سراويل تقيكم الحرّ وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تتقون - وإذا قيل له - وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون - أى إن الله علم داود عليه السلام صنعة السروع وهو يأمرنا بالشكر عليها لأنها تحصنتنا من الحرب وهذا يلزمنا أن نبحت في كل ما يحصننا من بأسنا . إذا سمع هذا قال هذه أمور ليست في علم الفقه ولا تدخل في أحكامه وهذه ليس فيها شئ فهمى تقرأ للتعبد وبها نعرف الله ومعرفة الله حاصلة عندنا . ونسى هؤلاء أن هذه الآيات تحتاج الى علوم تشرحها ويعمل بها . وبالبحث في العالم المشاهد تزيد ثروة المسلمين وبزيادة الثروة تكون التركات والصدقات والزكاة وما أشبه ذلك . فالذى يحكم في الشئ وهو قليل هو الذى يحكم فيه وهو كثير والحكم على الشئ فرع عن وجوده . فالمتعلمون في الاسلام أيام سقوط الدول الاسلامية أذلم الملوك حتى لزموا علوماً خاصة واكتفوا بالفقه والتوحيد وتركوا الأمة حبلها على غاربها حفظوا مائة وخمسين آية لأجل الأحكام ونسوا بقية القرآن الذى به العبرة لازدياد الثروة وارتقاء الشعوب وحفظ الأمم الاسلامية . فليكن بعض علماء

الدين علماء نبات و بعضهم علماء حيوان و بعضهم أطباء و بعضهم علماء السياسة و بعضهم علماء اقتصاد مع إمام كل واحد بالعلوم التي في الدنيا الآن ومنها علوم الدين . و يجعل العلماء الأبحاث العميقة في هذه المقاصد لافى المقدمات كالعلوم العربية فانه من العار أن يضيع التلهيد زهرة حياته في مباحث وفي علل لاتنفع و يترك المسلمين أذلاء بين الأمم . هذا هو الذي سيخاقه الله في الأمم الاسلامية في المستقبل والله هو الولي الحميد وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال أحد التلاميذ اني أريد أن أعرف ايضاح عبادة الهوى بطريق مختصر فاني لم أفهمها . فقلت الأصنام عبت بالهوى والنبي ﷺ قال لما قيل له حين قرأ - اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أر بابا من دون الله - يارسل الله ما كنا نعبدهم انهم كانوا يشرعون لكم فتبعون شرعهم فجعل اتباعهم عبادة لهم وهذا بطريق المجاز فالعبود على كل حال الهوى . والمسلم اذا اتبع هواه وقد دله هذا الهوى على ترك ما في البحار من اللؤلؤ والمرجان وما على سطحها من السفن العظيمة وما على ظهر الأرض من المواليد الثلاثة وما في باطنها من المعادن وقد أحاطت به نذر الأمراض بصغار الحيوان فكان الطاعون والتيفوس والتيفود الخ . وفوق ذلك الأمم القوية تفتك بالمسلم وهواه يقول له لا يهيم ذلك أفليس المسلم إذ ذلك كأنه عبده الهوى . فالهوى كالصنم والذباب وغير الذباب من العاقل وغير العاقل المؤذيات له كالذباب في مسألة الأصنام وما عنده من الأغذية والأموال كالطعام والطيب عند الأصنام . فهذا المثل منطبق تمام الانطباق . فالهوى في أنفسنا لا يدفع ما يطأ علينا من المصائب . فكل ما يؤذينا فهو ذابنا . وكل ما يقعد بنا عن المنافع فهو معبودنا والهوى مطلع على ما نزل بنا وهو لا يبدي حرا كما كالأصنام فصار معبودنا العملى (لأننا مؤمنون بالله ورسوله وندخل الجنة اذا كنا صالحين) وهو الهوى . يرى الحرب في ديارنا فيوحى اليها أن توكلوا . ويرى خسارتنا فيقول لا يهيم ذلك فلا يستحق الهوى الاتباع بل العبادة تكون لله وهو الذي يلهم العقول فتدفع الأذى عن الناس بالعلم . فكما أمر الكفار بنذ الأصنام أمرنا بنذ الهوى والتقليد الأعمى وكما أن الأصنام لاتقدر على دفع الأذى فهكذا آراؤنا التقليدية لاتدفع عنا الأذى . وكما أن الكفار يجب أن يؤمنوا بالله ورسوله هكذا نحن يجب أن نوجه عقولنا للفهم من القرآن والقرآن يقول الله فيه - قل أعوذ برب الفلق - الخ فنستعيز بالله من شر خلقه واذا استعذنا به واتجهنا الى فهم القرآن بعقولنا علمنا العلوم ومتى علمنا عملنا فأزال الله عنا شرا وباد شر الحيوان وشر أنفسنا كما بيناه

فهذا انطبق المثل تمام الانطباق من حيث جوهر المعنى وهذا هو المعنى المهم الذي نزل له هذا المثل وهو وأمثاله السبب في قوله تعالى - فاستمعوا له - فالهوى عندنا يقول يا مسلمون لا يهيمكم شئ وعلماء الفرنجة يقولون يهيمنا كل شئ . ألم ترالى العالم الفرنسى (بول پرت) المذكور سابقا في كتابه المسسمى (العلوم الطبيعية) الذي ترجمته زوجته الى اللغة الانجليزية حيث قال في أوله ﴿ انك أيها القارئ سيسرك هذا التاريخ الطبيعى وستعلم بأى طريق تفيدنا تلك الحيوانات وبأى طريق تضرنا وتحدث فينا خطرا وليس الأمر قاصرا على المضار والمنافع بل انك تعلم أننا نحن باعتبارات كثيرة نشبه الحيوانات لاسيما اذا لاحظنا تركيبنا الداخلى فاننا نعلم أن لنا قلبا له ضربات في صدورنا ورتين بهما نتنفس ومعدة وحواس كالأعين التي بها نبصر والآذان التي بها نسمع . واذا صادف انك نظرت الى مشرحة الجزار أو رأيت مصادقة أرنا مذبوحا مثلا فانك ترى أن الثور والحروف والخنزير والأرنب في نظامها وترتيبها الداخلى بينها وبين الانسان مشابهة قليلة وكثيرة . وعلى ذلك اذا نحن درسنا الحيوان بتتابع ونظام فما درسنا إلا أنفسنا وكلكم تعلمون كيف يكون ذلك لهذا وسارا﴾ انتهى

هذا كلام العالم (بول پرت) فقال بعض التلاميذ هذا كلام افرنجى وزوجته المترجة للكتاب بالانجليزية قلت نعم . قال فتى يكون المسلمون على هذا النمط . قلت فليشر في الاسلام أمثال ما يكتب في هذا التفسير

وغيره بطرق مناسبة . فقال آخر . هذا القول هو عين قوله تعالى - وفي أنفسكم أفلات تبصرون - وكأن قوله تعالى - والأنعام خلقها لكم فيها دفر ومنافع - الخ إذا درسناه فقد درسنا أنفسنا . قلت نعم . فدراسة هذه العلوم لدفع المضار وجلب المنافع ودراسة علم التشريح لأجسامنا . هذا ملخص ماضى حتى ان دراسة الذبابة المتقدمة دراسة لأنفسنا . وأنا بصفتى مسلما أقول وهناك أمر رابع وهو حب الله والارتقاء والوصول اليه بالطريق العلمى وعلم التوحيد فيكون لنا أربع منافع بل خمس والخامس أن تترقى العقول الاسلاميه كما تترقى عقول البشر بهذه العلوم ولذلك لما دخل الفرنجة بلادنا المصرية منذ (٤٥) سنة منعوا هذه العلوم عن المصريين ليحصروها فى الجهالة وقد كانت قبل ذلك فى مدارسنا حين كنا مستقلين لأن علماءهم أفهموهم أن تعليم الأمم المحكومة يجعلها مدركة الحقائق فتطرد المستعمرين وهذا شأن الغاصب مع صاحب البلاد . وانى أنصح المسلمين جميعا أن يعرفوا هذه العلوم ويقرؤوها لينفعوا أممهم ويطردوا عدوهم ويرضوا ربهم والحمد لله رب العالمين . انتهت المحاضرة وبها تم تفسير (سورة الحج)

﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع بعض الفضلاء على جلة فى هذه السورة تحت عنوان ﴿ مسامرة فى قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها - الخ ﴾ فقال ان القول فيها قد طال جدا وكثر الأخذ والرد فاذا تقصد . فقلت إن القول هناك تام . قال ولكن فى الاعتراض عليك أظهرت الجساسة وفى رد الاعتراض لم تظهر مثلها . قلت إن ملخصها أن بعض الحجاج أخبرنى انهم فى أيام (منى) يذبحون القربان ولا يعطونه للفقراء وبهذا يكون المرض فالموت . فقلت لهم ما ملخصه ان هذا حرام فى ديننا بدليل ان الله يقول - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز - . إذن المقصود من القربان الاطعام لانه يرمى فوق الجبل ويعفن الجؤ . وبدليل قوله تعالى - كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون - وكيف يكون الشكر على ريم تؤذينا وسماها الله رزقا فهل الرزق هو الرم الملقاة وقال أيضا - وأطعموا البائس الفقير - فأمر سبحانه مرتين بالإطعام والأمر للوجوب . إذن تركه على الجبل بدون إطعام الفقير منه حرام بنص الآية . فقال الآن فهمت انتهى

﴿ وبهذا تم الكلام على سورة الحج ﴾

﴿ سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثمانى عشرة آية ﴾

سندكر مناسبتها لما قبلها فى لطائف (المقصد الثانى) منها وهى (ثلاثة مقاصد)
 ﴿ المقصد الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - وعليها وعلى الفلك تحملون - وهو فى خلق الانسان ونظام
 هيكله والنبات والحيوان
 ﴿ المقصد الثانى ﴾ من قوله تعالى - واقعد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - الى ربوة ذات قرار
 ومعين - وهو قصص بعض الأنبياء
 ﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى آخر السورة وهو خطاب
 عام للرسل ونتائج الرسالة وأدلة ونصائح مختلفة

(المَقْصِدُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *
 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ
 لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *
 الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ
 جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ
 عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ
 إِنَّا نَسَخْنَا مَا نُكِّنَا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا
 عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِنَّ لِقَادِرُونَ * فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ
 كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغٍ لِالْكَالِينِ *
 وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
 تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح المؤمنون) أى قد نجحوا وفازوا وسعدوا الموحدون المصدقون (الذين هم فى صلاتهم خاشعون)

تحبون متواضعون لا يلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يرفعون أيديهم في الصلاة وهم يجمعون الهمة ويعرضون عما
 سوى الله بقلوبهم ويتدبرون فيما يجري على ألسنتهم من القراءة والذكر فهم على ذلك لا يفرقون أصابعهم
 ولا يهشون فيها . ومن لوازم جمع الهمة وتدبر القراءة أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (والذين
 هم عن اللغو معرضون) عن الباطل والحلف وعن كل ما لا يعنيه وعن كل كلام ساقط حقه أن ياتى كالكذب
 والشتم والهزل منصرفون . ذلك لأن هؤلاء من الجد ما يشغلهم فهم في صلاتهم معرضون عن كل شئ إلا عن
 الخالق وفي خارج الصلاة معرضون عن كل ما لا فائدة فيه متجهون للجد والعمل الصالح فكأنهم أخذوا من
 جمع همتهم في الصلاة درسا بعدها وتخلقوا بأخلاق الله في النفع العام والآداب العاتية التي هي تخلق باسمه تعالى
 القتوس (والذين هم للزكاة فاعلون) مؤدبون مداومون (والذين هم لفروجهم حافظون) الفرج اسم لسواة
 الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام فهم لا يبذلونها وهم يلامون على كل مباشرة (إلا على أزواجهم
 أو ما ملكت أيمانهم) أى إلا على ما أجاز لهم (فأنهم غير ملومين) عليه . وقال الفراء إلا من أزواجهم أى
 زوجاتهم أو سرياتهم فتكون على متعلقة بحافظين (فن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فأولئك هم العادون)
 الكاملون في العدوان (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق
 عليه (راعون) حافظون يحفظون ما ائتمنوا عليه ويفون بالعقود التي عاقدوا الناس عليها . فالأمانات إما
 للحق كالعبادات وإما للخلق كأدوائع (والذين هم على صلواتهم يحافظون) تفسيرها ظاهر (أولئك) أى أهل
 هذه الصفة (هم الوارثون) فهم يرثون الأرض في الدنيا ويرثون الجنة في الآخرة . أما ارثهم الأرض في الدنيا
 فلصلاحتهم لها كما تقدم في ﴿سورة الأنبياء﴾ أن الله كتب في جنس الكتب السماوية بعد كتابة اللوح
 المحفوظ أن الأرض يرثها عباده الصالحون لها . فبالدنيا بقيامهم بما يوجب حفظها ونمو خيراتها والقيام بنظامها
 الى آخر ما تقدم . ولا جرم أن هذه الصفات من رعاية الأمانة ومأمعها من أهم صفات الأمم التي يثبت سلطانها
 وتعمر مدنها . ولما كانت الآخرة نتيجة للعمل في الدنيا ذكرها هنا فقال (الذين يرثون الفردوس) أى
 البستان وهو هنا أعلى الجنة وهى مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها
 درجة ومنه تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش العظيم هكذا ورد في حديث الترمذى (هم فيها
 خالدون) لا يخرجون ولا يموتون . ولما كانت الصفات المتقدمة صفات خلقية بها يتصل المرء فيصلح لما يلقي
 إليه من الأعمال صدرت بها السورة التي عنوانها الفلاح . فالفلاح للمؤمنين متوقف على هذه الصفات وهذه
 الصفات جليلة القدر عظيمة الأثر . ألا ترى الى ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كان رسول الله
 ﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فأنزل الله عليه يوما فكث ساعة ثم سرى
 عنه فقرا - قد أفلح المؤمنون - الى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم
 استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا . واكرمنا ولا تمننا . واعطنا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر
 علينا . اللهم أرضنا وارض عنا . ولقد كان ذكر الآيات الآتية من العلوم النفسية والتشريحية والمواليد
 والجمال السماوى من الزيادة التي طلبها النبي ﷺ فان هذه العلوم الآتية من تلك الزيادة فكأنه يقول ﷺ
 أنزلت علينا علوم الأخلاق النفسية والمعاملات الانسانية والعبادات الربانية فزدنا من العلوم التي نقف بها على
 مصنوعاتك وبديع مخلوقاتك فان النفوس المتحلية بالصفات الخلقية مستعدة للاطلاع على جمال هذا العالم .
 ولا جرم أن هذه العلوم الآتية زائدة على المقدمة في السورة من الصفات الانسانية . ويؤيد هذا أن الله أمره
 ﷺ في سورة طه أن يقول - رب زدنى علما - فالزيادة هنا هي الزيادة في العلم أو تشمل الزيادة في العلم
 وهذا قوله (ولقد خلقنا الانسان) آدم (من سلالة) خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) فتلك الخلاصة
 المسالوة من طين هي الصفوة المجعولة آدم ولا علم للناس بما كان من التطور الذي حصل لتلك الخلاصة الطينية

وهل كان أول خلقه تحت خط الاستواء كما جاء في كتب قدمائنا أن أصل هذه الحيوانات الكبيرة قد خلقت عند خط الاستواء لأنه هو المكان المستعد للتخاق للخصوبة وللحرارة وقد خلقت أوائل الحيوانات هناك ومن ذلك الانسان وأن أصل الآدميين خلق هناك . ثم ان الحيوانات حفظت في أرحامها تلك الحرارة التي تولد آباؤها فيها بقيت على ما هي عليه عند خط الاستواء بحيث تكون تلك الأرحام حافظة تلك الدرجة ليتولد فيها الذرية الى آخر الزمان . أم كان أصل التولد في البحر لكل حيوان ثم ارتقت تلك الحيوانات من بحرية الى برية ومنها الانسان فارتقى الى ما هو عليه . لا يعلم أحد ذلك وإنما الذي نعلمه أن الانسان يأكل الثمرات والحبوب واللحم فيصير ذلك دما ومنه تكون النطفة فيخلق منها الذرية الانسانية في الانسان والحيوانية في الحيوان فالملحوم عندنا خلق نسل آدم كنسل الحيوان لا أصل آدم ولا أصل الحيوان وهذا هو قوله (ثم جعلناه) أي جعلنا نسله (نطفة) وهي المنى (في قرارمكين) حريز وهو الرحم وإنما سمي مكينا لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة في درجة حرارة خاصة وربما كان ذلك الاستقرار في الآية مشيرا الى ما يقوله قدمائنا من الفلاسفة أن تلك الحرارة حفظت وبقيت منذ كان الأصل في خط الاستواء وسترى ما يشير لذلك قريبا من المنقول عن النقوش اللوحية المترجمة من الآثار الهندية (ثم خلقنا النطفة علقه) أي صيرنا النطفة قطعة دم جامد (خلقنا العلقه مضغة) أي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة قدر ما يعضغ (خلقنا المضغة عظاما) بأن ميزنا ما بينهما فما كان من العناصر الداخلة فيها موادا للعظم جعلناه عظاما وما كان موادا للحم جعلناه لحما فان المواد الغذائية شاملة لذلك كله وهي بعينها منبثة في الدم وهو قوله (فكسونا العظام لحما) وهناك نمو الجنين نماء مطردا وهو قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) بأن نفخنا فيه الروح وجعلناه حيوانا بعد ما كان أشبه بالجماد ناطقا لا أبكم سميعا بصيرا وأودعنا فيه من الغرائب ظاهرا وباطنا ما لا يحصى وجميع أعضائه مقسمات تقسيما حسنا مقيسة بشبهه بحيث يكون طوله ثمانية أشبار بقياسه واذا مده يديه الى أعلى كان عشرة أشبار بشبهه هو واذا مده يديه الى الجهتين كان طولها كطولها على السواء . وقد تقدم في هذا التفسير عجائب خلقته في مواضع مختلفة وفيها يظهر لك أن الجليل وغير الجليل من النسبة القياسية الشبرية فالشبر كان الأساس الذي وضعه الله لقياس بدن الانسان . ولذلك لما كان قدماء المصريين يعلمون علوما يجهلها الناس الآن جعلوا أصل المقياس الشبر . ألا ترى أن الهرم الأكبر للجيزة طول كل ضلع من أضلاعه ألف شبر بشبر الانسان وهذا الهرم مقيس على حسب مدار الشمس السنوي وطوله ومنسوب اليه ومن هذا الهرم وحسابه يكون الأردب والويرة والسكيلة وكذلك الرطل والأوقية والدرهم وما أشبهها . كل ذلك مبني على الهرم ومقياسه وكذلك الفدان المقيس عندهم بمقياس غير « القصبه » الحالية وهو موضوع في الهرم الأكبر . وعسى أن يذكرني الله ذلك عند قوله تعالى - ووضع الميزان * ألا تظفوا في الميزان - كما ذكرني بذلك في (سورة يونس) ووضحته فاذا وفقني الله لذلك ووصلت الى ﴿سورة الرحمن﴾ شرحت هذا المقام ان شاء الله لتعجب من علوم الأمم وفقهها في نظام الدنيا وكيف جعلوا شبر الانسان أصل المقاييس وكيف نكيل ونزن ونبيع ونشتري في أسواقنا ولا علم لنا أننا نقبس ونزن ونكيل بما هو من نتائج أشبارنا التي قدرها الله لنا في الأرحام وجعلها في مضمون هذه الآية إذ أنشأنا الله خلقا آخر فيجعل الطائل مستهلا ثم قاعدا ثم قائما ثم ماشيا ثم يفتطم ويأكل ويشرب ويبلغ الحلم ويتقلب في البلاد (فتبارك الله) استحق التعظيم والشأن في الأزل وفيما لا يزال (أحسن الخالقين) المصورين والمقدرين ويقال ان الناس يخلقون أي يقدرون الأشياء كما قيل

فلأنت تفرس ما خلقت وبعثت القوم يخاق ثم لا يفري

أي أنت تقدر الامور وتقطعها وغيرك يقدر ولا يقطع (ثم إنكم بعد ذلك لमितون) لصارون الى الموت (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) للحاسبة والمجازاة وليس خلقكم على هذا النظام وبعثكم بلا أسباب استوجبت فكما

خلقناكم من ماء مهين والأسباب والمسببات متلاحقة منتظمة بحساب ونظام لا بالصادفة والاتفاق هكذا كانت
 الأسباب السابقة على خلقكم فأول الأسباب عالم الملائكة والعقول التي تهيمن على عالمكم ويلى هؤلاء عالم السموات
 ومنها الطرائق السبع التي هي أقرب اليكم من غيرها جمع طريقة وهي طرق الكواكب المعروفة عند البشر
 في هذه الأرض وهي سبعة وهناك طرائق أخرى عرفها الناس حديثا وقد صرنا الكلام على ذلك في سورة البقرة
 فالموضوع هناك مستوفى وكذا في سور أخرى . فهذه الطرق السبعة تسير فيها الكواكب بحساب منظم متقن
 لاخال فيها وهذا قوله (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) وقوله (وما كنا عن الخلق) أى المخلوق وهي تلك
 الطرق وغيرها من جميع المخلوقات (غافلين) مهملين أمرها وكيف نهملها ولو انا أهملناها لحظة لاخلت الموازنة
 بأن يسير كوكب في غير مداره أو يزل نجم عن سنان سيره فيختل النظام العام وبسير الكواكب ومنها الشمس
 تنتقل الحرارة في الأقطار الأرضية وهذه الحرارة تكون أوفرى في خط الاستواء وينشأ منها بخار يعالو الى طبقات
 الجو فيبرد تارة في خط الاستواء فيهطل هناك وتارة في المنطقتين المعتدلتين . وبتنوع الرياح من موسمية
 وتجارية وتجارية ضدية ودورية تنوع الأمطار وتهطل في أماكن مختلفة فالجو في أعلاه بارد وحرارة الشمس
 تؤثر في سطح الأرض فيرتفع البخار وتتموج الرياح فاذا سارت من المنطقتين المعتدلتين الى الدائرتين القطبيتين
 قابلت هناك جوا باردا فأمطرت . فالأقطار الباردة والجو الأعلى سيان في البرودة فهناك تكون الأمطار وتنزل
 على الأقطار . ومتى قابلت الريح الباردة جوا حارا وفيها بخار تفرق ذلك البخار فان الحرارة تفرق والبرودة
 تجمع وتضم . وقد تقدم تفصيل الكلام في التفسير . وهذا المطر ينزل على الجبال وعلى السهول فيخزن في
 الجبال ويصير فوقها ثلجا فاذا سلطت عليه حرارة الشمس ذاب الثلج من فوق الجبال قليلا قليلا فنزل على
 اليابسة ليمد الأنهار والأنهار تسير لتسقى المزارع وهكذا باطن الجبل يبرد الماء فيه فيكبر حجمه عند صيرورته لثجا
 فيكسر ما فوقه من الأشجار فتتفجر الينابيع فيجري الماء فتزيد الأنهار . فالجبال مخازن خزن الله فيها الماء
 لينزل في زمن لا ينزل فيه المطر وهذه المعاني هي التي في قوله تعالى (وأنزّلنا من السماء ماء بقر) بتقدير يكثر
 نفعه ويقل ضرره كما رأيت من احكام الجبال واتقان عنصر الماء بحيث يكبر حجمه اذا برد . وجميع السوائل
 ليست على هذه الشاكلة وخص الماء بهذا الوصف ليكون كبر الحجم مفتاحا تفتح به خزائن الرحة وبدائع
 الحكمة ويكون درسا للسامعين ونبراسا للشبان ليفتحوا به خزائن الحكمة كما فتح به خزائن الماء المخزون في
 داخل الجبل المنصب من أعلاه في المغارات والكهوف والأماكن الواسعة في جوف الجبال (فأسكناه في الأرض)
 أى جعلناه ثابتا فيها فنه ماني الجبال ومنه ما يكون في مجارى تجرى من خط الاستواء مارّة بباطن الأرض
 القريب والبعيد ويمرّ على معادن مختلفة فيتشكل بشكلها ويتصف بصفاتهما فنه النوشادري ومنه الكبريتي
 ومنه الملحي وهكذا من أنواع المياه وهذه المياه هي القريبة من سطح الأرض وهناك مياه بعيدة الغور بعيدة
 العمق يقال لها المياه الارتوازية وهذه مياه في بلادنا المصرية صافية نقية جريّة خالصة لاتأثير لشيء عليها صالحة
 للشرب تبعد عشرات الأمتار عن سطح الأرض بل هونيل آخر غير النيل الذي على وجه الأرض يأتي من
 « جبال القمر » التي منها ينبع نيل مصر ويمر كما يمرّ نيلنا من هناك الى البحر الأبيض المتوسط وهذا النهر
 لا يتوصل اليه إلا بمشقة لشدة بعده والماء الذي يخرج منه يكون مرتفعا جدا لأن منبعه من خط الاستواء
 في علو شاق . ومن عجب أن ذلك النيل الباطني صالح للشرب والنيل الظاهر صالح للزراعة ولا يصلح للشرب
 في أيام النيل إلا بعد غليه وتصفيته مما فيه من المواد الغريبة لأن هذا الماء فيه حيوانات ضارة فغليه يقتنها
 فليكن صافيا من المواد وليكن مغليا . فهذه المياه كلها في ظاهرها الأرض وباطنها من السماء
 الذي كان بخارا من البحر الملح وغيره ثم صار سحابا فأجزته الرياح وكل ذلك بسبب الشمس التي تجرى في
 طريقة من الطرائق المذكورة . فاذا كان هذا كله بتقديرنا فانا قادرون أن نغير الأسباب فنغير مجرى الشمس

عن المدار فيختل ذلك كله فلامطر ولاماء (وانا على ذهاب به لقادرون) أى على ازالته بافساده بأن نجعل الماء كله مالحا بحيث يجعل الملح صاعدا من البحر مع البخار بطرق أخرى أو بأن تزيد الحرارة على أنهاركم فيصير الماء بخارا أو يفتح في الأرض فتحات عظيمة فيغور ذلك الماء وغير ذلك . لم نقل ذلك بل أبقيناه (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) تتفكحون بها (ومن الجنات ثمارها وزرعها (تأكلون) ترتقون وتحصلون معاشكم (وشجرة) عطف على جنات (تخرج من طور سيناء) جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وهو طور سينين . يقول الله وأنشأنا لكم به شجرة وهى الزيتون تخرج من طور سيناء وسيناء اسم للكان الذى فيه الجبل المذكور (تنبت بالدهن) أى ملتبسة بالدهن ومصطحبة به (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن فهى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه إداما يصبغ به الخبز أى يغمس فيه للائتمام به . واعلم أن زيت الزيتون له مزايا فلا ذكر منه ما يهيم فأقول

تعلم أيها الذكي أن الطاعون قد يحلّ بالبلاذ أثر الحوادث الحربية والوقائع العظيمة وغير ذلك . واقد كتب طبيب مصرى فى الجرائد المصرية يقول ان العلماء بحثوا فى أهم الأدوية لتجنب الطاعون وما الطاعون إلا مرض والأمراض لها أدوية علمها من علمها وجهلها من جهلها . واقد عرف الناس اليوم أن المعامل التى فيها يعمل الزيت المستخرج من الزيتون لا يستضر العاملون فيها بالطاعون بل يمرّ عليهم ولا يؤثروا فيهم . هكذا الذين يعملون فى الزيوت الأخرى ولكن أهمها زيت الزيتون . واقد شرح ذلك شرحا وافيا على صفحات الجرائد فأردت ذكره هنا ليعلمه الناس ويدرسوه . واقد وصف ذلك الطيب وغيره وصفا مؤقلا لمن لم يعتد شرب الزيت أو الائتمام به فحتم على الطاعون أن يستكن فى حجرة ويدلك له جسمه كله بصفات خاصة فيكون ذلك دواء له . ولكن الذى يهمننا أن الآكلين له المؤتمدين به لا يغشاهم الطاعون وهذا من سر قوله تعالى - بوقد من شجرة مباركة زيتونة - فهذه الشجرة مباركة ومن بركتها النجاة من الطاعون لمن أكل زيتها بل كل من اعتادوا أكل أنواع الزيوت الأخرى يتجنبهم الطاعون ولكن زيت الزيتون أهم منها وهذا لم يعرفوه إلا بالتجربة وبالمصادفة . إن فى ذكر الزيتون وحده واختصاصه بالذكر لمزيات ومنها ما ذكرناه . إن أنواع الفواكه إما سكرية وإما مائية وإما حضية وإما عطرية وإما زيتية فالأولى كالتمر والعنب والثانية كالخيار والقتاء والثالثة كالليمون والرابعة كالتفاح والخامسة كالزيتون . فالفواكه يدخل فيها هذه الأقسام فلم يختص الزيتون وحده بالذكر . إن الزيتون يضىء ويؤتمد به ويمنع الطاعون لمن أدام أكله ولما كان فيه مزية الاشراق والإضاءة جاء ذكره بعد هذه السورة فى التمثيل بقوله - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ فليس فى التمر ولا فى العنب ولا فى بقية الفواكه المعروفة ما يستضاء به فأفردنا بالذكر وكأنه يقول لقارئ هذه السورة تأمل فى شجرة الزيتون فقد أفردتها بالذكر وتنبه لها فان أهم ما فى حياتكم الدنيا أن تكون نفوسكم مشرقة ولا فائدة فى نخلكم ولا عنبكم ولا بقية الفواكه ولا نباتكم من الطاعون فكل هذا قليل فى جانب اشراق قلوبكم وخالوصكم من هذه الأرض المملوءة من الظلمة والرجس والخبث فتنبه أيها القارئ! اكتبنى لهذه الشجرة فانها ستأتى فى المثل الذى ضربناه فى سورة النور بعد هذه وسميت السورة كلها بالاسم الذى جىء به من الضوء الذى يوقد من الشجرة المباركة التى ذكرناها هنا وحدها وأفردناها بالذكر وذكرناها فى ﴿سورة التين﴾

ولما كان الماء به يخرج الشجر والنبات وهما مقدمتان لخلق الحيوان كما هو مقرر فى الحكمة وكان هذا كله مقدمة لخلق الانسان شرع يذكر خلق الحيوان كما تقدم فى السور السابقة الحجر والنحل وطه والأنبياء والحج فقال (وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها) أى إن لكم فى الأنعام آية تعتبرون بها وذلك أن

اللبن يكون خلاصته من الدم المستخلص من الغذاء كاللبن وأوراق الشجر والحلب الذي يزرده الحيوان فيهضم فيكون كيموسا ثم كيلوسا ثم ينقاب دما وما بقي بعد الخلاصة التي تكون دما يصير فرنا يخرج من منفذه وما زاد من الماء يفرز فيخرج من منفذه . فالفرث والدم كلاهما في جسم الحيوان . الأول في الامعاء الغلاظ والدقاق والثاني في العروق بقسميها وهي الشرايين والأوردة ومع ذلك لا يختلط الفرث بمجاري اللبن ولا الدم ولو شاء الله لغير الوضع فلم يخلص لكم اللبن كما لو شاء لغير وضع الكواكب والرياح فلم يكن الماء على الأوضاع المتقدمة فشر بجموه ثم قال (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها وأصوافها وشعورها وغير ذلك مما يعرف بالبحث ومتى تركتم البحث فيها وفي غيرها من منافع خلقي حرمتكم منها وسلطت عليكم غيركم لأنى لأعطي النعمة إلا لمن يشكرها وأيضا جميع العلوم فرض كفاية . فليقم فيكم من يعرفون ويخصص لكل علم طائفة ثم قال (ومنها تأكلون) فتنفعون بأعيانها (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى وعلى الأنعام التي منها الإبل تحملون والابل سفائن البرّ * قال ذوالرمة * سفينة برّ تحت خدى زمامها * يقول الله - وعليها وعلى الفلك - أى سفن البحر تحملون فأتم تحملون في البرّ وفي البحر . انتهى التفسير اللفظي للمقصد الأول وفيه ﴿ ثلاث لطائف ﴾

(١) في قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين -

(٢) في قوله تعالى - سبع طرائق -

(٣) في قوله تعالى - وان لكم في الأنعام لعبرة - الخ

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين - ﴾

قد قلت لك ان قدامنا كعلماء كتاب ﴿ اخوان الصفا ﴾ كانوا يقولون إن أصل الحيوان تولد في خط الاستواء ومن عجب أن يكون لهذا القول شبه دليل وان كانت الحقيقة لا تزال خافية . فانظر كيف جاء في جرائدنا المصرية في يوم الاثنين ٩ مارس سنة ١٩٢٤ في أثناء تفسير هذه السورة مانصه ﴿ رأى جديد في مهد البشرية وحضارة ما قبل التاريخ ﴾

كتب (الكولونيل جيمس شيرشوار) الضابط بالجيش الانجليزي ومن المشتغلين بعلم الآثار يقول انه عثر في الهند على (١٢٥) لوحة عليها كتابات قديمة وأنه ترجم هذه الكتابات بمساعدة كثيرين من علماء البوذيين واستخلص مما حوته أن مهد البشرية لم يكن في (العراق) ولا في (الأناضول) بل في قارة كانت قائمة على خط الاستواء اسمها (مو) قارة في الاوقيانوس الباسفيكي قبل (١٥) ألف سنة وزاد على ذلك أن الكتابات التي عثر عليها تشير الى أن جنة عدن كانت في هذه القارة قبل ١٣ ألف سنة . ومما قاله (الكولونيل جيمس شيرشوار) في مقالاته المفصلة عن هذا الاكتشاف ان حضارة سلطنة (مو) كانت أعظم من جميع الحضارات التي عرفها البشر فيها بعد فقد كان لأجدادنا قبل (١٣) ألف سنة اختراعات ذهب سرّها مع الزمن وكانت جيوش سلطنة (مو) مجهزة بطائرات كبيرة تسع الواحدة منها (٢٠) جنديا وتسير بمحركات بسيطة مستخدمة لقوى الطبيعة التي يسى العلم الآن الى الاستفادة منها في هذه الأيام . وقد جاء في الكتابة المكتشفة أخيرا أن قائدا اسمه (رمنسدر) من قواد سلطنة (مو) طار من عاصمة سيلان الى الهند الشمالية دفعة واحدة وأن جنوده كانت مجهزة بأسلحة نارية وأن البارود كان معروفا في ذلك الحين ولكن وقعت زلزلتان قبل (١٣) ألف سنة دمرتا قارة (مو) فابتلعت مياه الاوقيانوس سكانها وقصورها ومدنها وآثارها . أما أسباب الزلزلة فقد وصفت في الكتابات القديمة التي كشفها (الكولونيل جيمس شيرشوار) كما يلي

كانت قارة (مو) تحتوى على تجاويف مملوءة غازا وحدث أن ظهر بركان فيها فانفجرت النار في هذه التجاويف ونسف القارة إلا بعض أنحاء منها تعرف اليوم باسم (جزر هاواي) انتهى

واعلم أن هذا القرل يشهد لما يقوله علماء الهند ونقله (اخوان الصفا) ان العالم يحصل له انقلاب في كل (٣٦) ألف سنة فيصير البرّ بحرا والبحر برا والخراب عامرا والعامر خرابا فاذا صحّ هذا النبا يكون ما يقوله القوم له آثارا لأنه منقول عن علماء البوذيين وهذه المدّة تسمى مدة تقدم الاعتدالين وقد حسبها علماء العصر الحاضر فوجدوها ٢٥ ألف سنة والله أعلم بالحقيقة . والذي يهمننا في هذا المقام أنهم ذكروا أن هناك جنة عدن وأن القارة تحت خط الاستواء وجعلوها منشأ الجنس البشرى وهذا القول بعينه هو المنقول في (اخوان الصفا) عن الهنود والله يعلم والناس يتعلمون

﴿ هداية نجمت من هذه الآيات ﴾

أيها العلماء . أيها الأذكياء في الأمة الاسلامية . انظروا الى هذه الآيات كيف ابتداء الله بخلقنا من طين وأخذ يتدرّج في الخلق طبقا عن طبق وحالا بعد حال الى أن انتهى الى إنشائنا خلقا آخر ثم أماننا ثم بعثنا أليس هذا هو التاريخ الطبيعي للانسان . طين ارتقى فصار حيا ثم ارتقى فصار روحا تقابل ربها . يظنّ صغار العلماء وجيع الجهلاء أن هذه مسألة قاصرة على خلق الانسان وعلى ظواهر القول . كلا . إن القرآن نزل هداية للناس . يقول الله تعالى - وانك لتهدى الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - ويقول - أدع الى سبيل ربك - الخ ويقول - إن ربي على صراط مستقيم - ويقول - كتاب أنزلناه اليك مبارك ليذكروا آياته وليتذكر أولوا الألباب - ويقول - وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون - فها هو ذا هنا سبحانه قد فصل لنا آيات الخلق الانساني وأرانا سبيله وطريقته في نظام التعليم الانساني وكيف نسير فيه . يقول الله على لسان رسوله ﷺ - هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن - فسبيل الله وسبيل النبي ﷺ هي اننا نقرأ تاريخ العلوم . فكما انه مرّ على أدوار الانسان من النطقة الى العلقه الى أن كبر ومات وقابل ربه . هكذا نفعل في جميع العلوم أي انه يستحسن أن نسلك فيها هذا المسلك بعينه فاذا أردنا تلقين علم من العلوم كالنحو والصرف والبلاغة وعلم الهندية والتاريخ والجغرافيا وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم النفس وعلم الفلك وعلم الموسيقى وهكذا وجب علينا أن نجتمع تاريخ هذا العلم من مبدئه الى منتهاه فاذا درسنا علم الفقه فنورد للطالب تاريخ الفقه مختصرا وكيف كان أصله من الاصول الأربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس وتدرّج ونسير معه من عصر الصحابة الى الأئمة المجتهدين الى من بعدهم من العلماء الى وقتنا الحاضر ونستخلص الزبدة ليكون القارئ على بصيرة . وهكذا اذا درسنا علم النبات نبعث في أصل تكوينه من الخلية الصغيرة وتكاثرها ثم أنواع النبات من أدناه الى أعلاه . وهكذا ندرس تاريخ علمه من حيث المباحث النظرية من مبدئ التاريخ المعروف الى الآن والاشارة الى أهم الكتب وأهم العلماء الذين ألفوا فيه . هذه هي الطريقة والسبيل الوحيد الذي به يكون في الاسلام رجال مثقفون عقلاء علما وحكمة

ومماثل العلماء في ذلك إلا كمثل الفلاحين لا ينالون حظا من حقوقهم ولا يكسبون غلة من زروعهم إلا اذا حرثوا الأرض حرثا جيدا وقلبوها قلبا تاما فتي وضعوا الحب ونزل عليه الماء نبت وازدهى وترعرع هكذا الطالب لا يتبرع شمس معارفه ولا تزهر إلا اذا بحثنا له عن تاريخ العلوم وفتشناها وأثرنا ما كمن فيها فهناك يكون نبوغه وظهوره لأنه نبت في أرض العلم الصالحة للإنبات المتخاضعة الأجزاء فيتوغل فيها بعقله ويدرسها ويمتد في أعماقها بعقله فيزكو فرعه ويزهوزهره ويوجد ثمرة فيكون خيرا لأمة

هذه سبيل الله في التلميم وهذا هو الصراط المستقيم . واذا كنا نرى الامام الشافعي مثلا رضى الله عنه يدقق في مسألة الوضوء ويأمر أن نغسل الوجوه أولا كما ذكرها الله أولا ويجعل اتباع ترتيبه واجبا فأغسل وجهي ثم يدي ثم أمسح رأسي ثم أغسل رجلي . لماذا هذا . لأن الله ذكرها هكذا مرتبة . اذا كان هذا رأى أ كابر الأمة في مسألة الوضوء الذي لا يضرّ فيه أن تؤخر وجهها عن يد ولا أن نقم رجلا على رأس فان

المقصود من النظافة حاصل على كل حال . فكيف تكون حالنا في العلوم التي هي واجبة وجوبا كفاثيا على القادرين من الأمة . أقول كيف تكون حالنا فيها . أفلا نتهج النهج الذي سنه الله ونرجع دائما الى تاريخ كل العلوم فندرسها لأبنائنا أولا حتى يكونوا قد اطلعوا على ملخص تاريخها ليكونوا أقرب الى الحقائق وأكثرا استعدادا للاجتهد

هذه هي الحياة الاسلامية وهذه سبيل ربك وهذا هو الصراط المستقيم صراط الله . يأمرنا الشافعي رحمه الله أن نبدأ بما بدأ الله به . أفلا يجب علينا أوعلى الأقل ينبغي لنا أن نتهج ما نهجه الله في تعليمنا فنلخص تاريخ العلوم كما لخص الله تاريخ خلق الانسان . ولقد قام بنوع من هذا العمل صاحب ﴿ كشف الظنون ﴾ التركي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري فانه ذكر تاريخ العلوم وذكر الكتب المؤلفة في كل علم . وهذه طريقة أوروبا في تعلم العلوم جميعها ولذلك نسميهم يقولون « التاريخ الطبيعي . التاريخ البشري . التاريخ الأثري . التاريخ الرياضي » وهكذا

بهذا فاقونا وازدروا بالشرقيين لجهالتهم ونومهم العميق . أوروبا نهجت نهج القرآن واتبعت سبيله في التعليم ولكن لا تظن اني أقول انها اتبعته فعلا . كلا . لأنها تجهله وانما هي سارت على السبيل الذي في القرآن وان لم يعلموه فلما اطلعنا على طريقهم رأيناها هي التي يرشد لها القرآن . فعلى المسلمين أن يسلكوا نفس هذه السبيل

إنك أيها الذكي سواء أ كنت من ذوى المال أو الجاه أو العلم مسؤل عما أ كتبه الآن فكن خيرا هاد ومرشدا للعلماء وللطلبة وجاهد في ذلك حق الجهاد واحذر أن تضن بموهبتك فالله سائلك كما اني مسؤل وقد قمت لك ما أقدر عليه فلتقم بما يجب عليك شكرا لربك وتعلما لأمتك وازديادا لعقلك وعلاوا لشرفك وعظمة لقدرك فسعيك لرقى أمتك نافع لك في الدارين اه

﴿ جوهره في قوله تعالى - نخلقنا المضة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر

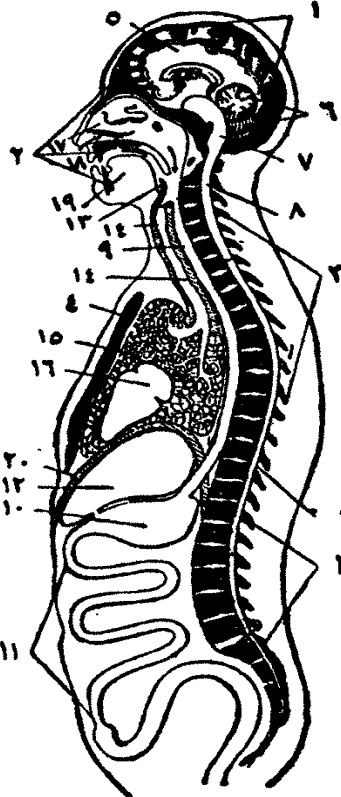
فتبارك الله أحسن الخالقين - ﴾

اعلم أن الله عز وجل لم يكرّر خلق الانسان في مواضع من القرآن إلا لما فيه من العجائب والبدائع واتقان الصنع وابداع التركيب . ولقد تقدمت في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - بدائع من تركيب جسم الانسان وبيان طبقات العين والأذن ورسهما وعجائب نظامهما وكيف كان في الأذن تعاريج في الداخل مشروحة هناك بعد رسمها وكيف كان هناك ما يسميه علماء الطب الحديث (عصى كورتى) جمع عصاة وهي عبارة عن شعرات دقيقة لا ترى بالعين وانما ترى بالآلات المصوّرات ووظيفتها على ما يظن اليوم انها تؤدى صور الأصوات المختلفة بحيث توصل كل واحدة منهن نوعا من الصوت الى القوة الحاكمة في الدماغ . فمنها ما توصل صوت الابرة مثلا عند وقوعها . ومنها ما توصل صوت قلة المدفع عند انطلاقها ومنها ما توصل الصوت الهادى . ومنها ما توصل الصوت المرتفع وهكذا مما لا يمكن إحصاؤه وتلك الشعرات قد خلقت في مادة سائلة في الأذن الداخلة وهذه وظيفتها فارجع الى ما هناك تجد شرحا وافيا . وهكذا ترى العين ووظائف طبقاتها طبقة طبقة وكيف كانت سبع طبقات وثلاث رطوبات وما وظيفة كل منها . وهناك أيضا تجد أجهزة الجسم الانساني مفصلة مبدعة أيما ابداع بحيث تجد بينها وبين ما في المدن من الصناعات موافقة تامة . فكما ان في المدن من يصنعون اللبن ويحرقونه فيصير آجرا هكذا جسم الانسان فيه قوى أودع مبدع الكون الحكيم بها ما يصور من المادة الدموية عظاما صلبة . فهذه هي العظام المتينة قام بها الجسم الانساني كما يقوم البيت بالآجرا اذا بنى به ولكن آجرا لبيت قد صنعناه بطرق معروفة مشاهدة فاننا خلطنا اللبن بالتراب ومزجناهما بالماء ووضعناهما في قالب خاص ثم جففنا ذلك في الشمس فصار لنا جع لبنة ثم وضعنا

ذلك اللبن بعضه على بعض بهيئة حاصة وأوقدنا عليه النار أيا ما وليالى حتى احترق ثم بنينا به المنزل . أما العظام في جسم الانسان فانتا ألفتيناها صلبة بلاعمل منا ولانار أوقدناها بل الأمر فيها عجيب فاما صارت صلبة منظمة مرة واحدة فهي لبن فآجر مبنى منظم . ففي المنازل نرى الأعمال يتبع بعضها بعضا ونرى الصناع كذلك . اما هنا فاننا نرى من يضرب اللبن ولا من يجعله آجرا ولا من يبنيه ولا من يهندس البناء . ومع اننا لانرى العمال التي فعلت ذلك نجد أن هذه الصناعات كلها تصنع في آن واحد فيكون البناء مصاحبا صنع آلاته بنظام تام واتقان في العمل . وأيضا كما اننا نرى في المدن الكناسين والزبالين نجد في الجسم الانساني أجهزة لاخراج ما في الجسم من بقايا الأطعمة التي اذا بقيت فيه أضرت به ﴿ مثال ذلك . الكليتان والحالبان والمثانة ومجرى البول ﴾ فهذه وضعت لاخراج الفضلة المائية وهكذا وضعت الامعاء وما يلبيها لاخراج الفضلات الغليظة . وأيضا كما أن في المدن من ينسجون الحرير والزقيق من الثياب هكذا نجد في الجسم الانساني تلك الطبقات الرقيقة والأعمال الدقيقة في العين التي لو خلقت خشنة لأضرت بحاسة الابصار . وان أردت استيفاء هذا المقام فاقرأه هناك فانك تجد جدولا فيه صناعات المدن موازنة بالعجائب التي في جسم الانسان بهيئة منظمة وعدد تلك الموازنات ٢٣ نوعا وقد شرحت هناك نظام العقل الانساني بعد نظام الجسم ليكون العاقل على بصيرة من أمر جسمه وأمر عقله وان كان ذلك بطريق اجالى

هذا ما ذكرته هناك فاقرأه إن شئت ثم اسمع ما أنلوه عليك الآن من عجائب صنع الله وبدائع حكمه في أجسامنا فوق ما تقدم ولعمرك اني حينما قرأت ما ستمعه الآن خطرت لي ﴿ خاطران متباينان ﴾ خاطر العظمة والمجد والشرف والعاو لأنى رأيت هذا الجسم الانساني متقنا اتقنا لاحد لجماله ولانهاية لكماله كما استراه وهو مسكن أرواحنا . وقد اعتنى صانعه به عناية تفوق العناية بتركيب الماء والهواء والمعدن والنبات وكل حيوان فأجسامنا مبدعة إبداعا غريبا بديعا عجيبا . فن هذا الوجه قلت في نفسى « نحن معاشر بني آدم فوق متناول الوصف وأرواحنا بهيئة جيلة بديعة ودليلي على ذلك هذه المساكن التي أعدت لها قبل هبوطها الى عالمنا الأرضى إني قد خطر لنفسي هذا الخاطر وصار ثابتا قويا وما أشبه هذه الروح الانسانية إلا بملك عظيم الشأن رفيع المنزلة أراد ان يزور قرية من القرى أو مدينة من المدن فأعدتوا له منزلا شريفا ومقاما كريما على مقدار منزلته ولقد رأينا من طبع هذا النوع الانساني أن يعدل للقادمين من الاكرام ما يوافق منازلهم ويناسب مقاماتهم . فعلى هذا القياس اذا قرأت ما سأكتبه لك الآن مفصلا ورأيت أن روحك قد حلت في هذه المدينة البديعة المنظمة التي لانظير لها في مدن الأرض وهي جسمك أيقنت لاحالة أن أرواحنا عالية الشأن وعاو شأنها على مقدار اتقان أجسامنا . هذا هو الخاطر الأول . أما ﴿ الخاطر الثاني ﴾ فهو يناقض الأول على خط مستقيم . ذلك اني قد خجلت واعتزاني الأسف والأسى . ذلك أن هذا النوع الانساني كله إلا قليلا يعيشون ويموتون وهم يجهلون هذا الهيكل كما يجهلون نظام أرواحهم وأنا واحد منهم فمن نعيش ونموت ونحن نجهل بدائع التركيب في أجسامنا ولا جرم أن هذا مما يخجل له الانسان فكيف تعيش روحى في هذا الجسم وتستعمله وهو مركب تركيبا أبداع من كل تركيب في أرضنا وهي لاتعقل منه شيئا واذ اعقلت شيئا كالذى ستقرؤه في نظام اليد الانسانية أيقنت أن ما جهلته هو كل شئ وأن ما علمته هو لا شئ . فالانسان كله غافل عن نفسه يعيش ويموت وهو ظالم كفار . ولعلك تقول ما الذى تريد ذكره الآن مما أثار فيك هذين الخاطرين من تشریح جسم الانسان أقول لك بعض ما جاء في كتاب ﴿ قانون الصحة المنزلى ﴾ تأليف الدكتور (جون سايكس) الذى عربته قلم صحة المعارف المصرية المطبوع سنة ١٩٢٤ م وهذا نصه

﴿ الفصل الثانى في تركيب جسم الانسان . يجب معرفة تركيب الجسم بالاختصار ليسهل معرفة وظائفه ﴾
يتركب الجسم الانساني من الرأس والعنق والجذع والأطراف . فالرأس فيه المخ وجزء من النخاع وعضو



(شكل ٩)

قطاع عمودي لجسم الانسان وفيه
مجموعة الأعضاء بعضها لبعض

الابصار والسمع والتكلم والذوق ومنافذ جهاز الهضم والتنفس (انظر شكل ٩) والعنق فيه الحنجرة (وهي عضو الصوت) وفتحة القصبة الهوائية وهذه عبارة عن أنبوبة توصل الهواء من البلعوم الى الرئتين وفتحة المريء وهو عبارة عن أنبوبة خلف القصبة الهوائية توصل الغذاء من البلعوم الى المعدة وفيه أيضا العروق التي يصعد فيها الدم الى الرأس وفيه الجزء العلوي من العمود الفقري المحتوي على جزء من النخاع

والجذع مركب من جزأين علوي وسفلي فالعلوي هو الصدر وهو تجويف مخروطي الشكل محدود من الخلف بالعمود الفقري . ومن الجانبين والأمام بالأضلاع وعظام القص والصدر يحتوي في الجهة اليسرى المقدمة على القلب والشرايين الكبيرة وعلى الرئتين . وينتهي الصدر من الأسفل بالحجاب الحاجز الفاصل بين جزأى الجذع . ويخترق هذا الحجاب شريان عظيم (الأورطي) والمريء والوريد الأجوف السفلي والقناة الليفافية والسفلى هو البطن المكون من الأمام والجانبين من عضلات ومن الخلف منها ومن العمود الفقري وينتهي من أعلى بالحجاب الحاجز ومن أسفل بعظام الحوض . ويحتوي على الأعضاء الآتية وهي (الكبد والمعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة والبنكرياس والطحال والكليتان والمثانة)

فالكبد يشغل الجهة اليمنى العليا من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة .

والمعدة معظمها في الجهة اليسرى العليا . والأمعاء الدقيقة تملأ الفراغ أمام المعدة وأسفلها وطولها نحو ستة أمتار . والغليظة تبتدى من أسفل الجانب الأيمن للبطن ثم تصعد نحو الكبد ثم توجه الى الشمال مارّة أسفل المعدة ثم الى الأسفل مخترقة الحوض وتنتهي بالمستقيم وطولها نحو متر وثمانية سنتيمترات . والبنكرياس محله خلف المعدة . والطحال محله في الجانب الأيسر تحت الحجاب الحاجز . والكليتان مجاورتان للعمود الفقري واليمنى تحت الكبد واليسرى تحت الطحال . والمثانة موجودة في أسفل البطن أمام المستقيم . والأطراف أربعة اندراعان والطرفان السفليان ولا حاجة لشرح أجزائهما وأجهزة الجسم هي

- (١) جهاز الحركة ويدخل تحته العظام والمفاصل والعضلات الإرادية وأوتارها
- (٢) الجهاز الدوري وأعضاؤه ثلاثة (القلب والأوعية الكبيرة والأوعية الشعرية)
- (٣) الجهاز التنفسي وأعضاؤه أربعة (الحنجرة والقصبة والشعب والرئتان)
- (٤) الجهاز الهضمي وأعضاؤه تسعة (الفم والأسنان وغدد اللعاب والبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس والكبد والأمعاء)

- (١) عظام الجمجمة (٢) عظام الوجه مع الأسنان (٣) العمود الفقري (فقرات العنق والظهر والبطن)
- (٤) القص (عظام الصدر) (٥) قطاع المخ (٦) قطاع المخيخ (٧) اتصال الدماغ بالجزء العلوي للنخاع الشوكي (٨) النخاع الشوكي (٩) المريء (١٠) المعدة (١١) الأمعاء (١٢) الكبد (١٣) لسان المزمار (١٤) القصبة الهوائية والحنجرة (١٥) الرئتين (١٦) القلب (١٧) الحفرة الأنفية (١٨) تجويف الفم (١٩) اللسان (٢٠) الحجاب الحاجز

(٥) الجهاز الليفنقاري وأعضاؤه عروق الدم الأبيض والأوعية اللمبية والطحال وبعض الغدد

(٦) الجهاز البولي وأعضاؤه الكلى والحالبان والمثانة ومجرى البول

(٧) الجهاز الجلدي وأعضاؤه غدد العرق والغدد الدهنية والشعر والأظافر وطبقات الجلد

(٨) الجهاز العصبي وأعضاؤه المخ والنخاع والأعصاب بأنواعها وأعصاب الحواس الخمس

﴿ جهاز الحركة ﴾

يتكوّن هذا الجهاز من الهيكل العظمي الذي تتصل عظامه بعضها ببعض بواسطة المفاصل ومن العضلات التي تحركها وتحرك العظام

الأطراف السفلى تحمل الحوض الذي يتصل بها وتحمل العمود الفقري الذي يحمل من أعلاه الجمجمة ويتصل به في جزئه الخلفي اثنا عشر زوجاً من الأضلاع وبذلك يتكوّن الصدر المتصلة به الأطراف العليا (انظر شكل ١٠)

ولما نقلت ما تقدم من الكتاب المذكور واطلع عليه أحد الفضلاء قال لي هذا كلام الأطباء وهو مقال مجمل والاجال غير التفصيل فاذا كررنا مثلاً يبين تلك الأجهزة وعجائبها ثم بعد ذلك اذكر أبداع مآثرها في هذا المقام . فقلت سأجعل ذلك في ﴿ فصلين ﴾ الفصل الأوّل ﴿ في عجائب تلك الأجهزة بضرب مثل ﴾ الفصل الثاني ﴿ في أبداع مآثرها في هذا المقام

﴿ الفصل الأوّل في ضرب مثل لعجائب هذه الحكم في جسم الانسان ﴾

تصوّر أيها الذكي انك في حديقة فيها من كل فاكهة زوجان ورأيت ضروب الثمار تحيط بك ونظرت عينك تلك الأنواع فاخترت منها فاكهة التفاح . فإذا حصل . اقتطفت منها تفاحة وقشرتها وأكلتها . فهذا هو المثل الذي أضربه لك . ويانه اتنا نرى أن في بيوتنا أزراراً كهربائية وتلك الأزرار متصلة بسلك الكهرباء واصلة الى داخل بيوتنا منتهية بأجراس فاذا ضغط الزائر على الزر

الكهربائي سمع أهل البيت صلصلة الجرس فأرسلوا خادماً يفتح الباب ويدخل الزائر في المنزل . هكذا يحصل في أجسامنا . ألا ترى أن أعيننا لما رأيت التفاح وصلت الصورة المرسومة على شبكية العين الى أعصاب الحس وعرفت بها القوّة الحاكمة في الدماغ فأوعزت الى أعصاب الحركة فحركت اليدين فاقتطفتنا هذه التفاحة فالزائر في مثال المنزل أشبه بنفس التفاحة هنا وارسل صورة التفاحة من شبكية العين الى القوّة الحاكمة في الدماغ أشبه بمرور التيار الكهربائي عند الضغط على الزر الكهربائي ونفس العين أشبه بنفس الزر الكهربائي وأهل المنزل في الداخل أشبه بالقوّة الحاكمة في الدماغ وارسل الخادم لفتح الباب أشبه بما تفعله القوّة الحاكمة في الدماغ

(١) عظام الجمجمة (٢) عظام الوجه (الفك السفلي والعلوي) (٣) الفقرات (٤) القص (٥) الفقرة الأولى الظهرية (٦) عظام اللوح (٧) عظم العضد (٨) عظم الزند (٩) عظم الكعبرة (١٠) عظام الرسغ (١١) عظام المشط (١٢) عظام الأصابع (١٣) الحرقفة (١٤) عظم الفخذ (١٥) و (١٦) عظام الساق (١٧) الرضفة (١٨) عظام القدم (١٩) عظام المشط (٢٠) سلاميات القدم (٢١) عضلات العمود الفقري (٢٢) العضلات المستقيمة للبطن (٢٣) العضلات المقدمّة للعنق (٢٤) عضلات النراع (٢٥) عضلات الساعد (٢٦) عضلات الفخذ المقدمّة (٢٧) عضلات الفخذ الخلفية (٢٨) عضلات الساق الخلفية (٢٩) عضلات الساق المقدمّة

الساق المقدمّة

من تحريك أعصاب الحركة فتحرك اليد لأخذ التفاحة ووضع التفاحة في الفم وأكلها أشبه بدخول القادم منازلنا هذا أول عمل من أعمالنا في هذه التفاحة . واقد تم هذا العمل بقوة الجهاز العصبي والجهاز المعد للحركة أما الجهاز العصبي فان العين لما رأت التفاحة وعرضتها على القوة الحاكمة لم تجد لها سبيلا إلا أعصاب الحس وأعصاب الحس متصلة من العين وبقية الحواس بالنخاع والمخ . فلولا هذا الجهاز وأعصابه ما أمكننا أن نعرف لون التفاحة وشكلها ووصفها ولا طعمها بل كنا لانفرق بين اللبن والآجر والتفاح والحجر . فالجهاز العصبي المذكور به أدركنا مزية تلك التفاحة . اللهم إنك أدهشتنا بصنعك في أجسامنا وأخجلتنا بجهلنا العظيم حتى ان كثيرا من الأطباء يا الله لا يجيبون من ذلك لعدم إحساسهم ببهجة الجمال وان كانوا يبصرون نظامه

أما الجهاز المعد للحركة وهو الذي تقدم انه يدخل تحته العظام والمفاصل والعضلات الارادية وأوتارها فان عمله في التفاحة لا يكون إلا بعد تمام عمل الجهاز العصبي . ألا ترى رعاك الله أن صورة التفاحة لما وصلت الى القوة الحاكمة في الدماغ أسرع تلك القوة الى تحريك أعصاب الحركة المتصلة بالعضلات وأوتارها في اليد فاقتطفتها . فأعصاب الحس وظيقتها علمية وأعصاب الحركة وظيقتها عملية . سبحانه اللهم قد جعلت عمل أعصاب الحس مقدما على عمل أعصاب الحركة كما جعلت قراءة العلم مقدمة على العمل . فلا عمل إلا بعد علم كما لا اقتطاف للتفاحة إلا بعد إحساس بها . ووظيفة هذا التفسير علمية كوظيفة أعصاب الحس وسيكون العمل بعد العلم كما كان اقتطاف التفاحة بعد العلم بمنفعتها . فتعجب من صنع الله واعلم أن لهذا التفسير رجالا سيقومون برقى هذه الأمة فهم كأعصاب الحس ويتبعهم رجال العمل كأعصاب الحركة . فهذان جهازان من الأجهزة الثمانية المتقدمة قد استباننا أعمالهما في هذه التفاحة . هنالك يأتي عمل ﴿ الجهاز الثالث ﴾ وهو الجهاز الهضمي فالقلم يتأقها والأسنان تمضغها وغدد اللعاب تفتتها وتمضمها والبلعوم يدرجها والمرى يزلقها والمعدة تطبخها والبنكرياس يزيد هضمها كما فعل اللعاب في الفم . والكبد والأمعاء يقسمان مواد هذه التفاحة فالكبد تأخذ الخلاصة الغذائية التي صارت دما والأمعاء تأخذ الفضلة التي لا تصلح للغذاء لتقذفها الى الخارج بعد تمام دورتها . هنالك يأتي عمل ﴿ الجهاز الرابع ﴾ وهو الدورة الدموية وعمل ﴿ الجهاز الخامس ﴾ وهو الدورة التنفسية فترى القاب والأوعية الكبيرة والأوعية الشعرية التي تحمل الدم الوريدي وهو الأسود والدم الشرياني وهو الأحمر تقوم بادارة الدم في الجسم . وما هذا الدم إلا خلاصة تلك التفاحة فتعطى تلك العروق الشريانية لكل عضو من أعضاء الجسم قسطه وحظه وما يناسبه من خلاصة تلك التفاحة . وأما الدورة التنفسية التي تقبل الهواء الجوى في الحنجرة وفي القصبة الهوائية وفي الشعب وفي الرئتين فانها هي التي بها يطهر الدم الذي يديره الجهاز الدموى فان الهواء حينما يصل الى الرئتين تلتقطان منه الاكسوجين وتعطيانه المواد السامة للجسم المسودة للدم التي هي أشبه بالفحم المسماة (المادة الكربونية) فيأخذها الهواء ويحملها الى الخارج بطريق الزفير . فجهاز التنفس مساعد للجهاز الهضمي . أما الجهاز اللينفاوى فهو أشبه بتابع لجهاز الدورة الدموية وهو الجهاز السادس . فاذا رأينا لبن انث الحيوان ولبن المرأة التي أكلت هذه التفاحة فاننا نقول إن هذا الجهاز اللينفاوى قد قلب الدم الى مادة لبنية . وهكذا المواد التي في الطحال وبعض الغدد . فهذه كلها من العوامل التي تعمل في الدم وتصنع منه مواد تغاير الدم لمنافع خاصة . وأما الجهاز البولى المتقدم فهو الذى يأخذ من الدم المادة المائية الضارة بجسم الحيوان ويقذفها الى الخارج بطريق الحلبين والمثانة ومجرى البول وذلك فيه الماء الباقى من ماء التفاحة الذى لا يلائم تركيب الدم . وهناك (الجهاز الثامن) وهو الجهاز الجلدى فان ما فيه من الغدد الدهنية والشعر والأظافر وكذا الطبقات المختلفة يأخذ كل منها حظه من خلاصة التفاحة الجارية في العروق الشريانية . هذا هو المثل الذى طلبته أيها الذكى وجعلت له الفصل الأول من الفصلين اللذين أردت ذكرهما في هذا المقام

﴿ الفصل الثاني في أبداع مارأيته في هذا المقام ﴾

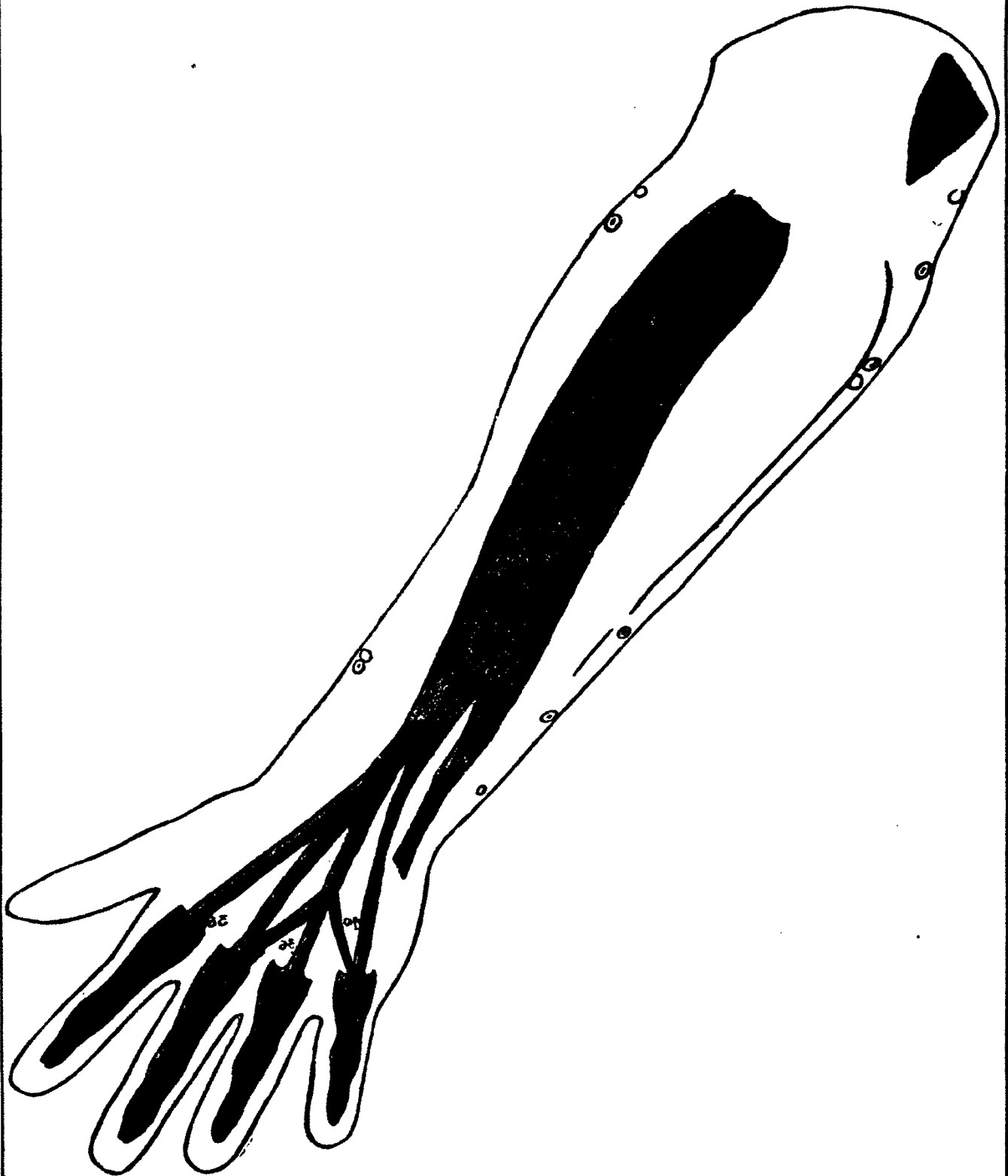
اعلم أيها الذكي اني في هذه الأيام أى في شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ قد أحاطت بي عوائق وموانع منزلية وخارجية فكادت تحول بيني وبين الأفكار الجيلة البهجة التي أضعتها في هذا التفسير . فلما رأيتها قد أحاطت بي رفعت طرفي الى السماء ليلا ورأيت المجرّة السماوية التي يقول علماء عصرنا في آخر كشف كشفوه إن عرضها عشرون مليون سنة نورية وطولها مائة مليون سنة نورية . فأخذت أسأل مبدع هذا النظام المدهش ذلك الذي جعل عيني وأنا في هذه الأرض الصغيرة ترى وتدرك ادراكا سطحيا لاحد اداء تلك المجرّة . يقول علماءونا ان هذه المجرّة فيها مئات الملايين من النجوم وتلك النجوم أكثرها أكبر من شمسنا ولكل منها سيارات وأرضون وللسيارات أقمار . واذا كان عرضها (٢٠) مليون سنة نورية فعناه أن اتساعها يخرج عن دائرة الفكر الانساني فإبالك بالطول ومابالك بالمجرات الأخرى . فكرت في هذا كله ليلا وشكوت الى الله ما أخافه من انقطاع الفكر الذي أنشره في هذا التفسير . فانظر ماذا جرى . اللهم إنك أنت اللطيف الرحيم الرؤف .

فإذا حصل . فقت صباحا يوم السبت أى يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ متوجها الى عملي الديوى وقابلت لأجل هذا العمل صديقا لي بضواحي القاهرة وكان ابنه قادما من أوروبا وهو يتعلم علم الطب ففرح إذ رأى فدار بيننا الحديث على الطب والتشريح فتذكرت في نفسي ما كان يخطر لي كثيرا في فترات من الزمان في أمر تركيب اليد ونظامها ومعجائبها (انظر نمرة ١٠ و ١١ و ١٢ في شكل ١٠ المتقدم) وتذكرت انه يخيل للناس أن أمر اليد سهل وأن تحريكها بالحركات المختلفة ليس يموزه أكثر من أن يكون هناك عظم وعلى العظم عصب ولحم وعروق وأوتار وهذه الأوتار تفعل كل ما يطلب منها . ومعنى هذا أن العضلات والأوتار الموضوعة في أيدينا تفعل القبض والبسط وجميع أنواع الحركات الكثيرة وهي هي بعينها في الجيع ولكن ظهر أن الأمر على خلاف ذلك وأن كل حركة مهما صغرت ودقت لها أعصاب غير أعصاب جميع الحركات . ومعلوم أن عظام اليد تبلغ (٢٧) عظما منها (٨) في الرسغ وهي صفان و (٥) في راحة اليد و (١٤) في الأصابع في كل أصبع ثلاث وفي الابهام (عظمان * أحدهما) أكبر (والثاني) أصغر فتكون العظام (٢٧) وهنا يخيل لأكثر الناس أن الحركات بهذه العظام أمر لا يحتاج الى عناية أكثر من ارادة الانسان ولكن هذا خطأ فان هذه العظام مرتبطة بعضلات في الذراع وهذه العضلات متصلة بأعصاب توصلها الى المركز العصبي وهو المخ والعمود الفقري . فحتى أراد الانسان تحريك إبهامه أو أصبع من أصابعه أو جميعها أو اثنين أو أكثر مجتمعمة أو منفردة قبضا أو بسطا أو يمينا أو شمالا أو أوقف أصابعه بهيئة زاوية قائمة أو وضفط عليها الى الخلف أو أوقف يده فجعل إبهامه أعلى والخنصر أسفل أو بالعكس أو جعل يده أشبه بالملقعة أو المجرقة ليشرّب الماء مثلا أو ضمها ضمنا مصمتا جامعا الأصابع للوكنز بها أو ضمها ولها فراغ من الداخل بحيث يمكنه تحبته شيء فيها أو جعلها بهيئة بحيث يمكنه أن يكتب بها أو جعل الابهام مع السبابة بهيئة حلقة وهكذا مع بقية الأصابع . فهذه هيئات تعد بالعشرات بل ربما تصل المئات لأن الهيئات المذكورة كثيرة جدا . فانظر ماذا يقول علماء التشريح . هاأنذا الآن أنظر أممي للعضلات التي في الذراع التي بها تتم هذه الحركات المختلفة أنواعها والرسوم التي أراها الآن أممي التي رسمها الاستاذ (تشيومان) وأراها لي هذا الشاب تبلغ (١٢) رسما أولها رسم الجلد أى جلد اليد وقد وضع على ورق شفاف ثم رفع هذا الرسم فظهر تحته رسم ماتحت الجلد مباشرة وفيه الدمن وفيه الأعصاب الجلدية مباشرة والأوردة وهذه الطبقة وظيفتها إعطاء الاحساس بحيث يصل ما يحس به الانسان الى دماغه فإذن هذه الطبقة الثانية لمساعدة الجلد والطبقة الثالثة تحت الأولى وفيها عضلتان بهما يقدر الانسان أن يثنى يده من عند رسغه وكذلك عضلات لثنى الأصابع كلها مجتمعمة أو منفردة بواسطة أوتار تفعل ذلك فلكل أصبع عصب محرك يحركه الى الأمام بوتره كما قلناه فيما تقدم والرابعة تحتها فيها الشرايين المغذية وهي تغذي هذه العضلات والجلد فوظيفتها للتغذية العامة

في اليد وفيها أعصاب تصل الى مافوقها والى ماتحتها والخامسة تحت الرابعة وفيها الأعصاب الواصلة لعضلات اخرى غير المتقدمة وهي العضلات العميقة الغائرة وهي تساعد على القبض بأنواعه المتقدمة كلها والسادسة الهيكل العظمي المتقدم ذكره . ثم ننقل الكلام الى الناحية الثانية وهي جلد ظهر اليد وأظافره وشعره وهي الطبقة الثانية عشرة ثم الطبقة الحادية عشرة فيها أعصاب الحس والعروق الوريدية كالمتقدم وفائدتها مساعدة الجلد على الحس كما تقدم في الناحية الأخرى والطبقة العاشرة العضلات التي فيها هذه الحركة البسط كما أن الثالثة فيما تقدم حركة القبض وتنوع الحركات هنا كتدورها هناك ولكن تلك للقبض وهذه للبسط وتحتها الطبقة التاسعة وفيها الشرايين المغذية والرابعة كالتاسعة والخامسة كالثامنة . وأما السابعة فهي نفس الهيكل العظمي المتقدم من ناحية ظهر اليد

فلما سمع صاحب ذلك قال لاتزال طبقات اليد غامضة غير واضحة . فقلت إن جيع العقلاء من المسلمين وغير المسلمين يعيشون ويموتون وهم مجهلون خواص جسم الانسان كله إلا قليلا وهذه اليد مثل من أمثاله والمسلم لا يعرف من أمر اليد إلا انها تقطع في السرقة وانه يأكل بها ويدافع العدو ولكن التفكير في عجائبها قليل والله يقول - وفي أنفسكم أفلاتتبصرون - ويقول - فكسونا العظام لحائم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين - . فاذا نظرنا الى اليد نظرا علميا كالذي نظرته الآن في هذه الصور التي رأيتها أمامي وهي ١٢ صورة رأيناها ناست طبقات من جهة باطن اليد وستا من جهة ظاهرها وطبقتان من هذه الست في الوسط وهي عظم الساعد . فالعظم له (وجهان) وجه يلي باطن اليد ووجه يلي ظاهرها . فهذان وجهان من الأوجه الاثني عشر . وهناك جلد على باطن اليد وجلد على ظاهرها وهذه يسمونها في الطب (بالناحية الانسية) و(الناحية الوحشية) فهاتان طبقتان أيضا . فبقي أربع طبقات من جهة الباطن وأربع طبقات من جهة ظاهر اليد . ففيها طبقتان كل واحدة منهما في جهة من الجهتين هما تحت الجلدين المذكورين . وهاتان الطبقتان فيهما قوة الحس ولولاهما لم نحس بما يمس جلودنا من نفع أو ضرر . وهناك طبقتان أخريان في كل ناحية طبقة تحت السابقتين بهما جهاز الحركة كما تقدم في أمر التفاحة فالحس أولا والحركة ثانيا . فهكذا هنا حس فحركة والحس أولا والحركة ثانيا وتحتهما طبقتان في الناحيتين أيضا للتغذية بواسطة الجهاز الدموي ثم طبقتان في الناحيتين فيهما عضلات أخرى غير العليا للحركة أيضا

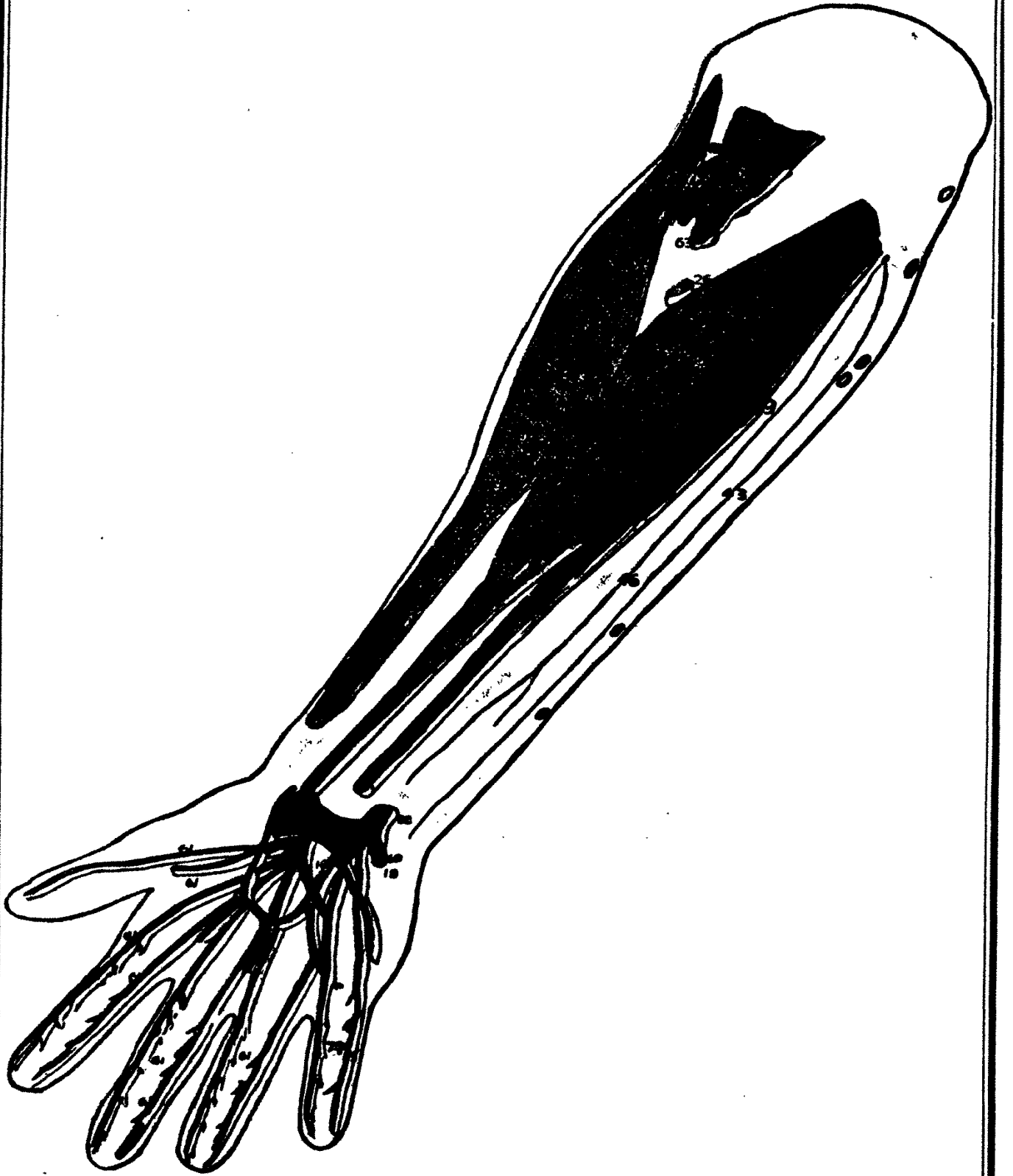
هذا ملخص ما رأيته في الصور الاثني عشر المذكورة . ولقد اصطفيت من هذه الصور (صورتين اثنتين) وهما الصورتان اللتان فيهما عضلات الحركات التي للقبض والحركات التي للبسط . فالاولى موضعها من جهة باطن اليد والثانية موضعها من جهة ظاهرها . فأما التي للقبض فانظر صورتها في الصفحة التالية (شكل ١١) ولقد تقدم قريبا في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ ايضاح أجل لهذا المقام فاقراءه هناك إن شئت



(شكل ١١)

(صورة العضلات التي للقبض من جهة باطن اليد وهذه طبقة من طبقات ست)

وأما التي للبط فصورتها في الصفحة الآتية (انظر شكل ١٢)



(شكل ١٢)

(صورة العضلات التي هي طبقة من الطبقات الست من ظاهر اليد وهي للبسطة بجميع أنواعه)

فقال صاحبي الآن فهمت الفصل الثاني وعجبت من الصنع كما عجبت أنت ولكني أريد كلاما عاما على ماتقدم ليستبين جمال الله عز وجل وبدائع حكمته . فقلت إن الأجهزة الثمانية في الجسم الانساني السابقة قد اتحدت على العمل لجهاز الحس وجهاز الحركة وجهاز الهضم وجهاز التنفس وجهاز البول وغيرها مما تقدم كلها متعاونات متصداة متحابات . فاعجب لدورة دموية متصلة مع دورة تنفسية . فاحداهما تنظف الأخرى مما علق بها من المضار وثانيتها تعين الأخرى وتغذي أعضائها . فهذه تغذي وهذه تنظف وهما متجاورتان متحابتان وقد ظهر أثر تلك الأجهزة في كل عضو ومنها اليد فانتا نرى جهاز الحس وصل الى ماتحت الجلد في الناحيتين وجهاز الحركة وصل أثره الى ماتحت جهاز الحس في طبقات اليد . إن دوائر هذا الجسم الانساني متحدات متعاونات عاملات كلها تحت اشراف مسيطر واحد هو المدبر العام للجسم الذي نسميه روحا . هذا النظام العجيب المدهش قد وضع في جسم هذا الانسان . يظن الانسان من أى طبقة كان أن عضلات القبض عين عضلات البسط فوجدنا في الصورتين المتقدمتين أن عضلات القبض من جهة الباطن وعضلات البسط من جهة الخارج ومعنى هذا أن لكل حركة عضلات خاصة وقس على ذلك جميع الحركات في اليد صغيرة وكبيرة . ومما مثل اليد إلا كمثل الفسطاط المثبت بالأوتاد قدر بطت فيها الاطناب المشدودة المثبتة ولكن لكل ناحية أوتاد وأطناب غير الناحية الأخرى فهكذا اليد لها أوتار وعضلات في كل من الناحيتين هذه للقبض وهذه للبسط . ثم إن هذا الانسان الذي أنعم الله عليه بهذا الجسم المنظم المحكم هو الذي سكن هذه الأرض ولم نرم من أعماله ما يدل على كماله الخلقى المشابه لكماله الجسمي . فياليت شعري أين المناسبة بين نظام هذا الجسم والنظام المحكم في طبقاته وبين نظام كثير من نوع هذا الانسان . انظر ماتقدم في أول سورة (طه) من ذكر الأتمة التي تعيش بالقرب من ساحل الذهب التي ذكرناها عند قوله تعالى - الذي خلق الأرض والسماوات العلى - فانظر لنظام تلك الأم الذي كله قلق واضطراب واهلاك وتدمير وعيوب نظامية اجتماعية . فياليت شعري أين نظام العمران ونظام جسم الانسان . يظهر لي أن هذا العالم الذي نسميه انسانا لا ينال الدرجة الرفيعة والسعادة الحقة إلا اذا تعاونوا جميعا بحيث تكون هيئة نفوسهم في تعاونها كهيئة انتظام جهاز الحس وجهاز الحركة وجهاز الهضم وجهاز التنفس وهكذا فهي تعمل منتظمة متبادلة المنافع . يجئني ما قاله بعض الأرواح التي أحضروها في أوروبا وهذا نصه ﴿ إن الأرواح العالية تكون آراؤها كلها واحدة فلا يخطر لأحدهم الا ما يخطر للجميع فالرأى واحد ويجب عليكم في الأرض أن تعرفوا هذا من الآن ﴾ وهذا القول عجيب فهو المطابق لنظام جسم الانسان وهو المطابق لقول الله تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا - فهم إذن أشبه بالأجهزة المتعاونة في الجسم الانساني . ألسنت بهذا تعرف معنى قوله تعالى - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم - وأى تقويم أحسن مما رأينا في هذا المقام ثم أعقبه بقوله - ثم رددناه أسفل سافلين - وهذا حق لأنه اذا كان جسمه على أحسن نظام فان نظامه المادني على أسوأ نظام

ويظهر لي حقا أن النوع الانساني في مدينته كلما كان أقرب في التعاون الى تعاون الأجهزة الجسمية كان أقرب الى السعادة وكلما كان مفكك العرى غير منتظم في هيئة حكومته كان أبعد من السعادة التي توجب على هذا الانسان أن يكون جميع طوائفه في الشرق والغرب أشبه بنظام جسم الانسان بحيث لا يكون في صدورهم حرج من النظام العام الذي يعيشون فيه والله هو العليم الحكيم

فعلى أم الاسلام بعدنا وعلى قراء هذا التفسير خصوصا أن يجحدوا في رقي أمهم وأن يقتبسوا كل علم وكل فن بحيث تشعب الأسلاك البرقية والبريدية والطرق الحديدية في جميع أنحاء المملكة كما رأينا أعصاب الحس والحركة متشعبة في جميع أعضاء الجسم . وعليهم أن يربوا الشعب كله تربية اجبارية بحيث يعرفون المنافع والمضار كلها ويكون منهم نواب للأمم يتعاونون تعاون الأجهزة المنتشرة في أقطار الجسم . هذا أمر واجب على المسلمين

فعلينهم قراءة علوم الأمم ثم الازدياد فيها . فبهذا يفهمون قوله تعالى - فكسونا العظام لحا ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين - . اللهم إني أجدك على نعمة العلم وعلى أنك لم تجعل العوائق المادية مانعة من ازدياد العلم بل أنعمت علىّ بالعلم والفهم أثناء هموم الحياة وأوصابها والحمد لله رب العالمين

﴿ نور على نور في قوله تعالى - ثم أنشأناه خلقا آخر - الى قوله - ثم إنكم يوم القيامة

تبعثون * ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - ﴾

اعلم أن هذا الانسان علم أشياء كثيرة ونسى نفسه . يفرح الناس بكشف الكهرباء والمغناطيس والجاذبية وقوة البخار وأشعة الراديو والطائرات الطائرات في الجو . يفرحون بذلك وفاتهم جميعا أن ذلك أشبه بفرح الفارس بقوة فرسه وكره وفره وحسن طاعته وهو خلو في نفسه من الكمال . وأي فرق بين الفرس الفاره وبين هذه القوى التي كشفت حديثا لراحة الانسان . كل هذه القوى والعوالم خارجة عن نفس الانسان . يفرح الناس بذلك وهم غافلون عن أنفسهم إلا قليلا . يجلس الانسان في خلوته ساعة ويتفكر في نفسه ويحصر فكره في وجهة خاصة أو ناحية من الأرض فيجد الفكر بأسرع من لمح البصر انتقل من الغرب الى الشمال ثم الى الجنوب ثم الى الشرق ثم الى أعلى الأفلاك ثم مداب السمك ثم الى داخل الأرض وماتحت البحار ثم يطير في الجوّ ثانية . يعرف الانسان ذلك من نفسه فلا يحرك له ساكنا ولا يلقى له بالا . ينظر المرء في نفسه فيجدها أسرع من جري القطار بل من الكهرباء في الأسلاك ولمع اليه ق الخاطف فلا يهيج ولا يحركه ويظن أن ذلك كله أمور لا قيمة لها وإنما كانت لا قيمة لها لأنها حاضرة عنده لم يتجشم المشاق في تحصيلها كأن مالا سعى له منبوذ ومالاتعب فيه مطروح فهذه القوة لما لازمت الانسان من صغره عدتها من سقط المتاع ولم يعرها التفاتا مع انها قبس من الأنوار ونور من عوالم الجبال وشهاب ثاقب . النفس بسرعة حركة خواطرها تجري حيثما الى عوالم الكواكب وتسرع في خطاها الى الملاء الأعلى وتودّ لتعرف كل كوكب دخل في حساب علماء الفلك وتطلع (بتشديد اللام) الى أن ترى سكانها وتفرح بالعروج اليهم والاطلاع عليهم . النفس تجري لامستقرّ لها إلا اذا استوعبت العوالم عالما عالما وعرفت عجائبها . هنالك يقول شاعرها

فالقت عصاها واستقرّ بها النوى * كما قرّرت عينا بالإياب المسافر

الانسان خلق من الأرض وربى بالنور والواصل من الكواكب والهواء المحيط بالأرض فهو إذ ذاك ريب العوالم العلوية والسفلية وهو مركب من جسم وروح جسمه أشبه الأجرام الفلكية والكواكب الدائرة ومنها الأرض . تلك الكواكب تتحرك في دورانها جميع الحركات الممكنة في الدوران . هكذا الانسان يحرك الى أعلى وإلى أسفل وإلى الجهات الأربع وذلك في صناعاته المختلفة فيحرك الانسان يده الى أعلى وأسفل وإلى الجهات الأربع مشاكلة للكواكب وللأرض في اتمام سائر الحركات الممكنة . هكذا نجد نفوسنا لها حركات فكرية الى هذه الجهات عينها وتزيد على ذلك بأنها تودّ استيعاب جميع العلوم ومعرفة العوالم كلها . إذن النفس من عالم له هذا السلطان وهو المسمى (النفس الكلية) التي استمدت منها نفوسنا

إن شوق نفوسنا الى معرفة كل شئ دليل على أن النفس التي استمدت منها نفوسنا تعلم كل شئ ولها الاحاطة والتصرف . ولولا ما فيها من هذه القوة العلمية والعملية ما اشتاقت نفوسنا الى حوز جميع العلوم وجميع النعم . فاذا قال قائل . من هذا الانسان . وما هي الأرض التي يسكنها . لقد ثبت أن هذه الأرض بالنسبة للعوالم التي نعيش فيها أشبه بجوهر فرد بالنسبة لألف مليون أرض فلو صغر العالم كله بحيث صار ألف مليون أرض كأرضنا كانت أرضنا جوهر فردا ومعلوم أن هذا لا يمكن رؤيته فكيف يكون سكانها أمثالنا لهم قدرة على الاطلاع على العوالم كلها وهم والعدم سواء وكيف يشاققون لما لا يصلون اليه . فاذا قال قائل هذا قلنا حقا اننا من عوالم ضعيفة ونحن بهذا المقدار بالنسبة للعوالم ولكن هذا العالم الذي نعيش فيه بماء ورجة مشمول بالحكمة

فانك ترى الجوهر المادى اذا اطلق ما فيه من القوى والكهر باء الى الخارج اشتعلت الأرض كلها نارا . وأيضا أن الجواهر الصغيرة مركبات من ذرات كهر بائية يدور بعضها على بعض كدوران السيارات حول الشمس إذن عالمنا الذى نعيش فيه جعلت صفائه فيها ما فى عظامه من القوى كل بقدره . فالجوهر الفرد فيه نور وحركات سريعة كنور الكواكب وحركاتها

فاذا كان هذا فى العوالم المادية فليس بجيب أن تكون أرواحنا مستمدة من عوالم نسبة أرواحنا الى تلك العوالم كنسبة الجواهر الفردة للكواكب . فاذا كانت النفوس العالية مطلعة على عوالم عظيمة واقفة على أسرارها فهل كان بدعا أن تحذو أرواحنا حذو تلك الأرواح العالية فتشتاق الى ما ملكت تلك وتقلدها هذا هو السرّ فى ولوع نفوسنا بالعوالم والاطلاع عليها فهى أبدا لا تهدأ ولا تسكن مشرقة مغربة متجهة شمالا وجنوبا باحة بالفكر عن العوالم علويها وسفليها . اتجهت الذرات الجسمية فى العوالم الى ما اتجهت اليه كواكبها من الحركات واتصفت بما اتصفت به من الأنوار . هكذا اتجهت أرواحنا الى ما اتجهت اليه النفوس العالية المحيطة بعالمنا فقلدتها بالفطرة فى اشراقها والولوع بمعرفة العوالم كلها . هذه هى فطرة الانسان المستقرة فيه . وليس ما أقوله لك الآن مجرد رأى رأيته أو خاطر خطرلى . كلا . فامن أمة من الأمم أو جيل من الأجيال إلا سمع بحوادث تدل على ما أقوله لك بحيث تكون حركات النفس الفكرية التى يحس بها كل امرئ (وانه بينما يفكر فى بقعة فى الشرق اذا فكره قد انتقل أسرع من البرق الى بقعة بينها وبين الأخرى ألف ميل غرب الأولى) تصبح حركات فعلية لا مجرد خاطر خطر أو فكر عرض وذلك فى علم الأرواح وان فيما نقلته فى هذا الكتاب من علم الأرواح لدليلا ساطعا وبرهانا قاطعا ولكن أذكر حادثة تلك الفتاة التى تؤمها العلامة شاردل فقالت له (إنك نائم وأنا يقظانه) فانك ترى الأشياء خشنة غليظة وأنا أرى باطنها وأسمع ما لا تسمع وأبصر ما لا تبصر وأدرك ما لا تدرك وأسمع من يتكلم من بلدة أخرى . وقال المعلم ذاته : ان ابنة كان يحصل لها فى السبات الطبيعى نوع من الانخفاف فقالت انها كانت تحس بأن جسمها يتمدد شيئا فشيئا الى أن تفارقه وتراه بعيدا باردا كأنه ميت ثم قالت وأرى نفسى كبخار نورانى أرى وأدرك ما لا أقوى على ادراكه فى أية حالة كنت عليها ولا تبقى هذه الحال إلا بضع دقائق وقد تصل الى ربع ساعة ثم يجىء الجسم البخارى الى الجسم الغليظ فأفقد الشعور ويذول عنى الانخفاف . وهناك أناس انتقلوا الى محال بعيدة بفعل أرواحهم وهذا ليس مطلب النفوس الانسانية . إن مطلب النفوس الانسانية ادراك كل شئ والاحاطة بالعوالم كلها وهؤلاء الذين انتقلوا فى لمح البصر الى أماكن بعيدة انما انتقلت أرواحهم بأجسامهم الروحية الأثيرية وفى قدرة كل امرئ هذا الانتقال متى وجه نفسه وجهة خاصة ولكن ليس هذا دالا على سمو هذه النفوس فسمو النفوس شئ وطبعها العام شئ آخر وهذا المذكور من طبعها العام لا من سموها . وأنا أذكر حادثة أيام تعلنى بالجامع الأزهر وهاهى ذه كنا منصرفين من الجامع الأزهر الى قرانا لترجع الى أهلنا وركبنا سفنا شراعية فقامت ليلا من المركب لأطلع الى البروق وقت الفجر فوقعت فى البحر بين السفينة والشاطئ وكان البرد شديدا فلما وصلت الى قرينتنا فاجأتني والنتى قائلة يا بنى رأيتك وقت الفجر فى لجة البحر مرعدا فقامت من فورى فزعة فأخبرتها الخبر فتعجب الناس من ذلك . وهذه حاصلة فى كل زمان ومكان ولكن الناس لا يعيرون بما تكنه نفوسهم احتقارا لشأنها وجهلا بعلمها . وقصارى القول وحجاده أن النفوس الانسانية مقبلة على مستقبل علمى عظيم فى العوالم الروحية وهذا المستقبل يدل عليه أحوالها الحاضرة من حب استطلاعها وكشفها ومن سرعة خاطرها وجولانها الفكرى فى كل زمان ومكان وفيما لا يتناهى من العوالم - والله من وراءهم محيط - والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - ﴾

اعلم أيها الذكي أن هذه السورة مبتدأة بفلاح المؤمنين المتصفين بما يأتي

- (١) يصلون (٢) يخشعون في الصلاة
- (٣) يعرضون عن اللغو في الأقوال والأفعال
- (٤) يعرضون عن اللغو في المال باخراج ما فضل عن الحاجة الى المستحقين وعلى الأقل الزكاة
- (٥) وعن الشهوة الأخرى في النوع الانساني
- (٦) يعيشون بأمان مع الناس بايفاء العهد الخ
- (٧) يحافظون على صلاتهم
- (٨) ونتيجة ذلك انهم يرثون الجنة
- (٩) وعقب ذلك بذكر العلوم التي هي مفتاح الجنة فذكر خلق الانسان وتطوره ثم خلق السموات
- (١٠) ثم ذكر عدم الغفلة عن هذه المخلوقات

هنا يتبدى للعقل . ما المناسبة بين تلك الفضائل وهذه العلوم . ولماذا كررت الصلاة مرتين مرة مع الخشوع وأخرى مع المحافظة عليها . اعلم أن الانسان لا يستقيم له علم إلا بصرف الشواغل والذي يشغل الانسان بطنه ولسانه وفرجه وأمور عامة . فالزكاة للأول وترك اللغو للثاني وحفظ الفرج للثالث وإيفاء العهد ونحوه للرابع . فاذا كمل الانسان في هذه فعليه إذن أن يتعلم ضبط النفس وضبط النفس لتوجيهها الى المطلوب فان المطالب العلمية ان لم يتوجه لها الانسان توجهها تاما لم يدركها وهذا الضبط جعلت له الصلاة . إن المسلم حين يخشع في الصلاة ويوجه همه كلها للعبود ينال ﴿ أمرين * الأول ﴾ الاعتياد على حفظ الخواطر فيوجهها لأمر واحد ﴿ الثاني ﴾ توارد العلوم على قلبه . فهذا إذا ذكر ماورد على قلبه في صلاة في يوم من الأيام . ذلك أن المصلي يقول ﴿ الله أكبر ﴾ في أول الصلاة وهذا التكبير مع التسليم قد شرحت الكلام عليهما في (سورة الاسراء) عند ذكر المعراج . وههنا أقول ما انشرح له الصدر في مقام هذه الآية وهي - وما كنا عن الخلق غافلين - فأقول

الله أكبر . جل العلم وجل الله الذي علم وألهم ووفق وأحسن . يكبر المسلم في أول الصلاة فلا يقول الله كبير . كلا . بل يقول إنه أكبر . فاذن كل ما علمناه من علم وحكمة فان الله أكبر مما علمنا وعليه نزيد في الرقي والتعلم وكلما ازددنا علما قلنا الله أكبر . فاذن العلم لانهاية له لأن الله بعد ما علمناه أكبر من هذا كله . الخلاء لايتناهى والمخلوقات جهل الناس نهايتها . أفليس الله إذن يكون لانهاية له ففهما ارتقيننا فالله لانهاية له بعد ما علمناه

- (١) يوجه المسلم وجهه للذي فطر السموات والأرض فيقال هناك ما هو أعظم لأن الله أكبر
- (٢) يحمد الله لأنه ربي العوالم المعروفة فيقال له الله أكبر من هذا كله فهناك عوالم ستكشف
- (٣) يقول المسلم نحن نعبدك فيقال له وهناك عبادة أعظم لأن الله أكبر
- (٤) يستعين المسلم بربه في أموره فيقال له وهناك مواهب أعظم فيعينك فيما تطلب فوق هذا لأن الله أكبر
- (٥) يهتدى الله المسلم البصراط المستقيم فيقال له وهناك هداية أعظم لأن درجات الرقي لا حصر لها فان

الله أكبر

إذا علمت هذا فانظر في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - . هذه الآية تتدخل في العلوم كلها وكلما ازددنا علما ازددنا طلبا . فهل تفكر في نبات أم في حيوان أم في معدن أم في كوكب . حفظ الله لهذه العوالم ليس يعرف البتة إلا بالعلوم ودراساتها

إن عدم غفلة الله عن خلقه لن تدرك حق ادراكها إلا بالنظر في كل علم وهذا أمر لا آخر له وكلما ازدادنا علما يقال لنا الله أكبر . إن هذا التفسير قد مزجت فيه العلوم المعروفة وفصلت تفصيلا . إن فيه من كل علم زهراته ومن كل فن ثمراته فاقطف تلك الثمرات فيما تقدم ولكن يقول المسلم الله أكبر ويقول الله لنا نبينا ﷺ - وقل رب زدني علما - فهناك ما رأيت وأشرت إليه في (سورة هود) انى اطلعت على عجائب لا تحيط بالبال في كتاب يسمى ﴿علوم للجميع﴾ باللغة الانجليزية لمؤلفه الاستاذ (روبرت براون) فقد جاء في صفحة (١٢٨) وما بعدها من المجلد الثاني ماملخصه تحت عنوان ﴿الألوان الحافظة للحيوان﴾

(١) إن المفكر العادي يرى أن ألوان الحيوانات وزعت عليها بلا منفعة ولا علم وانما هي مصادفات عمياء إن كل شئ في المناطق الحارة بهيج لونه حسن شكله حيوانا كان أم نباتا
(٢) إن أكثر الناس لا يدرون لماذا كان هذا الحيوان أبيض وهذا أسود ولماذا تكون دودة الفراشة خضراء تارة وسمراء أخرى وآونة ذات خطوط وبقع من ألوان مختلفة موضوعة بلا نظام . إن أكثر الناس لا يرون أن هذه المباحث عقيمة النتائج قليلة الثمرات بل هي عندهم وهم باطل
(٣) وسنذكر هنا أن حيوانات كثيرة ألوانها نافعة لها بل كثير منها لا تعيش إلا بحماية ألوانها الخفيفة

﴿الحيوان قسمان﴾

قسم يعيش على غيره وقسم يأكله غيره ﴿وبعبارة أخرى﴾ آكل ومأكول . والقسم الثاني لا بد له من المهرب من عدوه وإلا مات وهذا المهرب (أ) إما بسرعة الطيران (ب) وإما بقوة الملاحظة (ج) وإما بأن يخفي نفسه عن الناظرين (د) وإما بأن لا يظهر ليلا (هـ) وإما أن يخفي تحت الأرض (و) أو تحت الأوراق (ز) أو قشور الأشجار (ح) أو الأحجار

فهذا كاله يفر من الموت . أما القسم الأول وهو الحيوانات المفترسة فانها أيضا إن لم تكن مخفية عن أعين فرائسها حل بها البلاء . فاذا كانت الأولى يعترها العطب اذا لم تكن مخفية فهذه أيضا يقتلها الجوع اذا رأتها فرائسها ففرت منها . إذن الألوان التي تصف بها الفريسة يجب أن تكون غير واضحة حتى تربي أولادها وتحصل قوتها باختفائها عن الحيوان المفترس . وهكذا الحيوان المفترس يجب أن لا يكون له لون ظاهر والالهك وتكون النتيجة هكذا « كل لون ظاهر في الحيوان مهلك له آكلا كان أو مأكولا » فاللون إذن يجب أن لا يكون واضحا بل يجب أن لا يكون له وجود ألبتة مع أن اللون شائع وجوده في الحيوان فضلا عن مجرد وجوده حتى يصح القول أن الزائد والناقص يتماحيان في علم الحساب . إذن لا معنى للون يحمي الحيوان

﴿الجواب عن ذلك﴾

هناك أجاب المؤلف قائلا إن امتحانات عظيمة جليلة أظهرت أن الألوان حتى ما كان منها أظهر وأبهج وأنضاحية للحيوان حافظة لحياته

(١) ان الأرض والسماء والأوراق والأزهار كلها براقه مؤثرات في حياة الحيوان حامية له
(٢) ان جمال الحيوان وبريقه قد يكونان انذارا للحيوانات الأخرى بما يحمله الحيوان من سلاح أو مافى طعمه من كراهة . وفي أحوال أخرى توجد حيوانات كثيرة تحمي أنفسها بدون الاختفاء وهذه تصحبها الألوان وتلازمها . فلنلاحظ هذا الموضوع ولنفكر فيه فهنا مزرعة واسعة فيها ظهور الألوان وجمالها وبهجتها من وجه ﴿ومن وجه آخر﴾ هناك ألوان خفيفة وجدت كلها لتحمي الحيوان على حسب بيئة الحيوان وعادته وغرائزه

﴿أمثلة الألوان التي تحمي الحيوان * المثال الأول﴾

حديثي التي اعترافها نوع من الحشرات المسمى (سلاق) بسبب رقة الشتاء سنة ١٨٧٧ ورطوبة الربيع بعده . ففي مساء ليلة أخذت أنحى تلك الحشرات عن أحسن النبات بالمبرة لأسقطه في جرة فيها ماء ملح شديد الملوحة وحين أفعل ذلك كثير منها تتقلص وتقع على الأرض وهي (مع انها تقع على الأرض أما هي) أراها تصير شبيهة بالحصباء التي تكثر في تلك الأرض وهي مختلفة الألوان أبيض تقريبا وأسمر وأصفر وأسود تقريبا وهي حينما تنقبض وتتقلص بشكل يضاوي تكون أشبه بالحصوات المبثلة المختلفة الألوان ثم ان حشرة من هذه سوداء كانت صفراء زيتية تحت ظاهرها فلما تقلصت كان من العجب أنها أصبحت كحصاة سوداء من الصوان منشقة شقتين صفراء من الداخل وهذه حال الحصا الصواني هناك تماما وهذه ربما يقال انها حال خاصة إذ لا برهان على دوامها ولكن مرّ زمان تبعه زمان وأنا لم أعد أرى هذه الحشرات ألبتة بنظري ولا واسطة لذلك عندي إلا أنني ألس الحصوات المنشورة على الأرض بطبعها بالمبرة ولازلت ألس حصاة بعد أخرى حتى عثرت بما لان منها . هنالك أتاني اليقين أن هناك غاية مقصودة حقا والذي يغشني بأنه أحد الحصوات قادر أن يغش الطيور وغيرها التي تعيش على هذه الحشرة . أقول حقا ان هذا قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين -

﴿ المثال الثاني ﴾

في المناطق الاستوائية الحارة كنت أضيف حاسة اللمس الى حاسة النظر أيضا لأميز بين حشرة تسمى (حشرة العصا) وبين نفس العصا فتج من هذا أنه من المسلم به أن المائة تكون في بعض الحشرات لوقايتها لأنها تخمىها من المهاجرة التي تنتابها من الطيور الآكلة للحشرات . وعليه تكون هذه الحشرة وهي (سلاق) قد حيت من الطيور الآكلة للحشرات بهذه المائة وكذلك (حشرة العصا)

﴿ المثال الثالث ﴾

الذي يحمي بعض (السوس) في بلاد الانجليزانه أعطى قوة الانكماش عند مسه وهو إما أسمر واما منقط وهذه لها عادة أن تسقط على الأرض عند مسها أواز عاجها بحال خاصة وحينئذ لا يعرف الفرق بينها وبين كتل الطين والحجارة

﴿ المثال الرابع ﴾

وهناك نوع آخر يوجد دائما أخضر جيل ويجرى ويطير حينما يمس

﴿ المثال الخامس ﴾

هناك نوع غريب ص. غير من الخنافس أسمر يحفر في الأرض يصير أشبه بحبوب بعض النبات المسمى (بالنبات الصواني)

﴿ المثال السادس ﴾

الخنافس الجيلة الشكل المسماة (مسك بيتل) التي تقع دائما على أوراق الصفماف تكون خضراء

﴿ المثال السابع ﴾

الحشرات المسميات (سبردس) والتي تسمى (رقيمس) التي تلازم الخشب أو الأعمدة تكون سمراء

﴿ المثال الثامن ﴾

أوتميل الى الصفرة إن أحسن مثل يضرب للحيوان الذي برز وظهر بلونه هو الفراش الذي لا وقاية له تقيه في بلادنا الانجليزية

﴿ المثال التاسع ﴾

الفراش المسمى (اقريوبس) الأخضر اللون والآخر المسمى (أكرونيكتاسي) الرمادي اللون يقعان على جذوع الأشجار نهارا ويختفيان اختفاء تاما بمشابهتهما للنبات المسمى (ليتشب) الذي يحيط بهما

﴿ المثال العاشر ﴾

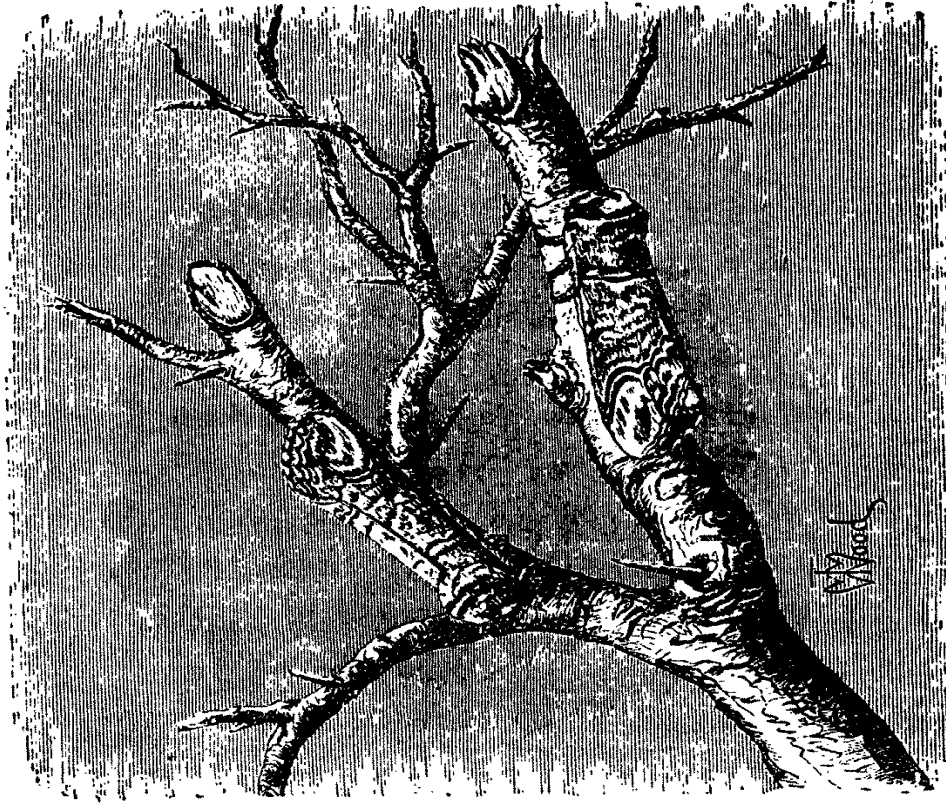
الفراش المسمى (ليتموث) حينما يقع مظهرها جناحيه الأسمرين الكبيرين يشابه الورق الجاف في شكله ولونه (انظر شكل ١٣)



(شكل ١٣ - صورة حشرة ليتموث)

﴿ المثال الحادى عشر ﴾

بينما (بف تب موث) أى فراشة (بف تب) نقبض أجنحتها حتى تصبح تماما مثل قطعة من عصا مكسورة وفى نهاية الجناحين رقعة صفراء مشابهة لطرف عصا مكسورة حديثا (انظر شكل ١٤)



(شكل ١٤ - صورة حشرة بفتاب)

ولاجرم أن هذه الحال تبين لنا إذا نظرنا هذه الحشرة في خزانة كيف يستحيل علينا أن نتبين أهذا لون فراشة جاء لحمايتها أم لا . فليت شعري من ذا الذي يجول بخاطره أن هذا الجمال ولون الفراشة الواضح قد جرى بهما مشابهن لقطعة من عصا مقطوعة ليغشى على أبصارنا فلانعرف أن ذلك سبب في حفظ الفراشة من أعدائها . هذا قول المؤلف . وأنا أقول ياليت شعري هل يعلم المسلمون بعدنا أن هذا هو معنى قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وانهم بعد ما بينا في هذا التفسير يجب عليهم التبصر في هذه العلوم فهم أولى بها من الفرنجة

﴿ المثال الثاني عشر ﴾

انه من الامور التي يكثر وقوعها في الأقطار الحارة أن نجد خنافس وفراشا تشبه زرق الطيور وهذا أيضا يحصل في البلاد الانجليزية كما قاله الاستاذ (سيد قويك) « لقد وقعت في الخطأ أكثر من مرة إذ كنت أرى فراشة ذات لون مختلط السواد بالبياض قد أشبهت زرق الطير واقعا على الورق ﴾ (وبعبارة أخرى) رأيت الفراشة تشبه زرق الطير

﴿ المثال الثالث عشر ﴾

وهناك نوعان من الفراش يشبهان الحيطان المصنوعة من الطين التي يقعان عليها

﴿ المثال الرابع عشر ﴾

وفي بلاد (السويسرلند) كنت أسلى النفس في بعض الأزمان بملاحظة فراش يقع قريبا مني إذ يقع على حائط من الحجارة في ذلك الاقليم موافقا لها وهو لا يتميز عندي على بعد بضعة (ياردات) مني

﴿ المثال الخامس عشر ﴾

لقد لاحظ الناس أن اللون العام الخفيف الذي للفراش على أجنحته في الخريف وفي الشتاء يوافق لون

الطبيعة العام في ذينك الفصلين . قال العلامة (يوسف جرين) ان أكثر الفراش الحريفي مختلف لونه ما بين الصفرة والسمرة وذلك يشبه الأوراق الحريفية بينما نجد الفراش الشتوي في نحو (هيزنيا) و (كيمانوبيا) ذا لون لطيف أشيب فضي

(المثال السادس عشر)

إن دود الفراش لونه الواضح قد أعد لحمايته على وجه العموم . ألا ترى رعاك الله أن الجم الفقير من هذه المخلوقات أعطى لون الخضرة مشاكلة للون الورق الذي هو يعيش عليه ويتغذى منه ويعطى لون السمرة حينما يكون وقوعه على قشر جذوع الأشجار أو الأغصان وكثير من هذه المخلوقات من أنواع أخرى مثل (جيومتريدا) أو (لوربز) قد أعطى عادة انه يفرس نفسه غرسا ناما مثل ماتفرس العصا التي هو يشبهها في الشكل واللون

(المثال السابع عشر)

كل امرئ يعلم أن هناك جما غفيرا من دود الفراش ولكنه يسأل قائلا . لماذا رأينا بعض تلك الأنواع قد حيت من الهلاك . ولماذا نرى أنواعا أخرى تحتاج الى حياية ، ذلك لأنها قد فقدت ما يحفظها . والجواب على ذلك سيكون بالاستدلال والاستنتاج البرهاني . ذلك أنه ثبت بالملاحظة والامتحان أن كل دود الفراش الأخضر والأسمر يكون طعاما هنيئا لذيذا بلا استثناء للطير والضفدع والضب والعنكبوت . فهذه تسمى لتختفي من جوع هذه الأعداء بأنها تاكل في الليل وحده أما في النهار فانها لاتتحرك وتبقى على الأوراق والأغصان وقشور الجذوع التي شابهتها في الألوان . ومن جهة أخرى هناك نوع آخر منه لامع اللون يأتي من أكله الطير اذا عرض له وكذلك الضب والضفدع والعنكبوت فليس أحد هذه المخلوقات بقادر أن يلمس دود الفراش المذكور (انظر شكل ١٥)



(شكل ١٥ - صورة دود الفراش المحفوظ بكراهة طعمه)

وقد يقتنص الطائر ونحوه ذلك الدود بغمه ولكنه حالا يلقيه من فمه لما أحسن منه بالطعم الكريه . وهذا

القانون يسرى على دود الفراش الذى له شعر يغطى جلده والذى نسج غزلا يحيط به . والذى يزيد في الحجب أن هذه المذكورات لها طبائع تخالف ماتقدمها من تلك الفرائس الخضراء والسمرة وهوان هذه تأكل نهارا ولا يخفين أنفسهن كالمسافات وتأكل علنا كأنها حفظتها حكومة نظامية وكأنها أعطيت علما بنجاتها من سائر أعدائها هذه الرابطة التي بين اللون المبهج السار وعادة الاقدام والشجاعة . الفرائس تنثرلنا نورا وتضيء لنا كثيرا من أحوال الضوء اللامع الذى ان لم يكن كذلك فان وجوده يكون معارضا لفكرة الحماية والحفظ وعلى ذلك نقول إن بين خنافسنا طائفة ساطعة اللون كالمسامة (الطيور السيدات) والجنود والسائحين بين الطائفة منها المسامة (ملكودرمس) وهذه الأنواع المذكورات حشرات مكشوفة ظاهرة ولاوقاية تقيها وهي لم تحف أنفسها يوما ما ولم تبحث عن ملجأ تلجأ اليه ولم تتظاهر بالموت كما تفعل الخنافس الأخرى . إن السبب في ذلك قد وجد الآن . ذلك أنها أشبه بدودة الفراش التي لوتت تلويها بغير اتقان وهي لاتصلح طعاما لآكلات الحشرات

﴿ المثال الثامن عشر ﴾

وهذا الايضاح يصح أن يعطى للبياض الذى يظهر في فراش مخصوص . إن أحد ذلك الفراش المخصوص هو المسمى (سيلسما منشرستي) وهو فراش عادى جدا ولما وضعه في طعام الفراخ الرومية الاستاذ (استاتون) في جلة مئات من الحشرات الأخرى التي لاقيمة لها رفضه ولم يأكله وهكذا كل الطيور بالتعاقب التقطته ثم رمته لما رأته كريبه الطعم . وهذا نفسه قد حصل مع حشرة أوى دقيق الزاهية اللون المزخرفة التي تكون الطائفة المسامة (دنسدا) وقد لاحظ الاستاذ (بلت) الطيور لآكلات الحشرات في جنوب أمريكا إذ رأها قبضت حشرة (أبى دقيق) وأحضرتها الى أعشاشها لتطمع بها أفراخها الصغار و بعد نصف ساعة لم تحضر تلك الطيور أحد هذه الطائفة التي تطير في كسل بلا وجل مرات كثيرة

﴿ المثال التاسع عشر ﴾

وهناك طرق أخرى للحماية غير كراهة الطعم وبها يكون الاختفاء غير ضرورى . إن أسلحة الطير تقوم لها بحق الدفاع عنها متى كانت تامة في نوعها لتجعل هذا النوع غير نافع لعدوه أو خطرا عليه اذا هوجم عليه وأحسن مثال لأسلحة الحشرات (النحل والزناير) فان بين هذه ألوانا زاهية عامة بينها هي تطير هنا وهناك لتبحث عن غذائها من غير أن تحاول الاختفاء وهناك حشرات أخرى لها غطاء قوى أو غزل متلبك بلا نظام وذلك وضع عليها لأجل أن لاتؤكل . إن من بين الحشرات التي في الأقطار الحارة كثيرا من هذه الحشرات الظاهرات اللون المزرقات تزويقا غير منظم . خذ مثلا من أمثلة هذه الطائفة وهو الزنبور الياقوتى الذيل الذى ليس له حة تكون سلاحا له وانما أعطى قوة بها يدحرج نفسه فيصير كرة صعبة قوية وهو ملون بلون زاه بهيج بهي حسن حتى يظهر انه جوهرة غريبة نادرة الوجود . وهناك نوع آخر ينال الحماية بالطيران السريع بأقصى شدة ممكنة ثم يخفى نفسه في ثقب أو بين أزهار حينما يسكن . وهذه دائما تظهر بلون لامع فتشبه (روزشمر) المعتاد . هذه الأمثلة القليلة تفيد أنه لاجبة تقاوم استعمال اللون للحماية في بعض الحيوان مثل أن يقال ان هناك حيوانات لها ألوان مضيئة وليست للحماية . هذه أحوال أفادت أن الحيوان أعطى عوضا يجعله يعيش ويبقى نوعه . هذا العوض تقدر على فهمه في بعض الحيوان وفي بعض آخر نحن جهلاء بالعادة وبما يحيط بالتنوع لنحقق هل اللون يحمي أم هناك أمر آخر للحماية واذا لم يحم اللون فما هي الحال الخاصة التي تقوم بالحماية بدل اللون

﴿ المثال العشرون ﴾

دود الفراش لأمبراطور الفراش (أى تبع الفراش) جسمه محلى بالخضرة مع تقط ووردية اللون في جبال غاتى منظم ويأكل في صرعى ولونه متلائم تلاؤما موسيقيا مع براعيمه الخضراء وأزهاره الوردية حتى انه يصعب كشفه بين تلك المراعى

﴿ المثال الحادى والعشرون ﴾

لننتقل للصحراء . هناك لا أشجار ولاصراعى تحمى الحيوان بمشاكلته لها . إذن نجد تغيرا فى اللون ليشاكل الحيوان ماحوله . فترى القبر (بتشديد الباء) وأنواعا أخرى من الطير وكل ماله فروة من الحيوانات الصغيرة ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل ذلك بلون الرمال . وليس هذا خاصا بصحراء بل هكذا كل الصحارى والجل والأسد لهما لون لطيف رملى أوصخرى رملى

﴿ المثال الثانى والعشرون ﴾

لنبحث فى الجهات التى فى القطب الشمالى فهناك اللون الأحمر المصفر اللطيف هو المطلوب ولكن اللون الأبيض الصافى وفى بعض الأحيان الأسود الأسمر أو الأسود (حيثما يكون اللون الواضح اللامع يكون أكثر فائدة من لون الاختفاء) . كل دب فى الأرض أسمر أو أسود إلا دب القطب فهو أبيض وكذلك أرنب القطب والصائد الثلجى والبومة الثلجية كل هذه بيضاء أو قريية من البياض . والتعلب القطبى والأرنب الذى يسكن (جبال الالب) فهذان يتغيران الى البياض زمن الشتاء . وهناك طائر يسمى (بسترهيهان) فى الأراضى المرتفعة وهذا خير مثال للحماية بالألوان فريشه فى زمن الصيف موافق لألوان الأشجار التى يجب أن يقع عليها ولا يقدر الانسان أن يميز سر با منها بدون أن يرى واحدا منه وهو يلوّن بالبياض زمن الشتاء لأجل حمايته بمشاكله الثلوج هناك التى تغطى الجبال . يستثنى من البياض الشامل الحيوانات فى المنطقة القطبية (غنم مسك) أو (ثيران مسك) وهذه تسمية معتادة هناك خطأ لونها أسمر مسود ويرى فى أثناء الثلج والجليد وليس سبب هذا صعبا انه يعيش أسرابا لحماية باتكاله على الجماعة والحيوان المنفرد هو الفريسة للدب القطبى أو التعلب القطبى ويمكنها أن ترى جاعاتها فيلتحق الواحد منها بها على أى مسافة فهو خير من اختفائه من العدو. انظر الى (السمور) فهو يحفظ فروته السمراء الثمينة فى أثناء شتاء سيريا القاسى وفى أثناء ذلك الفصل يلزم الأشجار ويأكل من ثمارها وهو نشط فيقتنص الطيور من وسط الأشجار . والغراب يكون فى أقصى الأقطار القطبية الشمالية لكنه دائما أسود لأنه لاعدوله وهو يأكل من الجيف وهى لا تحتاج الى الاختفاء من فرائسها . هذه أسباب ثلاثة (غنم خاصة تكون سمراء لأنها تكون سر با والسمور لأنه يعيش وسط الأشجار والغراب لأنه لاعدوله) ذات قيمة من أجل وجهة نظرية . لقد برهنت هذه الثلاثة على عدم صحة الفكرة العادية التى يقال فيها أن الحيوان يتغير للبياض فى الأقطار الشمالية إما من تأثير البرد المباشر أو من تأثير انعكاس البياض من الثلج . فهذه الثلاثة علمتنا أن البياض انما اختص بهذه الحيوانات البيضاء لأنه حافظ لها بينا تلك التى إما لا تحتاج الى الحماية واما أن لون السواد نافع لحفظها لم تلون بالبياض . إذن سبب التغير لا يرجع عقلا الى الامور الخارجية بل هو راجع الى قوانين مختلفة مختارة بحيث تغير صفات الحيوان فى طريق نافع لها

﴿ المثال الثالث والعشرون ﴾

الحيوانات الليلية تبرهن على فكرة الحماية اللونية . خذ مثلا لذلك الفيران الصغيرة والكبيرة والوطاوى والخلد كلها رمادية اللون أو سوداء اللون . إذن لا يمكن رؤيتها ليلا إذ هى إذ ذاك تسعى لجلب الرزق وفى النهار تخفى أنفسها فى منافذ أو تحت الأرض . واذا كان لون الاختفاء لا بد منه مثل ما هو حاصل فى (البوم) فانتا نجد لونه ترابيا ذا بقع ملونة كثيرة لونا خفيفا ليحصل التشابه بينه وبين قشر الشجر والأرض أثناء النهار ولا يكون كثيرا للوضوح أثناء الليل

﴿ المثال الرابع والعشرون ﴾

بعض الحيوانات الليلية لها لون زاه وهو (سكانك) الذى هو فى أمريكا الشمالية وهو أبيض اللون وذيله طويل أبيض غاية البياض ولكن هذا يملك رائحة مهولة كريهة تنتشر فتجعله مخوفا من عجا وذيله الزاهى انما هو علم مفرد لسكل حيوان أكل اللحم منذرله أن لايفتك به كما يحصل فى (الفراش) الذى تصاماه الطيور لطعمه الكريه

كما تقدم وهي تأكل غيره لاهو

﴿ المثال الخامس والعشرون ﴾

(أ) ومثل ما تقدم في التأثير البرهاني أن اللون يحمي ماذكر هنا وكذلك في وسط الغابات التي عمتها الخضرة بكثرة في المناطق الحارة وما يقرب منها فانا نرى هناك طيوراً لونها ريشها بلون تلك الجهات فصار أخضر مثل (البغاء) الذي يسكن تلك الأقطار فهو أخضر على وجه العموم مع بعض رقع ذات لون براق بهيج (ب) وفي الجزائر الاستوائية الشرقية أنواع كثيرة من الحمام خضراء كالبيغاء وكثيراً أيضاً من أصناف غيرها بنفس هذا اللون

(ج) ومثل هذه فصيلة الطيور الآكلة الفاكهة وهي تكثر في الأغلب في الأقطار الاستوائية الآسيوية . وهناك طير (١) أخضر يسمى (بلبل) (٢) وآخر يسمى (آكل النحل) (٣) والذي في أفريقيا لاستوائية (٤) وذو العين البيضاء الصغيرة الذي في الأقطار الشرقية الاستوائية وأنواع أخرى كثيرة . كل هذه الأنواع تلازم الأفنان المورقة المشبكة الأوراق المشاكلة لونها مشاكلة موسيقية منتظمة بحيث لا يقدر الانسان أن يميز بين المساكن وساكنيها

﴿ المثال السادس والعشرون ﴾

وإنوازن بين هذا وبين الألوان العادية في الطيور بالأقطار التي هي مثل بلادنا . ليس هناك لون يقرب من الأخضر فذلك ليس بوجود بيننا الزيتي والأسمر هما العامان في ريش الطيور . هذا لون خفيف وهو أقل مظاهر اللون بين الأشجار التي لا أوراق لها والادغال أو الشجيرات التي هي كثيرة في جزء كبير من السنة وعند الاحتياج الى الوقاية تكون الألوان أشد خضرة ﴿ المثال السابع والعشرون ﴾ إن للزواحف ألواناً خفيفة واقية لها . فانظر الى الضب والحية فانهما يكونان أسمرين قليلاً أو كثيراً أو زيتيين خفيفي اللون بينهما هما في الأقطار الاستوائية وحدها يكونان شديدي الخضرة البراقة لامعين ليسا كلا النباتات في تلك الأقطار . وهناك نوع من الضباب مسطح مشاكل لجذوع الأشجار أو الأجار التي يعيش عليها ولونه أخضر أو أشيب مشاكلة للسطح الذي يعيش منه

﴿ المثال الثامن والعشرون ﴾

بعض الحيات الليلية هي وكل ما كان ليلاً من الحيوانات التي تحتاج الى الاختفاء تكون ألوانها ذات سواد

﴿ المثال التاسع والعشرون ﴾

أوسمرة أوزي تية

كثير من السمك قد اتضح فيه الحفظ بواسطة اللون فنرى الذي يسكن في قاع البحر له لون نفس القاع فهو منقوش نقشا كثيراً ليوافق الرمال والحصى . فأما الذي يعيش قريباً من سطح الماء فانه يكون من فوق أزرق مائلاً للخضرة وهو من أسفل أبيض لأجل الفرار من العدو الذي في الهواء فوقه ومن العدو الذي في الماء تحته . والسمك اللامع في البحار الدافئة كثير منها تختفي حينما تكون محوطة بالأعشاب البحرية اللامعة . والمرجان والشقائق وأنواع من الحيوانات البحرية التي تجعل قاع البحر في بعض الأوقات يشبه حديقة مزهرة خيالية والسمك الذي كالانابيب وخيل البحر هي أحسن أمثلة لأساليب اللون والاحتفاء به فبعضها مخضرمشبهاً للحشائش البحرية العائمة . ولكن في استراليا هناك نوع عظيم مغطى بطبقة ورقية وكلها ذات لون أحمر وهذه تعيش وسط الأعشاب الجراء البحرية وبهذا تختفي عن أعين الناظرين

﴿ المثال الثلاثون ﴾

في الأقطار الاستوائية حشرات قد حفظت بصفات عجيبة غاية العجب من حيث ألوانها وخطوطها العجيبة وأحسن ما علم منها (حشرات الورق) التي هي حشرات كبيرة عجيبة أجنتها وأغطيتها أجنتها عريضة مسطحة مشكلات بأوردة وعروق مثل ما للأوراق وأرجلها ورؤوسها وصندوقها لها اتساع مسطح على هيئة ما حولها

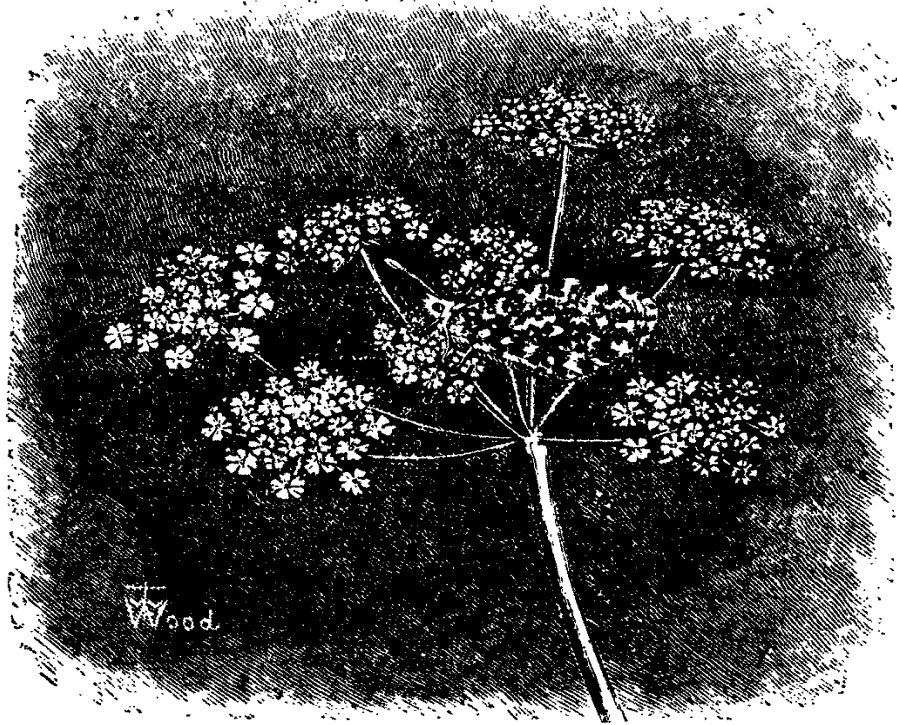
من النبات وعلى هيئة كل موجود من النباتات ذات الأوراق الخضرة لطيفة وهي التي تعيش عليها تلك الحشرة . انه لا يمكن كشف تلك الحشرات وتمييزها عما حولها اذا لم تتحرك

﴿ المثال الحادي والثلاثون ﴾

الحشرات (العصوية) فيها غرابة وهي انها أشبه بأسطوانة طويلة والمخالب طويلة وهي تماما كقطعة من عصا سبراء أو مخضرة فاذا كان لها جناحان فانها تضمهما معا وتختفي تحت غطاء أجنحتها كأنها عصا ممدودة بينا الرأس والرجلان مصوران إما مثل هيئة العصا أو كهيئة فرع غصن يتعلق على الشجيرات . وهذا المخلوق في الغابات لا يميز من الفروع والاعصان التي تتدلى من الأشجار فوق رؤسنا . وهذه لا تزال ساكنة لاحتكاك لها أثناء النهار فاذا جاء الليل أخذت تأكل وهي تعلق أنفوسها بأطراف أرجلها بفصنين أو بثلاث وبقية الشجرة ملائمة لأبدانها وعلى ذلك تظهر بمظهر غير متناسب كأنها أغصان مكسرة اتفاقا . وبعض هذه الحشرات تحميها مادة خضراء عجيبة منتشرة على جميع جسمها واذن تظهر كأنما هي قطعة من غصن مغطاة بطحلب بضيء لطيف أخضر قد عمه من جميع جوانبه . وهذا المنظر قد ظهر لكاتب هذه المقالة في الكتاب الانجليزي في بلاد (بورنيو) فأيقن لما رآه أن الطحلب قد نما وترعرع على الحشرة وهي حية ولكنه لما امتحن ذلك تبين له أن

﴿ المثال الثاني والثلاثون ﴾

الذي ظنه طحلبا انما هو من مظاهر نفس الحشرة ومن عجب حشرة (أبي دقيق) ذات المنظر الجليل الساحر الذي يجعل تلك الحشرة ظاهرة جلية . فانظر كيف كان نفس مابه ظورها يكون به اختفاؤها وأول من كشف ذلك الاستاذ (وود) فانه قال ان حشرة أبي دقيق الجيلة برتقالية الرأس فان هذه الحشرة وان كانت ظاهرة وهي على الأغصان تختفي اختفاء تاما وقت المساء اذ اجتمعت في مكائهم الملائم لها وهو أطراف الأزهار في (شجر البقدونس) . ألا ترى أن ماتحت ظاهر هذه الحشرة في غاية الجمال منقوش بخضرة مصحوبة ببياض لثمانل البياض والخضرة في أطراف زهر ذلك النبات انتهى ما قصدته من ذلك الكتاب (انظر شكل ١٦)



(شكل ١٦ - صورة حشرة أبي دقيق البقدونس)

وهنا يتجلى ﴿أمران * الأول﴾ ان ما انتشر بين المعلمين في مصر وسوريا والعراق وجميع بلاد الشرق وكثير من بلاد الغرب أن العلوم الطبيعية ومذهب (داروين) و (لامارك) تنافي وجود منظم الكون انما هو من العلوم التي أذاعها القوم في القرن الثامن عشر ومعظم القرن التاسع عشر. أما علماء أواخر القرن التاسع عشر وعلماء القرن العشرين في أوروبا فانهم بما حققوه لم يصبحوا مؤمنين بحسب بل هم موقنون فانظر الى ما تقدم في (المثال الأول) كيف يقول المؤلف « هناك أتاني اليقين أن هناك غاية مقصودة حقا ، وأن الحشرة قد أدخلت الغفلة على هذا الكاتب فليميزها من الحشرات حولها فهي على غش الطيور الآكلات لها أقدر . وهذه مسألة واحدة من الأمثلة الاثنتين والثلاثين المتقدمة المملوءة من الحكمة والایمان والعلم وانظر ثم انظر في (المثال الثاني والعشرين) . انظر الى الثعلب القطبي كيف يتغير الى البياض زمن الشتاء والى الطائر الذي يكون ريشه في الصيف موافقا لألوان الأشجار التي يقع عليها ولألوان الثلوج زمن الشتاء ثم تأمل كيف اهتدى العلماء في أوروبا للحقيقة إذ كذبت تلك النظرية العتيقة التي علقت بأذهان الطلاب في جميع مدارس العالم قاطبة وهي أن الألوان انما جاءت بتأثير البيئة والوسط . فاعجب كيف يقول في نفس هذا المثال ان (السمور) و (الغراب) و (غنم مسك) هذه الثلاثة قد كذبت النظرية المعتادة القائلة ان الحيوان يتغير للبياض في الأقطار الشمالية إما من تأثير البرد واما من انعكاس البياض من الثلج وأثبت أن البياض يوجد اذا كان نافعا للحيوان وغيره يكون عند الحاجة أيضا ﴿ وعبارة أخرى ﴾ ان متأخرى الفرنجة اليوم برهنوا على هذه الآية - وما كنا عن الخلق غافلين - وأي برهان أعظم من هذا . اللهم إنك قد أريتنا وعلمتنا الحكمة وأريتنا من أبداع العلوم والحكم . هذه هي العلوم والحقائق التي هي بعض ملكوت السموات والأرض التي أراها الله لابراهيم الخليل عليه السلام وبها أيقن بربه . وهاهي ذه أمامك في هذا المقام وهذا التفسير طافح بها وقد حجبت هذه العلوم عن كثير من المعلمين في بلادنا . يقرؤون العلوم واللغات ولكنهم لم يوفقوا للاطلاع على ما علمته أوروبا في هذا القرن وأواخر القرن الذي قبله . فهم يقرؤون صدى صوت علماء القرن الثامن عشر تقريرا ولم يصلوا لنهاية العلم في هذا القرن . فها أنا ذا أريتك نهاية علم القوم حتى تعلم علما ليس بالظن أن أولئك الذين يلحدون ويكفرون متظاهرين بأنهم تابعون لعلماء أوروبا قد غرهم في عقلمهم ما كانوا يكذبون . فهؤلاء جهلهم جهل مركب والله في خلقه شؤون . هذا هو الأمر الأول

﴿ الأمر الثاني في هذا المقام جلال العلم ومحاسن الطبيعة وموسيقاها ﴾

اعلم أن التوغل في معرفة هذه العوالم كأنها - جنة عالية * قطوفها دانية * لاتسمع فيها لاغية - انظر الى ما سمعته الآن . انظر الى هذا الجلال وأي جلال أبداع وأي حسن أبهج من هذا . يعيش الناس ويموتون وهم مغمورون في الجلال والموسيقى ولكنهم لا يعلمون انهم في جلال وموسيقى . ومماثل الناس في هذه الحياة وقد غفلوا عن الجلال الذي رأته الآن إلا كمثل العمى أمام الغانيات القاتنات أو كمثل الصم أمام المغنين والمغنيات جلست هذه الدنيا وكلت وتعالى الله فطمس الحقائق وأبعدها عن المستحقين وأبرزها لمن يفقهون

﴿ حكاية من رسالة القشيري المؤلفة في القرن الرابع الهجري ﴾

حكى أن الجنيد رحمه الله جاءت له امرأة تشكو زوجها فقالت ياسيدي لماذا يتزوج زوجي عليّ ووالله لولا أن كشف الوجه حرام على الأجانب لأريتك وجهي حتى تعلم انني جيالة . فلما سمع ذلك الشيخ أغشى عليه فقيل له لماذا . فقال لأن الله يخاطبني على لسان هذه المرأة انه لا يرى وجهي إلا المستحقون وهم المطيعون وسواهم محرومون . فهكذا هنا تقول ان وجه هذه الدنيا كاه جلال ولا يحظى به إلا المفكرون وسواهم غافلون انظر كيف رأيت أكثر المعلمين في الشرق والغرب جهلوا هذا الجلال لأنهم لم يصلوا لغاية علم القوم الذين

ادعوا انهم قلدوهم . ويجمع هذا المقام كله قوله تعالى - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون -
ولعلك تقول أين الموسيقى في هذا العالم ونحن لانعرف الموسيقى إلا المسموعات من الأوتار والغنيين .
أقول إن الموسيقى على (قسمين) قسم خاص وقسم عام . أما القسم العام فهو ما يعلمه الجهلاء والعلماء على حد سواء من الحركات والسكنات التي تؤثر في الهواء فتصل للأذان . وهذه انما تسر القلوب لأنها على نسب هندسية كما تقدم في (سورة يوسف) عند الكلام على جماله وكما ذكرته في كتابي (الموسيقى) وملخص ذلك أن الموسيقى ترجع الى النظام والنسب الهندسية والحسابية (بحكى) أن الفيلسوف (فيثاغورس) مرّ بـ دكان حداد فسمع وقع أربع مطارق فأطربته لأنها موزونة فوزنها اذا هي على نسبة ٦ الى ٨ الى ٩ الى ١٢ فأنى بأوتار أربعة متساوية في الطول والتخن وربطها أثقالا على النسبة المتقدمة فنقرها فكانت كتوقيع المطارق الأربع . واعلم أن جميع علم الموسيقى يرجع الى سبب ووتد وفاصلة وهكذا علم الشعر . والسبب مثل (من) والوتد مثل (على) ومثل (بعد) والفاصلة مثل (فعلت) ومن هذه الثلاث تتركب جميع الألحان وتلك الألحان يحملها الهواء فتدخل الأذان فيفرح الانسان بها . ذلك لأنها على نسب هندسية مثل خفيف الثقيل الأول الذي على هذا النمط فعولن مفاعيلن . فهذا في الموسيقى أشبه ببصر الطويل في علم الشعر وهذا الوزن نفسه هو الذي تصيح به الفاخنة وهذا صورته (ككوه كوه ككوكوكو) فهذا الوزن نفسه هو في بحر الطويل اذا كررناه أربع مرات وهو نفسه موسيقى وهو نفسه صياح الفاخنة وانما استلذها السمع لأن نسبتها مكررة هكذا (٧) متحركا الى (٥) ساكن كنسبة (١٤) متحركا الى (١٠) ساكن كنسبة (٢١) متحركا الى (١٥) ساكن كنسبة (٢٨) متحركا الى (٢٠) ساكن وهذا هو نفس بحر الطويل . ومعلوم أن هذه النسبة حاصل ضرب الطرفين فيها يساوي حاصل ضرب الوسطين أي ان (٥) اذا ضربت في (١٤) فانها تساوي (٧) مضروبة في (١٠) وعلى هذا أبدا فقس فيما لايتناهى مهما تكررت هذه النسبة للتكررة المنتظمة وهي التي عرفتها آذاننا وآذان الطير وآذان الجهال منا والعلماء . عرفت آذاننا هذه النسبة ففرحت بهذا الجمال ولكن بعد هذا كله تقول ان هذه الموسيقى عرفها الطير وكثير من الحيوان وجميع نوع الانسان ولكن هناك موسيقى أرفع مقاما هي الموسيقى العلمية أي النظام والابداع في هذه الدنيا فهذه الموسيقى هي التي حجبها الله عن أكثر هذا النوع الانساني بل أكثر المتعلمين في الأمم محرومون منها وهي الموسيقى التي تظهر في علم الفلك وعلم الطبيعة . انظر وتجب الى نظام الأفلاك وحسابه كما تقدم في هذا التفسير وتقدم بعضه في (سورة يوسف) عند ذكر الجمال وأن هذه النسبة التي قرأتها في الشعر والموسيقى تقرؤها في حساب سير الشمس والقمر والكواكب وتعرفها في نظام العناصر عند تركيبها وأبدع من ذلك ما رأيت الآن في هذا المقام الذي نحن بصدده . انظر ثم انظر الى الغراب كيف خالف لونه لون الثلج في الأقطار القطبية . لماذا . لأن فريسته جيدة لانفرمنه . وانظر كيف ترى الله عز وجل جعل حياية الحيوان متنوعة الأشكال بهجة المناظر . فتارة يحميه بقذارة شكله ومشاكلته لزرق الطير الذي يأكله . وتارة يحميه بمشاكلته لونه لما حوله . وتارة يحميه بالريح الكريهة التي يؤذى بها من يقصده . وتارة يحميه بشدة العدو . وتارة باختفائه ليلا . وتارة بسلاحه وهكذا من ضروب الابداع والاتقان . قل لي زعك الله . ألم تكن هذه الأجسام كلها من عناصر معلومة والعناصر كلها هي المواد الجامدة والغازية والسائلة ثم بعد ذلك يكون الضوء والحرارة . فاذًا جرى . جرى أن هذه المواد الثلاثة تنوعت أشكالها فكان منها صور حيوانية وأخرى نباتية والحيوانية تنوعت الحياية فيها الى صور بدية مختلفة . فانظر . أليست الموسيقى ترجع الى ما ذكرت لك من السبب والوتد والفاصلة . فهذه الثلاث كان منها جميع الشعر وجميع الموسيقى في العالم . وما الشعر والموسيقى إلا حركات وسكنات هذه أصولها إذن لا فرق بين الموسيقى العامة في أن لها أصولا ثلاثة والموسيقى الخاصة في الطبيعة فان أصولها أقسام الأجسام

المتقدمة فكما تنوع الشعر والموسيقى الى ما لا يتناهى من الصور المفرحة للعلماء في الهواء وللجهال على حد سواء هكذا تنوعت أقسام الأجسام الثلاثة الى ما لا يتناهى من الجبال في هذا العالم كما رأيت في أنواع حياية الحيوان وهذا لا يكون في الهواء بل في العوالم الطبيعية كلها . يظهر أن هذا العالم مبني على أمرين حركة مستمرة ونظام جيل . فالحركة في الموسيقى والشعر معروفة والحركة في الطبيعة لا يعقلها إلا المفكرون فيها

ففرز علم تعيش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ ايضاح ما تقدم . بعض أسرار القرآن تظهر في هذا الزمان ﴾

هذه الأسرار هنا ترجع الى نظام الحيوان ونظام الحساب العام . أما نظام الحيوان الذي رأيت فهو السرّ المصون والجوهر المكنون والعرفان والنور . نعم هو المذكور في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فهذه هوذا ذكر سبحانه اختلاف ألوان الثمرات وألوان أجزاء الجبال والدواب والأنعام ثم ختم ذلك بأنه لا يخشى الله إلا العلماء . الله أكبر . ياليت شعري أي علماء هؤلاء . نعم هم علماء النبات والحيوان والجماد الذين يعقلون سرّ الألوان وهل سرّ الألوان غير ما جاء في هذه المقالة ونحوها . أيها المسلمون . أليس هذا هو الذي جاء لأجله القرآن . جاء القرآن لهذا . القرآن نزل وانتشر قرونا ثم خلف بعد ذلك خلف ورثوا الكتاب وحفظوه عن ظهر قلب ثم ناموا خلفنا الله اليوم فرأينا انه وان أنام المسلمين في القرون المتأخرة قد أيقظ أمما أخرى فأظهرت ما كُنّ القرآن من أن لكل حيوان لونا يخصه لنفعه أو لبقائه إذن عرفنا الآن أن الألوان المذكورة في الآية ليست مظاهر جالها بل منافعها الحقيقية المتقدمة إذن هي تفسير للقرآن إذ أن الله الذي أنزل القرآن وقال - ثم إن علينا بيانه - وقال - سيركم آياته فتعرفونها - هو نفسه الذي أمر علماء أوروبا فاستخرجوا منافع الألوان وهو الذي ألهم مؤلف هذا التفسير وأمثاله أن يصيحوها في المسلمين قائلين لهم تعلموا هذه العلوم فان ألوان الحيوان مثلا النافعة له هي المقصودة في الآية والعلماء بها هم الذين يخشون الله وهم الذين قال الله لأمثالهم - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - جمع عالم . الآيتان على نظام واحد . ذكر الله فيهما أن هذه الألوان لا يعقلها إلا العلماء أي العلماء بها ونظام هذه المخلوقات . إن هذا التفسير قد جاء قبيل ظهور حكام في أمم الاسلام لم يحلم بهم الدهر . انظر الى الآيتين السابقتين هل يعقل أن أحدا يقال له (عالم بنظام و بألوان المخلوقات) لإلهم يبرعون في هذه العلوم ومتى برعوا يعقلون بعض جلالهم ويكون العالم أمامهم جنة عرضها السموات والأرض أو موسيقى تصدح لأولئك العلماء العاملين . انتهى الكلام على نظام الحيوان أما نظام الحساب العام فان الله لم يقف نظامه عند حدّ الحيوان نفسه ومراعاة حياته وحفظه بل تعدى ذلك الى أصواته فحسبها ونظمها ولم يذر طيرا على شجر ولا انسانا في بدو أو حضر إلا نظم أغانيه وموسيقاه . وهذا كله تفسير لقوله تعالى هنا - وما كنا عن الخلق غافلين - وعدم الغفلة يلزمها أن لا يضع سبحانه لونا إلا لفائدة والا لكان ذلك اللون عبثا - ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا - الى قوله - أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق - ومن الحق المذكور أن يكون لكل عرض ولون فائدة والا فكيف يسبح الناس ربهم ويقولون ﴿ سبحان الله ﴾ والتسبيح تنزيه عن كل مالا فائدة فيه . إن الناس لا يصلون الى المقام الأعلى إلا بعد فهم هذا الوجود حتى يعقلوا عمل ربهم . وكما أن عدم الغفلة من الخلق يلزمه أن لا يكون لون بلا فائدة هكذا يلزمه أن تكون الاصوات أيضا منظمة كما قال تعالى - وكل شئ عنده بقدر - وقال - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - نفذ أيضا

ما تقدم تقول الفاخرة

ككوه كوه ككوكوكو ككوه كوه ككوكوكو ككوه كوه ككوكوكو

والشاعر العربي يقول من بحر الطويل

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى • فصادف قلبا خاليا فتمكنا

والموسيقى خفيف الثقيل الأول

تنن تن تنن تن تنن تن تنن تن تنن تن تنن تن

وزن الشعر

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

الحساب ٧ : ٥ : : ١٤ : ١٠ : : ٢١ : ١٥ : ٢٨ : ٢٠

ومثل بحر الطويل في هذا الحساب بحر البسيط وبحر المديد اذا لم يدخلها غلغل أوزحافات كما هوميين في محله هذا معنى قوله تعالى - إن الله سريع الحساب - وقوله - وهو أسرع الحاسبين - لأنه أسرع في حساب نفحات الموسيقى وأصوات الفاختة والشاعر العربي وجعلها كلها بحساب واحد بحيث يكون حاصل ضرب الطرفين في كل واحد يساوي حاصل ضرب الوسطين . هذا هو أعظم سر من أسرار الاسلام ظهر الآن وسيظهر أسرار وأسرار بعد انتشار هذا التفسير انتهى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - سبع طرائق - ﴾

لقد تقدم الكلام عليها في (سورة البقرة) فليرجع اليه من أراد

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - وإن لكم في الأنعام لعبرة - ﴾

لقد علمت أيها الذكي أن (المواليد الثلاثة) وهي النبات والحيوان والانسان وكذا المعدن قد جاءت في القرآن جرارا وما ذكرت مرة إلا تامة وفي هذه السورة تامة أيضا فانه ذكر الانسان الذي هو آخر السلسلة ثم ابتداء بالعوايات فالعناصر كالماء وذكر الأرض وفيها المعادن ثم النبات ثم الحيوان . وهذه السلسلة منتظمة كما ذكرته سابقا في هذا التفسير . وأذكر لك الآن أن هذه السلسلة نقلها الفرنجة عن آباءنا . أما قدمائنا فكانوا يقولون هكذا « ان المعادن تليها النباتات فالحيوانات وأعلاها ماهو كالتفردة وكالفيل ونحوه من كل ماله صفة تشبه صفة الانسان وأعلى من هؤلاء الانسان الذي في أطراف المسكونة » فلما نقل المذهب الى أوروبا وشرحه (داروين) قال بما قاله آباؤنا تماما ولكنه قال ﴿ يحتمل أن يكون الأعلى مشتقا من الأدنى ﴾ أي متولدا منه ففتح بابا للقوم بأن الانسان كان قردا فترقى فتعصب للمذهب من بعده العالم (برن) وأمثاله وهناك عشرات بل مئات يقولون « إن هذه العوالم ليس لها موجد وإنما وجدت بالمصادفة وبسبب أربعة أمور كما سيأتي وهي تطور الحياة والوراثة وتنازع البقاء وكون الأقوى يبيت الأضعف » فجاء علماء العصر الحاضر في القرن العشرين وقاموا قومة واحدة على هذا المذهب فنقضوه . ويجدر بي ان أنقل لك كلامهم حتى تعرف أن قوله تعالى - فأسكناه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون - وقوله - ثم جعلناه - الخ وهكذا أصبح مبرهنا عليه في العلم الحديث . واني أعلم أن هذه الآراء لن تنشر سريعا في المدارس والكتب ولكن المذهب اللرويني قبل تعديله سيقى على حاله يدرس لصفار التلاميذ أمدا طويلا . فها أنا ذا أسمعك العلم الحديث الذي قلبه وما قلبه وأبطله إلا علماء الألمان والنمسا والانجليز فلا أسمعك كلامهم لتكون على علم حتى اذا قيل لك (مذهب داروين) كان عندك منه خبر وأسمعهم نقضه من فطاحل خلقهم الله بعده في أوروبا فرجع الأمر للقرآن وثبت بالبرهان العقلي الحديث قوله تعالى - ولقد خلقنا - الخ

﴿ فصل في أصول مذهب داروين وبيان أقوال العلماء في نقضه من أهل أوروبا وأن أصوله أربعة ﴾
اعلم أن هذا المذهب لما انتشر في بلادنا المصرية فشا الالحاد وعمت الرشوى وذاع الزيف وتفاخر كثير من العظماء وأرباب السطوة والنفوذ بخلع العذار واتهاك الحرمات وتبارى كثير منهم في شرب الخمر والقمار ونبذوا الدين ظهريا وذلك عقب ظهور مؤلف الدكتور (شبل شميل) الذي هو ترجمة كتاب بخنرال ألماني وكان المترجم والمترجم عنه يميلان إلى الالحاد وانكار الخالق فكان ذلك داعيا لفشو ذلك وتقليدهما تقليدا بلا جدال . كل ذلك في أوائل هذا القرن العشرين . وبينما نحن كذلك في مصر وفي بعض بلاد الشرق كان علماء أوروبا قد تقضوا هذا المذهب نفرا على المؤمنين به السقف من فوقهم وانهارت دعائمه وأصبح هشيا تنزوه الرياح كأن لم يكن بالأمس . ولأذكر لك أصوله ثم بيان أقوال العلماء في نقضه

﴿ فصل في أصول هذا المذهب ﴾

بنى (داروين) هذا المذهب على ﴿ أربعة أصول * الأصل الأول ﴾ ان الحياة ذات أطوار وتغيرات بها ترتقى من حال إلى حال ﴿ الثاني ﴾ ان هذه التطورات تنتقل بالوراثة إلى النسل ﴿ الثالث ﴾ ان الأحياء جميعها بينها تنازع في البقاء ﴿ الرابع ﴾ إن ما كان أتم وجودا وأقوى وأكمل فهو الأصلح للبقاء وأما الأضعف فانه محكوم عليه بالفناء . فالحيوانات والنباتات كلها سلسلة واحدة أعلاها مشتق من أدناها بالارتقاء . ومن ذلك أن الانسان مشتق من القرود وهو أعلى الحيوانات بمقتضى هذه القواعد . ولما كان الأكل هو الباقي ظهر الشره والطمع في عالم السياسة وأنشئت في أوروبا المهلكات الحربية بناء على هذه النظرية وسيادة القوة الأسدية وتقتضت العهود وخربت الذمم بين الأفراد في بلادنا . وما عجبت لشيء عجبي منا معاشر الشرقيين كيف نقس مذهباً نقضه أهل أوروبا . وسيعتريك الحجب حين أناو عليك من آراء حكماهم وبراهين علمائهم ما يذيب هذا المذهب ويجعله هباء منثورا . إني آسف أشد الأسف . إن الغفلة مستحكمة في أنحاء الشرق عند المتعلمين منهم . آمنوا بالمذهب السروي كما شربوا الخمر اتباعا لأهل أوروبا ولم يعلموا بأنباء العلماء هناك إذ أبطأوا ذلك المذهب بطلاناً تاماً كما بينوا أن الخمر سم نافع حتى حرّمته دولة أمريكا وأنكرته بلاد السويد والترويج . فالخمر لا يزالون يشربونه والالحاد في الدين باق كأن المذهب لم ينقضه أولو الألباب

﴿ فصل في نبذ مما قاله العلماء في نقض هذا المذهب ﴾

(١) قال (جوستاف لوبون) . « إن المادة ليست أبدية بل هي خاضعة للناموس الحتم الذي يقضى على جميع الكائنات بالفناء وهي مركبة من مجموعات شمسية مؤلفة من عناصر يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة جدا وهي لا ترى ثابتة في حسنا إلا بسبب تلك السرعة المفرطة » انتهى وأنت تعلم أن مذهب (داروين) مبني على المادة وهي أسه

(٢) قال الاستاذ (هنري بوانكاريه) العضو بالمجمع العلمي الفرنسي ﴿ اذا نظرنا في ناموس خاص أيا كان فانا نستطيع أن نؤكد أنه لا يمكن أن يكون إلا تقريبا لأنه مستنتج من تحقيقات تقريبية . وهذه التحقيقات لم تكن ولا يمكن أن تكون إلا تقريبية ﴾ . وقال الدكتور (ج . جيليه) ﴿ إن النواميس يمكن أن تتغير بعارض من العوارض وأن يبطل عملها أيضا ﴾ . أقول ولا جرم أن هذا من أكبر أساس مذهب (داروين) المبني على النواميس الطبيعية

(٣) قال الاستاذ (جوستاف جوليه) ﴿ إن العوامل التي ذكرها (داروين) تهجز عن تعليل ذلك الثبات التام للصفات الأصلية للأصناف التي تتكون حديثا وتهجز أيضا عن تعليل نشوء الإلهامات الجديدة فيها ﴾ وقد أثبت أن أنواعا جديدة لا تزال تخلق حديثا كما ستراه

ثم قال الاستاذ (جوليه) ﴿ إن مذهب لامارك ومذهب (داروين) يستويان في القصور فانهما لا يفسران

التحول عن الحياة المائية الى الحياة الأرضية ولا التحول عن الحياة الأرضية الى الحياة الهوائية فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصفور أن يناسب البيئة التي ليست له ولا يمكن أن تكون له إلا بعد أن يتحول من صورة حيوان زاحف الى عصفور وكيف يستطيع أن تكون له حياة هوائية قبل أن تكون له أجنحة نافعة وأن مسألة الحشرة أشد استحالة . وهل هناك أية علاقة من جهة علم الحياة بين النودة وبين الحشرة الكاملة التي تنقلب اليها . إنها حشرة تعودت الحياة السودية تحت الأرض أوفى المياه فكيف تصل شيئاً فشيئاً الى إيجاد أجنحة لجسمها تصلح لحياة هوائية بعيدة عنها بل مجهولة لها) انتهى باختصار

(٤) قال العلامة (دوفري) (إن التحولات الفجائية هي القاعدة في عالمي الحيوان والنبات وقد أعلن هذه الحقيقة (جوفر) و (اسان هيلير) و (كوب) وثبت أن الظهور الفجائي للأصناف الكبيرة الرئيسية كالزواحف والطيور وذوات الثدي كان في الأراضي الجيولوجية ومتى ظهرت حصلت على صفاتها كاملة (٥) قال الدكتور (جوستاف جوليه) (إن الحشرة ظهرت من أقدم عهود الحياة الأرضية وثبتت أنواعها في جميع الأحوال فهي تناقض ما ذهبوا اليه من التحولات المستمرة البطيئة وتناقض التطور بفعل الفواعل الخارجية فانها تنقلب داخل الترتقة من حال السودية الى حشرة طائرة ولا تأخر لشيء عليها من الخارج كما ان الهوة عميقة بين الحال الأولى وهي السودية والحال الثانية وهي حال الحشرة وهي هوة تضيق فيها كرامة جميع النظريات السرويدية واللاماركية فالحشرة أدت شهادة حسية ببطلان مذهب (داروين) كما أثبت مجزءه عن تفسير غراثرها الأولية العجيبة المهيبة للعقل)

(٦) رأى (فون باير) في مذهب (داروين) وهو العلامة الألماني الكبير مؤسس علم الاميربولوجيا (علم الأجنسة) ومن أقطاب الفزيولوجيين والحفرين قال (إن للرأى القائل بأن النوع الانساني متولد من القرود السنيانية هو بلاشك أدخل رأى في الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان)

(٧) قال العلامة (فيركو) الألماني من علماء (الانتروبولوجيا) أي (التاريخ الطبيعي للانسان) وكذلك العلامة (الانتروبولوجي) الفرنسي (دوكأرفرفاج) يقولان ان القرابة في التاريخ الطبيعي للانسان من القرد منعدمة . ان الانسان في العهد الحفري الرابع وجد مشابها لنا كل المشابهة مع انه كان يجب أن يكون أقرب الى أسلافه القرود بل ان نقص الحلقة في رجال العصر الحاضر أو فرمنا في تلك العصور . ثم قالوا إننا لانستطيع أن نعتبر ولادة الانسان من القرد أو من حيوان آخر من الامور العلمية

(٨) رأى العلامة (ايلى دوسيون) ذكر في كتابه (الله والعلم) في الطبعة الصادرة سنة ١٩١٢ م ما يأتي (ان الغرضين اللذين يقوم عليهما مذهب (داروين) هما الانتخاب الطبيعي وانتقال الصفات المكتسبة وقد أثبت (هربرت سبنسر) هدم الغرض الأول من أساسه . ونقص (ويدمان) امكان انتقال الصفات بطريق الوراثة . وبرهن على أن هذه المشاهدات المزعومة لانقوم إلا على حكايات مخترعة ولا تعلق قيمتها العلمية عن قيمة حكايات المرضعات)

(٩) قال الاستاذ (جورج بوهن) مدير معمل (البيولوجيا) و (البيسيكولوجيا) ما يأتي (إن نتائج كثير من المباحث البيولوجية والبيسيكولوجية الحيوانية قد ظهر بطلانها بسبب القيمة العظيمة التي كان أصحاب هذه المباحث يعطونها لنظرية الانتخاب الطبيعي)

(١٠) كتب العلامة (ادمون برييه) في مجلة (العالم الحي) سنة ١٩١٢ م قال (إن ثقة الاستاذ (جينو) بتأثير البيئة (الوسط الخارجي) ضعيفة جدا فان هذه البيئات على ما يقول لاتصلح لايجاد أي تغيير ورائي ثابت فالبط وسائر الطيور المائية ترى متمتعة بأرجل ذات أصابع متصلة بغشاء فيظن أن هذه الأغشية قد أوجدها نوع معيشتها ولكن الأمر على العكس من ذلك في مذهب (جينو) فانه يقول بأنها

وجدت لها مقدما بدون تأذير من الخارج وأخذ (البط) يعوم لأنه وجد لنفسه أرجلا مغطاة تصلح للعوام. فهذه الحيوانات قد أعتت من قبل للعوام أى انها خلقت لتعوام قبل أن تستفيد تركيب أرجلها فى العوام
 (١١) قال العلامة (بلوجي) الألماني (لم أجد واحدة من هذه المشاهدات تثبت انتقال الصفات بالوراثة)
 (١٢) قال الفزيولوجي الكبير (دوبواريمند) (إذا أردنا أن نكون مخلصين وجب علينا أن نعرف بأن وراثة الصفات المكتسبة قد اختلقت لمجرد تعليل الحوادث المراد تعليلها وأنها هي نفسها من المفترضات الغامضة)

(١٣) رأى (دائرة المعارف الكبرى الفرنسية) فى مذهب (داروين) (إن النظرية الدروينية لسوء الحظ محتلة من أساسها لأنها تفرض أن جميع الصفات النافعة حدثت بالمصادفة وبالتالى جميع الحيوانات حدثت على ما هي عليه اتفاقا (مصادفة) وهو فرض يلاشى المسألة نفسها)

(١٤) قال الدكتور (ادورد هارتمان) (إن وجود هذا الرأى عند الدروينيين (رأى عدم وجود القصد) هو من المسلمات التى لا يقوم عليها دليل ومن الأوهام التى لا أساس لها . وعلل ذلك بأن الطبيعة ذات نظام ميكانيكى ولا يمكن النظام بلا قصد كما لا يمكن القصد بلا نظام . وكل ما لانظام له فهو مهمل فى فوضى كالثيران الهائمة والطبيعة التى يعللون بها ليست كذلك)

(١٥) قال العلامة (لويزبورديو) مانصه (يجب أن يعترف بأن هنالك قصدا مقصودا وروحا مدبرة لأنه بدون ذلك تفقد وحدة المجموع رابطتها فالقصد يظهر فى تلازم الحوادث ويثبت به)

(١٦) رأى الاستاذ (فون باير) الألماني فى القصد قال (إذا كانوا يملنون الآن بصوت جهورى بأنه لا قصد فى الطبيعة وأن الكون لا يعوزه إلا ضرورات عمياء فأنا أعتقد أن من واجباتى أن أعلن عقيدتى فى ذلك وهى انى على العكس أرى جميع هذه الضرورات تؤدى الى أغراض سامية)

(١٧) قال (كاميل فلامريون) (إن درس الوجود يجعلنا ندرك أن له نظاما مقمرا وغاية دفع بها اليها وأن المقصود بهما ما كن هذا الكوكب وحده وانهما يتعاليان عن أن نلم بهما فى حقارتنا . إن التبصر الذى يظهر فى النباتات والحشرات والطيور الخ وهى غافلة عنه مما يقصد به حفظ ذرياتها وامتحان المشاهدات فى التاريخ الطبيعى يستنتج منها أن فى الطبيعة عقلا مدبرا)

(١٨) قال العلامة (لوجيل الفرنسى) مانصه (انه ليق لفسلفة عالية أن تعتبر كل القوى صادرة من قوة أولية أبدية واجبة الوجود مصدر كل حركة ومركز كل عمل)

(١٩) فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية مانصه (ان لكل من الكائنات المتنوعة للطبيعة الحية غاية وضع لأجلها ومركزا يدور عليها)

(٢٠) قال الاستاذ (ميلن ادوارد) فى جامعة السريون بفرنسا (إن الحيوان المسمى (اكسيلوكوب) من المغيرات للفكر . ان هذا الحيوان يرى طائرا فى الربيع منفردا ويعيش ويموت بعد أن يبض مباشرة فلم ير صغارها أمهاتها ولا تعيش حتى ترى أولادها الا فى يخرجن دودا يعيش سنة فى مسكن مقفل وهدهود تام فترى الأم متى حان وقت يبضها تعمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سردابا طويلا فاذا آتمت على ما يبنى أخذت فى جلب ذخيرة تكفى صغارها سنة وهى طلع الأزهار وبعض الأوراق الكرية فتشوهها فى قاع السرداب ثم تضع بيضة وتأتى بنشارة الخشب تكوّن منها عجينة تجعلها سقفا على تلك البيضة ثم تأتى بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة أخرى وهكذا فتبنى بيتها مكوّنا من جلة طبقات ثم تترك الجميع وتموت ثم قال يدهش الانسان حين يرى جلال هذه المشاهدات المتكررة رجال يدعون لك أن هذه العجائب نتاج للمصادفة وأن إلهامات النمل مثل أسى مراكات الانسان نتيجة عمل الطبيعة من تجمد الماء واحتراق الفحم

وسقوط الأجسام . إن هذه الفروض الباطلة بل هذه الأضاليل العقلية التي يسترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضا تاما فان الطبيعى لا يستطيع أن يعتقد ما أبدا . واذا أطلّ الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الإلهية ترشد مخلوقاتهما الى أصول أعمالها اليومية) انتهى كلام العلامة (ادوارد) ملخصا

وهذا عجب عجاب . كيف كان مذهب (داروين) فى الغرب قد أصبح كشيئا مهيلا وهباء منشورا وقولا هراء ونفوخ الحديث وكلام المرضعات وخرافات الجباز وأساطير الأوثان كما عبر عنه علماءهم بذلك وهو فى بلادنا المصرية وفى البلاد الشرقية معتمد عليه موثوق به فهو الحجة القائمة عندهم على دحض جميع الاهليات والنبؤات . ترى الرجل يتبعه عجايب انه أعلم العلماء وأعظم المفكرين فاذا تحققت علمت انه يدعى العلم بمذهب (داروين) على أن أكثر هؤلاء لا يعلمونه مع بطلانه . إن العلم الناقص ضلال مبين فإما علم تام والا فلا - وان تطع أكثر من فى الأرض يضارك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرمون -

فلما سمع ذلك صاحى . قال لقد كثرت الدعاوى فى المجالس فلا أسمع إلا انهم يقولون (فلان فيلسوف يتعالى عن الديانات ويتعاطم على أداء الصلوات اكتفاء بما علم من الطبيعيات ومدارس من الرياضيات) أما الآن فاني اذا قابلت أحدهم أقول له * أطرق كرا إن النعام فى القرى * ثم أقول
ففض الطرف إنك من نير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ولقد تمادى الناس فى تسمية كل منتطح فى كلامه متفهب فى حديثه انه فيلسوف فعرفت الآن أن هذا كله حديث خرافة ولقد تمادوا فى طغيانهم يعمهون حتى سموا ضلالة وجهالة كل مكذب للديانات مكذب بالوحى فيلسوفا حتى إن أحدهم سأل فى (مجلة المقتطف) هذا السؤال (هل المعطل يسمى عبقرىا) فأجابته . كلا بل المدار على النبوغ العلمى فكأن هذا الجاهل ظن أن انكار الأنبياء كاف فى النبوغ أو الفلسفة وهذا غاية الحق والجهالة وما أسهل الكفر وبالتالى ما أسهل الفلسفة فليجلس المرء على كرسيه وليقذف كلمات الاستهزاء والازدراء من لسانه وليصب جام غضبه على علماء الدين والأنبياء والمرسلين وليكررها صباحا ومساء ثم ليبشر بأن اسمه يكتب فى ديوان الحكماء المفكرين والأساتذة المحنكين والعقلاء المجريين والنظار العبقريين ولامدرسة ولا تعلم بل يأتيه العلم هنيئا مريئا فيكون بطلا وبالسماجة شجاعا وبالعباوة نابغة فأف وتف لقوم لا يفقهون صمّ بكم عى فهم لا يرجعون

(فصل فى ذم المتفلسفين والمتبذلين والمففلين)

ولما جاء صاحى فى اليوم التالى قال هل كان المتقدمون فى الأعصر الغابرة مبتلين بأمثال هؤلاء المتفلسفة فقلت نعم قال العلامة محمد بن عمر الرازى فى شرحه على الاشارات للرئيس ابن سينا صفحة (٤٧٣) مانصه
(العوام حتى لجزمهم بالثبوت لا لدلالة هؤلاء المتفلسفة حتى أيضا لجزمهم بالثبوت لا لدلالة بل الحق الأول أقرب الى السلامة من الحق الثانى لأن الأول يوجب الأقياد للأنبياء والشرائع وذلك سبب للنظام فى الدنيا والسعادة بوجه ما فى الآخرة) الى أن قال (وأما الحق الثانى فهو سبب الفساد والخلاعة والشر فى الدنيا والشقاوة فى الآخرة . فالأحق الأول جاهل سليم والأحق الثانى شيطان رجم . ثم قال والفرض من هذا الفصل منع إلقاء هذا الكتاب وما يجرى مجراه من العلوم النفيسة فى أيدي أقوام مخصوصين . فالأول الجاهل المتبذل المستخف بالعلم كما قيل * ومن منح الجهال علما أضاعه * والثانى البليد الذى لا يفهم فانه لا يقف على الحقيقة فر بما صار سببا لخروجه عن رتبة الشرائع وصار أشقى الأشقياء والثالث المقلدة فانهم لا ينتفعون ببنى من العلوم وان كانوا فى غاية الذكاء لأن حبهم المفرط لما عليهم من المذاهب يعميهم ويصمهم عن الوقوف على الحق وأخس الناس وأردؤهم هؤلاء المتفلسفة فانهم ينظرون الى أصحاب الشرائع والأديان

بعين الاستخفاف مع كونهم أحسن الناس درجة وأرذلهم مرتبة واستحقاقهم اللعن في الدنيا والعذاب في الآخرة) انتهى

هذا شرح الامام الرازي لفقيرين من كلام الامام الرئيس (ابن سينا) وهما آخر الكتاب موصيا قارئ كتابه أن يصون العلم عن هؤلاء وهذا تفصيل ما أجله الرئيس وهو منطبق على متفلسفة هذا الزمان انتهى تفسير المقصد الأول من (سورة المؤمنون)

(المَقْصِدُ الثَّانِي)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ *
 فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّبْصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَبْتَائِينَ * ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَنْ أَطْعَمَهُمْ بِشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا خَلَّسْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذَا مِثْمُكُمْ وَإِذَا مِثْمُكُمْ تَرَابًا وَعِظًا مَا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ * هَيِّاتَ هَيِّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ *
 قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضِجُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ لَجَعَلْنَاهُمْ فُجَاءًا فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا نُوحًا تَدْرًا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ

وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ *
 فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ *
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى
 رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحدها الله مالكم من إله غيره) مالكم معبود سواه (أفلاتنقون) أى أفلاتتحافون عقابه اذا عبدتم غيره (فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولو شاء الله) أن يرسل رسولا (لأنزل ملائكة) بابلاغ الوحي (ماسمعنا بهذا) الذى يدعوننا اليه نوح (فى آياتنا الأولين) * (إن هو) ما هو يعنون نوحا (إلا رجل به جنة) جنون (فتر بصوابه) انتظروا (حتى حين) الى حين يموت (قال) نوح (رب انصرفى) أعنى بالعذاب واهلاكهم (بما كذبون) بالرسالة (فأوحينا اليه) أرسلنا اليه جبريل (أن اصنع الفلك) أى أن خذ فى صنع السفينة (بأعيننا) بمنظرنا (ووحينا) أمرنا وتعليمنا إياك صنعها (فاذا جاء أمرنا) بالركوب أو نزول العذاب (وفار التنور) أى طلع الفجر وأنبع الماء من التنور وهو وجه الأرض أو أشرف موضع فيها (فاسلك فيها) فأدخل فيها من كل أمتى الذكر والأنثى واحدين مزدوجين أو من كل بالتوين أى من كل نوع زوجين واثنين للتأكيد لأن زوجين مفردة زوج والزوج هو الفرد الذى له مقابل مقارن له . ويقال للزوج الذى هو ذكر فرد وللزوج الذى هو أنثى فرده وهذا قوله (من كل زوجين اثنين) وقوله (وأهلك) أى وأهل بيتك أو ومن آمن معك (إلا من سبق عليه القول منهم) أى القول من الله باهلا كه للكفرة . ويقال سبق عليه فى الشر وسبق له فى الخير (ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (إنهم مفرقون) لاحالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) * (وقل رب أنزلنى) فى السفينة أوفى الأرض (منزلا مباركا) بالنجاة من الفرق وكثرة النسل (وأنت خير المنزلين) فان الله يحفظ ويكلم من ينزل عليه النعم ولكن غيره ينزل النعم وليس قديرا على حفظ من أنزلها عليه (إن فى ذلك) الذى ذكر من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله ونجاة أوليائه (لآيات) دلالات على قدرتنا (وان كنا لمبتلين) أى وانه أى الحال والشان كنالخ واللام هى الفارقة أى وانا كنا ممتحنين عبادنا بهذه الآيات (ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد وثمود (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعنى هودا وصالحا (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) أى قلنا لهم على لسان الرسول - اعبدوا الله - الخ (أفلاتنقون) عذاب الله (وقال الملا) الاشراف (من قومه الذين كفروا وكذبوا بلبقاء الآخرة) بلبقاء ما فيها من الثواب والعقاب (وأترفناهم) نعمناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أى من مشربكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فما يأمركم به (إنكم إذن لخاسرون) حيث أذلتكم أنفسكم وجواب القسم هو المذكور دل على جواب الشرط المحذوف (أيعدكم أنفسكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة من اللحم والأعصاب (أنكم مخرجون) من الأجداث أو من العدم الى الوجود وأنكم تكبرير للآول تأكيذا (هيئات هيئات) بعد التصديق وقوله (لما تواعدون) اللام للبيان كما تقول هيت لك فهيت أى تهيأت فيقال لماذا فيجيب لك

لك وهنا يقال بعد بعد فيقال لماذا هذا فيقال لما توعدون ويقال هيهات أى بعد وهو مبتدأ خبره - لما توعدون - (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا فان بمعنى ما (تموت ونحيا) يموت بعضنا ويولد بعضنا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرنى) عليهم وانتقملى منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم إياى (قال عما قليل) عن زمان قليل وماصلة لتأكيد معنى القلة (ليصبحن نادمين) على التكذيب اذا عاينوا العذاب (فأخذتهم الصيحة بالحق) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فيكون القوم قوم صالح . ويقال المراد بالصيحة الهلاك فيكون ماقلناه هو مايشمل قوم هود وقوم صالح (جعلناهم غثاء) هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى (فبعدا) مصدر بعد أى هلك منصوب بفعل محذوف واللام لبيان من دعى عليه (للقوم الظالمين) * ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) قوم لوط وشعيب وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) الأجل (ثم أرسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد آخر من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو وهو إما مصدر وقع حالا أى متواترين أو الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة (كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها وهم اسم جمع للحديث أوجع لأحدوثه (فبعدا لقوم لا يؤمنون) * ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم والآيات هى الحجج العقلية والسلطان المبين هى العصا واليد ونحوها والعصا انقلبت حية وبها انفلق البحر وتفجرت العيون وابتلعت سحر الساحرين حين صارت حية وصارت أيضا شمعة وشجرة مثمرة ورشاء ودلوا وقد تقدم سر ذلك فلان تكن واقفا عند هذا الحد (الى فرعون وملائه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أتؤمنن لبشرين مثلنا) نثى البشر لأنه يكون واحدا وجعا (وقومهما) أى بنو اسرائيل (لنا عابدون) خاضعون مطيعون وكل من دان للملك فهو عابد له (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالفرق (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرائيل (يهتدون) الى المعارف والأحكام (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) أى دلالة على قدرتنا لأنها ولدت من غير مسيس فالآية جاءت بهما معا (وآويناها الى ربوة) الربوة المكان المرتفع ولا يعلم أى هو فلسطين أم مصر أم أرض بيت المقدس (ذات قرار) مستقر من أرض منبسطة أو ذات ثمار وزروع لأن أهلها يستقرون فيها (ومعين) ماء معين ظاهر جار . يقال معن الماء اذا جرى فآوئها جامع لأسباب التنزه والنعم ويقال معين أى معيون اسم مفعول من عانه اذا أدركه بعينه لأنه لما ظهر على وجه الأرض أدركته العيون فهو إما صفة مشبهة على الأول واما اسم مفعول على الثانى هذا هو آخر المقصد الثانى . ولنلحق به من المقصد الثالث بعض آيات لاظهار نتيجة ما تقدم قال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) هذا خطاب عام لجميع الرسل ومنهم سيدنا محمد ﷺ خاطب كل نبي وحده بهذا الخطاب وجاء لخاتمهم الذى أرسل لجميع أهل الأرض وقد دخل فى دينه فعلا من جميع الأديان من البوذيين والمسيحيين واليهود والمجوس . فاذن هو يخاطب سيدنا محمدا ﷺ ونحن معه والخطاب الآن لنا نحن أى أهل مصر وسوريا وبلاد الفرس والترك ومسلمى الصين والهند وجزائر الهند الشرقية بل أقول أيها المسلمون اسمعوا قد خاطبكم الله بما خاطب به الأنبياء يقول لكم أيها المسلمون فى جميع الأقطار - كلوا من الطيبات - أى الحلال الصافى القوام . فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافى ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل - واعملوا صالحا - فانه النافع عند ربكم - إني بما تعملون عليم - فأجازيكم (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى العقائد وأصول الشرائع وأمة منصوب على الحال (وأنا ربكم فاتقون) فى شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا أمرهم بينهم) أى قطعوا أمر دينهم (زبرا)

قطعا جمع زبور أى تفرقوا وتحزبوا فرقا فلزبور بمعنى الفرقة * وقرى - زبرا - بضم ففتح جمع زبرة أى قطعوا أمرهم بينهم حال كونه قطعا (كل حزب بما لديهم فرحون) محبوبون معتقدون انهم على الحق (فترهم في غمرتهم) في جهالتهم شبهها بالماء الذى يضر القامة لأنهم مغمورون فيها (حتى حين) أى الى أن يموتوا ولتقف هنا

ولعلك تقول كيف تقول ان الله خاطبنا نحن الآن مع انه خاطب الأنبياء . أقول لك الأنبياء الآن عند ربهم بل سيدنا محمد ﷺ بل أصحابه وتابعوه والقرآن يقرأ لنا وما دام المسلم يقرأ قولاً ولا يمجده انه موجه له لا ينفعه وان أردت إلا نص النبوة فهناك الحديث * روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال ﴿ إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - وقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ﴾ أخرجه مسلم . ولقد تقدم الكلام على هذه الآية قريبا في (سورة الأنبياء) وأن الله أعرض عنهم كانه يخاطب غيرهم لما تفرقوا . خاطب الله أئمتنا بنص الحديث أن تأكل حلالا وخاطبها فوق ذلك أن تصد وجهتها وأعرض عنها قائلا - فتقطعوا أمرهم بينهم - قطعا وتفرقوا جاعات وأصبح كل فريق مجبا بنفسه فرحا بما عنده من المال والرجال . خاطب الأنبياء بذلك وأخبرنا الحديث بأننا خاطبنا بما خاطب به الأنبياء فأتباع الأنبياء تفرقوا مع ان الدين واحد والله تعالى أرسل محمدا في آخر الزمان ينهى على القوم يقول يا أتباع الأنبياء أين عقولكم أين أخلاقكم يا أيها الجهال الغافلون أنا أرسلت رسلى اليكم فالكم لاتعقلون . أرسلت عيسى . أرسلت موسى . أرسلت فلانا . أرسلت فلانا وقصدت بذلك هدايتكم فرأيتكم جعلتم أنبياءكم محل الشقاق ومحل الخلاف ومثار النزاع . ولم هذا . وهل اختلاف الشرائع مع اتحاد الاصول يناقى المودة والمحبة . ما أشأمكم يا بني آدم . ندع هذا وننظر فأنتم يا أتباع محمد مالك أيضا كيف تفرقتم أحزابا . وهل مذهب الشافعي ومالك وابن حنبل ومذهب الزيدية والشيعة والسنوسية وغيرهم وتفرق الطرق الصوفية واتباع زيد وعمرو من هؤلاء الشيوخ أو أتباع بعض آل البيت من الرؤساء في الممالك المختلفة . هل شئ من هذا يفرق العقيدة فيالجهالة العمياء وكيف يكون هذا سبب التفرقة وهل تغير الدين وهل تغير القرآن وهل تغيرت القبلة وهل تغير الرب وهل حصل اشراك . كلا . ثم كلا . واذا كنت أعيب على الأمم المختلفة الأديان أن تتنازح فها أنا ذا أعيب عليكم أيها المسلمون تنازحكم وأتم أهل دين واحد . نعم أيها المسلمون قل المصلحون بينكم وكثير من الرؤساء لا يريدون منكم إلا خبزكم وأكل أموالكم بلامقابل . ليقم في الاسلام مرشدون . ليقم في الاسلام علماء مصلحون . ليقم فيكم مجتدون يقولون لكم . لماذا التخاذل . الدين واحد . هلاقرأتم أول هذه السورة . ألم تنظروا كيف ذكرنا فيها أولا علم الأخلاق وعلم العبادات ثم ثنينا بعلم التشريع وعلم النفس وعلاوم الطبيعة . كل هذه تذكرة بأعمالى وجالى وحكمتى في خليقتى . كل هذه تذكرة لكم أيها المسلمون انظروا في هذه العوالم . انظروا في جاهلها . انظروا في الشمس المشرقات والكواكب الساطعات والنجوم البازغات والطرائق المدورات والأقمار الباهرات وتأملوا في الثوابت البديعة وكيف كانت الحجرة والمجرات وراها قد تجلت فيها آلاف الآلاف مما لا تحصونه عدا . كل هذا وضعت وزينت به سماكم . وهلا نظرت ذلك السحاب الجيب والهواء اللطيف وضوء الشمس الجليل ووجه الأرض المطيع الذى كسوته الجلايب السندسية والأشجار العطرية والأزهار البهية والأثمار الجنية وجعلت من ذلك الغذاء وخلقت منها الهواء وكتبت في بعضه الفناء وفي بعضه الداء ولوته ألوانا وجعلته أفنانا وهكذا الحيوان اختلف صفرا وكبرا ولونا وقدرا وشكلا وبراً وبحراً وهواء

هذا هو الذي أنزله عليكم في هذه السورة وكرزته لكم في أكثر من سورة . هذا هو النظر العقلي والعلم الاسلامي والعالم العقلي والحكمة الاشراقية والآيات الربانية والعبء الصمدانية والبدائع الاسلامية فهل أتم ناظرون وهل أتم تعقلون

أيها المسلمون . أندرون لم تخاذلتم ولم تقانلتم ولم اجتمع الناس وافترقتم لأنكم جهلاء جهلاء . حقا جهلاء جهلاء جهلاء لا يطاق . أيها المسلمون . الجهل قد خيم فوق ربوعكم وضرب أطنابه بين ظهرانيكم وعشش في مصر والشام والحجاز والعراق واليمن والهند والصين وشمال افريقيا . لماذا . لأنكم فرطتم في كتاب ربكم فرطتم في دينكم . ظننتم أن الدين ليس فيه شيء سوى مسائل القضاء والعبادات فتركتم الأخلاق ظهرها وعلوم هذه العوالم . فالأخلاق جعلتها في أكثر من (٧٥٠) آية وهكذا علم التوحيد وعلم جلالى وجمالى جعلته في نحو (٧٥٠) آية وبقية الكتاب وهو ستة آلاف آية ينصو منحى هذين القسمين وأتم ما فكرتم إلا في مائة وخسين آية وهي آيات الأحكام فنتم نوم الجاهلية وظن كل فريق أن الهبة اختصت به . أتم حصرتم عقولكم في قليل من الدين ولو أنكم قرأتم هذه العلوم العصرية والآيات الربانية لرأيتم انكم على شريعة واحدة وآية قيمة فقراءة السموات من دينكم وقراءة الأرض من دينكم وقراءة النبات والحيوان والتشريح من دينكم وقراءة علوم النفس من دينكم وقراءة سير الأمم وأخلاقها قديما وحديثا من دينكم . هذا هو دين الاسلام فلم ينزل الله هذه السورة بلا فائدة وهي المسماة ﴿سورة المؤمنون﴾ فلذلك جعل الايمان فيها كاملا

فتى عرفتم هذه العلوم تفتحت بصائرهم فأيقنتم انه دين واحد فتصافتم . عجبا لكم يا أمة الاسلام بل ألف عجب لكم . كيف ترون الأمم المسيحية قد اتحدت عليكم والخلاف في دينهم وديناهم شديد ثم أتم مع اقتراب دياركم واتحاد دينكم تتنابدون وتختصمون . أف لكم أفلا تعقلون . أف لعالم لا ينصح وجاهل لا يتعلم . حوام على علماء الاسلام أن يتركوا العلوم الكونية . حوام عليهم أن يحرموا الأتمة من جبال دينها وأصول شرعها ومجائب ربها . حوام على أمة الاسلام أن تبقى متأخرة عن الأمم وهي التي جعلت رجة للعالمين وكيف تكون رجة لهم وهم أعلم منها وهي الآن أجهل الأمم . إن العذاب واقع على كل عالم وعلى كل أمير وعلى كل ذى جاه وعلى كل ذى قدرة اذا هم لم يذيعوا ماتقوله ويقولوه أمثالنا في أمة الاسلام . فلينشروا هذه المبادئ والا فان أوروبا لهم بالمرصاد وعين الله لاتنام وسينتقم الله من المقصرين والغافلين ومالله بغافل عما تعملون وهو الغفور الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهنا ﴿ ثلاث جل ﴾

(١) في مناسبة هذه السورة لما قبلها

(٢) وفي ايضاح الطرق التعليمية للأمم الاسلامية

(٣) وفي تبيان قوله تعالى - وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون -

(١) ﴿ مناسبة هذه السورة لما قبلها ﴾

إن هذه السورة جاءت عقب سورة الحج لأن (سورة الحج) جاء فيها البعث والجهاد فجاء بهذه لتتميم القول أى لذكر الخصال التي بها يكون الانسان كاملا منعوتنا بلفظ المؤمنين واللكمال وسميت السورة بالمؤمنون ثم وصفهم بصفات العبادة والأخلاق ودرس العلم والحكمة . وأيضا ابتداء (سورة الحج) بذكر علم التشريح استدلالا على البعث وذكره هنا لترقية العقول البشرية مع البعث فهناك استدلال وهنا تكميل

ذكر الله في أول السورة فلاح المؤمنين وأتبعه بذكر الصلاة والخشوع فيها ونرى الحديث يحثنا على أن لانرفع أبصارنا في الصلاة وأن نعبد الله كأننا نراه وأن نفكر في القراءة . ويقول العلماء يبنى أن لانفكر في شيء وقت الصلاة إلا في هذا ثم نفكر في هذه الصلاة فنجد ماذا نجد انها أى الصلاة تفسير لسورة المؤمنون نعم تفسير لها . ألم ترأولا الى قول القارئ - الحمد لله رب العالمين - فانه ذكر العالم مجمل كله وانه وسعه كله

بارحة والى قوله - إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط - الخ فاننا نستعين بالله أن يهدينا الصراط
الذى لا عوج فيه وهو صراط المنعم عليهم غير المغضوب عليهم . ولما كان قوله - العالمين - مجملا غير مفصل
شرع يفصله بعض التفصيل فى الركوع فيقول المصلى (خشع لك سمى و بصرى ومخى وعظمى وعصى)
أليس هذا التفصيل هو المذكور فى هذه السورة أى أليس هذا هو علم التشريع الذى جاء فيها إذ قال - ولقد
خلقنا الانسان من سلاله من طين - الخ يقول الله فى هذه السورة - قد أفلح المؤمنون - وذكر خشوعهم
فى الصلاة وأتبعها بصفات ثم ختم الصفات بنفس الصلاة بعد أن وصفهم بأنهم حافظون للفروج لبقاء النسل
وكثرته وحفظ الأمانة ليعيشوا عيشة هنيئة ويحبوا بعضهم وبأنهم ينفقون المال الفاضل عن حاجتهم كما يذيعون
العلوم فجعل الصلاة فى أول الصفات وفى الآخر إشارة الى أن فى الصلاة مابه يكون المؤمن كاملا . وأعقب ذلك
بعلم التشريع الذى يخاطب به المسلم ربه فى ركوعه . وذكر بعد التشريع فى هذه السورة علم الفلك كطرائق
النجوم التى يعرفها علماء العصر الحاضر القائلون (إن العالم الذى نعيش فيه هو الأثير المالى للفناء وفيه طرائق
للنجوم وهى المدارات) وهو تصريح بعلم كان مجهولا عند الأمم قديما فظهر فى هذه السورة كما ظهر فى العالم
الانسانى أن النجوم لها طرائق فى بحر الأثير . وأبان سبحانه انه غير غافل عن خلقه وأتبعه بعلم النبات
والحيوان وهذا بعينه هو ما يقوله المسلم بعد الركوع فهو فى الركوع يدرس علم نفسه لأنه مطأطئ رأسه فاذا رفعها
الى أعلى قال (ربنا لك الحمد) فهو كما يقول - الحمد لله رب العالمين - فى قراءة الفاتحة يقول هنا مفسرا
لذلك (مل السموات ومل الأرض ومل ما بينهما ومل ما شئت من شئ بعد) هذا هو الذى يقوله المسلم بعد
الرفع من الركوع أى يرفع رأسه فيخاطب ربه بأن جدى لك على قدر علمى بالسموات والأرض وما بينهما
وهذا هو الذى ذكر فى هذه السورة بعد علم التشريع الذى يتبعه علم النفس فالفلك والنبات والحيوان والأرض
هى العلوم التى يخاطب المسلم بها ربه . فأما الاكتفاء بالسموات والأرض وما بينهما بدون علم بها فهو كما
يكتفى الحمار بنظره البصرى وكما يقرأ العامة هذه الطبيعة بعيونهم . واذا أتبع الله ذلك كله بذكر قصص
الأنبياء إجمالا وذكر بعضهم تفصيلا فذلك تفسير لقوله - اهدنا الصراط المستقيم - ولا صراط مستقيما إلا ما كان
عليه نبينا والنبيون وهم المنعم عليهم . فيعجبا . هل المنعم عليهم نعماء دنيوية وأخروية يكونون مجهولين عندنا
ونحن نهتدى اليهم والله لا هداية لطرقهم إلا بمعرفتها فلم يقل المسلمون - صراط الذين أنعمت عليهم - مجرد
اللفظ . والنعم (قسمان) دنيوية وأخروية ولا أخروية إلا بعد الدنيوية . ومستحيل أن تكون آخرة إلا
بعد الدنيا . وان شئت برهاننا فلا سمعك ماجاء فى تفسير (سورة البقرة) عند قوله تعالى - ربنا آتنا فى
الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - إذ ورد أن هذا كان دعاء نبينا ﷺ وانه ﷺ لما رأى
رجلا قد ضعف من المرض سأله قائلا هل كنت تدعوا لله قال نعم كنت أقول اللهم إن كنت تريد معاقبتى فى
الآخرة فعاقبني فى الدنيا فأمره أن يدعو بهذا الدعاء - ربنا آتنا فى الدنيا حسنة - الخ فدعا الله فشفي من
المرض . وقد فسر العلماء الحسنة فى الدنيا بجميع النعم من صحة ومال وراحة قلب وولد وهكذا حتى قالوا (إن
الانسان بلا طمأنينة فى الدنيا لآعبادة له)

فن هنا عرفنا النعم وانها دنيوية وأخروية ولا أخروية إلا بعد الدنيوية . فاذا قال الله - الذين أنعمت
عليهم - فلندرس كل علم يوصل الى دنيا وكل علم يوصل الى الآخرة لذلك ذكر الله هنا الأنبياء . وقد تقدم
تفصيل الأنبياء فى (سورة الأنبياء) وقد عرفت هناك العلوم الدنيوية التى أنعم الله عليهم بها . ولعمرك ما
هذا إلا فتح باب لذكر النابغين والناهبين والكاشفين وعلماء الأمم أجمعين بحيث ندرسهم أى اننا ندرس كل
نعمه دنيوية وكل نعمه أخروية . ندرسها لنتناول نفس النعمة الدنيوية والأخروية . فاذا قرأنا - ولقد خلقنا
الانسان من سلاله من طين - فعنا اننا ندرس علم التشريع كما ندرس علم النفس واذن نكون فهمنا (خشع

لك سمي وبصري) في ركوعنا . واذا قرأنا - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - فعنى هذا دراسة العلوم المذكورة واذن نكون درسنا قول المصلى ﴿ ربنا لك الحمد الخ ﴾ وكان ذلك تفصيلا لقولنا في الصلاة - الحمد لله رب العالمين - واذا قرأنا - اهدنا الصراط المستقيم - وذكرنا المنعم عليهم والمغضوب عليهم فعناه دراسة الأنبياء الذين شرحنا علومهم في سورتهم ودراسة كل نعمة في الدنيا ونعمة علمية للعقول وارتقاؤها أى علوم الآخرة هذا هو المقصود من ذلك واذن نكون درسنا بقية ﴿ سورة المؤمنون ﴾ التي ذكرت هؤلاء الأنبياء وشرحت المنعم عليهم والمغضوب عليهم المذكورين في الفاتحة هذا هو معنى المؤمنون ومعنى خشوعهم في الصلاة تخشوعهم في الصلاة ليتفكروا ومتى تفكروا عقلوا مافى الصلاة ومافى الصلاة هو نفس مافى هذه السورة علوم تشريحية وعلوم نفسية وعلوم فلكية وعلوم نباتية وعلوم حيوانية وعلوم طبيعية وعلوم كيميائية وعلوم رياضية لأنه لا يمكن دراسة ما ذكر من هذه العلوم الطبيعية والافلكية ولا علم التشريح الذي هو منها إلا بعد التخلع من العلوم الرياضية . هذا هو دين الاسلام وما عداه جهل وغرور وندامة

هاأناذا قد بينت ماوجب على وأنت أيها الذكي مسؤل عن نفسك وعن أمتك . أنت مسؤل بين يدي الله تعالى . بين لأمتك ماسمعت وتصرف بعقلك وفكر في أمرهم فلاسعادة لك في دنياك ولافى آخرتك إلا بسعادتهم ولذلك أسمعك تقول - إياك نعبد - فالعبادة مشتركة ونحن كلنا لا بد أن نعبد معا وهكذا أسمعك تقول ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأسمعك تقول ﴿ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ ﴾ فأنت في صلاتك تدعولنينا ﷺ ولأمته وتسلم عليه وعلى أمته وتضم الأمم التي تبعت ابراهيم . فأنت في صلاتك مع هؤلاء جميعا بل أنت في صلاتك مع أعظم من ذلك فانك تقول ﴿ وعلى عباد الله الصالحين ﴾ والصالحون أعم من المسلمين ومن أمة ابراهيم بل هم كل صالح من كل أمة بل كل الملائكة بل وكل ملك في كل سماء وأرض . هذا هو الذى تدعوبه في صلاتك فأنت لست وحدك لافى الدنيا ولافى الآخرة فاسع لارتقاء أمة الاسلام على الأقل وبلغهم ماسمعت الآن واسلك طريقا تراه لهم نافعا والله هو الهادى الى سواء الصراط ﴿ طرق علم التوحيد ﴾

هاأنت ذا قرأت علوم الاسلام في سورة المؤمنون وفي الصلاة وعرفت أن (سورة المؤمنون) قد فسرتها الصلاة وأدعيتها وأن الفاتحة الجملة قد فصلت فى الأدعية وفسر الجميع بهذه السورة وهذه السورة تكملها سورة الأنبياء وقلت لك ان المنعم عليهم فى الدنيا كثيرون فليدرس المسلمون علوم جميع الأمم ليعرفوا كيف حل غضب الله على الجاهلين وكيف أنعم على المتعلمين . كل هذا عرفته ولكن انظرأيها الذكي . انظر وتجب معى . انظر لأسلافنا الكرام . انظر كيف كانوا رجهم الله نبراس الأمم . ماذا فعلوا . رأوا قوما درسوا شيا من علم الطبيعة شيا يسيرا حقيرا فافتخروا بأنهم قرؤا الفلسفة وماهم بفلاسفة بل هم جهلاء فشككوا الناس فى الدين . فاذا جرى . قام هؤلاء الأكابر فألقوا علما سموه ﴿ علم الكلام ﴾ لأن مسألة كلام الله اللفظى والنفسى كان أنارها المأمون ومن معه وتمادى القوم فأتموا تأليف هذا العلم وتكوينه فجمعوا العقائد فى خمسين مسألة كصفات الله النفسية وصفات المعانى والصفات المعنوية وصفات التنزيه والتقديس وصفات الرسل ومايجب لهم من الأمانة والفظانة الخ واليوم الآخر وما أشبه ذلك وأمروا الناس أن يدرسوها . ولما شاع ذلك قام العلماء أبأؤنا حرّم هذا العلم قوم لأنه يهوش على أذهان الطلبة وقال قوم منهم . كلا بل نخصص به طائفة للاحكام الخصوم وبقية الأمة لا تدرسه ويشترط فى الدارسين له أن يكونوا ذوى صفات جيدة قالوا لأنه ربما ضلوا السبيل بسبب الشكوك التي ترد فى أثناء قراءة هذا العلم وانتهى أمر الأمة بأن جعلته علما عاما يقرؤه كل طالب ويحفظ العقائد عن ظهر قلب أو يفهم ويقول الله قادر عالم حي الخ والأنبياء كذا وكذا . هذا كل ما حصل فى الاسلام وبهذا انصرف المسلمون عن فهم أركان الصلاة وأدعيتها وانصرفوا عن دراسة جلال الله

وعن تشرح أنفسهم وعن معرفة ماحولهم وذلك لأنهم اكتفوا بتلك القشور وظنوا أن هذا كاف الى يوم النشور وأن هذا هو النور والكتاب المسطور في الرق المنشور

أليس هذا أشبه بما قصه الله إذ قال - فقتطعوا أمرهم بينهم زبرا - . أليس كل حزب من المسلمين أصبح فرحا بما عنده من العلم ونسى الناس علوم القرآن . أليس هذا هو التقطيع . يابوحنا اذا فرطنا في تعاليم ديننا وآبائنا . ألم يبين ذلك رسول الله ﷺ فأخبرنا بأننا سنتقطع هذا التقطع ونتمزق هذا التمزق النبي ﷺ نفسه هو الذي قال ذلك فتمزقنا علما وتمزقنا أئمة فلنجتمع كما تفرقنا ولنتعلم كل العلوم كما مزقناها فانظر كيف انصرف الناس عن القرآن ، انظر كيف كان أول هذا العلم الرد الشبه ثم اختصر وجعل كلمات يتلقفها التلاميذ ثم نام الناس عليها وعكفوا . انظر وابك على أمة الاسلام . ابك على أمة الاسلام . يكرر المسلم صفات الله فيقول « قادر مرید وعالم وحی » ويقول بعد تمام صفاته « ان كماله لا يتناهى »

يا عجباً . وما فائدة القدرة لنا بدون أن نقرأ آثارها الظاهرة . انظر كيف كان هذا العلم قد حجب الناس عن نفس القرآن مع ان القرآن ينظر في نفس العلوم التي هي آثار صفات الله . فانظر الى أمة تحفظ الصفات ولا تقرأ آثارها . انظر الى الكتب المصنفة كيف منعت الناس عن القرآن . هاأنذا أبنت لك كيف كان آباؤنا يدفعون عن الدين بهذا العلم وحسنا فعلوا . ثم انظر كيف جاء الخلف فظنوا أنه هو المقصود وتركوا القرآن ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تركوا عجائب الله في الأرض وفي السماء ﴿ وبعبارة أصح ﴾ نسوا الله فأنساهم أنفسهم فأذلم الفرنجة وهم نائمون أو هائمون في أودية الجهالة . وسيؤيد الله هذه الأمة ويخرج فيها رجالا يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم -

﴿ بالجهل تفرق المسلمون وبالعلم اجتمعت الأمم ﴾

(تبيان قوله تعالى - وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فقتطعوا أمرهم بينهم زبرا

كل حزب بما لديهم فرحون -)

لقد تقدم تفسير هذه الآية وعرفت من نفس الحديث الشريف . ومن كلام المفسرين إن هذا القول يقصد به أمة الاسلام وأقول الآن إن هذا مجزة . فاذا أورد بعض العلماء حديث افتراق الأمة نيفا وسبعين فرقة ورد الحديث بعضهم لعدم ثبوته فنقول ولكن هذه الآية لاراد لها فقد أخبر الله بتفرق أمة الاسلام وقد حصل هذا فعلا ولم يكن المقصود بمجرد الاخبار انما المقصد أن يكون هذا القول موجها للاحتراس من التفرق فقد أخبر بذلك وأراد أن نحترس من ذلك

﴿ التفرق في العصر الأول وكيف تلافاه الخلفاء الراشدون ﴾

لقد كانت الأمة العربية قبل مبعث الرسول صلوات الله عليه لاتعنى كثيرا بالقراءة والكتابة وكان جل اعتمادهم في قيد أشعارهم وخطبهم ونحوها على حفظها في أوعية صدورهم وكان الورق الذي بين أيدينا اليوم لم يشتهر بينهم ومخافتهم إذ ذاك جلد أو حجارة رقيقة بيضاء وكلة (كتاب) تطلق على كل صحيفة مكتوبة من هذه الأنواع والكتابون فيهم قليلون . فلما كان القرآن ينزل نجوما وأقساما كان النبي صلوات الله عليه يعلى عليهم ما ينزل وقرته فيكتبونه على ما تيسر من جلد ونحوه وخصص لذلك العمل من كان يحسن القراءة والكتابة وأطلق عليهم (كتاب الوحي) . أراد رسول الله ﷺ أن ينشر في الأمة فكرة حفظ القرآن واستظهاره فحضمهم على تلاوته آتاء الليل وأطراف النهار ورغبهم في حفظه ولم يترك وسيلة للوصول الى ذلك إلا استعملها فكانت عشرات الآيات والسور الطويلة بل والقرآن كله يحفظه كثير منهم . وأعانهم على حفظه سريعا قوة حافظتهم وسرعة خاطرهم وصفاء ذاكرتهم . فالعروف عنهم استظهار ما يطرق سمعهم بسرعة عجيبة مع الضبط بل فيهم من اذا قرئت عليه القصيدة الطويلة حفظها من أول مرة . وفي أخبارهم شواهد على ذلك كثيرة .

لم يقف صلوات الله عليه عند هذا الحد في حفظه بل أمرهم بكتابته وتدوينه . ولذا رغبهم في تعلم القراءة والكتابة ومدحه وبالغ فيه حتى ان الأسير الذي يأسرونه في حروبهم اذا عجز عن الاقتداء بالمال وهو متعلم جعل فداءه تعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة فتلاشت بينهم الأمية وتسارعوا الى تسطير القرآن على ما تبصر مع ضبطه إذ كانوا يكتبونه عند سماع قراءة الرسول وهو يسمع منهم ما يكتبون . ومن اشتهر من كتاب الوحي (زيد بن ثابت) فقد شهد عرض القرآن في المرة الأخيرة على رسول الله ﷺ وكتبه له وقراه عليه وأقرأ الناس به . وذلك أن جبريل عليه السلام كان يلقى الرسول ﷺ في كل سنة في ليالي رمضان يعرض عليه القرآن كله مرة وفي العام الذي قبض فيه الرسول ﷺ عرضه عليه مرتين وما ذلك إلا ليعرضه كذلك على قومه حتى يحفظ مضبوطا . ومن كتاب وحيه أيضا (أبي بن كعب) و (الزبير بن العوام) و (خالد وابان ابنا سعيد بن العاصي بن أمية) و (حنظلة بن الربيع الاسيدي) و (معيقب بن أبي فاطمة) و (معاوية بن أبي سفيان) و (علي بن أبي طالب) وغيرهم وأشهرهم (زيد بن ثابت) فلم ينتقل الرسول ﷺ من هذه الحياة إلا والقرآن كله محفوظ في الصدور مكتوب على رقاع متنوعة من جلد وحجارة مع الضبط والتدقيق واقرار الرسول ﷺ على ما كتب بعد تلاوته عليه

ولما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة أصيب الاسلام بارتداد بعض القبائل وادعاء بضعة كذا بين ودجالين كالأسود العنسي ومسيلمة وسجاح للنبوّة . ولكن تداركت تلك الحوادث حكمة أبي بكر الصديق وتلاشت بسياسته وحزمه فبعث بالجيوش الى المرتدين والمنبئين وأرسل اليهم كتباً يدعوهم الى الهدى والرشاد وأن أبوا فالقتال فما كان إلا القتال فظفرت جيوش المسلمين وثاب الناس الى رشدهم وعاد المرتد واندرح المنبئ إلا أنه قتل جمع كبير من قراء القرآن وحفاظه في واقعة (اليمامة) إحدى هذه المعارك فاستفزه هذا الفزع الى المبادرة والاسراع الى جمع القرآن على الطريقة التي وجدوا عليها غيرهم من الأمم في تدوين معلوماتهم في صحف من نوع واحد خشية أن يضيع القرآن ويندرس بقتل كثير من حفاظه ووجوده في رقاع متنوعة سرعان ما تمتد اليها يد التبديد فأرسل أبو بكر الى زيد بن ثابت فقال له ان عمر بن الخطاب قد أشار على بأن أمر بجمع القرآن لأن القتل قد استحر (يوم اليمامة) بالقراء ويخشى أن يستصر القتل بهم في مواطن أخرى فيذهب كثير من القرآن فقال زيد لأبي بكر وعمر كيف نعمل شيأ لم يفعله الرسول فقالا هذا والله خير وما زالوا يراجعانه حتى قرأ عليهم على جمعه فقال أبو بكر لزيد إنك رجل شاب عاقل لا تهتمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجعه فتألفت لجنة من الحفاظ والقراء والكتاب يرأسها زيد بن ثابت فأخذ يتبع القرآن يجمعه من الجلد والحجارة التي كانت تكتب في عهد الرسول ومن صدور الرجال الذين تلقوه عن الرسول وكانت اللجة لا تكتفي بحفظها ولا بما وجدته مكتوبا عندها إلا اذا راجعوا ما عند الغير مما كتب بين يدي الرسول وبأمره وان وجد عند أكثر من واحد أو يشهد عليه شاهدان عدلان منهم . وهكذا استمرت اللجة تعمل وجميع أعضائها من أكبر الحفاظ وأدق القراء وفيهم أشهر كتاب الوحي فسطروا القرآن جميعه في صحف من نوع واحد وقد أقرها وأجمع عليها جميع الصحابة لم يخالف واحد ثم أودعت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر في حياته ثم عند حفصة بنت عمر بعد ذلك

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قدم عليه حذيفة بن اليمان وكان يغازي أهل الشام في فتح (أرمينية) و (أذربيجان) مع أهل العراق فقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . وسبب ذلك أن هذه الجيوش كانت من قبائل متعددة من أصقاع مختلفة فسمع حذيفة كل قبيلة تقرأ على وجهه لم يسمعه هو من الرسول ﷺ وظن أن القراءة التي سمعها وقرأ بها هي الوحيدة وأن الرسول لم يقرئ جميع الوفود والقبائل بها مع ان الرسول صلوات الله عليه كان يقرئ المسلمين

على أحرف مختلفة حسب لهجة كل قبيلة من العرب وكأها لا تخرج عن المقصود والاعجاز ولم يفعل ذلك إلا بإيحاء من الله تعالى * ففي صحيح البخارى انه عليه السلام قال ﴿ أقرأني جبريل على حرف فراجعتهُ فلم أزل أستزیده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف ﴾ وكان الكثير منهم لا يعرف إلا وجها واحدا من القراءة وهو الذي سمعه من الرسول حسب لغة السامع ولهجته ويدل لذلك ما رواه البخارى في صحيحه من أن عمر بن الخطاب يقول ﴿ سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله فكذت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فليته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله فقلت كذبت فان رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله فقلت اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها فقال رسول الله أرسله فلما جاء قال اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله كذلك أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه ﴾ وهذا بعينه الذي حمل حذيفة وغيره على اتهام القراءات المتعددة من القبائل المختلفة في هذه الفتوحات والحروب فلما أفضى الى عثمان بمقالته خشي من اشتداد النزاع بين القبائل لهذا الخلاف اللغوي فقتب بينهم نار الحرب والمخاصمة فتذهب ريجهم وتضعف شوكتهم وتتفرق كلمتهم فرأى رضي الله عنه بعد مشورة من كان في عهده من الصحابة أن يجمع المسلمين على مصحف واحد مكتوب بقراءة قریش ورسومها الكتابي فبعث الى حفصة بنت عمر أن ترسل بالمصحف التي كتبت في عهد أبي بكر فأرسلت بها وجع الحفاظ والقراء وكتاب الوحي الذين في خلافته من بينهم سعيد بن العاصي وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فتألفت لجنة رئيسها زيد بن ثابت وقال لهم عثمان اذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قریش فان القرآن نزل بلسانهم . أراد بذلك أن يجمعهم على وجه واحد فلا يجد الخلاف اليهم سبيلا فسارت اللجنة في عملها بالتحري والتدقيق كما في خلافة أبي بكر سيما وأن رئيس اللجنتين في العهدين واحد فنسخوا منه عدة مصاحف أرسلت الى الأمصار ورد مصحف حفصة اليها وأمر بإحراق ما عدا ذلك وأجمع جميع المسلمين من قراء وكتاب وحفاظ على اعتماد هذا المصحف وانه كما تلقوه عن الصادق الأمين فصار هو المعول عليه والمعمول به في جميع الأقطار ولم يطل بهم العهد في ذلك الحين على انتقال الرسول عليه السلام

وبهذا العمل الجليل قد انحسم ما كان متوقعا من النزاع . وبهذا حفظ الله كتابه من الضياع والتحريف والتبديل وتحقق قوله تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - . هذا والواقف على أطباع العرب من شدة تمسكهم يدينهم وحرصهم على ضبط ما ينقلونه عن الرسول وغضبهم وسخطهم لأقل شيء يخالف ما كان عليه الرسول ولو أمر به أعظم عظيم . والعارف بما جبل عليه الخلفاء الراشدون من الخلق الكريم وعدم الاستبداد بالرأى وسرعة تنزيلهم على ما تجمع عليه الأمة . إن العالم بذلك كله يجزم بأنه لو اختلف حرف واحد من القرآن عما تلقوه من رسول الله لاشتعلت بينهم نار الحروب وثاروا على الخليفين بل لارتدت شعوب بعلمها ولطعن عليهم أعداؤهم وعابوا كتابهم وهم مخالفون لهم يرقبون أي عيب يشنون به الغارة عليهم ولاختلفوا هم أيضا في قبول هذه المصاحف ولظهرت عدة مصاحف متغايرة متناقضة ولكن شيئا من ذلك لم يكن وأن ذلك ليدل دلالة واضحة ويقطع قطعا يقينا أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن رسول الله والذي نطق به - وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى -

لبث القرآن عهدا كبيرا تناقله الأمم والأجيال بالكتابة اليدوية من هذه المصاحف العثمانية المجمع عليها في خلافة سيدنا عثمان وكانت الكتابة تزداد تحسينا شيئا فشيئا على مقتضى تطورات العصور الى عصر اختراع آلات الطباعة فكانت عاملا قويا في نشر المعلومات و بث المؤلفات وأول مصحف طبع سنة (١٦٩٤) ميلادية بمدينة

(همبورغ) بألمانيا ثم انتشرت بعد ذلك انتشارها المشهود . هذا ما فعله الخلفاء رضى الله عنهم فتلافوا الأمر ولم يفرطوا فبقى القرآن محفوظا الى الآن

﴿ كيف يتحد المسلمون الآن ﴾

لقد عرفت أيها الذكي أن انحصار العقول الاسلامية في ألفاظ علم التوحيد وفي العلوم الفقهية هو الذى أدى بهم الى التخاذل . إن انطلاق العقول الى علم مافى السموات والأرض يفتح لهم ﴿ بابين ﴾ (الباب الأول) باب نظام هذا العالم ومنه يعرفون جلال الله وحكمته ﴿ (الباب الثانى) ﴾ أنهم يرون أن علم الفقه وعلم التوحيد المصطلح عليه ليسا إلا شيئا يسيرا جدا من دين الاسلام ويرون أن الاسلام هو كل هذه العلوم . فيرى المسلم الشيعى والسنى أن الخلاف بينهما شئ يسير جدا لأنهما لا يختلفان في علم التشريع ولا علم النفس ولا علم النبات ولا علم الحيوان ولا علم الكيمياء ولا علم المعادن ولا علم طبقات الأرض ولكن الخلاف جزئى يسير واذن يتعارفون ويتقابلون ويرون انهم اخوان على سرر متقابلين وأن انحصار الأفكار هو الذى منعهم وأضلّ الأمم الاسلامية . وان شئت بيانا أكثر فقل للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . لماذا نرى ألمانيا أما كثيرة وبمالك تعدّ بالعشرات ومع ذلك تكوّنت منها أمة واحدة . ونرى الولايات المتحدة تكوّنت منها أم تبلغ فوق مائة مليون ومع ذلك هم من أم مختلفة وعقائد متباينة حتى انهم فيهم اليهودى والمسلم والنصرانى والدرزى وكلهم يعيشون عيشا هنيئا . وكيف كان الانجليز أما مختلفة وقد اتحدوا وهامهم أولاء يضربوننا فى الشرق

أيها الذكي . إن المسلمين ما فرقهم إلا الجهل . إن هذه الأمم لما قرأت العلوم وعلمت كل واحد من أبناء البلاد مبادئ العلوم وارتقى أغنياءها فى العلم عرفوا أن الفارق بينهم فى الديانات قليل بالنسبة لما اتحدوا فيه من العلوم والحياة . اذا كان ذلك فى أم مختلفة فكيف يكون أمر أمة الاسلام . هذه الأمة المتعدة التى ما فرقها إلا الجهل وسوء سلوك الرؤساء والأمراء . أفلا ترى أن قراءة العلوم بين الأمم الاسلامية تجمعهم كما جعت الأمم المختلفة . ولعمري إن أهل دين واحد أقرب الى الاتحاد من الأمم المختلفة . فكيف إذن بدين الاسلام الذى هو دين علم وحكمة . يا حسرتنا على ما فرط المسلمون . إني ليحزنتنى وأيم الله أن أقول انظروا الى أوروبا ولكن ما العمل وهم سبقونا . هلا قام قائم بين المسلمين وجدّد عهد عثمان وأبى بكر رضى الله عنهما وقال أيها المسلمون ادرسوا العلوم كما درسها الغربيون لتعرفوا دينكم وربكم وسرّ صلاتكم وتكونوا مؤمّنين حقيقيين . ياليت شعري متى يقوم فيكم ذلك القائم . متى يقوم فيكم من يقول لكم كفى كفى لقد شعبنا جهالة فأين العلم أين العلم . أيها المسلمون انظروا كيف ترون التفرّق والتخاذل . لا تفرّق ولا تخاذل إلا بالجهالة فبلاد العرب على قلة عددها فيها ممالك متفرقة تتقاتل وتتحارب وليس يدير أمرها إلا الفرنجة . لماذا . لأنهم جهلاء لا يعرفون أمور الدنيا فيصلحونها ولا المودة بينهم التى لا تكون إلا بالعلم ولا علم اليوم . فالعلم فى أوروبا وحدها . وأما أمة الاسلام فانها أصبحت فى برائن أوروبا . فبالعلم ملكونا وبجهلنا بديننا تفرّقنا أى بعلم ديننا أى بجمال الله وآياته وحكمه ونظامه . نسينا الله فنسينا . أفليس هذا هو الفسق . أفليس الفسق أن تكون مصر وتونس وطرابلس والجزائر وصرا كس وسوريا والعراق كل هؤلاء أمة عربية لغتها واحدة ودينها واحد وأصلها واحد ومع ذلك لا يعرف بعضهم بعضا . أليس ذلك إلا لأنهم جهلاء . جهلاء جدا لا يعرفون ماذا يصنعون . أليس ذلك حاصل في الاسلام لأننا جعلنا كتابنا بيننا - زبرا كل حزب بما لديهم فرحون -

﴿ حكاية ﴾

قال لى يوما الاستاذ المستشرق الانجليزى (ادوارد براون) اننى قابلت تلميذا من تلاميذ الفرس وقد كنت موفدا من قبل أمتنا الانجليزية لأعرف طبائع هذه الأمم . أيتحد المسلمون أم هم فى المستقبل لا يتحدون

قال فدرست الأمم التركية والفارسية والعربية وعلمت من أمة الفرس انهم يستحيل أن يتحدثوا مع أهل السنة فقد قال لي ذلك التلميذ الذي قابلته اني حاربت الترك مع الروس لما كانوا يحاربونهم لأنني اعتقد أن الكلب أفضل من المسلم السني فلذلك فضلت أن أحارب الترك مع الروس . قال الاستاذ (براون) وأنا عالم علم اليقين أن هذا التلميذ لم يذبح دجاجة مدة حياته لجنبه ولكن عرفت أن تعاليم هذه الأمم قد قضت عليهم - فأصبحوا في ديارهم جاعين - . انتهت الحكاية

أقول وكان ذلك منذ نحو (٢٠) سنة . أما الآن وأنا أكتب هذا التفسير فان الفرس والترك اقتربوا وتحابوا وظهر خطأ نظرية الاستاذ (براون) وأن الامور قد تغيرت وأقول الآن كل هذا كان للجهالة العمياء العامة في الاسلام

﴿ سورة المؤمنون وعلوم الحكمة ونشرها في الاسلام ﴾

هل أحدثك عن تقسيم الحكمة عند أسلافنا . وهل تحب أن أقول لك ان الحكمة كلها قد نقلت الى أوروبا وجاء (بيكون) الانجليزي ورتبها ترتيباً آخر ونشرها في أوروبا وكل ذلك ملخص هذه السورة فانظر الآن لما قاله (بيكون) المذكور الذي كان في حدود المسألة السادسة عشرة من التاريخ المسيحي فانه عمد الى ما رأيت من العلوم المذكورة في هذه السورة التي سطرها آباؤنا باسم الفلسفة وقسمها على أهم القوى التي في الدماغ وهي ثلاثة (القوة التخيلية . والقوة المفكرة . والقوة الذاكرة) فللقوة التخيلية التي مقرها في مقدم الدماغ عند القدماء علم الشعر ويقسمه الى ثلاثة أقسام (الشعر الوصفي . والشعر الذي تذكر فيه الروايات والشعر للأمثال) . وللقوة الذاكرة علم التاريخ والتاريخ قسمان طبيعي وبشري والطبيعي يشمل علوم الطبيعة كلها من العوايات والسفليات كالجياوجيا والجغرافيا والسماء والعالم والكون والفساد الى آخر ما تقدم والتاريخ البشري يشمل التاريخ الديني والتاريخ الاجتماعي وتاريخ الأدب والفنون . وللقوة المفكرة علوم الفلسفة وهي (ثلاثة أقسام * فن معرفة الله . وفن معرفة نظام الطبيعة . وفن معرفة نظام الانسان) كعلم النفس وعلم المنطق وعلم الأخلاق وعلم النظام الاجتماعي وعلم الجمال . وقد اعتادوا أن يقرؤا مع ذلك المذاهب الفلسفية . فهذا هو تقسيم المحدثين

فانظر الآن . أليس معرفة الله هي المذكورة في أول سورة المؤمنون . أليس علم النفس هو الملازم لعلم التشريح المذكور في أول هذه السورة . أليس علم نظام الطبيعة هو مجموع تلك العلوم التشريحية والفلكية والحيوانية والنباتية في أول السورة . أليس علم النفس يتفرع عنه علم المنطق وعلم الأخلاق وعلم الجمال وعلم النظام الاجتماعي فهذه فروع له . فأما المنطق فما هو إلا ميزان والميزان لا يصح شيء بدونه . وأما علم الأخلاق فهو مفهوم من أول السورة في الوفاء بالعهود والزكاة ونحوهما . وأما علم الجمال فهو ملخص نظام الطبيعة وحسنها وجمالها وبهاؤها . وأما علم الاجتماع فيشار اليه بقصص الأنبياء في هذه السورة وأمثالها وأن ندرس نظم الأمم ونحللها وتأخذ بأحسنها

﴿ الدروس التي تلقى الى المسلمين ﴾

- (١) دروس العبادة والأخلاق للأطفال عملاً لا مجرد علم كما في أول سورة المؤمنون
- (٢) دروس علم الأشياء بحيث يذكر فيه أحسن الجمال في الطبيعة والبدائع والنظم المتقنة في هذا الوجود وغرائبه ليعشق التلميذ درسه وربه . كل هذا في التعليم الأولي مع ذكر الله وصفاته
- (٣) درس العلوم الطبيعية في التجهيزي درسا منظما فيقرأ الحيوان والنبات والتشريح وطبقات الأرض والفلك وتلك القراءة المقصد منها الامام بهذه العلوم بهيئة منظمة كما في هذه السورة
- (٤) ذكر سير الملوك والأمراء والعلماء وأخلاقهم وأعمالهم وما يتبع ذلك ليسكون في الأمة مصلحون كما

جاء في هذه السورة من ذكر المنعم عليهم من الأنبياء ويكون ذلك نبذا صالحة جيلة في كتب متقنة جيلة شارحة للصدور مهية العقل لدراسة العلوم بانسراح صدره لدينه ولأمة الاسلام ليقم في الاسلام مجدودون فلينشروا هذا في مختلف الأصقاع فاذا درسوا ذلك فليدرسوا معه ما ينزم من علوم الدين ثم ليخصصوا في القسم العالى كلا فيما هو أهل له . فهذا للعلوم العربية وهذا للحديث والتفسير وهذا للكيمياء والطبيعة وهذا للهندسة وهذا للطب الخ
هذا هو الذى يجب أن يكون عليه المسلمون في مستقبل الزمان وأن الله سبحانه هو الذى ألهم بكتابة هذا في التفسير وسيلهم كثيرا من المسلمين بنشر هذه الآراء وهو الذى سيهدى المسلمين فيسيرون على صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين - ﴾
لقد تقدم في هذا التفسير في موضع غير هذا أن التثليث عند الأمم السابقة قبل المسيح لم يكن بالمعنى الذى يتعارفه المسيحيون إذ نقلت عنهم انه كان هكذا الله والمادة والعقل المدبر لها باذن الله والمادة والعقل يدلان على الله . ومعنى هذا أن الانسان اذا نظرت في هذه الدنيا لا يرى إلا المادة وهذه المادة يراها في غاية الانتظام وهذا الانتظام يدل على عقل نظمه وهو المعبر عنه عندنا بالملائكة الذين يدبرون العوالم وهؤلاء الملائكة الذين عرفناهم بأسمائهم في السموات والأرض يدلون على أن لهم إلهام خلقهم . إذن المادة والقوة المدبرة يدلان على الله . إذن الموجود إما مادة محسوسة واما عقول مرتبطة بها واما موجود مجرد من المادة مدبر للقسمين أى الموجود إما مادة واما مختلط بها واما مجرد عنها مدبر للقسمين . هذا ما كان يقوله فلاسفة الأمم لهم ثم تبادى الزمان فصار الثلاثة آلهة وقد جعلت لهم أصنام في الهند وعند البابليين والآشوريين وقدماء المصريين ولما نقل النصارى هذا التثليث عن الأمم لم يحسنوا النقل فبدل أن يقولوا (الله والمادة والعقل) المعبر عنها بالأب والأم والابن قالوا (الأب والابن والروح القدس) وجعلوهم جميعا آلهة وكلهم إله واحد أفلاتنجب لما أسمعك الآن وكيف يظهر الله عز وجل الأسرار في كلام المسيحيين أنفسهم . فانظر لما جاء في ﴿ مجلة البريد المصرى ﴾ في اكتوبر سنة ١٩٢٨ وهى المجلة الشهرية الدينية الأدبية في سنتها الخامسة عشرة عدد (٩) صفحة (١٣٩) وهى التى يديرها المسيحيون بمصر فقد جاء فيها مانصه ﴿ ولولا تجسده ما عرفنا الأب بالابن كما في متى ١١ : ٢٧ ويوحنا ١ : ١٨ (٢٥) انتهى ﴾

أفلاتنجب معي . فجلّ الله . أليس هذا هو عين ما أسلفته نقلا عن أصول ديانات القدماء وهو عين هذه الآية التى نحن بصدد الكلام عليها إذ يقولون ﴿ لولا تجسد المسيح ما عرفنا الأب ﴾ إذن الأمر ظهر وهو انه لولا العالم ما عرفنا الله والعالم هو المادة والقوة العاقلة المنظمة لها . فهذه لولاها لم يعرف الناس ربهم فجاء المسيحيون وحصروا معرفة الله في ظهور جسم المسيح ونور عقله ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان الرجل العالم يدرك جمال الله من كل حشرة وكل كوكب وكل نبات وهكذا ولكن طائفة من الناس اكتفوا برجل صالح ذى نور من الله فدلهم على الله تعالى . فجسم المسيح بعض جسم الأرض وعقله بعض العقل العام الذى خلقه الله في العوالم كلها . ففى هذا اكتفاء البعض عن الجميع . وما المسيح إلا آية واحدة من آيات الله التى منها الشمس والقمر وحيوان الأرض وغيرها . أفلاتنجب أن ترى المسيحيين ينطقون بالسر وان كان أكثرهم لا يمتدحون به إذ يقول انجيل متى وانجيل يوحنا المتقدمين ﴿ ان تجسد المسيح يدل على الله ﴾ أليس هذا هو عين التوحيد وعين قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - فعبسى آية لا غير فى القرآن وعبسى يدل على الله فى انجيل متى وانجيل يوحنا والمادة والعقل والعالم يدلان على الله فى أديان القدماء . إذن اتفق القرآن وانجيل متى وأصول الأديان القديمة على شئ واحد وهو أنه لا تثليث بل هو توحيد حتى دين المسيح عند (متى)

و (يوحنا) الذين جعلوا وجود المسيح يدل على الله واذن أصل التثليث استدلال بمقدمتين على نتيجة المقتمتان (الجسد والروح) والنتيجة انه لا بد من موجود أوجد الروح وأوجد الجسم وضمهما الى بعضهما ونظمهما هذا هو معنى قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - وذلك كما تقول إن البرهان يحتاج الى مقدمتين وتكون لها نتيجة . فكما تقول العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث تقول هنا العالم مادة وهي مدبرة بعقل منظم وهذان لا بد لهما من موجود منزّه عن المادة منظم لهما معا لأن الموجود إما مادة وإما منزّه عنها وإما ملتبس بها لا غير والحمد لله على نعمة العلم والحكمة

﴿ تذكرة في أن ألوهية المسيح منقولة عن الأمم السابقة التي خلت ﴾

جاء في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ صفحة (٤٢٢) مانصه

﴿ ولاتوهمن أن النصرانية وحدها اخترعت أن الإله صار بشرا فان الهنود نسبوا الى (فشنو) وهو الاقنوم الثاني من ثالوثهم تسعة تجسيدات وفي ثامنها ظهر باسم (خريستا) وكذلك (ابولونيوس) التيباني ظنه معاصروه إلهاً لأنه علم ما علمه (يسوع) وعمل أعمالاً عظيمة وروى عن أمه أنها لما كانت حاملابه ظهر لها في الرؤيا (بروتيو) أحد آلهة المصريين وقال لها انه حلّ في أحشائها . ومثله (ليوتسو) الصيني ظنوه إلهاً صار انساناً وقد حلت به أمه بنظرها الى رجوم ساقطة من السماء . وأما ألوهية المسيح فلم تنشأ إلا بعد خراب (أورشليم) وتشتت اليهود في مصر والفرس والهند وبعد أن استتب الامن عاد هؤلاء الى وطنهم وهم متشربون مبادئ أديان الشعوب الذين عاشوا بينهم بضع سنين فقامت عندها بين عامة النصراني المجادلات والمنازعات الى أن قرّر (المجمع النيقاوي) هذه العقيدة بحكم سلطان أجنبي هو الملك (قسطنطين) الذي عضد المجمع المذكور لأغراض سياسية . ثم قال ومن العجب أن أرباب النصرانية تنازعوا حتى سفكوا الدماء في مسائل وهمية لا طائل تحتها وقد تناسوا الشيء الجوهرى الوحيد الذي جاء المسيح لأجله وهو محبة الله والقريب هذه هي المحبة التي قال عنها عليه السلام انها الناموس كله وجاء من بعده فاستبدلوا باللعنات والحرمان واحراق بعضهم حتى أصبحت النصرانية بعد عشرين جيلا في حالها الحاضرة مشتملة على عقائد تافهة ينكرها العقل ويأبأها العلم ﴾

وجاء في صفحة (٤٢٠) من هذا الكتاب أيضا مانصه

﴿ جاء في انجيل مرقس انه لما أتى يسوع الى مدينته احتقره آله فقال « لا يكون نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقاربه وفي بيته » ولم يستطع أن يصنع هناك شيئا من القوّات ﴾ (مرقس ٦) فيسوع يقرّ ههنا عن نفسه بأنه نبي بسيط وانه عجّز عن صنيع آية فكيف يتأتى منه العجز وهو (الله رب العالمين) وسأل يوما تلاميذه قائلا وأتم من تقولون أتى هو فأجاب بطرس أنت المسيح (مرقس ٨) ومعنى المسيح رسول ممسوح بالدهن كما كان اللاويون وملوك اسرائيل فلم يقله ههنا بطرس أنت هو الله ولا نبيه يسوع على غلطه بقوله له (أنا الله بالذات انحدرت من السماء) متجسدا بينكم لأنقذكم من خطيئة آدم وأعوض عن الاهانة العظيمة التي لا تنتهي التي لحقت بعزّي الإلهية بل قال فقط عن نفسه « إني رسول يعمل بإرادة مرسله » انتهى المقصود منه

وقال في صفحة (٣٥٥) وما قبلها ما يأتي ﴿ لقد تفرّغ علماء أجلاء من أوروبا للبحث عن أصل الأناجيل وأدوار تقلباتها فقالوا إن المسيح اختار رسله من الشعب البسيط وكانوا سيادى سمك من بحيرة طبريا وأراد بذلك أن تعالجه لاحتجاج الى ذكاء خارق للعادة . قال وبعد رفعه الى السماء أخذ الرسل يشيرون بما رأوا يقولون بوحدة الله ومحبة لعباده ووجوب ارتباط الناس بالمحبة لأنهم إخوة ورجهم واحد وقالوا بالتوبة والتكفير عن ذنب الانسان نفسه لاذنب أيه آدم ورجزوا للتوبة بماء المعمودية الذي أخذوه عن (الأسونيين) بواسطة

(يوحنا المعمدان) الذي كان من مصافهم . والقصد منه التنبيه به على التوبة من الذنوب . ويقولون بخلود النفس والقيامة فدخل الناس في الدين أفواجا . ولكن بعد ذلك جاء رجل يسمى (بولص) وهو فرنسي ومعلم بالناموس وباللغة اليونانية فاحترق الرسل أولا وهو مع انه ما عرف المسيح ولا رآه قط ولا سمع كلامه ادعى بأنه رسول وبه وحده خصت معرفة الحقائق واعلانها (غلاطيه ١) وأخذ يخاصم بطرس ويوبخه (غلاطيه ٢) فتألف عندها أي بعد رفع المسيح (١) بعشر سنين ﴿صنفان﴾ من النصارى ﴿الأول﴾ تابع لمن بقي من الرسل في اورشليم ﴿والثاني﴾ تابع لبشارة (بولص) الذي ادعى بأنه أخذها عن إيجاء المسيح نفسه وبعد حين تمرد اليهود على (نيرون) فانشب الحرب في يهودية بقيادة (فسبسيانوس) الروماني ثم ابنه (طيطس) وانهت بافتتاح اورشليم عام (٧٠) وخرّب الهيكل وفترق اليهود أشتانا ﴿ انتهى الكلام على (المقصد الثاني) من سورة (المؤمنون)

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * قَدَّرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ * أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَيَنِينٍ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ لَمْ أَعْمَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَأِرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكِرُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْتَجِرُونَ * أَقَلَّمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكُرْتُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا نَفْرَاجٍ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ

(١) المذكور في الكتاب المنقول عنه بعد موت المسيح لأن هذا اعتقاد الافرنج . ولقد مر بعض هذه العبارة في سورة ﴿آل عمران﴾ وقد سهونا أن نبدل الرفع بالموت وستمح في الطبعة الثانية فليتنبه

مُسْتَقِيمٌ • وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كِبُونَ • وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا
 مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْتَهُونَ • وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَفُوا إِلَيْهِمْ
 وَمَا يَنْتَضِعُونَ • حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ • وَهُوَ
 الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ • وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
 الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ • وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ •
 بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ • قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَهْنَا لَمَبْعُوثُونَ • لَقَدْ وَعَدْنَا
 نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ • قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
 الْعَرْشِ الْعَظِيمِ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ • قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
 يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ • بَلْ أَتَيْنَاهُمْ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
 بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبِثُوا عَلَى الْعَرْشِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ • حَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ • قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ • رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ •
 وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ • أَدْفَعْ بِالنَّارِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ
 • وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ • وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ • حَتَّى إِذَا
 جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ • لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
 وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ • فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
 يَتَسَاءَلُونَ • فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ • تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَمُمْ فِيهَا كَالِحُونَ • أَلَمْ
 تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ • قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا
 قَوْمًا ضَالِّينَ • رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ • قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ
 • إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ •

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِغْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ
بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ كُفَرُوا فَمَا تَزُورُونَ * قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ
بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَخْسِبْتُمْ
أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَادًا وَأَنْتُمْ وَإِنَّا لَا نُرْجِعُكُمْ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - فذرهم في غمرتهم حتى حين - تقدم تفسير
هذه الآيات في آخر المقصد الثاني وقوله (أي يحسبون أنما نعتهم به من مال وبنين) أي نعتيهم ونجعلهم مددا
لهم وقوله - من مال وبنين - بيان لما أي يحسبون أن الذي نعتهم به (نصارح) به (لهم في الخيرات)
فما فيه خيرهم واكرامهم (بل لا يشعرون) بل هم كالبهايم لافطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك
الامداد استرجاع لاسارعة في الخير والاسارعة التججيل (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) خائفون
(والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين
يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات (وقلوبهم وجلة) خائفة (أنهم الى ربهم راجعون)
في الآخرة فلا يقبل منهم (أولئك) أهل هذه الصفة (يسارعون في الخيرات) يبادرون في الأعمال الصالحة
(وهم لها سابقون) وهم سابقون بالخيرات لا أولئك الذين أمددناهم بالمال والبنين فظنوا أن ذلك اكرام
لنا غير حق فالمال والبنون ليس اعطاؤهما والامداد بهما مما يؤهل للاسارعة بالخيرات . فأما خشية الله
والايمان بالله وعدم الاشراك به والتصديق مع الخوف من الله فان ذلك هو السبق للخيرات . وملخص ذلك
أن النعم ليست هي السعادة وإنما النعم راجعة الى العلم والعمل فالعلم رمز اليه بالايمان بالله والعمل رمز له
بالصدقة وأحاطهما معا بالخشية والخوف . وهل لك أن أسمعك ما أرسله أرسطاطاليس الى الاسكندر في رسالته
السياسية لترى كيف نطق بهذه الآية قبل القرآن بنحو تسعة قرون . أذكر لك جلا تناسب المقام فأقول

﴿ أرسطاطاليس والاسكندر والسياسة ﴾

قال « يظن الناس أن الاستمتاع بالخيرات منهل عذب سهل سائغ شرابه وأن مقاساة الشدائد لا يقوى
عليها أحد . ولست أرى هذا صوابا بل الصواب عندي خلافه وذلك أن الناس اذا جرّبتهم الشدائد تحنكوا
لما فيه مصلحتهم فاذا أظلتهم الأحوال تحركوا فيما يدفع ذلك عنهم واذا صاروا الى الامن والدعة مالوا الى الشره
والفساد وخلعوا عذار التحفظ . وما أفسر أن تكون مع رخاء البال صيانة العقول بل قديدهم ذلك بالعقل
كثيرا ويذهله . فأحوج ما يكون الناس الى التأديب اذا صاروا الى الخفض والدعة فانه ان كانت الحروب قد
تحدث فيها الأحداث فان ذلك يحدث والناس متصفقون حذرون . فأما في حال الخفض فتحدث أحداث
كثيرة والناس قارون مهملون لأمرهم وعند ذلك يحتاج العامة الى الأدب والسنة ،

ثم قال « وليس الاستمتاع بالهدوء والخفض مما يحتمله كل أحد كما ظن هؤلاء ولوانه كان ذلك كذلك
لوجب على الآباء أن يملكوا أبناءهم أموالهم من أول نشئهم . فكما انه لا ينبغي أن تفوض الأموال الى

الصبيان كذلك لا ينبغي أن تفوض الامور الى العامة فان أخلاق العوام أشبه بأخلاق الصبيان وكلا الصنفين يحتاج الى الرقابة والمديرين والعبرة في ذلك أيضا قد ترى من تصرف الأحوال وتنقل الدول فما بال الرياسات لا تثبت ولا تدوم على حال لصنف واحد وفي مدينة واحدة كالذي رأينا من نقلها في بلاد آسيا وفي بلاد أوروبا وفي غيرها من المدن فقد ملك (أشور) حيناً لأهل الشام وسوريا ثم خلف بعدهم أهل (ماه) ثم خلف بعد هؤلاء أهل فارس وكذلك نجده في سائر الأمم فالقلعة في هذا كله واحدة هي التي ذكرنا من أن القلب في الخيرات أصعب من مقاسات الشرور وكذلك نجد الذين نالوا الرأسة بنصب ومشقة ثم زيدوا فيها شيئاً بعد شيء قد حنكتهم وثقتهم التجارب أكثر ذلك ما تطول مدتهم ويؤول الى السعادة وحسن العاقبة أمرهم . وتجد الذين نشأوا في الخفض وواقفتهم الامور عفا فلم تصبهم شدة ولم يمسه خوف يصيرون الى ضد ذلك . وكذلك ترى المدائن تعمر وتعظم بالمشقة والنصب وتصير الى الخراب بالرأفة والخفض داعية الى البطالة والناس في أكثر ذلك مائلون الى البطالة مستلذون بها وذلك أنهم يكرهون الأدب والسيرة الحسنة هرباً من المشقة ويؤثرون الفراغ والبطالة طلباً للتودع ويفنون أعمارهم في طلب اللعب والهواصاؤون الى الشقوة . وليس يكون مع البطالة وتعطيل الأدب بقاء ملك ولاذب عن حريم ولاصلاح عامة .

ومما قاله أيضا « وكذلك المدائن التي دخلها الخلل والفساد انما أتيت من سوء أثر الرؤساء والمديرين فصرفوا همتهم الى اللذات الزمنية فأهملوا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض أبد الدهر فقد ينبغي للمدير أن لا يتخذ الرعية مالا ولا مآكلاً ولا قنية ولكن يتخذهم أهلاً واخواناً ولا يرغب في الكرامة التي من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأدب وصواب التدبير »

ثم قال بعد كلام « واعلم أن الأيام تأتي على كل شيء فتخلق الأفعال وتمحو الآثار وتميت الذكر إلا ما رسخ في قلوب الناس محبة تتوارثها الأعقاب فاجتهد بالظفر بالذكر الجليل الذي لا يموت . واعلم أن المدائن التي دخلها الخلل والانتشار أتى ذلك اليها من سوء رسوم الرؤساء والمديرين وذلك انهم آثروا جز المنافع الى أنفسهم على تفقد أمور العامة وتقويم سنن المدن وصرفوا همهم في تعجيل اللذات الزمنية وأهملوا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض والدهر . وقد رجوت أن تكون عواقب أمورك الى سعادة وأن تجتمع لك الخصال المحموده عند اليونانيين لأنك حقيق بها . واجتهد أن تظفر بالذكر الذي لا يموت بأن تودع قلوب الناس محبة تبقى بها ذكر مناقبك وتشرف بها مساعيك على الأبد والسجود لذكرك والنجوع لفضلك والسلام اليك وعليك » اه
أيها الذكي انظر في كلام (ارسطاطاليس) وانظر الى (الاسكندر) كيف سار على هذه الطريقة وانظر فيما هو أهم من ذلك كيف جاء هذا كله مختصراً في الآية . يقول الله إن إمدادكم بالمال والولد ليس مسارعة بالخيرات بل أتمم لا تشعرون . والتعبير بعدم الشعور قد أطال في وصفه (أرسطاطاليس) فقد جعل النعمة والمال والولد والخفض والدعة وما أشبه ذلك من أبواب الشقاء . جعلها مدعاة للبطالة . مدعاة لخراب البلاد مدعاة للذم . مدعاة لتنقل الدول . مدعاة لتنقل الرئاسة . مدعاة للذل الأبدي . فوها للعلم ووها للحكمة انظر أيها الذكي وتجب . يقول الله هنا المال والولد ليسا خيراً ويقول انما الخيران تعطوا المال لمستحقه هكذا يقول الله في هذه الآية ثم نرى أن هذا القول قد شرح قبل القرآن بنحو (٩٠٠) سنة . وأين شرح . شرح في (رسالة السياسة) من أكبر فيلسوف الى أكبر ملك فأصبحنا ونحن نفسر في القرآن لاندرى نحن في دين يقرؤه العامة والجهلاء كما هو شأن سائر الديانات أم في حكمة وفلسفة وسياسة وعمارة مدن . اللهم إن هذه المعاني تتعالى عن أنظار العامة ولا يتناول اليها إلا المتعلمون . اللهم إن العامة يسمعون مثل هذا الكلام فيقولون ان القرآن يصبرنا وينكرون ذلك في قلوبهم وعلى ألسنتهم ويقولون كل ذلك ليساونا نحن الجهلاء والحقيقة غير ذلك . وأرى الطبقة المتعلمة بعضهم ينفر من مثل هذا ويعده كما يعده العامة . فمن لى بأن يعرف

الناس صراحي دينهم ويفقهوه ويرقوا شعبيهم ويفهموا قوله تعالى أيضا - كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى - وقوله - فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرم من * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن - ثم بعد ذلك أخذ يذم الانسان بأنه اذا أخذ في النزاع اعتراه الذم بأنه لاتصدق ولاصلى كأنه ظن أنه خلق ليهمل في الوجود وهو جاهل نشأته فعاش مهملا الأخلاق والعلوم فخبس المال وجهل تركيب جسمه ويفهموا أيضا قوله تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الخ وقوله - فلا تجيبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - وهكذا من الآيات التي شرح معناها أرسطاطاليس . فانظر كيف جعل الله المال والولد عذابا وجعله أرسطاطاليس لايحتمل أى ان الناس يتحملون النقم ولايتحملون النعم فكأن النعم تدرهم الى مهاوى الخسران والحروب ترفهم الى العلا . ومقالة أرسطاطاليس قد ذكرت في غير هذا المكان وأعدناها هنا لمناسبة الآية وللشرح الذى رأيت . وبهذا نفهم هذه الآيات ونعرف أن المسادين لم يفظنوا لهذا الكتاب ولم يذيعوا معانيه حتى تفهمه الأمة وحتى يتأدب الخاصة به ولم يرد الله أن يكلفنا ما لاينطبق بهذه العلوم . كلا . فقد قال (ولانكاف نفسا إلا وسعها) فاذا حرض على انفاق المال فلم يرد أننا نعيش فقراء . كلا . بل الله يعلم ما في كل نفس من نية الخير والاصلاح وغير ذلك (ولدينا كتاب) وهو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) بالصدق (وهم لا يظلمون) فلازياة في عقاب ولا نقص في ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (في غمرة من هذا) في غفلة بما وصف به هؤلاء المؤمنون وهكذا كثير من المؤمنين غافلون مثلهم لا يعرفون ولا يعقلون . إن المتصدق الذى أبقى له ذكرا في الدنيا وثوابا في الآخرة سعيد وأن الغنى المترف المنعم بالمال والولد وهو غافل شقى في هذه الدنيا معرض لزوال النعمة كما شرحه أرسطاطاليس (ولهم أعمال) معتادون فعلها فيجمعون المال للهو واللعب والتعاطف على الأقربان فتشبه ذريتهم على لعب القمار والجهالة والبطالة فتخرب الديار وتزول الممالك (حتى اذا أخذنا مترفهم بالعذاب) عذاب الأنفس وعذاب المدن وخواب القرى ويحتل البلاد غير أهلها كما حصل في مصر لما اسرف القوم وعاشوا عيشة البذخ في أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ودخل الفرنجة البلاد وكما كان عليه ملوك الاسلام تكلفاء الترك الذين أوردوا الأمم الاسلامية موارد التهلكة . وكما كان عليه كثير من شيوخ الطرق الصوفية من جمع المال وكثره وادخاره وهم قد احتالوا بأخذهم من الأمة جهارا نهارا وقد ظهر لهم بمظهر الصلاح فانقلب ذلك في أعقابهم الى الاثرة بالأمر وهم أذلاء للفرنجة - والله لا يهدى القوم الفاسقين -

فها أنت ذا ترى كثيرا من الممالك الاسلامية طعمة للفرنجة كما حصل لأهل مكة إذ شدد الله عليهم لما دعا النبي ﷺ وقال (اللهم شدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة . وها أنت ذا ترى الأمم الاسلامية التي دخلها الفرنجة لا يعيشون إلا عيشة البهائم فالفرنجة يسومونهم سوء العذاب ويأخذون أموالهم ويذلونهم ويمنعون العلم عنهم . كل ذلك لضلال الأمراء الذين كانوا يديرون شؤونهم وأول مصيبة تنزل من الفرنجة تنصب على أولئك الرؤساء فيقيدون أعمالهم في الأمة ويذلونهم في قصورهم ويدسون لهم الدسائس ومن لم يوافقهم في أعمالهم ورجباتهم طرده . فن هؤلاء المترفين من يصرخ بالاستغاثة ولا مغيث بل يقال له بلسان الحال أو بلسان المقال قد فرطت والعبرة تتلو العبرة والآية تتلو الآية فكنت تعرض مدبرا . فلم تتدبر القرآن . ثم قال تعالى (اذا هم يجأرون) يصيحون مستقيين قيل لهم (لاتجأروا اليوم) فانه لا ينفكم (إنكم منا لاتنصرون) أى لاتمنعون منا أو لا يلحقكم نصر من جهتنا لأننا جعلنا التعم والبطالة حاطا بالانسانية ومرجعها الى الحيوانية وهذا تعليل لما قبله لقد علمناكم فلم تسمعوا (فد كانت آياتى تتلى عليكم) أى القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى ترجعون القهقرى وتعرضون عن الايمان . (مستكبرين به) أى بالبيت الحرام أى مستعظمين بالبيت الحرام إذ كانوا

يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف يقول الله تعالى مستكبرين بالبيت الحرام مستعظمين حال كونكم تسمرون (سامرا) هو مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة أي حال كونكم سامرين متحدثين حول البيت مجتمعين وكان عامة سمرم في القرآن فتقولون هو سحر أو شعر (تمجرون) بذلك السمرأى حديث الليل من المجر بضم الهاء وهو الهذيان أو من المجر بفتحها أي القطيعة . يقول الله كنتم حين سماع الآيات تعرضون عنها مستعظمين بأن البيت الحرام لكم وأتم جيرانه فلا تضامون وأتم تتحدثون ليلا في أمر القرآن وذمه قاطعين الرحم (أقلم يدبروا القول) أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم وقد أتى لهم بحكمة عالية وسياسة منظمة (أم جاءهم مالم يأت آباؤهم الأولين) من الأمن من العذاب فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كاسماعيل وأعقابهم فقد خافوا الله وآمنوا بكتبه ورسوله ولم تبطروهم النعم كما أبطرت هؤلاء فالقانون المسنون واحد . ان ترادف النعم والناس آمنون العواقب يعقبها الخطر والمهلك فهؤلاء قد جهلوا (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) أي أليس عرفوا محمدا ﷺ صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا توخيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوا من صدقه (أم يقولون به جنه) أي بل يقولون وهكذا ما قبله وجته أي جنون وليس كذلك (بل جاءهم بالحق بالصدق) (وأكثرهم للحق كارهون) لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم (ولو اتبع الحق أهواءهم) بأن كان هناك آلهة شتى (فسدت السموات والأرض ومن فيهن) فالعالم قائم بالحق وهم يكرهونه والحق يكون من جهة الالهية فاذن يكون الإله واحدا ومن جهة النظام وحسن النسق فهو إذن منتظم فلو كان الاله متعددا لم يكمل النظام وتشتت . ولو كان العالم على غير نظام لم يثبت ولم تقم له قائمة (بل آتيناهم بذكرهم) صيتهم وهو القرآن كما قال تعالى - وانه لذكر لك ولقومك - أو وعظهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (أم تسألهم خرجا) أي بل أنسألهم أجرا على أداء الرسالة (خارج ربك) رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة (خير) لسعته ودوامه . والخراج يغلب في الضرائب على الأرض وهو عادة يكون كثيرا ولازما . أما الخراج فهو مقابل الدخل وهو كل ما يخرج لغيرك وليس ما يخرج لغيرك في اللزوم والدوام كالخراج ولذلك عبر به وقواه بقوله (وهو خير الرازقين) فهذا تقوية لكون خراج الله خيرا . وانما كان الله خير الرازقين لما نراه في عمله في هذه الأرض . ولقد تقدم في سورة ﴿آل عمران﴾ عند قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - ولقد مر في هذا التفسير من حسن التلطف في تربية الطير والوحش والحشرات والأنعام وما أفادها من غرائز وعواطف وحسن سعي في سبل المعاش ولو أنك قرأت كل ماضى في هذا التفسير عما أشبعنا به العقول فيه لفهمت قوله تعالى - ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام - الى قوله - ما نفدت كلمة الله - وكيف تنفذ وأنت لودرست حشرة واحدة لاستنفدت الحياة فضلا عن آلاف بل مئات الآلاف . ولقد يدهشك عين أصغر حشرة إذ تجد لها أي للعين الواحدة جلة عيون كل عين مستقلة ترى وحدها مستقلة عن العيون التي حولها أي ان عين النملة أو النحلة ليست كأعيننا فعين أحدنا واحدة ولكن عين النملة مثلا مركبة من عيون كعيون الغراب كل عين لها أعضاء خاصة بحيث تستقل بالمنظر عن جاراتها ولو فقتت واحدة لبقيت اللاتي حولها ينظرن وهن كثيرات نحو مائتين . ومنها ما تحتوي على أكثر وذلك سيتضح لك في ﴿سورة النمل﴾ فاذا كانت العين الواحدة لحشرة صغيرة على هذا النمط والعين لم تخلق إلا لهدايتها لطعامها وشرابها فما بالك ببقية ما يلزم لحياتها من أعضاء داخلية وخارجية وما أعد لها من رزق تحصله في هذه الأرض - وما كنا عن الخلق غافلين - فهذه نبذة صغيرة من كونه تعالى خير الرازقين

لعمري انما المجد والحكمة هذه الحكمة . انه لاحكيم إلا الله - إنه هو الحكيم العليم - ثم قال تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) ولما نفي تدبرهم القول ومنافاة القول لما جاء به الأولون وأن رسولهم

غير معروف لهم وجنون رسولهم وسؤالهم الأجر . لما نفي هذا كله لم يبق إلا أنهم هم غير فطنين وقد دعاهم الى صراط مستقيم (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) السوي (لنا كبون) لعادلون عنه . ومعالم أن خوف الآخرة أدعى الى عدم العدول عنه (ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا) لثبتوا واللجاج الحمادى (فى طغيانهم) افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول (بعمهون) عن الهدى * ولقد جرت عادة المفسرين فى مثل هذه الآية أن يذكروا أن أهل مكة حطوا حتى أكلوا العلهز جفاء أبوسفيان الى رسول الله ﷺ فقال أنشدك الله والرحم . ألسنت تزعم أنك بعثت رجة للعالمين . قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) أى القتل يوم بدر (فما استكانوا لهم ومايتضرعون) بل أقاموا على العتو وتمادوا على الباطل (حتى اذا فتحنا عليهم بابا اذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه أشد من القتل والأسر أو القتل والأسر يوم بدر أو الموت أو قيام الساعة (اذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير واعلم أنى لم أجد لذلك أثرا فى كتب الصحاح الستة عند تفسيرهم هذه الآية فهاهوذا أمامى كتاب ﴿ تيسير الوصول لجامع الاصول ﴾ فلم أجد ذكر شياً من ذلك فى تفسير هذه السورة وأيضا هذه السورة مكية والنبي ﷺ فى مكة كان بين ظهراينهم - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - فاذن كان العذاب بعد خروجه من مكة وبعد الخروج من مكة كيف تكون السورة مكية . وأيضا كيف يؤمن أبوسفيان أن محمدا ﷺ مقبول عند الله فيستجاب دعاؤه فيأتى اليه فيستغيث به . كل ذلك فى حاجة الى تمحيص . ولما فرغ من الآيات التى تخيف العباد شرع فيما هو أهم وهو مايقنعهم من طريق العقل فقال (وهوالذى أنشأ لكم السمع والأبصار والافئدة) لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلما ماتشكرون) أى لم تشكروا هذه النعم (وهوالذى ذرأكم فى الأرض) خلقكم (واليه تحشرون) تبعثون (وهوالذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) تدير اختلافهما فيزيد فى أحدهما ما ينقصه من الآخر بنظام كما تقدم فى سورة الحج والبقرة وهو فيها أظهر وكذا فى غيرهما من السور (أفلاتعقلون) بالنظر والتأمل ولكم أفئدة وأسماع وأبصار وما خلقناها لكم إلا لتستبصروا وتتفكروا فى خلقكم وتصويركم ورزقكم واحياتكم واماتكم (بل قالوا مثل ما قال الأوتلون) أى قال كفار مكة كما قال أبواهم الأوتلون (قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) محشورون . قالوا ذلك على وجه الاستبعاد (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) أى وعد قوم آباءنا هذا وذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة (إن هذا إلا أساطير الأوتلين) أكاذيب الأوتلين (قل) يا محمد لأهل مكة (لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم (سيقولون لله) لأن العقل يأبى غير ذلك (قل) يا محمد لهم (أفلا تذكرون) فتعلموا أن من خلق هذه العوالم العجيبة لا يخلقها سدى بل انما يخلقها لغاية ولا غاية إلا بقاؤها بعد هذه الحياة والا كان عمله بلا فائدة (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلاتتقون) عقابه وكيف تشركون به شياً وهو باعترافكم خالق تلك العوالم العظيمة أم كيف تنكرون بعثه للمخوفين وذلك يستوجب أن يكون عمله عبثا فهل صاحب هذه العوالم العجيبة العظيمة يفعل العبث (قل من بيده ملكوت كل شئ) أى خزائنه وملكه غاية ما يمكن . وهذه ﴿ درجات ثلاث ﴾ للملك (١) الأرض ومن فيها (٢) والسموات السبع والأرض الخ (٣) وملكوت كل شئ أى ما هو أعم من السموات والأرض فلذلك ناسب أن يقول (وهو يجبر ولا يجار عليه) أى يغيث من يشاء ويحرسه ولا يغاث أحد ولا يمنع منه وذلك لأنه ليس فى العوالم كلها ما هو خارج عن قبضته فهو يغيث وليس أحد فى ذلك كله بقادر أن يمنع منه (إن كنتم تعلمون) فأجيبوا (سيقولون لله قل فأتى تسحرون) تخدعون وتصرفون عن توحيد وطاعته فاذا كان هذا معتقداً ورأيكم فلماذا تشركون به بعض الأوثان أم كيف تقفون عقولكم على مخلوق عاقل أو غير عاقل وهو قد دراجيع فاذن يكون المعرضون عنه المغرمون ببعض البشر أو بعض الأصنام قد سحرت عقولهم كأنها قد نومت ذلك التنويم المغناطيسى فغاب عنها عقلها وتصورت الشئ على خلاف ما هو عليه كما

يعطى المنتوم (بفتح الواو) السكر ويقال له هذا حنظل فيلفظه حالا . فهاهوذا قد سحر وأخذ عقله ولوى عن مراده وضلّ وهذا شئ أصبح مشاهدا كما ذكرته في سورة البقرة فان التنويم المغناطيسى المذكور سار في جميع الأمم . ومعنى هذا أن القول وتكراره على الأفئدة يخدع العقل والحواس حتى تنصرف النفوس عما تعرفه وتتوهم صدق مايقال لها ولذلك كثرت الفرق في الأمم الاسلاميه وابتدع الرؤساء الدينيون والسياسيون من الأساليب ماخدعوا به عقول الشعوب ومن الخدع كثرة التكرار على العقول والحث والحض فان ذلك يخدع الناس ويصرفهم عن الحقائق وأوروبا قد استعملت ذلك فتخدع أبناء العرب الذين فتحوا العالم قديما وتوهمهم انها تفعل خبيرهم وهي تقتلهم وتغيب عنهم شمس العلوم وتقول لهم أتم لاتصلحون للحياة الحرّة ودينكم لم يكن دين مدنية ولغتك لاتصلح للعلوم وجنسكم لا يصلح للرقى وهكذا ونحن آباؤكم الرجاء وما أشبه ذلك . فهذا وتكراره على الأذهان سنة فسنة وجيلا جيلا يصرف الناس عن عقولهم وعن مجدهم ويسحروهم . هذا سرّ من أسرار القرآن إذ عبر بالسحرفى مقام الانصراف عن الحقائق الملموسة فان قوما يعترفون باله خالق العالم كله و بعد الاعتراف يقولون إن له شريكا فلامعنى لهذا إلا أن العقول مسحورة والعالم كله اليوم قد قام بنظرية السحر . فأتم أوروبا ساحرة وأمّ الشرق مسحورة إلا من فطنوا وقام فيهم مجتدون فانهم نهضوا بقومهم . ولفظ السحر هنا قد جمع علوم السياسة الاوروية الاستعمارية وأزلهما في القرآن ليتدبرها المسلمون ويعلموا أن الناس قد تكون لهم أسماع وأبصار وأفئدة ولكنهم يتركونها مكتفين بما سمعوا والمسلمون اليوم مسحورون إلا من رحم ربك . مسحورون عن علوم الدنيا . لماذا . لأن الاستاذ قال فى الدرس لايجب عليك إلا علم الفقه وعلم التوحيد . فاذا نظر التلميذ المسكين العوالم المحيطة بنا من شمس وقمر وكواكب ومعادن ونبات وحيوان وقال أى أستاذ هذه مخلوقات ربى أفلا أدرسها يجيبه هل تعرف صفات الله وصفات الأنبياء فيقول نعم فيقول له كفى لايجب عليك شئ فيقول يا أستاذى إن الله ذكر هذه العلوم كثيرا فى القرآن فيجيبه نعم ولكن المدار على انك تعرف الله بالأدلة التى فى كتب التوحيد فيكرر هذا القول على مسامع التلاميذ فيسحرون ويذهب الدين والمواهب التى وهبها الله لهم هكذا الاورويون يأتون بلاد الشرق فيسحرون أعين الناس ويستربونهم ويحيئون بسحر عظيم وذلك بالمدافع والرشاشات فيدهشون الشرقيين ويقولون لهم نعطيكم الشهادة الثانوية فى علوم ليس فيها شئ من العلوم التى حولنا فلا نبات ولاحيوان ولا تشريح ولا فللك ويوهمونهم انهم علماء فيصبحون مسحورين وهذا هو السحر الحقيقى الدائم الذى يصرف العقول عن المواهب والابصار والاسماع . والله لقد تعاون بعض رجال الدين قديما وأهل أوروبا حديثا على سحر الأعين فسحروها . فمن للمسلمين اليوم إلا نصرالله - ألا إن نصرالله قريب -

هذا هو السحر الذى سحربه المسلمون . فلئن سحر الكفار بعبادة الأصنام فقد سحرت أبصارنا نحن المسلمين عما أبدعه الله وزين لنا الجهل فى صورة العلم والخية فى صورة النجاح . هذا هو الذى فهمته فى قوله تعالى - فأنى تسحرون - فلم ينزل الله مثل هذا القول لنسمعه فنقول هذا أمر مضى وانقضى وأنا الآن لست أعبد الأصنام وأنا خير من أبى جهل وأمثاله فقد عرفت وهم جهلوا . نعم نحن خير لأننا آمننا ولكن المؤمن الجاهل معذب فى الدنيا والآخرة ، وعبر الله بالسحر ليفتح لنا باب التفكير فى ضحك الغرب على الشرق سياسة . وضحك رؤساء الطرق على تابعيهم نذالة وجبنا وضحك العلماء الرسميين فى كل أمة على تلاميذهم ليصرفوهم عن عجائب الله تعالى وجماله وبهائه وبهجة صنعه واثقانه وحكمته فيقولون لهم كفاكم الايمان أو الكتب التى وضعها فلان وفلان أو التسابيح والذكر والتلاوة البليدة الغافلة ونحو ذلك فكل هذا من السحر وكل هذا من مقصود قوله - فأنى تسحرون - ثم قال تعالى (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) لانكارهم ذلك لأنهم سحرت عقولهم بخدع الآباء وتكرار القول والعادة التى

هي طبيعة خاصة (ما اتخذ الله من ولد) وكيف ذلك وهو لا مثل له (وما كان معه من إله) يشاركه في ألوهيته (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) أى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله بما خلقه وحارب الإله الآخر وتغالبا كما نرى في مالوك الدنيا فلم يكن إذن بيده ملكوت كل شئ وقد أقررتم بذلك (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك ثم وصف نفسه تعالى بصفة العلم بعد القدرة العامة فيما تقدم للاستدلال على الوحدة فقال (عالم الغيب والشهادة) وهم موافقون على ذلك لأنهم أقرتوا بأنه له ملكوت كل شئ إذن فهو عالم بما غاب وما شوهد (فتعالى عما يشركون) ولما كان ذلك يوجب وقوع العذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى (قل ربّ إما ترينى ما يوعدون) ما وعدتهم به من العذاب في الدارين (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) قرينا لهم فى العذاب فإن شؤم العذاب قد يعم كما ترى التارق قد تحرق ثوب الناسك الذى لا ذنب له * قال الحسن * أخير نبيه ﷺ أن له فى أمته نعمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء * ثم قال تعالى (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) وانما تؤخره عنهم لأننا نعلم أن بعض أعقابهم وبعض سيؤمن (ادفع بالئى هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) أى اذفع السيئة بالاحسان فى مقابلتها واصفح عنها وانما يكون ذلك اذا لم يظن ذلك وهنا فى الدين نحن أعلم بما يصفونك به فنجازيهم عليه فكل أمرهم الينا (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) وسأوسهم ونزغاتهم وفتحهم ونفثهم ودفعهم بالاغواء الى المعاصى والهمز النخس ومنه مهماز الرائض فرسه . شبه حنهم الناس على المعاصى بهمز الراضة الدواب على المشى والجمع للرات (وأعوذ بك رب أن يحضرون) ويحوموا حولى فى شئ من أمورى لأن الشيطان اذا حضره يوسوس له وأهم ما يطلب ذلك فى حال الصلاة وقراءة القرآن وحضور الأجل فان الشياطين تلهى القارئ عن المعانى وتلهى المحتضر عن تذكر ربه وتلهى المصلى عن التفرغ لتذكر ربه . يقول الله - نحن أعلم بما يصفون - أى فهم لا يزالون يشركون (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال) تحسرا (رب ارجعون) ردوني الى الدنيا والواولت عظيم المخاطب وجملة قوله - وقل ربّ أعوذ بك - الى قوله - يحضرون - اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) أى فى الايمان الذى تركت وفى المال وفى جميع أحوال الدنيا (كلا) ردع (إنها كلمة) أى قوله - ربّ ارجعون - الخ والسكامة الطائفة من القول المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها ومن ورائهم برزخ) أى ومن أمامهم ومن بين أيديهم حاجز عن الرجعة وهو القبر (الى يوم يعثون) منه وهو اقناط لهم عن الرجوع الى الدنيا وانما يرجعون الى حياة أخرى غير حياة الدنيا . ثم أخذ يشرح تلك الحياة الجديدة وأحوالها فقال (فاذا نفخ فى الصور) جمع صورة * وقرئ * - الصور - بضم ففتح وهو ظاهر فى هذا المعنى (فلا أنساب بينهم يومئذ) تنفعهم فان التعاطف زال للدهشة والخيرة (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا كما يكون ذلك فى الدنيا إذ ينفع الأرحام بعضهم بعضا يسأل بعضهم بعضا فأما كون بعضهم يقبل على الآخر فيسأله فذلك بعد الاستقرار فى الجنة واستقرار أهل النار فى النار ويكون ذلك بعد النفخة الأولى وبعد النفخة الثانية أيضا إذ يؤخذ بيد العبد ويقال من كان له حق فليأت الى حقه فيفرح المؤمن أن يكون له الحق على أقرب الناس اليه فيأخذه منه فأصبح النسب غير مانع من ذلك وأيضا لا يتفخرون ولا يتساءلون سؤال تواصل لأن الأنساب إذن لا تنفيذ وانما تنفيذ الأعمال (فن ثقلت موازينه) موازنات عقائده وأعماله وأخلاقه (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة (ومن خفت موازينه) أى ومن لم يكن له أعمال وآراء تستحق الاعتبار فتوزن (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها فأضاعوا كمالها الذى كانت مستعدة له (فى جهنم خالسون * تلفح) تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالحون) عابسون أو متقلصو الشفتين عن الأسنان من شدة الاحتراق ويقال لهم (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أو شقاوتنا على وزن سعادة ووزن كتابة أى ملكتنا الأخلاق والعادات فخبستنا فى سجنها

المظلم فلم ترالنور ولم تعرف الحقائق (وكنا قوما ضالين) عن الحق ذلك لأن الخلق متى ثبت في الانسان وأحاط به منعه الجاوز عنه كما يرى في شارب التبغ وانحروالمواد المخدرة والمولعين بالعظمة والكبرياء والمغرمين بالاسراف فهؤلاء قد يعرفون الحقائق ولكن الاعتياد والريا وخشية الناس ملكتهم فلا يقربون على التخلص من ذلك (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لأنفسنا (قال اخسؤا فيها) استكوا سكوت ذلة وهوان أو ابعدوا كما يقال للكلب اذا طرد اخساً (ولانكلمون) أى فى رفع العذاب أولانكلمون أصلا وذلك لأنه لامناسبة بينى وبينكم لأنكم ماديون وأنا فوق المادة وانما يكلمنى من صفى نفسه من المادة وتقرب منى باحتقارها وبالتبحر فى العلم والحكمة . ويقال إن هذا آخر كلام يتكلمه أهل النار ثم لا يكون منهم بعدها إلا الزفير والشهيق وعواء كهواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون فانهم أولاد يدعون مالكا خازن النار - يا مالك ليقض علينا ربك - فلا يجيبهم ثم يقول - انكم ما كثون - ثم ينادون ربهم - ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون - فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم - اخسؤا فيها ولانكلمون - الى آخر ما تقدم وهذه ليست فى الصحاح ثم قال تعالى (إنه كان فريق من عبادى) أى المؤمنين كأهل الصفة (يقولون ربنا آسفنا فاغفر لنا وارحنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريا) تسخرون منهم وتستهزؤن (حتى أنسوكم ذكرى) من فرط اشتغالكم بالاستهزاء بهم (وكنتم منهم تضحكون) قد كان كفار قريش يستهزؤن بالفقراء من أصحاب رسول الله ﷺ كبلال وعمار وصهيب وخباب (إنى جزيتهم اليوم بما صبروا) على إذا كنم واستهزائكم (أنهم هم الفائزون) أى فوزهم بمجامع ما يطلبون (قال) الملك المأمور بسؤال الكفار لهم يوم البعث (كم لبثتم فى الأرض) فى الدنيا وفى القبور (عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لأنهم نسوا مدة لبثهم فى الدنيا من الهول والشدائد (فاسأل العادين) أى الملائكة الذين يحفظون أعمال بنى آدم وهم خالصون أصالة من المادة فلا عذاب عليهم ينسبهم الحساب (قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أى ما لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فى الدنيا فهذا تصديق لهم (أخسبتم) أيها الناس (أنما خلقناكم عبثا) أى عابثين فنحن لم نخلقكم تلها بكم وانما خلقناكم لتهذيبكم ونعلمكم فترتقوا بأنفسكم وبمجرد اختياركم مع سابق علمنا وبتريبتنا الى عالم أرقى مما أتم فيه فلم نخلقكم عابثين وقوله (وأنكم الينا لاترجعون) معطوف على - أنما خلقناكم - (فتعالى الله الملك الحق) أى التام الملك لا ملوك الأرض الذين ملكهم معرض للزوال (لا إله إلا هو رب العرش الكريم) الحسن وتقدم معنى العرش فى (هود ويونس) (ومن يدع مع الله إلها آخر) يعبده (لا برهان له به) أى لاجحة ولا بينة له به لأن ذلك مستحيل (فانما حسابه عند ربه) فهو يجازيه وهذا جواب الشرط (إنه لا يفلح الكافرون) انه أى الشأن . ابتداء الله السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين ثم علمنا كيف نسأل المغفرة والرحمة فقال تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) فرحة الله تغنى عن رحمة غيره * روى انه عليه الصلاة والسلام قال (لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ - قد أفلح المؤمنون - حتى ختم العشر) انتهى التفسير اللفظى للمقصد الثالث من السورة . وهنا (أربع جواهر)

(الأولى) فى قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

(الثانية) و(الثالثة) فى قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - وفى قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة -

(الرابعة) وهى جوهرة فى نور الأنوار وسر الأسرار فى قوله تعالى - نحن قلنا موازينه فأولئك هم المفلحون -

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾

• وان هذه أمتكم واحدة - الخ ﴾

قد تقدم الكلام على اتحاد الأمم المنتظرة في أول (سورة الحج) وتقدم أيضا في (سورة الكهف) كلام عام في الذي حلّ بالمسلمين من الخلاف في الخلافة وكيف تقطعوا فرقا وذاق بعضهم بأس بها أناذا الآن أشرح هذا المقام بشرح أوسع وأبهج وأجل

فاعلم يا صاح أن هذا التفسير جاء في زمان ظهور الحقائق وانتشار الروح السعيدة في هذا النوع الانساني . ولقد كنت ألفت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ قبل الحرب العظمى بأربع سنين ونشر إذ ذاك وما كنت أعلم أن ما أكتبه إذ ذاك أي منذ ثمانى عشر سنة وذلك سنة ١٩١٠ م سيصبح فكرة عامة عند الأمم الشرقية والغربية إذن أنا أحد الله عز وجل جدا كثيرا على ما ألهم وعلم وزرع في الأفئدة الشرقية والغربية الآن فكرة كانت ضئيلة قبل الحرب العظمى فسأذكر لك الآن ملخصا من كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ ثم أتبعه بما ألقاه محافظ (كابول) ببلاد أفغانستان في شهر يونيه سنة ١٩٢٨ ثم ما تلاه بعد ذلك في شهر أغسطس من هذه السنة أيضا بعنوان « ميثاق السلم ونبذ الحرب بين الأمم » ثم أتبعه بفكرة عامة في الموضوع . فهنا ﴿ أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ فيما جاء في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

﴿ الفصل الثاني ﴾ في خطاب محافظ كابول بمصر

﴿ الفصل الثالث ﴾ ميثاق السلم ونبذ الحرب

﴿ الفصل الرابع ﴾ فكرة عامة في هذا الموضوع

﴿ الفصل الأول في ملخص مما جاء في كتاب أين الانسان ﴾

أخص لك أيها الذكي هنا (الفصل العشرين) من كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ فيه استخراج السلام العام في الأمم من النواميس الطبيعية والنظم الفلكية والفطر الانسانية وبيان السياسة على أساس الطبيعة وأن مدنية اليوم حيوانية ودعوة الناس للانسانية الحقيقية . وبيان أن الانسان لم يفهم انسانيته وخطاب موجه لفلاسفة الأمم ثم نوابها وملوكها يدعو الأولين لبحث هذا الموضوع والآخريين للتعاون على العمل . وهناك جاء ما ملخصه

(١) إن عدد الذكران والنساء في المواليد على سطح الكرة الأرضية يكادون يتساوون وهذه قاعدة لم تخطئ إلا نادرا لعارض

(٢) وكما حصل ذلك في الذكورة والانوثة حصل في القوى والملكات فلا يكون الجبال المفرط ولا الذكاء المفرط ولا القوة المدهشة إلا نادرا على مقدار الحاجة لذلك

(٣) الأمم الوحشية لم تفقد الذكران أو الأناث حتى تقترب منهم من أم أخرى فهكذا هي لانفقذ العقول الكبيرة المستعدة لإدارة شؤونها وارتقامها علما وعملا

(٤) اذا تركت تلك العقول في الأمم الضعيفة خسر الانسان العام خيرات من الأرض ومن الهواء والماء على مقدار تلك العقول المتروكة

(٥) الأمم القوية خسرت من ربح الأرض على مقدار ما خسرت من عقول الأمم الضعيفة وفي صفحة (٢٣٢) و(٢٣٣) من الكتاب في الفصل العشرين المذكور مانصه . هذه أهم مباحث هذا المقام

(١) هل قوى نوع الانسان موزعة عليه توزيعا حسب الحاجة كما في الذكورة والانوثة

(٢) هل المنافع موزعة على سطح الكرة الأرضية توزيعا على العقول

(٣) أيهما أنفع للأمم الرشيدة أتسير على منوالها المرسوم ولا تتجاوز في سياستها أصغر الحيوانات كالنمل

أم تعدل عنها الى شرفها واسعادها وصدقتها

- (٤) اذا كثرتعداد أمة أفلاتعطي أرضا من بلاد أخرى بمقدار نموها
 (٥) أيحسن أن تحصى أراضي الأمم العامرة والغامرة
 (٦) أوليس من الجهل الفاضح أن تصرف قوى الأمم الى قتال أنفسهم ويذرون محاربة الطبيعة لاختضاعها
 أوليس من الواجب أن يوضع ناموس عام لاصلاح الأرض في كل أمة وتمدين الشعوب التي هي نصف رشيدة
 والتضافر بعد ذلك على اصلاح الباقي من الأمم طوعا أوكرها ثم يبين مقادير ثمرات العقول الخاملة ان أوقفت
 من غفلتها وما فوائد النحل الأمم الرشيدة منها
 (٧) أليس سعادة الانسان في أن يكون ذا ملكة في فن خاص تضارع غرائز الحيوان كنسج العنكبوت
 وهندسة النحل . فاذا وصل النوع الانساني الى هذه الملكات فما مقدار الفوائد إذ ذاك
 (٨) الدول اللاتي تريج من أضعاف غيرها وجهله فما الذي يجب أن يستعوضوا به عن الريج بدل ما
 فقدوه . هذا هو الذي أردت تلخيصه من هذا الفصل في كتاب ﴿ ابن الانسان ﴾ الذي نشر قبل الحرب
 العظمى وبه انتهى (الفصل الأول)

﴿ الفصل الثاني في خطاب محافظ كابول في فندق الكنتننتال بمصر في شهر يونيه سنة ١٩٢٨ ﴾
 ألتست تجب أيها الذكي أن ما كنت أكتبه منذ ثمانى عشرة سنة بصفة رأى خاص لي أصبح الآن يخطب
 به على المنابر في بلاد الغرب وفي بلاد الشرق على رؤس الأشهاد . اللهم إني أجدك على نعمة التوفيق وعلى
 نعمة العلم وعلى انك أنت أبقيت حياتي حتى رأيت أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة يجهرون بمثل ما كنت
 استنبطه استنباطا عقليا . فانظر الى انتشار هذه الآراء بين الأمم بعد الحرب العظمى وانتقالها من أمة الى أمة
 فهناك صورة الخطبة التي ألقاها على أحد خان محافظ كابول بذلك الفندق بمناسبة ابرام معاهدة الصداقة بين
 مصر وأفغانستان . فمنها قوله ﴿ إن يقظة الشرق ووحدة مشاعره ليست وليدة المصادفة بل انها ثمرة الصبر
 الطويل والتفكير وقد شملت الشرق جميعه من جبال طوروس الى أرز لبنان جبال البامير بالهند الى سهول
 أفغانستان فالبوادي العربية فالعراق ففارس فالهند فالصين فسيبريا فاليابان . إن ممالك الشرق القديم قد
 استفاقت اليوم من رقادها الطويل فنهضت وتقدمت طالبة للحاق بمن تقدمها يقودها زعمائها الذين بثوا في
 سواد شعوبها مشاعر الاخاء والاتلاف والتعاون على الاتحاد ولامطمح لهذه الشعوب غير عقد روابط الصداقة
 والولاء ونشر السلام العام وشعارها (الناس اخوة) . إن الأمم كالأفراد يسودها الشعور بحاجتها أيضا حلت
 وكيف وجدت تحدوها الى نشدان الاتحاد والاتلاف بقطع النظر عن الجنس والمذهب ومتى توفرت لها
 البواعث للروابط والانضمام أمكنها إذ ذاك بلوغ مقاصد النجاح والهناء فتصل الى درجة من التمدن الصحيح
 الذي يعنها على الوحدة التي تدرك بها القوة ومتى أدركتها تسنى لها أن تحمل راية السلام التي ينطوى فيها
 الهناء ونعمومة البال وبها تتمكن من ادراك وحدة التصورات والأفكار وبلوغ المطالب الرفيعة وتلك هي غرض
 شعوب الشرق كيف تنوعت المقاصد . فلولا تلك الحية المضرمة في صدور تلك الشعوب المتباينة أجناسا
 المقيمة في متعدد البلدان والأوطان لم تكن لتوجد تلك المشابهة التامة والعلاقة في ميولها ومشاعرها باجتذابها
 الأمم المتباعدة والأقوام المتناحية وتقريب مجموعها بعضها الى بعض بعاطفة القرى والاخاء . وليكن معلوما
 أنه ليس لممالك الشرق في تحالفها واتحادها وجهادها في سبيل السلم ونشدان الحرية من غرض وقصد سوى
 الاتصال والتقرب الى أمم الغرب كي يتمكن الطرفان المتباعدان من الاشتغال وبذل الجهود في توفير الخير
 والهناء والسلام لبني الانسان . وأقوى برهان تقيمه على ما قدمناه من الكلام في هذا الصدد شعورنا بالمسرة
 والارتياح وهما دليلا التضامن والاخاء اللذين جمعنا شعب هذه البلاد في دائرة واحدة بفضل زعمائها القديرين
 وهي لاترجو من وراء ذلك التضامن والاخاء سوى الاستمتاع بثمرات السلم ونعمومة البال ومتى أدركتها بلغت

الى اتمام التفاهم مع الأمم التي تتواصل واياها في المعاملات ومبادلات الأفكار . ومما يؤسفني أن أجد رجال
جمعية الأمم على خلاف ما ينبغي أن يكونوا عليه لأنني رأيتهم مختلفين فيما يجب اتخاذه من خيرالوسائل والطرق
لتوطيد السلام العام بين الأمم وأراهم الى الساعة لم ينجزوا شطرا واحدا من مهمته العظمى لخيرالبشرية .
وأحب أن أكون متفانلا لو قلت ان جمعية الأمم الشرقية المنتظرة تكون يوما خيرا معوان لجمعية الأمم الاوروبية
لأنها تشد أزرها في اكمال تلك المهمة الكبرى واني قوي الرجاء في أنه لايمضي زمن طويل حتى أسمع صوتا
من جمعية الأمم الشرقية مناديا بلزوم إكمال تلك المهمة الانسانية العظمى الساعية لاتمامها جمعية الأمم الاوروبية
ويطر بنى أن أقول انه كان من أثر زيارة جلالة الملك أمان الله خان لهذه الديار انعقاد روابط الود والتعارف
مع حكومات بلجيكا وبولندا وجمهورية سويسرا وعقدنا معاهدات صداقة ووداد مع حكومة بريطانيا العظمى
وجهورية السوفيت وحكومة ايطاليا وجمهوريات فرنسا وألمانيا وتركيا وحكومة ايران . نعم ليس لنا في القارة
الافريقية أصدقاء وليست لنا فيها علاقات . وان كان من حسن حظي انني نددت الى مهمة عقد معاهدة و
ولاء مع حكومة مصر . ويسرني انها عقدت وأمضيت على أحسن ما يكون ﴿

ثم قال ﴿ واني لأرجو أن تعقد معاهدة صداقة بيننا وبين جمهورية الولايات المتحدة وأود أن لايفوتني مطلب
جدير بالنظر ألا وهو ان قصد عقدنا تلك المعاهدات مع الحكومة المصرية هو ضرورة توثيق صلات الود
والتعاون بين شعوب قارتى افريقية وآسيا ﴿

ياحضرات الأصدقاء ﴿ تعرفون أنه ليس في وسع شرقي يحترم ذاته أو يكرم وطنه أن يكتف سروره أو
يضم شعوره حتى يذكره تقدم اليابان ووثبة الترك ونهضة أفغانستان ويقظة إيران وتقدم مصر وما أصابته من
العزة والنجاح أولئك ثورة سورية أو لآتمر بمخيلته نهضة الشرقيين بالاجماع . كيف لايفرح الشرقي ويهتز
طربا حين يتلى على سمعه ما تقدم من البيانات . الباعث الذي يحسه ويتأكده من أن الشرق أصبح قويا
لأنه عرف بأن جاءت الساعة التي أمكنت شعوب الشرق أن تقف وجها لوجه أمام أمم الغرب فتطرحها القول
مخاطبة إياها قائلة (أن ليس من همي وقصدي التنافس والسباق ولكن مقصدي أن أثقل عنك كل ما يحسن
اقتباسه من مدنيتك ولا أترك شيأ مفيدا) وهذا ما يجب أن يكون صالحا لكلتا القارتين العظيمتين . ليس
ما شمل الأمم الشرقية من عوامل الجدل والسرور إلا لكونها مزقت غواشي الجهالة والتعصب وانقبضت
أيدى أهلها عن التذامج والتقتيل وأدركوا الواجبات المفروضة نحو أوطانهم واخوانهم في الانسانية ذلك لأن
مشاعر التعاطف والاخاء قد أوجبت عليهم هذه الفريضة نحو شركائهم في البشرية . هلا كان ذلك لداعي انهم
نبذوا الخلاف والشقاق واطرحوا النزاع أولأن كل أمة منهم كفت عن محاربة جارتها . كلا . ولكن لأنهم
اتحدوا واجتمعوا أمة واحدة وبهذا الاتحاد أمكنهم أن يقوموا بنصيبهم من العمل ويستعدوا لخير الانسانية
جمعاء ناظرين الى جميع الأمم بأوطانها قاصيها ودانيها كأحلاف واخوان صدق بقطع النظر عن اختلاف اللسان
وتباين العقيدة . ولا أكون مبالغا اذا قلت ان مصر جادة في هذا السبيل فاننا نراها باذلة منتبهي الجهد في
توثيق عرى الصداقة والسعى الى محالفة أكبر الدول وهو ما أخذ لاينشده إلا أعظم الرجال والأمم وهو الغرض
الأسمي الذي تسمى اليه بلادي المحبوبة وهي بلاريب ستدرك ضالتها المنشودة . إن بلاد أفغانستان تبذل
أقصى جهدها لتحقيق روابط الصداقة مع شعوب العالم أجمع وتفرغ بمجهودها لتوطيد قواعد السلام
العام والاتحاد بين أبناء البشرية . انني في هذه اللحظة أطير في سماء الخيال وأرى بعين البصيرة كما لو أن
أجدادنا الذين رحلوا عن هذا العالم منذ مئات وآلاف السنين يخاطبوننا فتصل إلينا أصواتهم عن طريق
(اللاسلكي) منادية إيانا قائلة (إن أرواحنا تخاطبكم بلهجة الصدق والاخلاص وانها تهتأ بكم وتسخر من
مدنيتكم الكاذبة المصطنعة فانكم وسمتمونا بالخشونة والبربرية ولكن واحرقوا بنا منكم فانها تهمة كاذبة

وهي مردودة عليكم ولا يلحقنا شيء من عارها) . هم يقولون لنا (إننا كنا محمدين لذة العالوم الحديثة والمخترعات الجديدة والعلماء المتبحرين ولم يكن لدينا شيء من جبال وكمال الأشياء والمواد التي هي اليوم بين أيديكم ولم يكن عندنا تليفون ولا تلفراف ولا (لاسلكي) ومع ذلك تعودنا على أن يقتل الواحد منا الآخر. إنما كان يحدث ذلك نادرا عند ثورات الطبع وفي أحوال الجوع أو الغضب أو في أحوال كان الانسان لا يملك شعوره . وجهد ما كنا نعرفه من أساليب القتل هو استعمال أداة من شجر أو خنجر من حجر ولكنكم أتم قد لطلختم جبال مدنيتكم وعطلتم كمال مخترعاتكم . فبدلا من أن تكون هذه المخترعات وسائل خير وفضل صارت سبة وعارا على العصر الذي وجدتم فيه . لقد تعمدتم القتل على أهون سبيل بلا اكتراث ولا اهتمام واختزتم الغازات السامة للمهلك واستئصال بني الانسان . واستخدمتم الكهر بائية وطرق الاختراعات لتقصير الابعاد وتقريب المواصلات لاجبا بنفع بني النوع الانساني بل لفنائهم وقطع دابرهم من على وجه البسيطة . أما نحن فلم يكن في وسعنا القتل فوق الأرض وتحت سطحها وفوق صفحة البحر وفي أعماقه وفوق صفحة السحب وفي جلد السماء . وقد يأخذنا الاشفاق عليكم لأنكم أجهدتم أدمغتكم وقواكم العقلية وتفكيراتكم وبذلتهم المال والملايين من الأصفر الزنان لاستزادة مخترعات الهلاك واستئصال النفوس البشرية التي حرم الله قتلها (إلا بالحق) ولم يخلقها إلا لاستمتاع الحياة وخدمة الآخرين . نعم انكم لا تقتلون أفرادا ولكنكم تفرغون جهودكم في استئصال بني نوعكم واخوانكم في البشرية . إننا وغرة جبين الحق نهزأ بمخترعاتكم ونسخر بأفعالكم ويحزننا أن نقول لكم ابقوا على حياة اخوانكم . لا تثيروا النزاع ولا تقوّوا أسباب الخصام والصراع . دعوا اخوانكم في البشرية يعيشون في سلام ويهنؤن بدعة الحياة . دعوهم يشغلون خيرا أنفسهم وخيرا البشرية ولنفع أوطانهم . نعم إننا ارتكبنا ذنوبا ولكننا تبنا الى الله عنها وسألناه رحمة ومغفرة . أما أنتم فتصوّروا كيف تكون حالكم وبأي شيء تمثل مشاعركم عواطفكم حينما تسألون لتعطوا جوابا عن كباثركم وشروركم التي استفحل أمرها واستطار ضررها . فكيف إذن يقارن موقفكم بموقفنا والفرق بيننا وبينكم عظيم . إن جمعية الأمم التي نظمتوها لم تجز شيئا كما كان يجب أن تفعله على الحقيقة . ومن الواجب أن ترتبط بجمعية الأمم الشرقية وكلتا الجمعيتين تعملان يدا واحدة لخير وتقدم بني النوع الانساني وكان حقا لزاما على جمعية الأمم أن تصدر الأوامر التي كان يجب على دول الأرض المتعددة أن تمتثل أوامرها وتقوم بآتمامها . ما فائدة مصافحة اخوانكم في الانسانية بيننا قلوبكم بعيدة عن استشعار أضعف العواطف اعتدادا بأن السياسة تقضى بذلك . ألا تعلمون أنه يجب علينا أن نكون مخلصين وصادقين في جميع مشاعرنا وعواطفنا حتى في السياسة فلانستخدامها بطرق عوجاء لتكون سياسة المداهنة والتدليس . إن بعضا منكم يوافقني والبعض الآخر يخالفني ولكني أرجو أن يحمل نفر منكم أقوالى وأفكارى على محمل العطف بحسن النية والقصد . ويقيني انكم توافقون على مبادئ وتعاليم السلم والاخاء البشري فتمثلوا مقالى هذا بقصيدة من الشعر أو مقال من النثر يبدو فيه جبال المطلع ولطف الأسلوب والقصد من سلامة النوق . واني لأناشدكم السعى الى وجدان الوسائل لبث الدعاية لذلك الغرض الأسمى الذي أعتقد انكم توافقون على الغاية المنشودة من ورائه بروح الاخاء العام . وانه ليسرتني ويطربني أن أقول ان مليكنا المحبوب جلالة (أمان الله خان) وجميع مواطنى وشخصى الضعيف لاشأن لهم ولاغاية في مشايعة أو مناصرة دين على دين أو طائفة على أخرى بل اننا وبمين الحق نرعى ذمة كل فرد من الناس ويسرنا أن نكون أصدقاء واخوان جميع الأمم والأشخاص ونعد أنفسنا إخوانا لكل دولة وأمة تحت أديم السماء مصافين أولئك الاخوان بيد الصداقة الخالصة وشعارنا يفصح عن قصدنا بهذا القول « كونوا خالصاء وأمناء لجميع اخوانكم » انتهى

الفصل الثالث في ميثاق السلم ونبذ الحروب الذي أرسلته الحكومة الأمريكية الى الأمم كلها

ونشر في مصر يوم الخميس ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٨

فما جاء فيه مانصه (إن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس الجمهورية الفرنسية وجماعة ملك بلجيكا ورئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا وجماعة ملك بريطانيا العظمى واراندا والأملاك البريطانية فيما يلي البحار وأمباطور الهند ورئيس جمهورية الرينج الألماني وجماعة ملك إيطاليا وجماعة أمباطور اليابان ورئيس جمهورية بولونيا نظرا لما يشعرون به من الواجب الملتي على عاتقهم لزيادة خير الانسانية . ونظرا الى ايقانهم بأن الوقت قد آن للعمل على نبذ الحرب نبذا صريحا باعتبارها أداة لسياسة قومية توسلا لدوام بقاء العلاقات السلمية القائمة الآن بين شعوبهم . ونظرا الى اقتناعهم بأن كل تغيير في علاقاتهم بعضهم ببعض يجب أن لا يعمل له إلا بالطرق السلمية ولا يتحقق إلا بوسائل السلم والنظام وبأن كل دولة من الدول الموقعة تسمى من الآن فصاعدا لتنمية مصالحها القومية يجب حرمانها الانتفاع بمزايا هذه المعاهدة (كذا) . ونظرا الى أنهم يرجون أن جميع الدول الأخرى محتذية مثالم لا تلبث أن تشترك في هذه الجهود الانسانية وأن تلك الدول بانضمامها الى هذه المعاهدة بمجرد العمل بها تمهد لشعوبها سبيل الاستفادة بما احتوته نصوصها من المزايا فتجتمع بذلك كلمة شعوب العالم المتمدين على نبذ الحرب باعتبارها أداة لسياستها القومية نبذا عاما قد قرروا فيما بينهم ابرام معاهدة وعينوا لهذا الغرض المفوضين اللازمين . وبعد أن تبادل هؤلاء المفوضون وثائق تفويضهم التام وبعد أن تبينوا صحتها اتفقوا فيما بينهم على المواد الآتية

(المادة الأولى) تعلن الدول المتعاقدة في صراحة وتأكيد باسم شعوبها المختلفة أشد استنكارها للالتجاء الى الحرب لتسوية الخلافات الدولية كما تعلن نبذها إياها في علاقاتها المتبادلة باعتبارها أداة سياسية قومية

(المادة الثانية) تقرر الدول المتعاقدة بأن تسوية أو حل المشا كل والمنازعات أيا كان نوعها أو سببها يجب أن لا يعالج أبدا إلا بالوسائل السلمية

(المادة الثالثة) تصدق الدول المتعاقدة الميينة أسماؤها في الديباجة على هذه المعاهدة وفقا لمقتضيات

دساتيرها وتصبح المعاهدة نافذة بينها متى أودعت جميع وثائق التصديق في (وشنجطون) وعند ما تصبح هذه المعاهدة معمولا بها على الوجه المشار اليه في الفقرة السابقة يباح لسائر دول العالم الانضمام اليها طوال الزمن اللازم لذلك وتودع الوثيقة الدالة على انضمام كل دولة في (وشنجطون) وبمجرد هذا الابداع تصبح المعاهدة نافذة بين هذه الدول وبين الدول الأخرى المتعاقدة . وعلى حكومة الولايات المتحدة أن تقدم الى كل من الحكومات الميينة في الديباجة ولكل حكومة تنضم الى هذه المعاهدة فيما بعد صورة طبق الأصل من المعاهدة المشار اليها ومن كل وثيقة من وثائق التصديق أو الانضمام . وعلى حكومة الولايات المتحدة أيضا أن تحظر تلغرافيا تلك الحكومات بكل وثيقة من وثائق التصديق أو الانضمام بمجرد ايداعها . واثهادا بما تقدم وقع المفوضون ووضعوا أختامهم على هذه المعاهدة باللغتين الفرنسية والانجليزية على أن يعتبر كلا النصين مرجعا يعتمد عليه . وقد صدر بباريس في اليوم السابع والعشرين من شهر أغسطس سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرين

كل ما يتعلق بالتصديق على هذه المعاهدة والانضمام اليها من الأحكام ميينة (كما تلاحظون معاليكم) في (المادة الثالثة) الأخيرة . فهذه المادة تنص على أن المعاهدة تصبح نافذة بمجرد ايداع تصديق جميع الدول الميينة أسماؤها في الديباجة في وشنجطون وعلى أن باب الانضمام اليها سيظل مفتوحا لجميع دول العالم كما ان وثائق الانضمام تودع أيضا في وشنجطون . وكل دولة ترغب في الاشتراك في هذه المعاهدة لها حق الانضمام اليها . وعلى ذلك فان حكومتى تكون سعيدة بأن تتلقى في أى وقت مناسب اعلان الانضمام من الحكومات

التي ترغب في الاشتراك في نجاح هذه الحركة الجديدة لسلم العالم بادخال شعوبها في دائرتها المباركة . وبما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد أن هذه المعاهدة تنص بكل وضوح على أنها عند ما يعمل بها تصبح نافذة بين الدولة المنظمة وبين باقي الدول المتعاقدة على وجه السواء وعلى ذلك فمن الواضح أن كل حكومة منظمة ستشترك اشترا كاملا في المزايا منذ الوقت الذي تصبح المعاهدة فيه نافذة . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فكرة عامة في هذا الموضوع ﴾

سبحانك اللهم تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك أنت الذي خلقت هذا الانسان وقلت له بعد أن قطع آجالا طويلة تبلغ آلافا مؤلفة - وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون - ثم ذكرت انهم أعرضوا فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا - . اللهم إنك عاملت هذا الانسان معاملة الرفق والتربية الحسنة . فأولا قلت له إني ربيتك والتربية تشمل جميع العلوم المجملة في الفاتحة في قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين - وهي تشمل العوالم كلها ثم أمرته بالعبادة والعبادة ترجع الى ﴿ أمرين ﴾ العلاقة بين العبد وربيه . وبينه وبين نفسه وبني الانسان . فالأولى يرمز لها بنحو الصلاة لأنها صلة بين العبد وربيه والثانية يرمز لها بنحو علم الأخلاق وبنحو الزكاة . فعلم الأخلاق يطهر النفس والزكاة وأمثالها لتحاب نوع الانسان والمودة معهم . أما هذا الانسان فإنه قد سها كثير من نوعه عن العلوم التي أمر بها في قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - مثلا وكثير منهم أيضا ضلوا السبيل في معاملة بعضهم بعضا فهم في حرب وضرب أمد الحياة . أمركم (كونفوشيوس) في الشرق الأقصى قديما بالمحبة العامة والمودة وكذلك المصلحون من الهند مثل (خريستا) ومثل (بوذا) ثم جاء المسيح ابن مريم وأمر بالحب العام . كل ذلك جاء لنصح الناس أن يكونوا أمة واحدة . وجاء القرآن الشريف بالسلم وأن يكون الناس أمة واحدة بالدخول في الاسلام وهناك لا يكون حرب فلم يمكن ذلك ألا تتجهبوا أن القرآن الذي جاء فيه محاربة الكافرين هو الذي جاء فيه آية تفيد أن الحرب ستنتهي يوما ما إذ قال تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وقال علماءنا ﴿ ذلك يوم لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم ﴾ فانظر ماذا فعل الله لذلك اليوم أي يوم السلام العام . ألهم علماء الكيمياء والهندسة ذوى العقول العبقريه فاخترعوا آلات الحرب والدمار وكثرا استعداد للحرب وآلات الهدم والتخريب . سبحانك اللهم أنت الذي سلطت على قطن الولايات المتحدة (كما تقدم في سورة الأنبياء عند قوله تعالى - ونبؤكم بالشر والخير فتنة -) دودة اللوز ففتكت بنفس القطن داخل غلافه الذي يسمى باللوز . فهذه الدودة التي أرسلتها اليهم ففتكت بقطنهم هي التي علمتهم كيف يقتصدون في زراعته وكيف ينتفعون بأرضهم في زروع أخرى وكان ذلك الشر الناجم من السود هو عين الخير الذي نصحت به الحكومة هناك والعلماء والخطباء فلم يقد يا الله نصح الناصحين هناك ولاخطب الخطباء ولكن الذي أفادهم إنما هي دودتك التي وعظتهم بالعمل لا بالقول فقم الخطيب خطيبك ونعم المعلم معلمك . فهكذا يارب عاملت الأمم كلها معاملة لك لأهل أمريكا في قطنها . أرسلت الأنبياء وألهمت الحكماء فقالوا للناس عيشوا بسلام فأبوا وتحاربوا وتقاتلوا ولم نجد في التاريخ الحديث ولا القديم أمة من ام الأرض إلا وقد افتخرت بالحرب والفتك وجعلته أهم فضائلها ومناقبها . هنالك أرسلت لهم خطباء غير الخطباء السابقين وماهم إلا تلك المدمرات . وهاك أيها الذكي ماقالته جريدة (منشستر جارديان) تحت عنوان ﴿ الحرب المقبلة ﴾

تبين من التمرينات الحربية الجوية الأخيرة أن الدفاع عن لندن غير مستطاع حتى في رابعة النهار من هجمات الطائرات الحربية . فما تقول عن سائر المدن الانكليزية الأخرى . ماذا تقول عن (برمنجهام) و (منشستر) و (ليدس) و (ليربول) والجهات الشمالية (واسكوتلنده) . ولرب معترض يقول ان (لندن) يمكن اخلاؤها ولكن أين تذهب ملايين السكان والى أين يلبثون . ألى المعسكرات والمضارب حيث يكونون

أكثر استهدافا للمخاطر مما لو كانوا في مدينة ذات مبان عالية تقيهم شرّ الغازات السامة وأقوية أرضية تخفف عنهم فتك القنابل الهائلة الانفجار . ربما كان هناك بعض الانصاف في ما طرأ على حالة الحروب الحديثة من التغيير والتبديل فالملكيون لا الجنود هم الذين يصنعون الحرب فمسؤولية الحروب ليست على الجيش بل على الحكومات والبرلمانات والناخبين وكان الجنود فيما مضى هم الذين يقاسون ويلات الحرب . نعم ان الملكيين قد قاسوا وبال الحرب العالمية الأخيرة أيضا ولكن ذلك كان في انكلترا أقلّ منه في فرنسا وفي فرنسا أقلّ منه في ألمانيا وفي ألمانيا أقلّ منه في روسيا . ففي روسيا عانى الجميع أهوال الحرب سواسية فقد سقطت قنابل من الجوع على لندن وباريس ومدن ألمانيا الغربية وفتكت بالرجال والنساء والأولاد . وقد شرع جميع السكان بهول المهجمات الجوية وتولاهم الرعب ولكن سرعان ما نسى الناس المخاوف . وقد كان عدد الذين قتلوا وأصيبوا في الحرب العالمية كبيرا جدا ومع هذا كان باعتبار البشر من الامور الطفيفة وكاد يصبح نسيا منسيا ولكن كل أوروبا الوسطى حوصرت وكاد الناس في ألمانيا والنمسا يموتون جوعا ولم تكن حالة الملكيين غير المحاربين أفضل كثيرا من حالة الجنود المحاربين في الصفوف الأمامية . ولهذا السبب بات الألمان والنمساويون يكرهون الحرب أكثر مما نكرهها نحن في انكلترا . ولكن في الحرب المقبلة سينال الملكيون في انكلترا نصيبهم من الأهوال إذ من المؤكد أن الجنود في الصفوف الأمامية (ان كان هناك صفوف أمامية) والبصارة في السفن الحربية والطيارين في الجو سيكونون أكثر طمأنينة من أهالي لندن أو من شتر أو غيرهما من المدن عند ماتكون طائرات العدو في جوها . وقد بدأ الانكليز يدركون الآن أهوال الحرب الجوية ويعلمون أن مخاطرها فوق ما يتسنى للعقل البشري تصوّره والفضل في معرفة ذلك للتممرّات الحربية الجوية . فهل تفهم الحكومات هذا الفهم . ففي اليوم العشرين من شهر يونيو عام ١٩١٨ وقف المستر (بلفور) وقال في مجلس العموم البريطاني ما يلي

﴿ من يشعر بأهوال الحرب أكثر من الذين كانوا السبب في اضرارها وعلى من تقع تبعه السماء المسفوكة والأموال الضائعة ومن الذي يزرع تحت عبثها . وكيف يمكن أن يشعر رجل أوطاقة من الرجال أكثر مما يشعر بها الجالسون على هذه المقاعد ﴾

إن أقوالا كهذه جعلت الجنود في الخنادق يدركون بعد الشقة السحيقة بينهم وبين الحكومات التي في أيديها مصيرهم ولكن في الحرب المقبلة سيكون الأهالي في مدنهم وولاية الامور في دواوينهم والجنود في خنادقهم رفاق حرب سواسية أكثر مما كانوا في الحرب الأخيرة . ولكن هل يزيد التقارب بينهم الى حدّ التفاهم المتبادل . لا ريب أن الأهالي الملكيين والجنود سيتفاهمون ولكن أعضاء الحكومة يتسنى لهم أن يلتجؤا الى أما كن بعيدة ويتصنوا في معازل مأمونة . ولكن في الحرب المقبلة سوف لا تكون هناك أما كن بعيدة أو ملاجئ منيعة . وربّ معترض يقول انه مع هذا تكون الحكومات أقلّ استهدافا للمخاطر من الأهالي والجنود . فهل هذه الفكرة أو الافتقار الى سعة التصوّر ما حدا بالحكومات ولا سيما حكومتى انكلترا وفرنسا الى التلكؤ في الموافقة على تحريم الحرب والتخوّف منه . إن ميثاق تحريم الحرب الذي هو أفضل مشروع قام به البشر حتى الآن قد أضعف وخط من شأنه بالتحفظات والتعايير حتى بات شبحا مما كان يقصد منه . ان السواثر المتعلقة ذات الروية والتفكير العميق في انكلترا غير مرناحة الى ما حلّ بميثاق تحريم الحرب من البتر والانتهاك ولا يتسنى لأية حكومة أن تزدري آراء هذه الطبقة ولا سيما عند ما ترى مساعي أمريكا السلمية ونشاهد ألمانيا تقبل الميثاق بلا قيد ولا شرط . أليس في ذلك ما يحجل حكومتنا وحكومة فرنسا حليفنا السابقة . كان من الواجب على انكلترا أن تكون هي الساعية الى تحريم الحرب ليس لما لها من النفوذ العظيم والمكانة العالية في المدينة فحسب بل لأن عليها أن تهتم براحة رعاياها ومستقبلهم . لقد كان أهالي انكلترا في القرون

الغابرة مطمئنين الى سكنى هذه الجزيرة آمين هجمات الأعداء بفضل أساطيل دولتهم الضخمة وحصونها المنيعة . أما الآن فانهم معرضون للمخاطر كغيرهم بل أكثر من غيرهم . نعم إن طائرات انكلترا يتسنى لها مهاجمة (باريس) و (كولون) ولكن الدفاع الجوي عن لندن غير مستطاع إلا بطريقة واحدة وهي صد الطائرات قبل وصولها الى جو (لندن) ولكن لندن أكبر المدن وأقربها الى معظم قواعد الطيران الأجنبية فهي والحالة هذه أسهل تدميرا من سواها وباريس وكولون معرضتان لهجوم الطائرات مثل (منشستر) وليتصور القارئ كيف يكون منظر (ميدان البرت) لو ألقيت فيه قنبلة واحدة من القنابل الضخمة (وهي تعد جسيمة جدا اذا قورنت بالقنابل التي استعملت في الحرب العظمى) التي ستستعمل في الحرب المقبلة . إن (ميدان البرت) يصبح إذ ذاك حفرة هائلة محوطة بأطلال المنازل المدمرة تغطيها أشلاء الناس الممزقة ثم تصور أيها القارئ ماذا تكون حالة (لندن) اذا ألقيت عليها مئة قنبلة من هذا النوع (وليس ذلك بالعدد المستحيل) وانظر الى ذلك الدمار الهائل وانصت الى صياح المصابين من الآدميين الذي لا يعرفه إلا من خاض غمار الحرب . إنه أفظع صوت يصدر من أي حيوان . اذا كبرت إحدى الحكومات ولم تشأ أن تفهم ماذا يفكر الناس وماذا يخافون فيجدربها أن ترجع بذكرتها الى الحوادث التي نجمت عن الحرب العالمية منذ عشر سنوات . ولتعتبر بما أصاب حكومات (روسيا) و (ألمانيا) و (المنسا) و (بلغاريا) وكيف قلبت واستهدفت لمخاطر الثورات والفتن حتى ان روح الثورة لم يقصر على الدول المقهورة بل تعداها الى غيرها . فهل غاب عنا أن فرقة فرنسوية ولت ظهورها للميدان وشرعت في الزحف على باريس عام ١٩١٧ م وهي تهتف بسقوط الحكومة واقامة حكومة جديدة ذات نظام جديد . ففي الحرب المقبلة سيقاسى الغالب أكثر مما قاسى المغلوب في الحرب الماضية . وقد لا يتسنى للحكومات المنتصرة التخلص من انتقام رعاياها . نعم يجب على حكومات هذا العصر أن لا يعزب عن بالها ما حدث في الحرب الأخيرة فان ما حدث في روسيا لا يبعد أن يحدث في كل مكان . فتحریم الحرب والحالة هذه هو أول واجبات الحكومات . ويجب أن يكون محك لتأييدها أو اسقاطها وأن يكون أساس جميع أعمال وزارات الخارجية وأهم برامج مرشحي الانتخابات اه

﴿ حكمة إلهية ونور على نور ونبصرة وذكري وشكر لله تعالى ﴾

هاهوذا خطاب محافظ كابول . فهو يقول ان أوروبا لم تقم بالأمر حق القيام ويقول إن الشرق سيقوم بأمر السلام العام . وأنا أقول . أليس هذا من العجب . لقد كتبت في سورة (الأنفال) حين طبعها منذ سنتين في صفحة (١٣) في تفسير قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم - مانصه

﴿ الأمم الاسلامية وجميعه الأمم . انظر رعاك الله نحن أولاء في عصرنا الحاضر كيف نسمع أن أوروبا لها جمعية أم وان لم تقم بواجبها بل ظهر انها تريد ابتلاع الشرق وهضمه وأهم بلاد الشرق بلاد الاسلام ، فلماذا لانرى أم الاسلام لارابطة بينها ولاقوة تحفظ توازنها ولو صورية كجمعية الأمم الصورية فان هذه الجمعية وكذلك محكمة لاهاي ربما تأتيان بالفرض على طول الزمان وهم الآن ياجؤون اليها عند الخصاص . فلماذا نرى المسلمين ليس بين دولهم مثل هذه الجماعات ﴾ ثم قلت في صفحة (٢٠) ماملخصه ﴿ ان قوله تعالى في سورة الحجرات - انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم - الخ وقوله فيها أيضا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ويضم لهاتين الآيتين آية - وأصلحوا ذات بينكم في (الأنفال) فينتج من ذلك صلح بين المسلمين وتعارف بينهم وبين غيرهم . وقد قدم الله الصلح بينهم في الذكر على التعارف مع الأمم كترتيب العمل إذ لا يتعارفون مع الأمم إلا اذا اصطلحوا فيما بينهم ﴾

هذا ملخص ما ذكرته هناك ، انه لم يمض على كتابة هذا وطبعه سنتان اثنتان . أفلا تعجب اننا الآن نسمع محافظ كابول جاء من أقصى البلاد في الشرق الى مصر وهو يخطب قائلا نحن الذين نقوم بالسلام العام

وأظهر تباطؤ أوروبا . اللهم إنك أنت المعلم الملهم الحكيم العليم . لقد وضح واستبان السبيل وأظهر لي أن هذا زمان الإصلاح والافاضة هذا الاسراع في ظهور الحقائق . أتلهف على « جمعية أم شرقية » فلا يعضى زمن حتى أسمع من أقواه رجال السياسة في الشرق الذين كانوا عندما كتبت الموضوع السابق لا يسمع لهم صوت . صدق الله إذ قال - اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها - . إن نهضة الشرق اليوم مجتدة في الاسراع حيثما والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم - اهـ

هذا الذي ذكر قبل الحكمة الالهية للذكورة هنا هو ما جاء في تلك الجريدة الافرنجية وهو يبين صفحة من أحوال الأمم التي نعيش معها اليوم وأن الله فعل معهم ما يفعله الأب الشفيق بأولاده والاستاذ الصالح بتلاميذه فأولا يأمرهم وينهاهم ثم بعد ذلك يعاقبهم لا انتقاما بل تعليما فهنا علم الله الأمم السلام العام الذي أشار له بقوله - حتى تضع الحرب أوزارها - بالهام المفكرين اختراع آلات جهنمية فأجفلت الأمم من الحرب وقالوا كلا . كلا . نصلح يا الله . نصلح ونسمع قولك - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فهانحن يارب جننا لتعارف بصوت الزهبة لا الرغبة لأننا بالرغبة ما أطعناك ولكننا بالرغبة اتبعناك . هذا هو الذي ظهر في الأمم الآن من الآية التي نحن بصدددها وهي قوله تعالى - وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون - وقد قلنا إن السلام العام من أحد شقي العبادة وكما فعل الله عز وجل مع الأمم في أمر السلام العام هكذا فعل معهم في أمر العلم الذي تضمنه قوله - وأنا ربكم - فان الناس لما قصروا فيه لاسيا المسلمون منهم سلط عليهم أنواع المؤذيات ومنها الحشرات لتسوقهم الى العلم لأنهم اذا رأوا أنهم تنتابهم الحى بلا سبب يعرفونه إلا حشرة صغيرة تسمى (الكولاكس) فهذه هي التي تضع في أجسامهم الحى فانهم لا محالة يجتدون في علم الطب وعلم الطب يحتاج الى أكثر علوم الحيوان والنبات والمعادن والهواء والماء وأضواء الكواكب والحرارة والبرودة وما أشبه ذلك . إذن هذه الحشرة وأمثالها أرسلها الله (للأميرين) تعليم الناس جميع العلوم واتحاد الأمم في مطاردتها . إذن المدمرات على (قسمين) مدمرات طبيعية تحترق على معرفة العلوم وعلى الاتحاد العام في مطاردتها . فلما لم يفهم النوع الانساني ذلك سلط عليه المدمرات الصناعية المتقدم ذكرها . ولعلك تقول في أى وقت جاءت هذه الحشرة . أقول قد جاء ذكرها في آخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ فان المرض تفشى في اليونان فمات كثير من الأطفال والشيوخ وأصيب به مائتا ألف وقال الأطباء إن هذه الناموسة هي التي تنقل هذا المرض وليس ينتقل باللامسة . إن الله لم يرسل لنا ذلك إلا للتحض على علم الطب كما قدمنا والطب لا تقوم به إلا طائفة في الأمة وبقيتها لهم أعمال أخرى والأمم متجاورة وكلهم يجب أن يتعاونوا على دره هذا الخطر وكل وباء عام . إذن هي تعليم من الله لا غير وهذا كله داخل في قوله تعالى - وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون - ثم قال تعالى - فذرهم في غمرتهم حتى حين - ثم أشار سبحانه الى أن ما يمدتهم به من المال والبنين ليس مسارعة لهم في الخيرات بل هم ممتحنون . هذا ما فتح الله به في تفسير هذه الآية ومصدقها في زماننا ولست أقول ان ما ذكرته الآن سيمنع الحرب حتما ولكني أقول ان العجب أن يكون ما ذكرته قبل الحرب فكرا أصبح اليوم منتشرا بين أمم الأرض والمستقبل لله وحده هو علام الغيوب والحمد لله رب العالمين

(الجوهرة الثانية في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون -)

(الفيل والعميان الست)

اعلم أن هذا النوع الانساني مجبول على الخلاف . مقصور على الشقاق . تنوعت البصائر فاختلفت الآراء . الحقيقة واحدة والآراء شتى ولا يحصى عنها ولا فرار منها . وهل أناك نبأ العميان الست في كتب الانجليز الذين يقال انهم كانوا في بلاد الهند وقد أغرموا بالعلم والبحث غراما وأرلخوا به هياما فأجمعوا أمرهم بينهم أن يدرسوا

(الفيل) دراسة تأتمة فقام ﴿ أولهم ﴾ وتقتم الى الفيل فاصطدم به حتى كاد يسقط على الأرض لأنه قابله من جانبه فصاح قائلا ﴿ أيها الاخوان إن الفيل أشبه بالحائط ﴾

﴿ الأعمى الثاني ﴾

فاقترب الثاني منه وقد عثر بناه اذا هو مدور وناعم وحاد فصاح قائلا ﴿ إن الفيل أشبه بالحربة ﴾

﴿ الأعمى الثالث ﴾

فاقترب الثالث منه وقد عثر على خرطوم فصاح قائلا ﴿ إن الفيل أشبه بحية تسمى ﴾

﴿ الأعمى الرابع ﴾

فاقترب الرابع منه وقد عثر بركبته فصاح قائلا ﴿ ما أقوى هذا الحيوان إنه كالشجرة ﴾

﴿ الأعمى الخامس ﴾

فاقترب الخامس منه وقد عثر بأذنه فصاح قائلا ﴿ ما أشد عماكم أيها القائلون . وكيف تقولون ما

لا تعقلون . انما الفيل أشبه بالمروحة ﴾

﴿ الأعمى السادس ﴾

فاقترب الأعمى السادس منه وقد أمسك بذنبه فقال ﴿ إنما الفيل كالحبل . وهذا قول الحق الذى فيه تختلفون ﴾ . إن هؤلاء العميان الست الهنديين قد تناقشوا وكل أدلى برأيه وكل منهم مصيب فى رأيه من وجه ومخطئ من وجه آخر . هذا تمام الحكاية الإنجليزية . ولقد رأيت نفس هذا المثال فى كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للغزالي . وليس المقام مقام البحث عن أصل هذا المثل من الذى قاله ولكن اذا كان الانجيز قد كتبوه فى كتبهم ونقلتها الآن عنهم وقبلهم الغزالي فى الاحياء دلنا ذلك على أن هذا المثل من وضع الهند لأن الكتاب الانجيزى يقول انهم من الهند واتفق الغزالي وعلماء الانجيز على أن موضوع المثل هو (الفيل) والفيل يعظمه الهند . إذن فلنشرح فوائد هذا المثل . إن هذا المثل ينطبق على أحوال هذه الدنيا فالناس فى ما كلهم ومشاربهم وملابسهم ولذاتهم ودياناتهم وعلومهم يختلفون ويجمع هذا كله من أول هذا المثال الى الآن - كل حزب بما لديهم فرحون - فالذى ربي فى قرية لا يحب أكثر منها وعالم الرياضة يألفها وعالم النبات مغرم به وهكذا الحيوان والسياسة وعالم اللغة وهكذا نجد الذى قرأ اللغة الإنجليزية من المسلمين أو الفرنسية أو الألمانية وقد درس تاريخ القوم فانه لا محالة يحبهم وهكذا الشافعية والحنفية والمالكية والشيعة وهكذا الزراع والصناع والتجار كل له غرض يهواه بحسب ما نشأ عليه وما اعتاده فقله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - قد فسر المثل المضروب بالفيل فى الشرق والغرب معا . الله أكبر . القرآن كتاب عام والمثل المذكور عام ولكن الحكمة القرآنية أبهى وأجل وأبهر وبهذا تظهر البلاغة والجد لله رب العالمين هذه مسألة (الفيل والعميان) تمثل لنا اختلاف العقول وأحوال الأمم والحكام . وأذكر لك نبأهم فى

هذا المقام مجلا فأقول

اعلم أن كل حكيم من حكماء الأرض وعالم يلقى للناس من العلم ما يراه سعادة لهم فى أمورهم المادية والمعنوية وجميعهم كهؤلاء العميان يدورون حول الحقائق وكل يقول ما يفهمه والله يقول لهم جميعا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - . فانظر الى

﴿ (١) سقراط ﴾

كيف استخلص الباحثون من آرائه القواعد الآتية بيانها

(أولاً) ان الانسان فى ميوله وأحواله يقصد السعادة

(ثانياً) ان الخير والمنفعة مترادفان

(ثالثا) ان العلم هو أس الفضيلة

(رابعا) ان الخير العام مقدم على الخير الخاص

(خامسا) ان الجمال شطر من الأخلاق

(سادسا) إن الشرائع الوضعية مستمدة من الشرائع السماوية

ويقولون بأنه يرى أن حياة الفيلسوف هي أسى ضرور الحياة لأنها مؤسسة على الحكمة والتميز ولأنها تجلب لصاحبها أكثر ما يتيسر نيله من السعادة والمسرة الخاليتين من شوائب الأكدار وأن حياته هي الحياة المثلى لأن رائده فيها البصيرة ورعاية المصلحة . وما يستخلص من آراء (أفلاطون) أن الناس ليسوا سواسية في المدارك والأخلاق وانه من الخرق أن الجاهل يحكم العاقل والسفلة تحكم العلية لأن العامة في رأيه ليس عندهم من البصيرة ما به يدركون الخير لهم فهم يجهزون لذلك عن ادراك ما هو خير لغيرهم وكذلك لامناص لهم من أن يجتنبوا التعرض لشئون الأمة بل أن يلقوا مقاليدهم لمن أوتوا الفطنة والبصيرة وحسن الإدارة وهم الفلاسفة فاذا أصبح الفلاسفة حكاما سلكوا بالناس سبيل السداد ورفعوا عنهم أذى القوضى والاستبداد ويوجب (أفلاطون) أن يجعل وصف العقلاء مقتصرًا على الفضيلة كالشجاعة والعفة وينفر من الرذيلة كالخيانة والفجور وأن تحظر الأشياء الغرامية التي تحدث خورا في العزائم ووهنا في القلوب . وكذلك يجب على الحكومة أن تحمل الناس على دينها فلا تدعهم يعشون بالعقائد ويدينون بما يشاؤون اه

(٢) آراء الفارابي

ويقول الفارابي من علماء الاسلام في كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾ مملخصه

« إن الأمم تجتمع إما باللغة وإما بالدين وإما بالقرابة والنسب وإما بالمصاهرة وإما بالوطن وإما بالعاهدات وإما بالملك الذي يجمع الجميع وإما بأن تستعد الأمة جماعة وهؤلاء وعبيدهم يستعبدون غيرهم وهكذا . ويقول إن هذه كلها مدن فاسقة وليس عنده مدينة فاضلة إلا في أن تكون الأمة كلها هيئة مركبة من جماعات كل منهم يعمل فيما يناسبه بحيث يكون فيهم من هم كالقلب ومن هم كالرأس ومنهم من هم كالعدة ومن هم كالعظام ففيهم الخادم والمخدوم ولكل منهم حظ مما يناسبه من العمل ورئيس المدينة إما واحد إن اجتمعت فيه صفات الكمال وإما جماعة بحيث يكون لكل واحد صفات تباين غيره وصفات الجماعة كلها تكون قائمة مقام صفات رئيس المدينة الفاضلة وتكون الممالك كالمملكة الواحدة فتكون الأرض كلها ككرة فاضلة » هذا ملخص مقاله الفارابي

(٣) آراء أرسطو

ويقول (أرسطو) من حكماء اليونان مانصه ﴿ إن الفضائل وسط بين طرفين فالحكمة وسط بين السفه والبله والشجاعة وسط بين الجبن والجور وهكذا والفضائل العقلية تكتسب بطرق تهذيب النفوس . وأوجب أن تعتنى الحكومة بالطفل قبل خلقه بأن تسنق للزواج قوانين خاصة لرعاية صحة الأجنة والأطفال . وأوجب الاعتناء بتغذية الطفل وملبسه وتمريه كتمرير تلاميذ المدارس الآن وإذا كبرت يهيم الحكومة على تربيته وعنده أن الموالي والصناع لاجحة إلى العناية بهم وهكذا النساء يخالف بذلك (سقراط) القائل بأنهن يربين كما يربي الرجال وأوجب الموسيقى . وقال ان الأعمال البدنية يجب أن تكون غايتها ضبط النفس وكبح جماح الشهوات وتجميل صورة الجسم وتكوين العادات الفاضلة لاجرد القوة الجثمانية التي بها يتباهى المغرمون بالألعاب البدنية ولا الضراوة والقساوة اللتين ينتخر بهما الجنود في الحروب فانها إن قصد منها القوة الجثمانية فحسب كانت متعبة للأجسام شاقه على النفس وان قصد منها الضراوة وتقسية القلوب كانت مظهرا من مظاهر الوحشية القاسية . ويجب أن تتدرج هذه الألعاب في صعوبتها وأن لا تبتدىء التمرينات العنيفة أو الخشنة

إلا بعد هذه السن . وأوجب الموضوعات الأدبية وهي تشمل القراءة والكتابة والرسم . وأوجب أن لاتعلم من أجل منافعتها المادية فحسب وانما تعلم لأسباب نفسية أسمى وأعلى . فالقراءة والكتابة وسيلتان لتزويد الفكر بأنواع المعارف والرسم يربى قوة الذوق ويساعد على تعرف الجمال والموسيقى عنده العدة في تثقيف العقول وتعليل النفوس المكدودة واثارة العواطف السكامة وشغل أوقات الفراغ بأفضل أنواع المسرات . و بعد أن أفاض (أرسطو) في فوائد الموسيقى شرح أنواعها ومايسوغ منها تعلمه والأناشيد التي يحسن انشادها وفضل أن يتعلم الأطفال الايقاع على المزاهر حتى تتكون لهم ملكة الذوق والنقد ولكن يجب أن لايفالى في ذلك حتى يصلوا الى المهارة الفنية لأن ذلك لايليق بالرجل المهذب . وأوجب أيضا الترية الفكرية ويوافق (أرسطو) أفلاطون في دراسة العلوم الرياضية في هذه المرحلة دراسة عالية ولاسيما العلوم الهندسية والطبيعية والفلكية وينصح بدراسة المنطق وعلوم الحياة . ويرى مع هذه الترية النظرية العالية ان تسير الى جانبها الترية العملية فيأخذ الشبان بتمرينات في الأعمال والواجبات الوطنية كالأعمال الادارية والتشريعية والقضائية) اه

(٤) آراء ابن سينا

ذكر في (كتاب القانون) في علم الطب بأنه يجب العناية بتدبير الحوامل واللاقي قارب الولادة بان يتناولن الغذاء الجيد ويأخذن نصيبهن من الرياضة البدنية ويحجنن الاجهاد في العمل ويتحررن جودة الغذاء ونظافته الخ . ثم ذكر في هذا الفصل واجب المولدة والأم لينشاطفلا يقاوم الأمراض موفورا لصحة حسن الأعضاء والشكل . وذكر أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فان منع مانع من ارضاعه ابن أمه من ضعف أوفساد لبن أوميل الى الرفه فينبنى أن تختار له مرضع على الشروط التي نصفها بأن تكون سنها بين ٢٥ الى ٣٠ لأن هذه سن الصحة والكمال وأن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعة اللحم حسنة الأخلاق بعيدة عن الانفعالات النفسية لأن سوء الخلق يؤثر في تربية الطفل وأن يكون لبنها معتدل القوام والمقدار ولونه الى البياض ورائحته طيبة وطعمه الى الحلاوة وأجزاءه متشابهة . فاذا توافرت هذه الشروط في المرضع قبلت وتجب العناية بغذائها طول المدة ايضاحتى يكون اللبن الذي تنتجه جيدا فاذا طرأ عليها مرض منع من ارضاعها . ثم ذكر كيفية التحريك العلمى الذى يهيء الأعضاء ولايضرها وضرورة الموسيقى والتلحين الذى جرت به العادة لتنويم الأطفال . وأوجب أن يكون أوكد العناية مصروفا الى مراعاة أخلاق الصبي فيعدل وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أوغم أوسهر وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذى يشتهي ويحجج اليه فيقرب اليه وما الذى يكرهه فينجحى عن وجهه (ويشبه مذهب هذا مذهب روسو) وفي ذلك منفعتان (إحداهما) فى نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك له ملكة لازمة (والثانية) لبدنه لأن الأخلاق الرديئة تؤثر فى مزاج الجسم فان غضب يسخن جدا والنم يحفف جدا . ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جيعا . ثم ذكر نظاما يتبع فى حياة الطفل فقال (واذا تنبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيأ يسيرا ثم يترك الى اللعب الأطول ثم يستحم ثم يغذى واذا أتى عليه من عمره ست سنين فيجب أن يقدم الى المؤدب والمعلم ويتدرج فى ذلك أيضا ولايحكم عليه بملازمة الكتاب كرة واحدة)

وذكر فصلا فى التدبير المشترك للبالغين وهو (١٧) فصلا قال فى الفصل الأول (إن قوام الصحة على (ثلاثة أشياء) الرياضة والغذاء والنوم . ثم بسط الكلام على الرياضة بسطا لانهاية بعده وذكر من أنواعها المنازعة والملاكمة وسرعة المشى والرمى عن القوس والقفز والحبل وركوب الخيل وشد الحبل الخ . ثم ذكر رياضة كل عضو وزمن الرياضة . وتناول فى الفصول الأخرى الاستحمام وأنواعه وفوائدها للجسم وتقوية الأعضاء الضعيفة وتسميتها وتعظيم حجمها والاعياء الذى يتبع الرياضات وعلاج الاعياء الرياضى وتدبير الشيوخ اه

(٥) آراء العالم الهندي السر (جاجاديس بوز) النابغة في علم حياة النبات الذي تقدمت

ذكره وآراء غاندى الزعيم الهندي

أما آراء (غاندى) فقد تقدمت في آخر سورة (آل عمران) وذلك انه يحرض الناس على الصناعة ويمنع الانكال على صناعات الفرنجة . وأما آراء (السر جاجاديس) فانه أوصى التلاميذ الهنود بهذه الوصايا في زماننا وهي خسة وقد خاطبهم بها قائلاً في هذه السنة (١٩٢٨) مايلي

(١) الثقة بالنفس وهي التي يعبر عنها الانسان بقوله (أنا أريد) فهذه الكلمة يجب أن تفهموها جيداً كثيراً ما أسمع الناس يقولون اذا طلب منهم عمل ما (سنجتهد في عمله) وانى لأشتم شيئاً من رائحة التواضع في هذه العبارة بل أراها عنوان الجبن . هل تحت السماء أمراً تستطيعون أن تجعلوه طوع ارادتم إن أردتم ذلك بكل قوتكم العقلية والروحية . أنا أقول لكم إن الذين لا يقفون أمام الصعوبات والمشكلات خوفاً منها ليسوا إلا جناء ضعفاء بل هم عار على الانسانية التي يتصفون بها وينتمون اليها . ليس للانسان أن يتجنب الصعوبات أو يفرّ منها أو يشكو أمرها بل عليه أن يذللها مادام فيه رمق من الحياة . اعملوا أنه ليس على وجه الأرض قوة تستطيع الوقوف في سبيلكم إن أردتم المضي فيه وجميع العقبات تنحى بنفسها عن طريقكم وما يظل معترضا لكم منها تدوسونه وتطحنونه بأقدامكم القوية . وهكذا يصبح كل عسير أمامكم يسيراً وكل صعب سهلاً

(٢) اختيار طريق الحق والصدق والمضي فيها بأقدام ثابتة فلا تضيعوا أوقانكم في بيان الفضائل ومحاسن الخير بل انتهجوها وسيروا عليها . هذا هو الأساس المقدس الذي قامت عليه الانسانية الطاهرة

(٣) الاتحاد الوطني . اتركوا التعصب للولايات وللأديان والمذاهب والطوائف وكونوا جميعاً أبناء الهند الحنونة البارة . كونوا هنوداً أولاً وآخراً

(٤) اعتقدوا أن أساس الدين هو التسامح فلا يحملنكم اختلاف عقائدكم الدينية على الاعتداء بل ليكن الدين بينكم عنوان المحبة والوداد والوثام

(٥) لا تتركوا مدنيتكم القديمة تموت بغفلتكم وضعفكم بل كونوا رجالاً ونساءً أقوياء مخلصين غيورين لتمكنوا من انشاء مجد جديد لوطنكم ووطنى العظيم

(٦) وههنا جاء دورى أنا فأقول (سادس) الجماعة أدلى دولوى فى الدلاء

فهاهوذا (سقراط) وهاهوذا (أرسطاطاليس) و (الفارابى) و (ابن سينا) وعلمان هنديان يطلبان الصناعة والاقدام والأخلاق والاتحاد . فأما أنا فقد ألفت كتاب ﴿أين الانسان﴾ وقد لخصت بعضه في هذا التفسير وذكرته في مواضع كثيرة فيه وملخصه أن جميع هذه المجالس النيابية في العالم الانسانى تخدم شهوات المنتخبين (أولئك النواب) وهذه الانسانية يجب أن تكون كل أمة منها قائمة بتعليم جميع الذكور والاناث وأن تستخرج مواهب أرضها وعقولها وكل شئ فيها وكل الأمم يجب أن يكونوا متضامنين في الشرق والغرب وعلى مقدار نقص أمة يكون ثمرات لأمة أخرى ولكن الله يقول - كل حزب بما لديهم فرحون - ويقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - . إذن كل هؤلاء المفكرين يبحثون عن سعادة الانسان كما بحث العميان عن (الفيل) فأمسك كل بطرف وعرفه والفيل أوسع من علمهم هكذا هنا الانسانية وسعادتها أوسع من علم العلماء وحكمة الحكماء . فلا سعادة للناس إلا اذا جدت الأمم كلها في التفكير لسعادة المجموع باخلاص والاخلاص يكون من قوم اختصوا بمواهب عالية ومدارك عظيمة وهؤلاء قليل ولكنهم مفرقون في الأمم كلها . ففى عمّ التعليم الأمم فهناك يظهر أبواب المواهب من كل أمة ويسعدون نوع الانسان ولقد رأيت فى كتاب ﴿أين الانسان﴾ أن موافقة تعداد الذكور للاناث غالباً فى هذا العالم دليل على

أن فيه نظاما ثابتا يشمل كل شئ . فأهل الحكمة أو الصناعة أو السياسة لكل طائفة قوم خلقوا في الأرض هكذا خلق في هذه الأرض عقول خاصة لارشادهم فيجب البحث عنهم في جميع الأمم وهم الذين يديرون دفة العالم كله وغير هذا عندى باطل . ولقد اطلعت على مقال للعلامة (هولدين) من أشهر كتاب الانجيزوكبار مفكرينهم ومن أشهر علماء (البيولوجيا) في عصرنا قال فيه مانصه

﴿ ان نظرنا الى صحة الأجسام بقطع النظر عن سواها يوجب بلامرأه أن يعنى الناس جميعا بعضهم ببعض لأن مرض فرد يعدى الآخر وينتقل الى أمة أخرى ﴾ ويقول ﴿ اذا نظرنا الى علم الاقتصاد والسياسة فاننا نجد سوء طالع زيد يكون حسن طالع لعمرو وخراب أمة ربما كان نعمة على أخرى ولكن في علم الصحة تنعكس الحال فان الدساكر في وسط المدن والمحافراتي ينتشر فيها الغبار في الجوّ أوساط حسنة يربى فيها مكروب السلّ الذى يصيب الفقير والغنى على حدّ سواء . وهذه مسألة لا تقتصر على شعب واحد بل ان الطفل الرومانى المصاب بالفالج والمهندي المصاب بالجدري والجرد الذى يحمل الطاعون كل هؤلاء يؤثرون في الأعمار وينقصونها إذن تجب العناية بكل فرد وبكل أمة لاسيما أن طرق النقل الآن صارت أسرع منها قبل الآن ﴾

ومن قوله أيضا ﴿ إن خطأ اذا كان قد وقع في بلادالصين منذقرنين مضيا لم يكن ليضع الرجل الانجيزى أو الأمريكى ازاء أية مسؤلية لأنه ليس لديه وسائل النقل أمااليوم فان استخدام البخارفي السفن والكهربائية في نقل الأخبار كلاهما جعل القيام بمثل هذا الواجب مستطاعا ﴾

فهذا العالم ينحونحو كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ والحمد لله رب العالمين

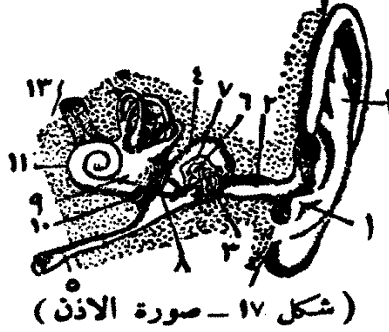
﴿ الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون - ﴾

لقد تقدم الكلام على السمع والبصر في سورة ﴿ آل عمران ﴾ وهناك صورتاهما مرسومتان وموضحتان ايضا تاما ومشروحتان شرحا كافيا . ولكن هنا وجدت صورتين أخريين مرسومتين في كتاب ﴿ قانون الصحة ﴾ وهما واضحتان ظاهرتان يراهما الانسان أمامه كأنهما آلتان من الآلات المشاهدات في عصرنا وفيهما من دقة الصنع واتقان القطع المختلفة الاجسام والأقدار والصور مايبهر العقلاء إذ يرون عناية صانع هذا العالم بمخلوقاته فهما أوضح من تينك الصورتين وأقرب الى الفهم والايضاح التام . ولاجزم أن السمع والبصر والقواد عادة لا يفكر فيها الناس ولا في حسن اتقانها لأنها مبذولات لكل حيّ ففعل الناس عنها لذلك كرها الله في القرآن وحث على النظر والتفكر فيها حتى تخرج هذه النفوس البشرية من عالم الحيوانية الى عالم الحكمة والعقل والرقى العلمى . أما القواد فارجع الى ماتقدم في (سورة الاسراء) عند الكلام على قوله تعالى - قل الروح من أمرى - وأما السمع والبصر فهالك ماجاء في ذلك الكتاب صفحة ٢٣ و٢٤ وهذا نصه

﴿ حاسة السمع ﴾

عضو السمع هو الأذن وينقسم الى أذن ظاهرة وأذن متوسطة وأذن باطنة (الأذن الباطنة هي التى تحتوى على أعضاء أى أعصاب السمع) فالأذن الظاهرة تتركب من الصيوان والقناة السمعية الظاهرة ويوجد بها شعر وغدد تفرز مادة شمعية تسمى (بالصلاخ) وهى تتراكم اذا لم تنظف وتضعف السمع . والأذن المتوسطة تتكوّن من الطبلة وغشائها وثلاث عظام صغيرة . والأذن الباطنة مكوّنة من تجويف في عظم الصدغ مبطن بغشاء ينتهى فيه أطراف العصب السمعى . واذا حدث صوت بجوار الأذن يخترق الأذن الظاهرة ثم الأذن المتوسطة ثم الباطنة فيتنبه العصب السمعى فينقل الصوت الى مركزه في المخ فيوجه المخ الاحساس الى الأذن فيجعلنا نشعر كأن الأذن هي التى أحست بالسمع (انظر شكل ١٧ في الصفحة التالية)

﴿ الصوت والكلام ﴾



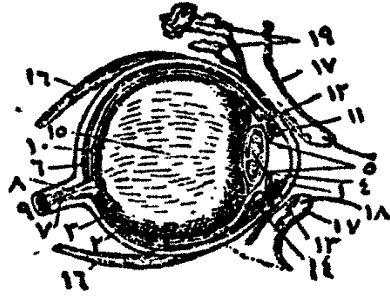
(شكل ١٧ - صورة الأذن)

تحدث نغمات الصوت الأساسية باهتزاز الحبال الصوتية للحنجرة بواسطة هواء الزفير ويتنوع الصوت باللسان والأسنان والشفين والكلام يحصل بتغيير نغمات الصوت في التجاويف التي فوق الحبال الصوتية فثلا تفسير حجم وشكل البلعوم والفم والأنف يحدث نغمات مختلفة تكون حروف النطق

﴿ حاسة الابصار ﴾

مركزها العين وتوجد هذه في تجويف الحجاج ومعها الأوعية والأعصاب التي تغذيها وفي مقدمتها الجفون والجهاز الدمى . والجفون في حافتها الأهداب وهي تقي العين ليلا ونهارا من الاجسام القريبة التي تصادفها (انظر شكل ١٨)

والجهاز الدمى في الجهة الوحشية للحجاج ويفرز الدمع منعا لجفاف الملتحمة (انظر شكل ١٨)



(شكل ١٨ - رسم قطاع من مقلة العين)

والعين مكونة على التوالي من الطبقات الآتية وهي (الصلبة والقرنية والمشيحية والشبكية) والعين مملوءة بالرطوبة المائية والجسم الزجاجي والبلورية وتجويفها تنقسم بالقزحية الى قسمين وهي ستار قابل للانقباض والانبساط ومثقوبة في وسطها بالحدقة التي وظيفتها تنظيم كمية الضوء الداخل في العين . وتوجد القزحية عند ملتقى الصلبة بالقرنية ووظيفتها إعداد العين للرؤية وهي تؤثر في تحديد البلورية بانقباضها وانبساطها فتري الاشياء على أبعاد مختلفة وفي الشبكية ينتهي العصب البصرى (انظر شكل ١٨) . إن شرح العين والأذن في ﴿آل عمران﴾ أوسع جدا

والعين تماثل صندوق التصوير الشمسى فأشعة الشئ المرئى تمر بالقرنية والبلورية والرطوبة المائية والجسم الزجاجي فتنتطب صورته معكوسة على الشبكية التي تشبه زجاجة التصوير فينقل العصب البصرى هذه الصورة المعكوسة الشكل الى المخ فيردّها هذا الى العين غير معكوسة فنشعر برؤية الشئ ونحكم على شكله ولونه وحجمه

- أرقام شكل ١٧ - (١) الأذن الظاهرة (صوان الأذن) (٢) قناة السمع الظاهرة (٣) طبلة الأذن (٤) صندوق الطبلة (٥) قناة استاك بوس (٦) المطرقة (٧) السندان (٨) الركاب (٩) التيه (١٠) مدخل القوقعة (١١) القوقعة (١٢) القنوت النصف الهلالية (١٣) العصب السمى
- أرقام شكل ١٨ - (١) القرنية (٢) الصلبة (٣) المشيحية (٤) القزحية (٥) الحدقة (٦) الشبكية (٧) العصب البصرى (٨) الشريان المركزى للشبكية (٩) قطاع العصب البصرى (١٠) البقعة الصفراء (١١) الخزانة المقدمة (١٢) الخزانة الخلفية (١٣) البلورية (١٤) العضلة الهدية (١٥) الجسم الزجاجى (١٦) العضلات المحركة للعين (١٧) الجفنان (١٨) الأهداب (١٩) الغدد الدمعية

﴿ القلب والأوعية الدموية وسير النورة فيها ﴾

القلب هو عضو عضلي لاحكم للإرادة عليه فينقبض وينبسط بنظام خاص وله أوعية خاصة وهو مخروطي الشكل ومغلف بغشاء وينقسم الى ﴿ أربعة تجاويف ﴾ العلوياين منها يسميان بالأذنين والسفليان يسميان بالبطينين . ففي الجهة اليمنى أذين وبطين وفي اليسرى مثلهما ولا تتصل تجاويف جهة بالجهة الأخرى بل يفصل الجهة اليمنى عن اليسرى حاجز عضلي . ولكل بطين فتحة لها صمام يسمح بمرور الدم من الأذين للبطين لا العكس ويذهب الدم الى أجزاء الجسم من البطين بواسطة عروق تسمى بالشرايين

﴿ الدورة الدموية ﴾

يمرّ الدم مرتين في القلب ليم دورته . ففي المرة الأولى يذهب من البطين الأيسر الى جميع أجزاء الجسم ثم يعود الى البطين الأيمن وهذه تسمى بالدورة الكبرى . وفي الثانية يذهب من هذا البطين الى الرئتين ثم يعود الى البطين الأيسر وهذه تسمى بالدورة الصغرى (انظر شكل ١٩)



فتبتدئ الدورة بمرور الدم من البطين الأيسر الى أكبر شريان (الأورطي) ثم الى (شكل ١٩)

فروعها الكبيرة فالصغيرة فالشعرية التي هي أدق أوعية الجسم ووظيفتها تغذية خلايا الجسم وأنسجته ثم يرجع الدم بعد تغذيتها الى القلب بواسطة الأوردة الصغيرة التي تصب في وريدين كبيرين يسميان بالوريدين الاجوفين (السفلى والعلوى) وهذان يصبان في الأذنين الأيمن حيث يمرّ الدم منه الى البطين الأيمن ثم منه الى الرئة وذلك بمروره في الشريان الرئوي وفروعه ثم يصل بعد انصلاحه بواسطة الهواء الى الوريد الرئوي ومنه الى الأذنين الأيسر أعني حيث تبتدئ الدورة . وهناك فرع آخر للدورة يسمى بالدورة الكبدية وهي أن الدم بعد مروره بفروع الأورطي البطني لتغذية الأعضاء يجتمع في أوعية وريدية تصب في وريد أغلظ ولكن بعض الأوردة الآتية من المعدة والأمعاء والطحال والبنكرياس تجتمع وتصب في وريد واحد يسمى بالوريد الباب الذي يذهب الى الكبد ويتفرّع فيها الى أوعية شعرية وهي التي يتكوّن من اتحادها بأوعية الكبد الاصلية الوريد الكبدى الذي يصب في الوريد الاجوف السفلى ﴿ كرات الدم في الأوعية أى العروق ﴾

الدم مكون من سائل شفاف مصلى يسمى (بالبلازما) سائح فيه كرات صغيرة تسمى



بالكرات الدموية وهي (نوعان) حراء وبيضاء . وعدد الحراء خمسة ملايين عادة في المليمتر المكعب من الدم والبيضاء من خمسة الى ثمانية آلاف والحراء تحتوى على الأكسي هيموجلوبين الذي يحتوى على الاوكسيجين . والبيضاء أكبر بكثير من الحراء ولها أشكال

(شكل ٢٠)

مختلفة (انظر شكل ٢٠)

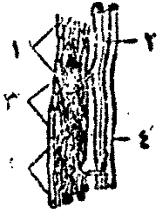
والدم اذا سال خارج الجسم يتجمد ويكون جلطا دموية مركبة من الكرات الحراء والبيضاء في شبكة من ليفية الدم وهذه الجلط مغمورة في سائل شفاف يسمى بصل الدم

أرقام شكل ١٩ - (١) الأذنين الأيسر (٢) البطين الأيسر (٣) الأذنين الأيمن (٤) البطين الأيمن (٥) الابهر أو الأورطي (٦) فروع من الأورطي (٧) الأوعية الشعرية (٨) أوعية شعرية موصلة للأوردة (٩) وريد (١٠) الرئتين (١١) الأوعية الشعرية الرئوية (١٢) الوريد الرئوي (١٣) الشريان الرئوي (١٤) الشريان الكبدى (١٥) الكبد (١٦) الوريد الكبدى (١٧) القناة الهضمية (١٨) و (١٩) القناة الصدرية (٢٠) الأوعية اللمفاوية

أرقام شكل ٢٠ - (١) جدر الشريان (٢) الكرات الدموية الحراء (٣) الكرات الدموية البيضاء

(الشرايين)

(الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية)



شكل ٢١

الأوعية هي التي تحمل الدم وهي على (ثلاثة أنواع) الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة فالشرايين أنابيب مرنة تنقبض وتنبسط بمرور الدم فيها وبذلك يحدث النبض وتنقسم الشرايين الى شرايين شعرية دقيقة تغذي الجسم بماحتوته من الدم الأحمر وهذا الدم يتحول بعد الغذاء الى دم أسود اللون يتجمع فيما يسمى (بالأوردة الشعرية) ويمرّ منها الى أوردة كبيرة . ولهذا الأوردة الأخيرة صمامات تمنع رجوع الدم الى الوراء (انظر شكل ٢١)

(بيان السمع والبصر والفؤاد بالقول بعد ظهور رسمها بالمصور الشمسي الذي ظهر في قوله تعالى

- سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله

سيركم آياته فتعرفونها - وأن هذه الصور المرسومة هي مصداق هذه الآيات)

اعلم أن الفؤاد هو القلب والقلب يطلق على اللحم الصنوبري المرسوم هنا الموضحة أجزاءه المنظم . وفي الانسان قوة عظيمة فمن حيث تصرفها للبدن تسمى روحا . ومن حيث انها تشتهي تسمى نفسا . ومن حيث انها تدرك المعاني يقال لها عقل . ومن حيث انها تسرى في بخار الدم السارى في الجسم الذي ينظمه ذلك اللحم الصنوبري الشكل يقال له قلب . والفؤاد هنا يراد به العقل . ولما كانت هذه المعاني لها به ارتباط وجب أن أوضح هذا القلب المرسوم أمامك لتعجب من الحكمة والعلم وتدرك من البهجة والبهاء والحسن والاشراق والجمال ما يبهر العقول ويسر أولى الألباب . حدثني الحارث بن همام قال أخذتني سنة من النوم أو كأنني بين اليقظة والنمام اذا أمأى أرض قفراء واسعة الأطراف مترامية الأكناف لا أنيس بها ولا جليس حتى اليعاقير وحتى العيس . فأخذت أتأمل أكنافها وأسرح طرفي في أرجائها وأقول ما الحكمة في هذا الخلاء وما المقصد من هذه الأرض القفراء فلاجال ولا كمال ولا حسن ولا بهاء ولا شجرة خضراء ولا معالم بها يهتدى السائرون ولا مظال يستظل بها الغادون والرائحون . وبينما أنا على هذه الحال إذ رأيت شجرا ظهر كأنه بخار ثم أخذ يلتئم شيئا فشيئا حتى استقام بشرا سويا ورأيت معه بذورا عجبية مختلفة الألوان والاقطار والصفات قد مزجها بماء وهواء وأنواع من الأرض وسحقها كلها سحقا تاما ثم صارت كهيئة اللبن ثم أخذ ينثر هذه القطرات في تلك الأرض القفراء . فأولا نثر قطرة ثم اثنتين ثم أربعة ثم ثمانية ثم ١٦ ثم ٣٢ وهكذا الى أن وصل عشرات الالوف ومئات الالوف وآلاف الالوف . فما كان إلا كلعج البصر أو هو أقرب حتى رأيت الأرض القفراء مجللة بتلك القطرات ولكن وجدتها أخذت تتكاثف بهيئات مختلفة . وعجبت كل العجب إذ رأيت ما لا يصفه الواصفون ولا يدركه العاقلون . ذاك أني رأيت هذه الأرض صارت حقولا وحدائق وجنات ورياضا وهذه الحقول قسمت أصنافا وأنواعا . فمنها حقول القمح وحقول الفول والبرسيم وأنواع الخضر . ومنها ما رأيت حداثق غناء ثم الحداثق الغناء رأيتها أسرع من ملح البصر قد قسمت أصنافا وأنواعا . فمنها ما صفت فيها أشجار الفاكهة الزيتية والفاكهة السكرية والفاكهة العطرية والفاكهة الحمضية والفاكهة النشوية والفاكهة المائية كالزيتون والتمر والتفاح والليمون والبرتقال والكمثرى والبطيخ والشمام . ومن عجب أنها صفوف و صفوف منتظمة لا خطأ فيها ولا خلل . ووجدت الحديقة قد صفت بلنخل للباسقات المصفوفات حولها وقد هبت النسبات وفاءت الأفياء . فصرت أعجب وأقول هذه أرض قفراء وهذا الرجل كان معه حبوب ومواد مائة وأرضية وهوائية فزجها وأخذ يرميها على قاعدة الحساب (التوالي

(١) أوعية شعرية شريانية (٢) شريان متفرع الى أوعية شعرية شريانية

(٣) أوعية شعرية وريدية متصلة لتكوين وريد (٤) وريد صغير

الهندسية) فما للحساب وما لهذا النظام وما الذي جعل كل طائفة في موضعها . ثم نظرت فوجدت أنواع الرياحين قد صفت لها دوائر (اهليلجية) كدوائر الكواكب الجاربات حول الشمس فحجبت إذ أرى الدائرة ترسم أمامي شيئا فشيئا ولا رسم لها . فأنا أرى الرسم ولا أرى راسه فيأليت أرضنا على هذا المنوال تنظم وتزرع بساينها وتنظم حقولها وحدائقها ونحن نجنيها بلا تعب ولا نصب . ثم نظرت فوجدت هذه الرياض نبئت فيها الرياحين مختلفة الألوان (أحمر وأصفر وأزرق وياقوتيا وألماسيا) وأنا في غاية العجب من أن كل روضة من الرياض مختصة بنوع لا يختلط بسواه . ثم قلت في نفسي من أين تسقى هذه الحقول وهذه الحدائق الغناء فنظرت إذا آلة بخارية كبيرة منظمة امتدت أنابيبها في كل حقل وفي كل حديقة وفي كل روضة وتلك الأنابيب كلها ترجع إلى أنبوبتين عظيمتين ممتدتين من تلك الآلة البخارية وجهازها العظيم المنظم البديع وهذه الأنابيب كلما طال امتدادها دقت وركت حتى صارت كالشعرات عند أطراف الحدائق والبساتين والروضات ثم نظرت إذا قصور شامخات بديعات مزينات بأجل الصور وفيها المناظر المعظمت وأدوات السمع وهي المسرات المسميات (التلفون) فأخذتني العجب كل مأخذ وقلت أنا في يقظة أم في منام لعلني نائم ولعل هذه أضغاث أحلام . فبينما أنا على هذه الحال إذ تبدي أمامي ذلك الذي كان أولا قد بذرتك القطرات في الأرض القفراء وهو جيل الحميا بهج الطلعة حسن الشكل معتدل القوام باسم الثغر ظريف الشمائل حكيم عليم فسلم عليّ وحياتي وأخذ يجاذبني أطراف الحديث من قديم وحديث . ولما أيقن اني استأنست بمرآه أخذ يسألني عما يدور بخلدني وما حارفي له فقلت له هذه حدائق وهذه بساتين لازراعها ولا منظم فكيف رأيت فيها ما لآتراه العيون ولا تخيله الظنون . فقال اسمع يا صاح وبلغ الناس عني . اعلم أن هذه حال تمثل خلق جسم الانسان . فالقطرات التي رमित بها في الأرض القفراء منظمة العدد على مقتضى (المتواليه الهندسية ٢ و ٤ و ٨ و ١٦ و ٣٢) وهكذا فهي بيضة الجنين في الرحم تنقسم على هذا المنوال وفي أثناء ذلك يمتد الدم الجارى إلى الرحم من جسم الأم . فالدم يمتد البيضات والبيضات تنقسم على هذا المنوال ثم هذه الخلايا المتكاثرة تنضم كل جماعة منها من طبع واحد وتعد بنظام غائب عنكم لا تعرفونه . فمنها ما يصير عظاما . ومنها ما يصير عضلات . ومنها ما يصير عروقا . ومنها ما يصير عضلا وهكذا ، ثم اعلم أن الأجسام على (ثلاثة أقسام) مضيئة كالشمس والكواكب والنار والكهرباء في حال خاصة . ومعتمة كالأجسام الحجرية والطينية . ومنها شفاقة كالهواء وكالماء وكالزجاج . وهذه الأجزاء كلها داخله في الغذاء مع الدم السارى في جسم الانسان وأيضا المادة إما غازية كالهواء وأما صلبة كاللجر وأما سائلة كالماء وهذه الأنواع كلها يحتوى عليها الدم . وإنما اشتمل الدم على هذا كله لتستمد منه الأعضاء المختلفة ما يصلح لها . إنك لما نظرت البساتين والحقول والرياض تنظم بلا عمل تمنيت أن لو كانت هذه حالكم على وجه الأرض فاعلم أن هذا الإحكام وهذا النظام الجليل الذي رأيته يعقل به (أمران الأول) تمثيل لما يقع عندكم في كل حين . فإمن نبات أو حيوان أو إنسان إلا وهذه حاله من نظام سريع وشكل بديع منظم ولا يعمل لكم فيه (الأمر الثاني) ان الله لوجعل هذه حال مزارعكم أتم وصناعاتكم لأورث خلافا في نظامكم ولأصبحتم دودا أو حشرات لانكم لا تعمل لكم ولا عقول . وهل تخلق العقول إلا للفكر أو الأيدي إلا للعمل أو الأعين إلا للبصر . فإذا كان كل شئ حاضرا عندكم فما الداعي إذن لأسماعكم وأبصاركم . الأسماع والأبصار والعقول إنما خلقت لكم لتشكروا الله بها ولا معنى للشكر إلا صرف هذه الأعضاء والجوارح فيما خلقت له . فإذا زرع الله لكم نخيلكم وبساتينكم وقطنكم وقمحكم وشعيركم وفصل في حقولكم وجناتكم ما فعله في داخل أجسامكم من خلق الأعضاء وترتيبها ونظامها بلا عمل منكم ولا علم فعناه انه أهملكم أهمالا كليا وقطع عنكم مدده . قال الحرث بن همام . هل لهذا ما يستأنس به من القرآن . قال نعم . انظر إلى أهل مكة طلبوا من النبي ﷺ أن يفجر لهم من الأرض

ينبوعا أو تكون له جنة من نخيل وعنب فيفجر إلا أنها خلها تفجيرا أو يكون له - بيت من زخرف -
 أويرق في السماء وهكذا فقال لهم هل كنت أنا - إلا بشرا رسولا - فما هو إلا رسول لأم تعلم وتعمل لا
 أنها يؤتى لها بالقرات بلا عمل . قال الحرث بن همام . فلما سمعت ذلك منه . قلت له فماذا تقصد من
 هذه الروضات والحلائق المختلفات . فقال الأعضاء المختلفات في الجسم . فقلت له وماذا تقصد (بالمسرة)
 التلفون أى آلة السمع وماذا تقصد بالمناظير المعظمة وماذا تقصد بهذه الأنابيب الممتدة . فقال هذا هو
 تفسير آية - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - . ألا ترى أن الأذن في الرسم
 الذى أمامك عبارة عن عظمت صلبة متينة قوية وضعت وراء طبلة والطبلة أمامها فتحة والفتحة اتهمت بالأذن
 البارزة خارجا . وهذه العظمت المسميات بالمطرقة والسندان والركاب لها رنين خفي وهذا الرنين ينتقل الى
 ما وراءها ويصل الى الدماغ فيعلم ما يقال له . فلماذا وضعت هذه العظمت في هذا المكان . ولماذا اتجهت الى
 جهتي الرأس . ولماذا جعلت بنظام وحساب بحيث لو صغرت أو كبرت أولم تكن في موضعها أو زحزحت قيد
 شعرة واحدة لم يمكن السمع . فهذا هو معنى المثل الذى مثل به آلة السمع . وأما المناظير المعظمة في القصر
 فلم أرد بها إلا أن أمثل لك البصر . ذكرت لك أن المواد منها الجامدة ومنها السائلة الخ ومنها الشفافة وهكذا
 أليس من العجب اننا رأينا البيضة في رحم المرأة أخذت تنقسم على طريق المتوالي الهندسية وفي الوقت
 نفسه حصل حساب ونظام في الوضع . الشمس والقمر مضيئات أشرق منها النور على الجو ووصل الى الانسان
 فكانت طبقات العين المنظمات البديعات الجيلات شفافات كما ان الهواء شفاف . فما هذا الحساب الذى
 خص حجاج العين بتلك المواد الشفافة . ولم جعل الشفاف في موضع العين وجعل الصلب في موضع الأذن .
 هذا يوجب الشكر ولن يكون الشكر إلا بالمعرفة لأن من لا يعرف حق النعمة لا يشكرها ولا يحب المحسن لأن
 المحسن لا يشكر إلا اذا عرف قدر احسانه وهل يعرف إحسانه إلا بالدراسة . هذا هو السبب في قوله تعالى
 - قليلا ما تشكرون -

ثم قال الطيف للحرث بن همام وأما الذى أقصده بالأنابيب الممتدة في الحديقة فهو القلب الذى رسم أمامك
 فانك تراه مقسما أربع أقسام فالبطين الأيسر الذى أمامك في الرسم قد خرج منه (الأورطى) وقد تفرع فرعين
 والفرعان تفرعا فروعا كثيرة ولما تغذى الجسم بالدم رجع ثانيا بواسطة الأوردة الى القلب الى آخر ما هو
 مشروح فأقرأه . ثم قال هذا الطيف للحرث بن همام . انظر هذه الاعضاء الثلاثة (السمع والبصر والقلب)
 واعجب من تركيبها المنظم وعملها المتقن . فالقلب جعلت بنيته بأجهزة تقبل التمدد قوية متينة مناسبة لعملها
 والأذن جعلت أجهزتها تناسب الصوت والعين أجهزتها تناسب الهواء الشفاف . فهل يعرف ذلك من الناس
 إلا قليل . هذا معنى - قليلا ما تشكرون -

قال فقلت للطيف . هل الجهل بهذا يضر المسلمين في حياتهم الدنيا أم الضرر اللاحق بهم يرجع الى
 جهلهم بنعم ربهم . قال الضرر اللاحق بالمسلمين يرجع لهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة معا . فأما
 الضرر الآخوى فان الرجل القادر على فهم علم التشريح مثلا وقد غفل عنه وتركه هو وأمثاله من عجائب
 صنع الله فهذا قد أعرض عن آيات الله والمعرض عن آيات الله مقصر فكان خيرا له أن يلا قلبه حكمة وعلمنا
 وأيضا هذه علوم من فروض الكفايات والأمة كلها تعذب بترك فروض الكفايات . فقلت للطيف فاذكر
 لى مثلا مما أضر المسلمين بسبب جهل هذه العلوم حتى يظهر معنى - قليلا ما تشكرون - واذن تكون قلة
 الشكر صارت سببا في العذاب في الدنيا . قال ان الدنيا كلها اليوم قد عمها العلم والمسلمون نائمون وأضرب
 لك مثلا فأقول إن الناس قد أظهروا علوم جسم الانسان بطريق الصور المتحركة (السينما) فالسينما الآن قد
 أظهرت أحوال الانسان وأعضائه الظاهرة والباطنة . ولقد ظهر للعيان الآن في الشرق والغرب كيف يربى

الجنين في بطن أمه . أما مثلت لك ذلك مثالا بالحدائق والجنات ولكن الناس الآن أصبحوا يرون نمو الطفل في بطن أمه وتدرجه وكيف تكون البيضة في الرحم واحدة فتنقسم اثنتين وتضاعف ولا يزال نمو حتى تتم أعضاؤه . كل ذلك يرونه بالصورة المتحركة في بضع دقائق ويكمل الجنين . وفوق ذلك يرون بتلك الصور نمو الأمراض كالزهري . ألم تر أنك أنت في ليلة الجمعة ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٨ قد شاهدت بنفسك تكوين الجنين وكيف تنمو حيوانات المرض المسمى بالزهري وكيف يلتهب الجسم مرضا ويمتلئ حبوبا وقروحا ويسود الجلد وتتناثر الأعضاء . وهذه الحشرات المتكاثرات تنمو كما ينمو الجنين ويظهر في الرجل وفي المرأة وفي طفلها الذي تربى في رحم المرأة المريضة بهذا الداء . وقد يولد الطفل أعرج الوجه والجسم . كل ذلك أنت شاهدته وهذه المشاهدة أبلغ من المثل الذي ضربته لك وإنما أبنت لك هذا لتعلم أن الله عز وجل لم يكن غافلا عن الخلق لأنه خلق الأعضاء والسمع والبصر والجسم للنافع . فإذا صرف الانسان قواه للشهوات التي جعلت مقدمة للنافع وغفل عن المقاصد شوه الله هذه الأعضاء وجعل الذنب على قدر المرض - جزاء وفاقا - فقلت للطف مامعنى هذا . فقال معنى هذا أن الشهوة البهيمية في الانسان تأخذ بمجامع قلبه وهي الله شئ عنده وهي لم تجعل فيه إلا لأجل الذرية . فإذا جعلها مقصودة لذاتها سلط عليه أمراض الزهري وغيرها فشوهت نفس الأعضاء وجعلته منبوذا محقورا فهو قصد أن يكون دائما فاسقا معتزا بصولة قوته وجاله فقال له - كلا . أعضاؤك أشوهها وجالك أذهب - وأجعلك بهيمة منفرة بحيث إذا قرب منك أحد يقول له الناس (لامساس) لأنهم إذا مسوك أصيبوا بمرضك كالسامري الذي عبد الجهل . فهذا الذي عبد شهوته أصيب بالحقارة فهو يريد الشهوة والتمتع لذاتهما والشهوة البهيمية مع النساء فقيل له كل من قرب منك يصاب بمرضك فاعتزل فأنت محقور منبوذ . هذا في عذاب الفرد من نوع الانسان على ترك الشكر وقلته في قوله تعالى هنا - قليلا ماتشكرون - . أما عذاب الأمة فهناك مثلا لذلك . أما قرأت ماجاء في خطبة (السرمصونيل هور) في الجمعية الجغرافية الملكية المذكور في التفرافات العامة الواردة الى مصر بتاريخ (٢٦) أكتوبر سنة ١٩٢٨ إذ قال ما يأتي

د إن اختراع الطيران أوجد مشكلة خطيرة في الامبراطورية البريطانية فقد دخلنا الحرب العظمى كدولة تقطن في جزيرة آمنة من المهاجة وبخرجنا من تلك الحرب ظافرين ولكن باتت عاصمتنا بسبب اختراع الطيران مستهدفة للمهاجة من الخارج أكثر من أية عاصمة أخرى من عواصم غربي أوروبا وقد اضطررنا وسنظل مضطرين سنة فسنة الى بذل مجهوداتنا العقلية وأمرنا لانشاء قوات جوية كافية لصد هجمات أي عدو يخطر له أن يغير على بلادنا . ويسرني بأن أقول اننا قبل خمس سنوات لم يكن لدينا من قوات الطيران للدفاع عن البلاد ما يستحق الذكر . أما الآن فلدينا ثلاثون سربرا من طائرات الدفاع وهي التي أنجزت حتى الآن من الاتنين والتمسين سربرا التي تقرر انشاؤها . نعم إن الطيران قد أضاف عبئا جديدا على عاتق دافعي الضرائب البريطانيين وبأبى للنفقة على التسليح في العصر الذي كنا نود فيه تخفيف أعباء التسليح . في جميع العالم فكيف يقضى لنا أن ننال فائدة من الطيران لقاء هذه النفقات الجديدة . وقد دلتني اختبار خمس سنين قضيتها في هذه الوزارة على أن الطريقة الوحيدة التي يقضى بها تعويض هذه النفقات هي استخدام قوات الطيران استخداما يؤدي الى الاقتصاد في نفقات الدفاع عن الامبراطورية وتحسين المواصلات والموارد في أجزائها المتفرقة . وقد تبين لنا أن هناك مناطق معاومة للدفاع الامبراطوري يقضى للطائرات أن تقوم فيها . قلم القوات الحربية القديمة لأن تكون اضافية اليها . وأهم شاهد على صحة هذه السياسة هو (العراق) حيث استطعنا أن نخفض قوات الحماية التي كانت في سنة ١٩٢١ ثلاثة وثلاثين أوطية من جنود الامبراطورية تكلفنا أكثر من عشرين مليونا من الجنيهات سنويا الى خمسة أسراب من سلاح الطيران الملكي ولم يبق ولا

أورطة واحدة من الجيش الامبراطوري لمساعدة قوات الطيران وكل ما ينفق الآن دلي هذه الاسراب هودون مليوني جنيه في العلم . وسرب واحد من الطيارات كان كافيا لارغام امام اليمن الذي ظل عدة سنين يهاجم (عدن) على الاقلاع عنها واطلق سراح بعض مشايخ مصادقين لبريطانيا كان قد اختطفهم . وكذلك كان للطيران فضل عظيم في تهدئة رجال اليمن في بلاد (الصومال) وعلى حدود الهند الغربية وكانت أعمالها خالية من القتل وسفك الدماء تقريبا في كلا الجانبين . وقد أخضعت الطيارات عدة قبائل كان اخضاعها قبل اختراع الطيران مستحيلا . اه

هذه هي خطبة (السرصموثيل هور) . أفلمت ترى أن المسلمين الآن في (العراق) و (اليمن) هم محل التجربة والقتل . أليس هذا الذل الذي حل بالمسلمين لجهلهم نعم هذه الدنيا وعلومها والأمم كلها اغترفت من نعم الله وهم لم يعترفوا . أليس هذا تفسيراً لقوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يتذكر أولو الألباب - فهل يسوى الله بين من علموا علم الطيران في الجوق ومن جهلوه . ألم يكن هذا العذاب الذي حل بالمسلمين الذين ضرب بهم المثل (السرصموثيل) كالعنكب الذي حل بالرجل والمرأة اللذين أصابهما داء الزهري فشوه جسدتهما وأعمى أولادهما . أأنت ترى أن هذا الجيل من أمة الاسلام اذا لم يتعلم فترك ذريته جهلاء فأصابتهم نار الطيارات كما أصابت اليمن يكون هذا الجيل أشبه بالرجل المشوه الجسم بالزهري الذي خلف ذرية أصيبت مثله بالزهري لأن الأب والأم لما جهلا نعمة الصحة والحيلة وصرفاهما في لذاتهما وفسوقهما عاقبهما الله ونقل المرض الى نسلهما كما قال تعالى في قوم نوح - ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا - فهكذا هذا الجيل من الأمم الاسلامية اذا فرط في معرفة العلوم فلم يدرس جمال الله وحكمته فان عدوى الجهالة تنتقل الى ذريته حالا ويكون الأبناء كالأباء جهالة . إذن لافرق بين الرجل المصاب بالزهري مع ذريته الذين يصابون بمرضه وبين الجيل الجاهل الذي يجهل نعمة الله ولا يدركها ولا ينتفع بها فيورث الاجيال الآتية جهالته ويكون مثلاً للشروسوء الملكة والجهل العظيم . قال الحارث بن همام فقلت للطف إن هذا التشبيه قاس شديد الوقع . فقلك هذا حق والحق أحق أن يتبع . إن العرب القدماء هم الذين عمموا العلم في العالم وهم آباء أهل اليمن والحجاز والعراق ومصر وسكان شمال أفريقيا والسودان والصحراء الكبرى . فآباء هؤلاء هم الذين نقل عنهم العلم أهل أوروبا فقد استفاد اللاتينيون المعلومات من العرب أي آباء هؤلاء الذين يضربون بالطيارات

- (١) فان (جوربت) الذي كان بإارومة الملقب (بساوتر الثاني) أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ ميلادية عند الفريج العلوم الرياضية التي كسبها من عرب اسبانيا
- (٢) واهيلارد الانكليزي ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٣٠ ميلادية في كل من اسبانيا ووادي مصر وترجم مبادئ اقليدس من العربية بعد أن ترجمها العرب من اليونانية
- (٣) وترجم افلاطون المنسوب (لطيفوليا) وهي مدينة قرب (روسيا) من العربية الرياضيات الكروية المنسوبة الى (تيودوز) كما ان الاستاذ (رودلف) أحد أهالي (بروجس البلجيكية) ترجم مسائل بطليموس للتعلمة بالكرة الأرضية والسموية مبسوطاً على خريطة وهكذا الخ (انظر ما تقدم في سورة ابراهيم فهذا المقام هناك واضح)

ثم قال الطيف . فهؤلاء الانجليز لم يتعلموا الهندسة إلا في القرن الثاني عشر من أهل مصر والاندلس فليس بدعا اذا جازا في القرن العشرين أي بعد تعلمهم بنحو تسع قرون وضربوا أبناء أساتذتهم في العراق واليمن وغيرهما بالطيارات فان الله خلق الناس كلهم جسما واحداً كجسم الانسان . والانسان رأيناه اذا أهمل أعضائه وفرط فيها وشغلها باللذات عاقبه بادخال حيوانات تشوه خلقته وتجعله ذليلاً محقورا . فهل يكون بدعا

إذا سلط هؤلاء الفرنجة على المسلمين لما أصبحوا جاهلين بنم الله وبالعلوم . ويكون مثل القنابل الملقاة من الطائرات على أولئك العرب الأمنين أشبه بحيوانات المرض الزهري التي تنتشر في الجسم بعد انهماكه في الشهوات . فهنالك العرب وأبناء الاسلام العلوم النافعة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تركوا مواهب العقول ومواهب النعم في هذا العالم فسلطت عليهم الطائرات . ولاجرم أن العقل أرقى من عضواتنا . فعضواتنا لما فسق أصيب نفس العضو بمرض الزهري فابتعد الناس عنه ولكن العقل الذي هو أرقى وأعظم لما عطله المسلم فلم يشغله بالعلوم كان العقاب أشد فبدل أن يكون المرض بثورا وقروحا أصبح المرض نارا تنزل من الطائرات تهلك الحرث والنسل - جزاء وفاقا - لما كانوا يجهلون . فعقاب الله الناس على ترك عقولهم بالمهلكات لمدينتهم وأجسامهم أشد من عقابه لهم بالزهري على استعمال أعضاء تناسلهم في غير ما وضعت له . ولما كان العقل يم أئمه البلاد والعباد كان العقاب المرتب على اغفاله يم البلاد والعباد . ولما كانت أعضاء التناسل جعلت للذرية وقد استعملت في اللذات لذاتها شوّهت أجسام الآباء وأجسام الأبناء - جزاء وفاقا - إنا كل شيء خلقناه بقدر - هذا بعض سر قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

﴿ تذكرتان * التذكرة الأولى ﴾

اعلم أنه لافرق بين تلك النيران المقدوفة من طائرات الانجليز على اليمن والعراق وغيرها وبين تلك الحيوانات النورية (المكروبات) في داء الزهري الذي يعيش في أجسام أرباب الشهوات المقيح لأجسامهم ولكل من يصاحبهم ويلامسهم . فأهل أوروبا الذين تعلموا من آباءنا العرب كما قدمناه هنا هم هم أنفسهم يقذفون النار على اخواتنا وعلينا من طياراتهم . فكما حذقوا بعلم العرب القدماء تغذت الحيوانات النورية من دم الفساق في الداء الزهري . وكما ان هؤلاء الاوروريين المتعلمين عن آباءنا قذفونا بالنار احتقارا لشأننا فشوهوا الأجسام وأهلكوا الحرث والنسل وهدموا الدور والقصور . هكذا نرى تلك الحيوانات الذرية في داء الزهري شوّهت محاسن أولئك الفساق . فحيوانات الزهري من أجسامهم تغذت ولباطهم قبضت ولأعضاء تناسلهم مزقت ومحاسن وجوههم شوّهت كذلك هؤلاء الاوروريون لعلوم آباءنا نقلوا ولأجسام أبنائهم شوّهوا ولصورهم خربوا . وكما أن الفساق لما عطوا مواهبهم وأناموا قواهم وعكفوا على عبادة شهواتهم وتركوا نعم الله في سمائه وأرضه أصابهم بحيوان يخنقه في أجسامهم ويغذيه من لحمهم ويسقيه من دماهم ويقول لهم أيها الناس خير لكم أن تكونوا مرعى لأسفل الحيوان وما كلالأدنى المخلوقات . كنت اصطفتكم لعبادتي وخلقتمكم وأعددتكم لأدراك نظامي فقمدمتكم عن المعالي فأنزلكم الى أسفل سافلين - جزاء وفاقا - فالغنى بالفرم والجزاء على مقدار الذنب . هكذا أنتم أيها المسلمون قلت لكم - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأرسلت لكم خير الأنبياء وهو آخرهم وفتحت لكم البلاد ففغلتكم عن العلوم وجهتم المنطوق والمفهوم ولم تعقلوا ما بأرضكم من كنوز ولا بما في سماتكم من جمال ولا بما لديكم من نبات وجاد وحيوان فضضت عليكم غضبة لن أرجع عنها إلا بابقاظكم فأرسلت لكم أمما تعلمت علوم آباءكم وقلت لها خرتي دورهم وهدي مساكنتهم وشوّهى محاسنهم حتى يستيقظوا ويدرسوا . فوعزتي وجلالي لا يسكن أرضي بعد اليوم بعزة إلا المفكرون ولا يعيش فيها بهناء إلا العاقلون - ولتعلمن نبأه بعد حين -

﴿ فصل ﴾

ألم يعلم أبناء العرب خصوصا والمسلمون عموما أن بلاد العراق وبلاد اليمن كانت لهما مدينة عظيمة وكان في الأولى مدينة الآشوريين والبابليين ذوى العلم والحكمة والملك العظيم أيام الجاهلية . وكان في أيام الاسلام لهم ملك دولة العباسيين تلك الدولة التي ملكت أعظم الممالك فكان له ملك في آسيا وأفريقيا وأوروبا وهي التي دوخت أمما وأزال عروشها . وكان للثانية وهي اليمن في الجاهلية عرش عظيم وذكرت لها سورة في

القرآن سميت باسم (سبأ) فيها سد العرم وفيها بلدة طيبة ولها رب غفور . فهاتان الأمتان العراقية واليمينية هذه سيرتهما وعمالكهما فهل يفعل الله بهما ذلك في الاسلام ويقاب لها ظهر المجن إلا لما اتصف به رجال الأمتين هم وأكثر المسلمين من الجهل والاعراض عن آيات الله وشوّهت محاسن دورهم وقصورهم وقتلت رجالهم بالطائرات كما شوّهت أجسام الفساق بمرض الزهري . اللهم إنك أنت المعلم والمعلم الحكيم العليم . لك الحمد على نعمة العلم . شوّهت محاسن الفساق بمرض الزهري ومحاسن هذه الأمم الاسلامية بالمقذوفات من الطائرات لأن القبيلين غفلا عن نعم الله في أنفسهما فعوقبا ولكن الله رحمة عامة على الأمم وعلى الأفراد . اللهم إنك رحيم وانك حكيم . أنت القائل في كتابك - ولاتكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون - . إن فسوق الأفراد بالشهوات البهيمية عقابه الزهري وفسوق الأمم بالغباوة عقابه المدافع والطائرات . وأنت قلت في الكتاب بعد تلك الآيات - اعلّموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها - مريدا بذلك فتح الباب للغفرة والرحمة الشاملة للأمم وللأفراد . أما رجحتك يا الله للفساق من الأفراد فهي ظاهرة واضحة اليوم فان طبيبا أوروبا كان له تلميذ ياباني في زماننا قد عملا تجارب بلغت (٦٠٦) وهذه التجارب جعلوها عقاقير وأدوية ركبوها وأخذوا يجرّبونها واحدا بعد الآخر لشفاء مرض الزهري فلم يتهيا لها ذلك إلا بعد (٦٠٦) تجربة . فأطلقوا على الدواء ذلك الاسم وشفي به قوم ولم يشف آخرون . فهل هناك دواء للأمم الاسلامية التي حادت عن جادة الصراط المستقيم كدواء (٦٠٦) الحمد لله نعم واعلّم هذا التفسير وأمثاله الذي هو مزيج مركب من علوم قديمة شرقية ومن علوم أوروبا وعصرية مع الآيات القرآنية هو وأمثاله دواء الأمم الاسلامية في هذه الأيام . فكما ركب دواء (٦٠٦) للزهري بمعرفة طبيب شرقي وطبيب غربي هكذا هنا صار الدواء مركبا من علوم شرقية وعلوم غربية وزاد دواؤنا الآيات القرآنية والله يقول - قل هول الذين آمنوا هدى وشفاء - ويقول - قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون -

﴿ التذكرة الثانية ﴾

لما اطلع على هذا بعض الأصدقاء من العلماء . قال ألا جل قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - . تكون هذه الانذارات للمسلمين بالزهري والطائرات . قلت نعم ألم يقل الله تعالى - وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون . فقال وهل المسلمون يجحدوا بآيات الله . قلت الاعراض عن النعم فيه معنى الجحود ومعنى الاستهزاء عملا . نعم لا مسلم في الأرض يجحد هذه النعم ولكنه من جهة أخرى أشبه بمن كفر النعمة ومن كفر النعمة لم يقبلها ومن لم يقبل النعمة لا يعقلها ومن لا يعقلها لا يشكرها وما الشكر إلا صرفها فيما خلقت له فاذا لم تصرف فيما خلقت له من العلوم والصناعات أذها الله وذلك قوله تعالى - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - واستأقصد أن هذا معنى الآية نصا بل أقصد انه يراد به الاعتبار وكأنه كناية والسكناية لفظ لا يمنع المعنى الأصلي ويقصد منه المعنى العارض . فقال هذا حسن

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق فمن ظلمت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾

ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون - مع قوله تعالى في سورة الأنبياء - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل

أئينا بها وكفى بنا حاسبين -

لما كتبت هذا العنوان حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير . فقال ماذا تريد أن

تكتب هنا بعد ما كتبت في سور كثيرة عجائب العدد والوزن والنظام الخ وهل هذا إلا تكرار . فقلت له

لا تعجل ولا تصمني أن أقول لك - إنك إن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا - قال
 يعقبا . أنا لم أسمع منك هذا الاقتباس إلا الآن . فعسى أن يكون هنا كزاعزعت عليه حتى اقتبست الآية من
 قصة موسى والخضر عليهما السلام . قلت نعم هنا كزالكوز وسر الأسرار وعلم الحكماء قد خبا . الله في
 هذا الزمان ليبرزه للأجيال المقبلة في هذه الآيات . علم نفيس شريف لم يظهره الله إلا للأمم الخالية تشريفا
 للأمم الإسلامية . ومتى لمطلع عليه أبناؤنا طاروا فرحا وشوقا إلى العلوم واستيقظوا من رقبتهم وقاموا من
 نومتهم وسيكون لقراء هذا التفسير نهضة لم ينلها قبلهم أحد من العالمين . فقال

أسرع برد جواب ما أنا باحث * عنه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت ألم تسمع قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - فلم ذكر الله لفظ الحق هنا . قال هذه
 عادة القرآن والله يسمى الحق وأعماله كلها حق . فهذه ليست تحتاج إلى علم ولا حكمة . فقلت هذه
 الإجابة منك تداني أنك تنظر لهذا القرآن وهذه الدنيا نظرة بغير عناية . إن لفظ الحق هنا له معنى لا يتم إلا
 بعالم كثيرة سأظهرها لك الآن . علم الله قبل أن ينزل القرآن أن بعض الناس لا يهتم بلفظة مثل هذه
 يجعلها أمرا عاديا . فأشار إلى دفع هذا بقوله بعد آيات - أغسبتم أنما خلقناكم عبثا - فعادة الناس أن
 يظنوا أن مثل هذه الكلمة جاءت عفوا لا معنى يخصها وهذا لعدم التدبر والفتنة كما لا يتدبر أكثر الناس في
 أعضائهم وحواسهم وتركيبها العجيب . فقال انها لفظة مفهومة بذاتها لا تحتاج إلى شرح . قلت لا وأزيدك
 على ذلك أن قوله تعالى بعد آيات - فتعالى الله الملك الحق - تعطي هذه الكلمة صبغة خاصة . ألا ترى رعاك
 الله انه كما إن الملك ﴿ قسمان ﴾ قسم هو حق لا يموت ولا يفوته شيء ولا ينازعه أحد . ولولده له يرثه ولا أخ ولا
 شريك ولا ضعف يعتريه . وقسم هو باطل لأنه يمرض ويموت ويشاركه سواء ويحاربه ويفلسه الغلبون
 ويعزلونه الخ . فهذه للمعاني وأمثالها تؤخذ من قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وانما تعالى لأن الملك
 الباطل وهم ملوك الأرض قاطبة لا يتعالون بل هم في الخيض . قال هذا حسن ثم ماذا . قلت اذا صح
 هذا في قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - فانه يصح نظيره في قوله - والوزن يومئذ الحق - فقال ان هذه
 الجملة حاصرة فكأن الدنيا لا وزن فيها بحق وليس هناك حق في الوزن إلا يوم القيامة . وهذا غير معقول فان
 في الدنيا من الوزن ما هو حق ومنه ما هو باطل فقياسك الحق الأول على الحق الثاني قياس مع الفارق . فقلت
 كلا . إن وزن الدنيا كله ليس محققا ولا وزن مع التحقيق إلا عند الله تعالى وهذا الحكم مستحيل أن يعرفه
 الناس إلا بعلم الفلك والطبيعة . فقال أريد أولا أن أعرف الوزن في هذه الحياة الدنيا ثم بعد ذلك أعرف
 كيف يكون غير حق بحيث يكون ذلك مبرهنا عليه فإنتي ماسمعت أن موازين الأمم كلها ناقصة غير تامة إلا
 منك . فقلت ﴿ الجواب عن الأول ﴾ اعلم أن أصل الموازين الجاذبية التي جعلها الله من صفات المادة كما
 قال تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - فهذا الامسك هو المسمى جاذبية فكل حجر أو شجر
 منجذب إلى الأرض ولولا تلك الجاذبية لأصبحنا جميعا بعيدا عن هذه الأرض وبهذه الجاذبية يكون

(١) الحجر ينزل من أعلى إلى أسفل بقانون فينزل في (باريس) في الثانية الأولى (٩ر) أربعة أمتار
 وتسعا من عشر أي وتسع ديسات . وفي مصر أقل ضرورة لقربها من خط الاستواء ولا يجوز التطويل في هذا
 لأنه مشروح شرحا تاما في أول سورة ﴿ آل عمران ﴾ فارجع إليه هناك

(٢) اذا كان جسمان خفيفان يقتربان من بعضهما على وجه الماء كالفلين مثلا فان المسافة اذا كانت
 بينهما مترا مثلا كانت السرعة بينهما أكثر منها والمسافة بينهما متران بمقدار أربعة أمتار أي على حسب عكس
 المربع إذ مربع المتر الواحد متر واحد واذا كان بينهما متران كانت السرعة بعكس المربع فأتطوى تربيع الثاني
 للأول وتربيع الأول للثاني وقيس عليه ما اذا كان بينهما ثلاثة أمتار وهكذا

(٣) البندول وهو عبارة عن خيط أو حبل أو معدن طويل في آخره قطعة من الرصاص أو غيره تعلق في مكان بشروط مخصوصة ويترك يذهب ويحىء من نفسه متذبذباً مضطرباً فان هذا له حركات منظمه في أوقات معينة

(أ) فاذا نظرنا الى بندولين يتحركان في مكان واحد نجد زمان حركتهما واحدا اذا كانا متساويين فان اختلفا كانت ذبذبتهما على حسب جذر طولهما فاذا كان أحدهما أطوله أربعة والآخر تذبذب الأول في (٢) والثاني في (٣) والمعنى أن الحركات المتساوية عددا تكتمس مثلا تقع من الأول في (٢ من ٣) من الثاني (ب) واذا أخذنا بندولا واحدا في أما كن مختلفة كانت سرعته على حسب عكس الجذر التربيعي لشدة الثقل إذ معلوم أن الثقل يكون أكثر كلما قربنا من القطبين وأقل كلما قربنا من خط الاستواء . فاذا كان البندول في النوبة قوة قله (١) وفي بلاد روسيا قوته في الثقل (٤) تحرك في الأولى حركات مضروبة في (٢) الذي هو الجذر التربيعي لأربعة وتحرك في الثانية تلك الحركات بعينها مضروبة في (١) الذي هو الجذر التربيعي لواحد . والنتيجة أن البندول الواحد في الأماكن المختلفة تكون سرعته على حسب عكس الجذر التربيعي لشدة الثقل (وبعبارة أخرى) يكون في الجهات القطبية وما والاها لشدة قله مناسبة للجذر التربيعي في الجهات الاستوائية وهكذا بالعكس

(٤) ثم انظر الى الموازين التي يزن بها نوع الانسان أمتعه فانها تابعة لليزان العمومي وهذا واضح في كتابي ﴿ ميزان الجواهر ﴾ وكتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وملخص ذلك أن لكل ميزان من موازين (القبان) ﴿ جهتين ﴾ جهة صغرى تسمى (ذراع القوة) وجهة كبرى تسمى (ذراع المقاومة) وعلاقة في الوسط فيها لسان دال على الاعتدال وعلى ضده . واذا تساوى ذراع القوة وذراع المقاومة كان الرطل الموزون يعادل رطلا نظيره من حديد مثلا موضوع في الكفة الثانية وهذا متداول بين صغار الباعة . فأما اذا طالت إحدى الجهتين وقصرت الأخرى كميزان القبان المذكور فان القوة (التي هي عبارة عن الشئ الموزون كالقطن مثلا) والمقاومة (التي هي عبارة عما يعادله من المعدن) لهما قانون خاص . ذلك أن المقاومة دائما عكس ذراعها فاذا كان ذراعها قدر ذراع القوة عشر مرات كانت هي أقل من القوة عشر مرات . وان كان ذراعها أكبر مائة مرة كانت أقل من القوة مائة مرة . فاذا كانت هي عشرة أرطال كانت القوة ألف رطل وهكذا . فانظر كيف أمكن الانسان وزن أشياء كثيرة بمعادل قليل مع ناموس حق لا يتغير فهذه المسائل نظر فيها الى اعتبار طول الروافع وصرح المسافة في الحجر النازل وعكس المربع في الجسمين المتضادين والجذر في البنادل المختلفة في المكان الواحد وعكس الجذر في البندول الواحد في الأماكن المختلفة هكذا

(١) الطول (٢) المربع (٣) عكس المربع (٤) الجذر (٥) عكس الجذر

هذا هو الجلال في أرضنا . هذا هو الميزان في دنيانا التي نعيش فيها

﴿ جهل أكثر الناس ﴾

الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يفكرون أما الجهلة فلا يعقلون من هذا شياً وأما الذين درسوا هذه العلوم فان أكثرهم يموتون على هذا وهم لا يدركون وانما ينظرون اليها نظر الزارع لزراعة والموظف لمرتبه الذي ينقضاء من صاحب العمل وهناك مستبصرون في النوع الانساني وهم في الأرض قليل . خلقهم الله وشهم مع قلتهم في الأقطار ليبينوا للناس هذا الجلال وليقولوا لهم أيها الناس اذا كان البندول في الساعة يعرفكم زمانها والقبان يعرفكم مقدار المبيع لتبادل المنافع فما ذلك إلا متاع لأجسامكم . أما عقولكم ففداؤها هو هذا الجلال . والتأمل في وضع هذا الوجود وكيف ظهر الجلال فيه والميزان والعدل وتبدي له قولكم جلال

الوضع والاتقان فاعتبرت جميع الأوضاع من طول ومربع وعكسه وجنر وعكسه دلالة على حكمة بالغة وآية باهرة ظاهرة وأن هذا العقل الانساني الذي أدرك هذا أجل وأجل وأبدع وأبدع لأنه فرح بهذه المعاني الخبوءة في المادة حين اقتنصها منها . فهذا الاقتناص دلالة على أن القنينة غذاء المقتنص وأن هذا الجوهر العقلي الذي هو سرّ الانسان مناسب لتلك الأسرار في الطبيعة . هذه الموازين والأسرار الخبوءة في الطبيعة إنما هي مما يليق للعقل لأنها لطيفة وهواطيف فتجاذب اللطيفان وتعانق الجبلان . إن العقل الخبوء في الانسان هو الذي غاص على هذه الجواهر في المادة ليصل بها خلاصة الانسان وهو العقل غذاؤه خلاصة الطبيعة وسرها وهي القوانين كما أن جرم المادة غذاء لجرم الانسان فالمادة للمادة والمعنى للمعنى . إن اختفاء معاني المادة واحتجابها وجمالها وعدم ظهورها إلا للعقل وحده تارة ولغريزة بعض الحيوانات تارة أخرى دليل على أن هناك (علمين) عالما لطيفاروحيا وعالما كثيفا ماديا وأن العالم الكثيف المادى أشبه باللوح الذي يقرأ فيه العالم اللطيف المادى علومه . إن الدنيا كلها لوح لنفس كلية مشرقة على هذا العالم . تلك النفس تنوعت في الأحياء كما تنوعت المادة الى صور وأشكال تنوعت المادة وتنوعت العقول والغرائز وربك على كل شئ حفيظ

(٥) المسألة الخامسة وهي ارتفاع الجو . يرتفع الجو عن سطح الأرض (٤٨٠٠٠) متر وحرارة الطبقات الجوية تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) مترا من الارتفاع لغاية (٧٠٠٠) متر تقريبا . ويظن أن التناقص بعد هذا الارتفاع أقل من ذلك وأن الطبقات الأخيرة ذات حرارة لا تنخفض عن ستين درجة . وقل الجوزن عمودا من الزئبق ارتفاعه (٧٦) سنتيمترا أو بعمود من الماء ارتفاعه ١٠٣٣٤ متر فالضغط الكلي على سطح الأرض يعادل قتل عمود من الماء قاعدته سطح الأرض وارتفاعه (١٠٣٣٤) مترا وهذا يعادل قتل (٥٨٥٠٠٠) مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلومتر واحد . فهذا من الموازين التي وضعها الله في الأرض ليزن بها هذا الوجود وإنما قلنا انه من الموازين لأن الشمس اذا أرسلت أشعتها الى أرضنا وهي تحت الأفق صباحا ومساء أو فوقه نهارا فان هذا الضوء إنما يتفرق عليها بنسبة محفوظة بواسطة الهواء في جميع الجهات وهذا يسمى الضوء المنتشر أو المتفرق . فلو فرضنا أنه لم يكن هناك هواء فوق أرضنا فانه لا يتم شئ في هذا الوجود فلانبات ولاحيوان ولاماء لأن الماء لا يكون إلا بجري الرياح وهذه تحمل السحاب وهنا لاهواء فلاسحاب وأيضا لا يستضيء من الأرض إلا الجزء المقابل للشمس وحده وما عداه لا يصل له الضوء وكيف يصل له وهو إنما يأتي له بواسطة الهواء الذي ينشر الأشعة المنعكسة من المادة الأرضية وهنا لاهواء فلا انتشار لتلك الأشعة المنعكسة . ثم إننا الآن نرى لون السماء الزرقة وهذه الزرقة لون الهواء نفسه لان سمكه العظيم الذي يبلغ عشرات آلاف الامتار هذا شأنه كاون ماء البحر العميق . فهذا اللون اذا لم يكن هواء لا يكون وإنما ترى السماء حالكة السواد . ويرى جميع الناس الكواكب السيارة والثابتة وقت الظهر وينتقل الناس من النهار الى الليل دفعة واحدة ومن الليل الى النهار دفعة واحدة . فانظر الى ميزان الهواء الذي قدر بمقدار . يحمل السحب ويأتي بلون الزرقة وينشر النور وله درجات من الحرارة متدرجة من أسفل الى أعلى

(٦) المسألة السادسة . هذا الهواء نفسه هو الذي فيه يطير الطير وقد طار فيه الانسان في أيامنا هذه . وقد تقدم في سورة (المائدة) عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض - الخ كيف كان طيران الطير في السماء فاقراء هناك ولا تعيده وإنما هنا تأتي ﴿ بفائدتين * الفائدة الأولى ﴾ ان الناس اذا طاروا في الجو فانهم الى الآن لم يصلوا الى أكثر من عشرة آلاف متر بالطيارات ولا الى أكثر من (١٥) ألف متر بالنطاد . وقد علمت في سورة (المائدة) أن النطاد يرتفع بخفة بحجمه . فأما الطائرة المسماة باللفة الفرنجية (إبرويلن) فانها إنما ترتفع بقوة تحريكها مع ثقل جسمها كثقل جسم الطائرة بالنسبة للهواء ﴿ الفائدة الثانية ﴾

إن الطائرة إنما تجرى بقوة تحريك آلة أو أكثر في مقدمها وهذه الآلة تتحرك بقوة ناتجة من المادة المسماة (البنزين) التي يستخرجونها من الفحم الحجري وهذه الحركة تطرد الهواء أمامها فيخلوها الجو من الهواء فتندفع وتأخذ في العلو أيضاً لأن اللوحين الأماميين اللذين في الطائرة صرّفتان إلى أعلى ارتفاعاً منظماً فيضربهما الهواء إلى أعلى فيحصل (أمران) اندفاع إلى الامام بخلاف الهواء وارتفاع إلى أعلى يدفع الهواء إلى أعلى لمقدم الطائرة

(٧) المسألة السابعة بيان المقصود من قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق -

اعلم أن هذه الموازين المتقدمة التي وضعها الله في الأرض سواء أكانت موازين طبيعية أو صناعية ليست في اتقانها كموازين الله يوم القيامة فإن عالمنا الذي نعيش فيه أقل نظاماً من العالم الأعلى حينما نخرج من الأرض إلى عالم أجل من هذا وألطف منه . والبرهان على ذلك أن سرعة دوران الأرض في الثانية الواحدة (٤٦٥) متراً في خط الاستواء و (٤١٩) متراً في عرض مصر و (٣٠٥) متراً في باريس ولا تزال قوة السرعة تقل إلى القطبين . ثم انه كلما كانت السرعة أشد كان الجسم أخف كما نرى أن الجسم فوق الرحي وهي مسرعة الدوران يكون أخف منه لو كانت الرحي ساكنة بنسبة السرعة . فاذن الأجسام تكون أخف في خط الاستواء منها في القطبين . فأما ما يهمل فانه يكون بالنسبة لذلك وعليه استنتج العلماء أن الكيلوجرام ينقص وزنه في خط الاستواء بقدر (٣٠٥) ثلاث جرامات ونصف جرام أي مقدار جزءه من (٢٨٩) جزءاً ومعلوم أن الكيلوجرام ألف جرام . فاذن كل ألف جرام تنقص نحو (٣٠٥) في الوزن في هذه الدنيا . ويقول العلماء لو أن الأرض كانت أسرع دوراناً مما هي عليه (١٧) مرة فقط لانعدم وزن الأجسام في خط الاستواء بحيث يصير الجسم هناك لا وزن له لشدة الحركة ويكون أقل من وزنه كثيراً جداً في غير خط الاستواء

هذا هو تفسير الآية التي نحن بسددها . يقول الله تعالى - والوزن يومئذ الحق - ويقول - فتعالى

الله الملك الحق - أما كونه ملكاً حقاً فهو ظاهر لأن ملوك الأرض تحت تصرفه هو فهذا ظاهر أي ان ملكهم باطل زائل . أما كون وزن يوم القيامة حقاً ووزن هذه الدنيا غير حق فهو غير معلوم وإنما يعلم بطريق العلوم التي ظهرت في الدنيا والمسلمون عنها نائمون . لقد استبان هنا أن جميع الأجسام التي تزن في هذه الأرض ليس وزنها جارياً على الحقيقة تماماً لأن أرضنا تجرى جرياً سريعاً وإذا كان كذلك فسرعتها تنقص وزن الأجسام التي عليها فالجسم الذي ينقص في خط الاستواء جزءاً من (٢٨٩) ينقص في مصر وفي غيرها جزءاً أقل من ذلك فتكون الأوزان غير حقة عندنا لأن عالمنا عالم ثقيل ليس نورياً بل هو مظلم فلذلك كانت موازينه غير حقة ولا صادقة . هذا هو تفسير القرآن . القرآن أظهر لنا أن الوزن يوم القيامة حق أما وزن الدنيا فانه ناقص ولو جزءاً قليلاً جداً . وهذا ظهر لنا من العلوم المنتشرة في ربوع الشرق والغرب الآن ومن قوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وفهم معنى الحق في المقامين ومن قوله تعالى - أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً - الخ الذي يشير إلى أن أي كلمة في الكتاب ليست عبثاً بل لها مقصود خاص ومنها قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - أي أما في الدنيا فان الوزن عندكم فيه تقريب لا تحقيق . فيألت شعري كيف يعرف المسلمون معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - إلا بعث ما بيناه وكيف وافق نظام هذا الكون سر القرآن وكيف أصبح العلم الحديث والقديم سرين من أسرار القرآن . فيأسفا على أمة ماتت علماءها وضاع مجددها وطاح قوادها وذهبت كأس الدابر - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - اللهم إن المسلمين غيروا ما بأنفسهم من حب العلم والمعرفة فأصبحوا طحين الرحي أذلاء ضعفاء جهلاء ، وعسى الله أن ينقذهم رجال يقرؤن أمثال هذا التفسير ويكونون قادة للأمم الإسلامية والحمد لله رب العالمين

(٨) المسألة الثامنة . قال ذلك الصالح لما سمع هذا إذن جميع الموازين على الأرض غير موصلة حقيقة الموازين بسبب حركة الأرض الدورية وهذا عسر لا يعرفه إلا الدارسون لهذه العلوم فهل تذكر لي مثلاً آخر أعرف به أن موازين هذه الأرض لا توصل إلى الحقيقة حتى يتبين لي معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - التي نحن بصدد الكلام عليها . فقلت مسألة (أرشميدس) قال وما هي . قلت إن (أرشميدس) الفيلسوف كان ملك زمانه قد أعطى للصائغ ذهباً يصنعه له تاجاً فلما وقع في يد الملك شك في أمره وقال لابد أن يكون هذا الذهب قد خلط بفضة وأحضر (أرشميدس) وقال له أريد أن تبحث لي في ذلك ففكر أياماً وبينما هو يستحم إذ أحس بأن جسمه في الماء أخف منه وهو فوق الأرض فأدرك حالاً أن جميع الأجسام تخف في الماء فأسرع بالخروج من الحمام من غير أن يستر بلباس وقال عرفتها عرفتها ثم صنع تاجاً بوزن هذا التاج من الذهب وتاجاً آخر بوزنه من الفضة فوضع تاج الذهب في إناء فيه ماء فارتفع الماء في الإناء فجعل هناك علامة ثم وضع تاج الفضة في الماء فارتفع الماء طبعا فوق علامة ارتفاعه للذهب لأن الذهب أثقل والفضة أخف فتأخذ حجماً أكبر مما يأخذ الذهب ثم أتى بالتاج المطلوب معرفته فارتفع الماء إلى علامة بين العلامتين فعرف يقيناً أن هذا التاج مخلوط فيه ذهب بالفضة ولولا ذلك لم يرتفع الماء في الإناء عن ارتفاعه في تاج الذهب فسر ملكه بذلك وظهر أن ظن الملك كان صادقاً وأن الصائغ غاشي . وهذه القاعده هي أسس لسيرالسنن في البحر والسماك في الماء والمنتاد في الهواء . إن السفينة في البحر لا تطفو على الماء إلا إذا كانت أخف من الماء الذي أراحته وهكذا السمك لا يطفو إلا إذا نفخ المنفاخ الهوائي الذي في جسمه فكبر حجمه فصار أخف من الماء الذي يزججه وهكذا المنتاد في الجو يسرع في الارتفاع بمقدار خفته . فتبين من ذلك أن الجسم في الماء أخف منه وهو في الهواء ثم الجسم الذي في الهواء فوق سطح الأرض أقل من حقيقته بجزء قليل كما تقدم هذا هو معنى قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - وقوله - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - فقوله - ليوم القيامة - قيد لدقة الوزن أما في الدنيا فإن الوزن لا يكون تماماً ولا يأتي بمثقال حبة من خردل لأنك علمت أن كل ألف جرام في خط الاستواء تنقص ثلاثة ونصفاً وهذه فيها حبات خردل لاحبة واحدة بل فيها عشرات بل فيها مئات الحبات . هذا هو سر القرآن ظهر في هذا الزمان . قال فهل هناك موازين من هذا الباب عامة . فقلت نعم الهواء جعله الله أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة ولذلك الميزان ترى الهواء فوق الماء وترى البخار يعالو سحاباً ويرتفع في طبقات الجو

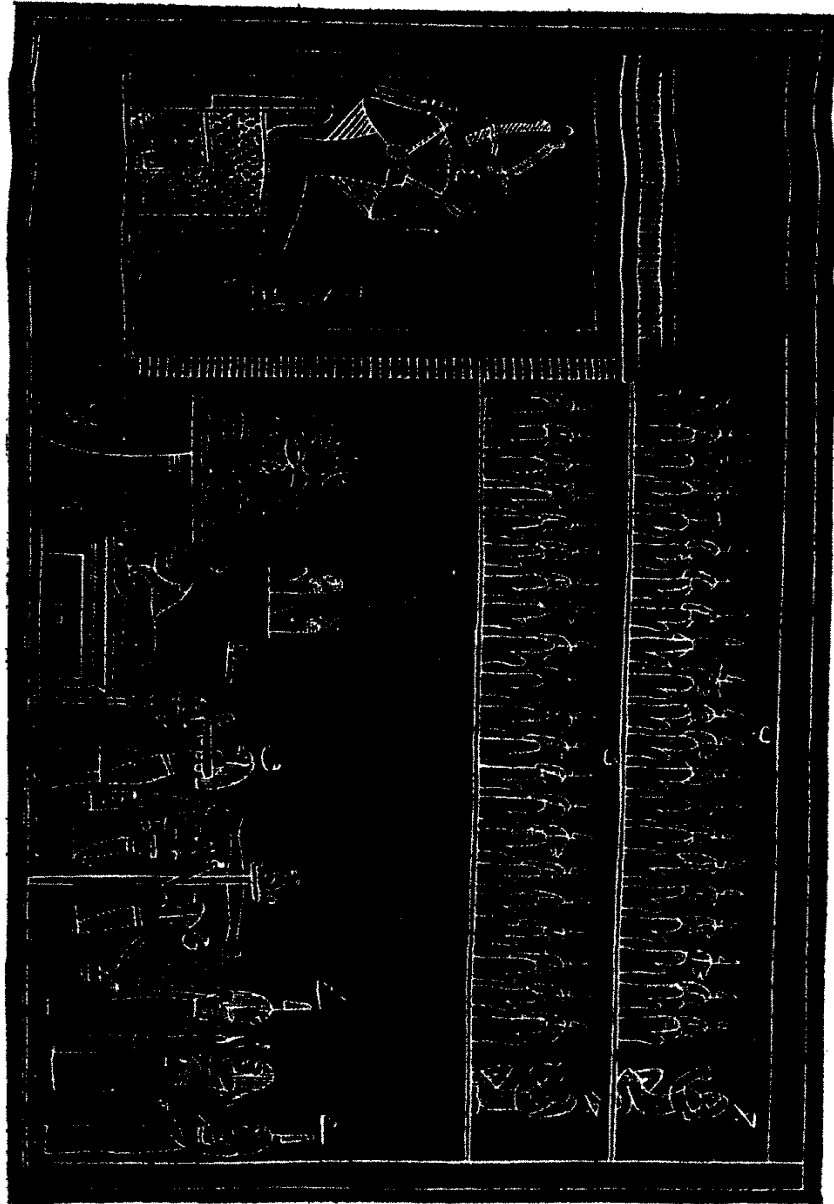
(٩) المسألة التاسعة . قال صاحب هذا حسن جداً وبيان عجيب ونور مبين لم يظهر إلا في هذا الزمان فهل هذا الوزن المذكور في القرآن جاء في ديانات الأمم السابقة . فقلت نعم ولدينا دليل مشاهد ظاهر واضح لم يظهر إلا في هذا الزمان . فقال وما هو . قلت قد عرف الناس أن دين قدماء المصريين مأخوذ عن النبي ادريس عليه السلام المسمى (هرمس) ويسمى (اخنوخ) كما يسمى بهذين الاسمين أيضاً كوكب الشعري الذي بنى الهرم لاجتلاء نوره ويسمى أيضاً (توت) فهو لاء قد صوروا لأهمهم ميزان الله يوم القيامة بصورة تمثل لهم العدل يوم القيامة . وقد تقدم الكلام على دين قدماء المصريين في سورة (يونس) عند قوله تعالى - فاليوم نجيبك ببعدك لتكون لمن خلفك آية - وأن تلك الجثث إنما بقيت بمصر ليعين الله للناس ما كان عليه القوم من علم ومن جهل وضلال وهدى . وأزيد الآن عليه ما نقله أستاذنا أحد أفندي نجيب مفتش وأمين دار عموم الآثار المصرية إذ نقل في كتابه (الأثر الجليل) في صفحة ٩٣ وما بعده عن (هيرودوت) أن أهل (طيبة) كانوا يعبدون الله وحده ويقولون هو الأول والآخِر الحَيُّ الأبدى السرمدي . ونقل عن (جامبليك) أنه سمع من كهنة المصريين أنفسهم أنهم يعبدون الله وحده ويقولون أنه فاطر السموات والأرض ورب كل

شيء وهو المالك لكل شيء . الخالق لكل شيء الذي لم يخلق ولم يتجزأ ولا تراه العيون . يعلم ما تكتمه الضمائر
بما تخفيه الصدور وهو الفاعل المختار لكل شيء وفي كل شيء الى أن قال وأما ما تراه من كثرة المعبودات فجميعها

رمز الى صفاته تعالى وهذا هو اعتقاد كهنة المصريين المدون في كتبهم المقدسة اهـ

ثم نقل أستاذنا المذكور عن المؤرخ (شمبليون فيجاك) ما يفيد أن المصريين كانوا أمة واحدة يعبدون
الله تعالى ولكن لما أظهروا صفاته العالية مشخمة للبيان وقد غرقوا في التوحيد تشعبت طرقهم
ونقل في صفحة (٩٤) نقلا عن (مسيرو) ما ملخصه ان الأمة المصرية كانت مخصصة لله في العبادة فكانوا
يروون أن الله في كل مكان فهامت قلوبهم في حبه وشجنت كتبهم بمحاسن أفعاله ثم عتدوا صفاته وجعلوها
صورا محسوسة وصوّروا لها كل شيء نافع فاشتهرت تلك الصور حتى ملأت المدن فنشأ عن ذلك جلة معبودات
متباينة في الشكل والهية دخلت فيها الحيوانات والطيور والسماك والحشرات ولكل واحد وظيفة خاصة مثل
(أمون) الله ومثل (فتاح) الذي أتقن كل شيء ومثل (أوزيرس) الله الرحيم فاعل الخير

ونقل عن بعض المؤرخين صفحة (٩٥) ما نصه (كان مكتوبا في أحد الأسفار المصرية المنسوبة الى
هرمس (ادريس عليه السلام) ما صورته « يامصر يامصري أتى عليك يوم يتغير فيه دينك القويم ومنهجك
القديم فتظهر الخرافات وتم الضلالات وتنحصر أخبارك في أحبارك » . لكن نقل بعد ذلك عن (ماريت
باشا) انه قال « لم نجد الى الآن على الآثار أدنى شاهد على ذلك التوحيد بل هم عبدوا كل شيء إلا الرب
جل جلاله » ثم قال « وهذا هو الذي عرف عن نفس الأئمة أما التوحيد فهو خاص بعلماء الدين وهم الكهنة
هذا ملخص ما نقله . فهؤلاء صوّروا العدل بصورة مجسمة فيها (٤٢) قاضيا لهم رئيس هو (أوزيرس) رئيس
القضاة والروح تحاسب بين يدي القضاة وعلى رؤسهم ريشة العدل وهناك ملك العذاب وتوت كاتب الأعمال
يسجل ما ظهر له والميزان له كفتان ففي البني قلب الميت وفي اليسرى معيار الحق وهناك ملك يسمى هوروس
ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات وآخر يراقب كفة معيار الحق وآخر في يده قضيب الملك وأمامه روح الميت
مصورة تبرأ من كل ذنب وهذا كله ينطق بقوله تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن
خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون - وقوله - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - وإنما نقلت لك هذا لتعجب
من دين الاسلام كيف كان هو الدين الذي كأنه صورة لجميع الديانات وكيف كان الوزن فيه واردا ومرسوما في
ديانة قدماء المصريين بنفسه . فهو في القرآن جاء بالقول وفي ذلك الدين جاء بالرسم والتصوير وهذا صورته
(انظر شكل ٢٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٢٢ - صورة محكمة (أوزوريس) الجهنمية)

- (أ) أوزيريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم
 (ب ب) الاثنان والأربعون قاضيا من الملائكة المكلفون بحساب الروح وعلى رؤسهم ريشة العدل
 (ج ج) الروح تحاسب بين يدي القضاة
 (د) مائدة عليها بعض أرواح الموتى وقليل من القرابين
 (هـ) ملك العذاب
 (و) توت كاتب الأعمال يسجل ما ظهر له
 (ز) علامة العدل ثم الميزان في كفته اليمنى قلب الميت وفي اليسرى معيار الحق كما تقدم
 (ح) الملك هوروس ينظركم بلغت الحسنات والسيئات
 (ط) (أنونيس) يراقب كفة معيار الحق
 (ى) ملك العدل له صورتان بيد احدهما قضيب الملك وبوسطهما روح الميت تتبرأ من كل ذنب اه

(الجوهرة)

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون * تلفح وجوههم

النار وهم فيها كالخون - ﴾

اللهم إنك قد حكمت بحبس أرواحنا في هذه الأجسام المظلمة وحجبتها عن الاطلاع على سرّ التكوين وأسرار الوجود ولكنك لم تفعل ذلك بخلا كلا والله ولا حبسا للعباء واسكنك سبحانه لا تعطي إلا على مقدار قوة المعطى وذلك بالوزن ولقد شاهدنا الوزن في هذه الدنيا . شاهدناه يا الله حتى أصبحنا به موقنين ايقانا تاما وقرأنا كتب علماء الأرواح الذين تؤموا أنفسهم وقالوا إنا شاهدنا بعض عالم الأرواح فرأينا النظام هناك كالنظام هنا من حيث إن كل روح قد وضعت في المركز اللائق به في أعلى عليين أوفى أسفل سافلين فالعالم هناك على وزن العوالم هنا وأصحاب النار هناك قد استحقوها بما غلب على عقولهم في الدنيا

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الأصدقاء الفضلاء قال لي كيف تقول إنك شاهدت الوزن في الدنيا وكيف تستدل بقول علماء الأرواح فأما في الأولى فلا يخجلوا إما أن تكون من أهل الكشف أو من أهل العلم فإن كنت من أهل الكشف فانك لا تفيدنا علما لأن كشفك خاص بك لا يتعداك كالم يتعد كشف أولياء المسلمين ولا كشف نساك الهنود أشخاصهم الى أمهم بدليل ضعف الامتين معا . وان كنت من أهل العلم فما أحراك أن تذكر لنا البراهين التي جعلتك موقنا بالوزن حتى ننظر فيها بعقولنا كما نظرت . وأما في الثانية وهي استدلالك بأقوال علماء الأرواح فان قولهم ليس برهانا . فقلت سأوضح هذا المقام ﴿ بفصلين ﴾ الفصل الأول ﴿ فيما هو مشاهد في الدنيا من الوزن ﴾ الفصل الثاني ﴿ في أن كلام علماء الأرواح الذين شاهدوها وقالوا انهم قد اطلعوا على مراتبها موافق كل الموافقة لما نشاهد في الدنيا سواء بسواء مما يفهمنا قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ويوافق قوله تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - إن كلام هؤلاء العلماء موافق للآية كل الموافقة وهذا عجب عجاب . ثم قلت

﴿ الفصل الأول فيما هو مشاهد في الدنيا من الوزن ﴾

اللهم إنك (وان حبستنا في الدنيا وأغرقت أرواحنا في هذه الاجسام المظلمة والعوالم التي أحيطت بسلاسل وأغلال من الشهوات أحكمت وثاقها علينا فلم نستطع التخلص منها) قد أنرت لنا السبل وفتحت بصائرنا وكتبت بيدك على قرطاس الطبيعة كتابا منشورا رأيناه مسطورا فيها فقرأناه فألفينا فيه انك خصصت لكل حي من الأحياء عملا لا يتعداه وعلما لا يتخطاه . ذلك انك سبحانه لم تدع كوكبا يجرى بلانظام وحكمت عليه أن لا يترك فلكه ومداره وأمرته أن يجرى بحساب لا يخطئ في ثمانية واحدة . هذا رأينا مطردا في الكواكب السيارة والثابتة لا تشذ قاعدته ولا يخطئ قانونه . ومن عجب انك لم تقتصر في تلك القوانين على الأجرام العظيمة بل رأينا السنن جارية في أصغر الحشرات وأدنى المخلوقات بحيث لا تخالف ما رسم لها ولا يشابه واحدا منها الآخر في سننه كما لم يشابه كوكب كوكبا آخر في نظامه وقوانينه المحكمة . ولقد وجدنا الانسان جرى على هذه السنن عينها فألفينا كل واحد من الناس سار على منهج يخالف سواء مخالفة ما فانا نفرق بين لون زيد وعقله ومذهبه في الحياة كما نفرق بين الكوكب والكوكب والحشرة والحشرة فلكل عمل خاص يشارك غيره في بعض الصفات ويخالفه في بعضها . فهذا هو الميزان المنسوب في الأرض . ومن ذلك ما سأذكره من ﴿ اثني عشر مثالا الآن ﴾ في عوالم الحيوان أذكرها هنا لأقيس عليها عوالم الانسان في الدنيا والآخرة حتى يلتئم عالمنا فيكون آخوه كأوليه وغائبه كشاهده وآخوته كأولاده ليكون ذلك دليلا لنا على ما سنلقاه بعد الموت ويوقن كل منا بمستقبله هناك متى عرف مراكزه في نفسه وفهم ما توجهت اليه في الحياة من المناهج والسيرة والأحوال فيعلم علما ليس بالظن ما حاه هناك ومدرجته وهل أخلاقه وذنوبه تلازمه هناك كما تلازمه

هنا أم هناك حال خاصة ينزع فيها من الفاضل رذائله ومن الشرير فضائله حتى يتصرف كل لما غلب على عقله كما نرى في الحيوانات في الدنيا إذ كل سار فيما رسم له من الصفات . كل هذا سيفصل في الفصل الثاني . أما هذا الفصل فأنما أذكر فيه الأحد عشر مثالا

﴿ المثال الأول ﴾

إنك يا الله سبحانه خلقت (السلحفاة البحرية) وقد سبق علمك انها تكون باردة الدم فلا حرارة فيها كافية لتدفئة البيض فاقضت حكمتك أن تبتلع لها ضربا من التدبير يناسبها فعلمتها علما يخصها إذ أمرتها أن تبحر في طبقات الرمل على شاطئ البحر لا ينفذ اليها الماء وذلك البحث في ظلمات الليالي الحوالك والناس لا يشعرون ولا تزال تبحر عن تلك الطبقات بعد خروجها من البحر حتى تظفر بها ومتى ظفرت بها وضعت نحو (١٢٠) بيضة ثم تغطيها بالرمل بغاية العناية وتعود الى البحر ولا يشعر بها أحد . وكما أهدت الأم ذلك وعلمتها أن تبحر على المكان المناسب . علمت أفرانها اذا خرجن من البيض أن يرجعن الى البحر ولا مرشد لها ولا معين فلا أب يعرفه ولا أم مشفقة بل هي لورأتهم لم تعرفهم فتراهن قد خرجن من تحت الرمل وقاسين الشدائد وسرن في الوهاد والرمال والحواجز العظيمة التي تكون بالنسبة لها كأنها الجبال الشامخات حتى ترجع البحر ولا تعود وتعيش هناك وهي لا تعلم آباءها ولا أمهاتها . إنك أنت المعلم لها والمرشد وقد وزنت أحوالها وزنا حقا وجعلت الآخرين في الميزان كالأولين . ومثل (السلحفاة البحرية) في ذلك جميع الحيوانات الزاحفة وهكذا التماسيح لأنهم ليس عندهم من الحرارة ما يدفئ البيض فجعلت يا الله حرارة الرمل لهم بدل الحرارة الطبيعية . انتهى المثال الأول

﴿ المثال الثاني ﴾

إن بعض التماسيح (وان فعل مثل الزواحف في كيفية التناسل) يراقب بيضه في الرمل آنا فآنا حتى اذا تم تكوين أفرانها أخذ يكسر لأبنائه الصغار البيض اذا سمع أصواتهم من وراء قشور البيض فهو إذ ذلك يساعدهم كما تفعل القابلات في مساعدة الوالدات وأولادهن وكما تفعل القابلات من النمل من مساعدة القلات الصغيرات المكبلات في خيوطهن وهن ضعيفات ليخرجن حشرات كاملات انتهى المثال الثاني

﴿ المثال الثالث والرابع ﴾

إن أكثر الثعابين جارية على القاعدة العامة في الحيوانات الزاحفة ولكن بعضها بتليت بأعداء يؤذونها ويتر بصون بها وبأولادها الدوائر فأنت يا الله للطفك بها وحكمتك خصمت هذا النوع بأن يرقد على بيضه يضع أسابع كما يرقد الدجاج سواء بسواء وذلك هو الميزان لأن هذه الأنواع لما احتاجت الى دفع أعدائها أعطيت قوة المحافظة على بيضها والا فلا

﴿ المثال الخامس ﴾

إن جميع الطيور ترقد على بيضها بعكس الثعابين وقليل منها تترك أفرانها لغيرها وذلك أن طائرا يسمى (الككم) وهو طير كالباشق لا يبني له عشا وإنما يضع بيضه في عش طائر غيره وذلك الطائر يخالفه كل المخالفة وهو لا يخص نوعا دون نوع بل وجدوا انه قد وضع بيضه في أعشاش ثمانية نوعا من الطيور وهذه الطيور التي تودع (الككم) عندها بيضها ترهبها بكل حنان وشفقة ومتى كبرت طارت الى موطن أنواعها الساكنات في (أفريقيا) بلا هاد يهديها ولا مرشد يرشدها وهي تقطع المسافات تلو المسافات والسباسب وراء السباسب ثم تلد كما ولدت أمهاتها وكل لا يعرف والدها ولا مولودا . وهذه صورة فرخ من أفرانها (انظر شكل ٢٣ في الصفحة التالية)



(شكل ٢٣ - صورة فرخ صغير من طائر الكمك يطلب من حاضنته أن تغذيه مع أنها من نوع آخر)

﴿ المثال السادس ﴾

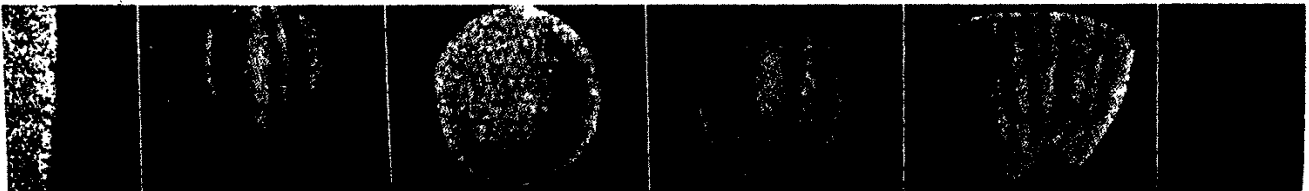
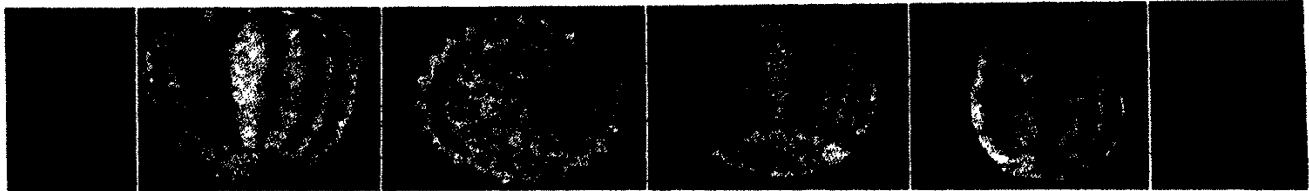
إن السجاج الاسترالي يصنع كما تقدم في الحيوانات الزاحفة ولكن هذه لها طريقة خاصة فان دجاجتين او ثلاثا تصنع حظيرة بأرجلها يبلغ قطرها نحو (١٥) قدما ثم تضع كل واحدة منهن بيضا منظما ويفطين البيض بغطاء منظم محكم . ومن العجب أن درجة الحرارة في تلك الحظيرة أعلى من الحرارة العادية عشرين درجات ومتى فقس البيض خرجت الأفراخ وحفرت لها نفقا في تلك الحظيرة وخرجت تجرى ثم تعيش في مكان يصلح لحياتها

﴿ المثال السابع ﴾

وهو ما تقدم في سورة (طه) من أن السمك تنزل ذكوره على بيض أنثاه فيترى الصغار ولا علم للأبوين بما حل بالذرية وذلك في قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى -

﴿ المثال الثامن ﴾

ما قد تقدم في سور كثيرة كسورة البقرة والأنعام والحجر في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - إلى آخره في الأولى وفي قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أتتم - في الثانية وفي قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - في الثالثة من أن الحشرات زينت لها الأزهار فكانت تلك الزينة سببا لتهافت الحشرات عليها لتأكل منها رزقها وهو العسل وتكون سببا في إقحاح النبات إنائه من ذكرانه وبعض الحشرات تبحث بعد الجهد والعناء على أوراق خاصة صالحة لأن تترى عليها صغارها فتضع عليها بيضا بحيث تكون تلك الأوراق بعد الفقس صالحة للتغذية منها (انظر شكل ٢٤)



(شكل ٢٤ - رسم بعض أنواع بيض الفراش)

(٢٤ - جواهر - حادي عشر)

﴿ المثال التاسع ﴾

الدود المتقدم ذكره في آخر سورة (الحج) بنقل الى صور بديعة جميلة من حشرات لامعات مرقشات منقوشات ببدايع الألوان وغريب الأشكال مع انها كلها دودات حقيزات مخلوقات في أماكن قدرات - فتبارك الله أحسن الخالقين -

﴿ المثال العاشر ﴾

إن جمهوريات (النحل والنمل والزناير) المعروفة تسير على الخط المعروف من حيث إن الأبناء يكونون معروفين عند الآباء . ولكن المدهش العجيب أن الأنواع الوحشية من هذه تضع بيضها في أماكن مختلفة كل بيضة في مكان خاص وتضع معها غذاء خاصا كما تفعل المرأة إذا حملت من السفاح ورمت ولدها فانها قد تضع معه نقودا ليصرفها عليه من يجده في الطريق

﴿ المثال الحادى عشر الزناير الوحشية ﴾

ان الاناث منها تفعل ماتقدم هنا من وضع كل بيضة منفردة وحدها وتضع بجانبها الديدان أو الخنافس أو العناكب ولا تريد اماتها لتلا تفسد وانما تحقنها في مركز مجموعها العصبي بسائل مختزلتبقى لاهى حية تسمى فتذهب ولاهى ميتة فتفسد جثتها حتى اذا خرجت ذرئتها من البيض أكلت من تلك الجثث التي أحضرها الوالد للولد كما قال تعالى - ووالد وماولد - . أقسم الله بالوالد والولد تذكيرا بهذه الجباب المدهشة والرجات المتنوعة البديعة انتهى وبهذا تم الفصل الأول فيما هو مشاهد في الدنيا من الوزن بمناسبة آية - فن نقلت موازينه -

﴿ الفصل الثانى فى أن كلام علماء الأرواح الذين شاهدوا الأرواح وقالوا انهم قد اطلعوا على

مراتبها موافق كل الموافقة لما نشاهد فى الدنيا سواء بسواء مما يفهمنا قوله تعالى - ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت - إذن لاتفاوت بين نظامه فى الدنيا ونظامه فى الآخرة فكلاهما على صراط مستقيم ويفهمنا قوله تعالى - ونزغنا مائى صدورهم من غل - إخوانا على سرر

متقابلين - و بيان أن كلام هؤلاء العلماء موافق لهذه الآيات كل الموافقة ﴾

ذلك انك يا الله سبحانه كما أريتنا ما تقدم فى الفصل الأول (فعرفناه وتحققناه لاسيما فى زماننا هذا الذى أبدعت وأبرزت فيه هذه العلوم للمسلمين وشرحت قلبى لهذا التفسير وأبرزت فيه من الجباب ما عرض عنه الكثير إما غرورا وإما جهلا وإما ضعفا فى بصائرهم وخورافى عزائمهم فكبرت تلك الجباب فى أعين المسلمين فى زماننا فارتقت نفوسهم اليك وعرفوك معرفة أعظم من معرفة المتأخرين من أسلافنا) هكذا أسمعتنا عجبا من كلام أحد علماء الأرواح المدكور سابقا فى هذا التفسير فى مواضع كثيرة المسمى عثمان نويل سودنج الذى يقول انه شاهد الأرواح وخطبها ولذلك نراه ليس متعصبا للمسيحيين بل ذم أكثرهم ومدح كثيرا من المسلمين وحكم بدخولهم الجنة وقد تقدم بعض كلامه فى (سورة التوبة) مع تاريخ حياته فهذا العالم يقول (١) إن الانسان بعد الموت ليس له من السعادة أو الشقاء إلا ما فكر فيه أولا وعمله ثانيا والفكر بلا عمل

كبزر طرحناه فى الرمل فذلك لا ينبت والفكر مع العمل كالبر إذا نبت وأزهر وأثمر ولقد جعل المدار فى الحياة الأخرى على ماغلب على طبع الانسان واستولى على نفسه وملك قيادها وصار لها أشبه بفراثر الزناير المتقدمة والنحل والنمل والدجاج الاسترالى بحيث يفعل الانسان فعله بناء على حب قلبى فيكون إذن أشبه من بعض الوجوه بتلك الحيوانات فى الأمثال التى قدمناها . فكما نرى الحيوانات الزاحفة تعطف على صغارها قبل خلقها وتهيئ لها الأماكن التى تلائمها لاتطلب جزاء ولا شكورا إلا أداء الواجب طاعة لضمائرها هكذا لا يرى الناس لهم بعد الموت منزلة ومقاما إلا مع قوم تجمعهم واياهم رابطة فكرية عملية بحيث يلتزمون فى آرائهم التثام قلبيا حقيقيا . أما ما ليس له أصل فى القلب من الأعمال ولاله منزلة من المحبة فى نفس الانسان فهذا ملئى لا

عمل له . فاذا رأينا رجلا مغرما بإيذاء جيرانه أو مقاضاة أعدائه أو الحسد والحاربة وقلبه فرح بهذه الأعمال وغلبت عليه غلبة حقيقية ومع ذلك يعمل أعمالا صالحة فهذا بعد الموت ينظر في أمره وهو نفسه لا يستحلي إلا ما غلب عليه في الدنيا من هذه الامور الشيطانية ولا سبيل للتفان والحداد هناك . فهذا يستحيل عليه أن يدخل مع الأبرار بل يدخل مع أمثاله الذين هم اخوان الشياطين في جهنم . وبالعكس ذلك الذي عشق الفضيلة ومنفعة الناس وصار ذلك ديدنا له أو أحب العلم وكان أكثر غرامه . فهذا بعد الموت ينطلق الى أمثاله ولا يعرف كيف يعاشر إلا أولئك الذين أحبهم ولا يألف سواهم . وهناك لا أحد يحجز أحدا عن مرتبته حتى يستحق مرتبة دخلها ومن لا يستحق ولا استعداد عنده فانه لا يقدر هو نفسه أن يعيش بين أهلها بل يفتر منهم فرار الغنم من الذئاب

وقد وضع في صفحة ٢٨٩ من كتابه هذا الموضوع ايضا لم أجد له نظيرا إلا في بعض كتب محيي الدين ابن عربي وفي اشارة قرآنية . ذلك انه قال ﴿ إن الروح الصالحة تسلب منها جميع ما لا يتفق مع صلاحها ثم تدخل مع الصالحين ويفعل نظير هذا الفعل مع الروح الشريرة فقلب الفضائل لغلبة الرذائل عليها وحبها لها حتى يمكنها أن تعيش مع الأشرار مشاكلة لهم فتجد الروح هي نفسها تحوّل وجهها الى الوجهة التي غلبت عليها من تلقاء نفسها ولن تقدر الروح أن تقاوم ما غلب على طبيعتها فتكون الروح إذ ذاك أشبه بمن غلب عليه في الدنيا شرب الخمر فلم يقدر على التخلص من ذلك أو غلب عليه الاحسان للناس فكل منهما لا يقدر على تغيير طبيعته هكذا هناك وتصير تلك الأخلاق أشبه بالجاذبية بين الأرض وما عليها واذن تكون الرذائل القليلة وسط الفضائل الكثيرة أشبه بالحشائش النابتة في وسط الذرة المزروعة زرعا متقنا في أرض طيبة قد سمدت تسميدا جيدا فهذه تهلك حشائشها في وسط تلك الذرة وتكون الفضائل القليلة وسط الرذائل الكثيرة كالذرة النابتة وسط الحشائش في أرض غير طيبة التربة ولم تسمد تسميدا جيدا ولم يقم عليها الزارع حق القيام فان الحشائش إذ ذاك تغلب على الذرة فلا تثمر . فهذا هو المثل الذي اخترته لغلبة الخير على الشر أو غلبة الشر على الخير . اللهم إن هذا القول عينه ينطبق على ما يقوله المؤلف المذكور وترجع سجايا الانسان الغالبة عليه أشبه بما أودع في غرائر الحشرات من العطف على ذريتها فيكون عالم الآخرة كعالم الدنيا نظاما واحدا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وبهذا يظهر قوله تعالى - أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - ويظهر أيضا ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الساعة فقال للسائل ما أعددت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت . وهذا عجب فهو موافق لقول هذا العالم الروحي . ويشهد لنزع الرذائل من نفوس الأبرار الذين لم تغلب عليهم شقوتهم قوله تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا على سرر متقابلين - . أقول وإذا لم يكن الأمر كذلك ولم يكن هناك نزع بل تبقى جميع الصفات ملازمة للناس بعد الموت فان هذه الصفات نفسها عذاب أليم . فالخقد والبغضاء والخوف والجبن وأمثالها هي نفسها عذاب وأكثر الناس قد لزمتهم بعض العادات فلا يقدرون على التخلص منها . فهل الفضلاء الذين على هذه الصفة تلازمهم ولا تفارقهم صفاتهم واذن يكونون الى الأبد في عذاب أليم فهذا النزع يكون فرجا لهم . ومن قرأ كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ لاسيا الجزء الثالث منه واطلع على المهلكات فيه لم يدخل في قلبه شك أن صفات الشر لا تفارق الانسان بعد الموت وهذا غالبا يورث اليأس فأما هنا فانه يقول إن سيئات من غلبت عليهم الفضائل تفصل عنهم واذن يدخلون الجنة مع أحببهم . وقد جاء في هذه السورة - قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا - وهذه الآية موافقة لما قالته الروح كل الموافقة . فغلبة الشقوة كافية في ادخال جهنم كما أن طالب العلم الذي غلبت عليه اللصوصية تراه يترك العلماء ويعيش مع اللصوص كأن الشقوة غلبت فحقت العلم وآثار العلم . ويقول الله تعالى هنا - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت

موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالون - . أليس هذا من العجب . ان القرآن يصرح
بثقل الموازين وخفتها أى ان المدار على الغلبة . ويرجع الأمر لما يشبه غرائر الحيوانات المتقدمة في الفصل
السابق ويطابق قول الأرواح معاني القرآن .

رب إن الهدى هداك * وآياتك نورتهدى بهامن نشاء

هديتنى فرأيت كتاب العالم الروحي ورأيتـه من كل وجه يشبه الذرة والحشائش ورأيتـه يوافق القرآن . ثم
أطلعتنى على ما كان يعتقدـه قديما المصريين اذا هو أشبه بمغنى القرآن . وكلام الأرواح ومثل النبات
المتقدم وغرائر الحيوانات كما تقتم في وزن الأعمال عندهم . فالحمد لله على نعمة العلم وبدائع الحكمة وعجائب
الفرقان

(١) وقد قال (عمانوئيل) « إن روحا صالحة معلومة أرادت أن تعلم شريرة فهدرت بعيدا فلما وصلت
الى أمثالها سرت بهم وعاشت معهم »

(٢) وقال أيضا انه رأى روحا صالحة تعلم قوما صالحين فأصغوا اليها اصغاء تاما وأما الأشرار فانهم لم
يصفوا كأنهم لا يسمعون

(٣) ومن عجب انه في صفحة (٢٩٢) من كتاب « السماء وجهنم » للؤلف المذكور يقول « قالت
الملائكة ان حياة المحبة السائدة لا تتغير مطلقا مع أحد الى الأبد لأن كل واحد هو محبته الخاصة به فاذا أريد
تغيير هذه المحبة في روح فذلك يوجب حرمانها من حياتها واعدامها وقالوا إن سبب ذلك أن الانسان بعد
الموت لا يمكن فيما بعد اصلاحه بالتعليم كما في العالم » ثم قال « فالعواطف القلبية والآراء العقلية أشبه بأساس
البيت وهم يتجربون من الناس كيف لا يفهمون أن رحمة الله ما هي إلا واسطة فقط وسخروا عن يعتقدون
أن الرحمة وحدها تخلصهم مع الايمان » وهذا القول ناطق بقوله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون - وناطق بقوله تعالى - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم -
(٤) وجاء في صفحة (٣٣٠) من الكتاب المذكور ما ملخصه أن أناسا من الأشرار لما ماتوا ظنوا انهم
يقبلون التعاليم النافعة لدخول الجنة ولكنهم لما سمعوا من الملائكة قبلوها أولا ولكنهم لم يقدروا أن
يعيشوا بها ويستمرروا عليها وانما أبيع لهم ذلك ليكونوا على بينة من أمرهم وأن تلك الحال لا يكون أساسها
إلا في الدنيا فأما بعد الموت فان الباب أقفل . وهذا نفسه قول الله تعالى - يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل - الخ وقوله تعالى - الآن وقد عصيت قبل - وقوله تعالى هنا
- حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني * لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن
ورائهم برزخ الى يوم يبعثون -

ثم قال المؤلف في نفس الصفحة (١) « إن بعض الأرواح لما سمعوا تعاليم الملائكة المذكورة رفضوها
حالا ولم يحبوا سماعها » (ب) « وبعضهم قالوا اذا كانت أخلاقنا وعواطفنا الشريرة قد منعتنا من دخول
جهنم فنحن نحب أن تؤخذ منا هذه العواطف والأميال فأجيبوا الى طلبهم ولكن أصبحت تلك الأرواح
بعد أخذ أخلاقها وعواطفها منها مطروحة كالقوتى ولم تبق لهم حواس » ثم قالت الملائكة « إن تغيير الروح
بعد الموت أشبه بتغيير اليوم الذى يعيش في الليل الى حمام يعيش في النهار » انتهى ما أردت نقله من ذلك
الكتاب . أنا أجدك يا الله إذ وفقتى لنقل هذا وفهمه . لقد تبين من هذا أيها الذكي أن أرواحنا بعد الموت
تصبح حياتها موقوفة على صفاتها التى كسبتها في الدنيا وهنا ظهر فيما تقدم « أمران عجيبان » الأمر الأول «
ان الروح الصالحة التى أحبت الأعمال الفاضلة تنزع منها الشرور حتى يمكنها أن تعيش مع الفضلاء الذين هم في

درجتها وقد تقدم هذا هنا أولا وأن الروح الشريرة التي غلبت عليها شقوتها تنزع منها فضائلها لقلتها لتكون موافقة لأصحابها وأمثالها ﴿ الأمر الثاني ﴾ ان الروح الشريرة التي غلب عليها الشر اذا أخذ الشر منها وسلبت تلك الصفات تكون معدومة الحس والحركة فهنا لا يسلب شرها . لماذا هذا . لأن روحها ليس لها قوة سوى قوة الشر ولو كانت لها قوة خيرية لاعتمدت عليها في الحياة والبقاء . فهنا لا بد من رجوع شرورها لها حتى يمكنها أن تعيش . فإذن تصير الأرواح الشريرة أشبه بالفيران التي تعيش في المراحيض والحيات والعقارب فان هذه اذا نزع منها أوصاف الفيران وأوصاف الحيات والعقارب لم تعيش يوما واحدا . ولو اتنا وضعنا جاما مع البواشي والشواهين لم تستقم حياته . وهكذا لا تعيش الأرضة في أماكن الخمل ولا الخمل في أماكن الأرضة (انظره في سورة الخمل) إذ ظهر الآن سر عظيم وذلك السر أن الله لا يعدم أهل جهنم كما لا يعدم الحيات لأن الحيات تسكره الموت لأنها ترى لها حياة وهي عزيزة عليها . هكذا أهل جهنم إذ يرون أنهم في حياة كما ترى الحية ولا يحبون زوالها فلما أخذت منهم الصفات التي بها حياتهم صاروا أشبه بالأموات فرجعت اليهم الحياة لأنهم يقولون « شئ خير من لا شئ » فلافرق بينهم وبين المسجونين فالمسجونون يحبون الحياة وان كانوا أذلاء . إذن حياة أهل جهنم مع عذابهم لطف من الله بهم وكان ذلك من الرحمة العامة إذ قال تعالى - ورجتي وسعت كل شئ -

﴿ مذكرة ﴾

لا تظن أيها الذكي اني وان كنت أوضحت هذا المقام أيضا اني أقطع به . كلا . وانما أقول إن هذا قول علماء الأرواح وقد نقلته من كتاب المؤلف المذكور وعلقت عليه فاذا صح قوله فهذا توجيهه . ومعنى هذا أن تكون مشكلة جهنم قد انحلت في هذا التعبير انحلالا تاما فانه اذا قال قائل ﴿ لماذا يعذب الله الناس الى الأبد وماذنبهم وهل هذا إلا الظلم المبين وهاهناهم ﴾ فيقال ﴿ إن الله فعل الممكن وليس من الامكان أن تحوّل العقارب الى عصافير ولا العصافير الى عقارب ومتى حوّل أحدهما الى الآخر مات فلا سبيل للحياة التي هي مستمدة من الرحمة إلا ببقاء المخلق على ما كان عليه ونقله من هذه الصفات معناه اهلاكه وهذا يناقى الرحمة ومتى أمكن بقاء الروح مع حذف بعض الصفات بقيت الروح وحذفت تلك الصفات كالروح الصالحة التي لها من الصلاح ما به تقدر أن تعيش ويكون لها به قوام فان الملائكة إذ ذاك تنزع منها الشر فيبقى الخير الذي غلب حافظا للروح فتعيش ولا يكون أخذ الشر منها مضرا لها غاية الأمر انها ضعفت بعض الضعف كما ضعف الذي تعاطى المسهل . الله أكبر . أليس هذا إن صح يفسر كثيرا من آيات القرآن وكلام السنة * فقد ورد في الحديث ﴿ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ وذلك لأن النبي ﷺ علم أن هذه النفوس قوية جدا وليست تذب إلا أصغر الذنوب وهذه لا تؤثر فيها لأن محبتها للخير تامة وقد قال تعالى - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللجم - وان صح ما جاء في كلام هذا المؤلف يدخل في أحاديث الشفاعة فإذن تكون الشفاعة بالفيران لأرواح قويت في الخير حتى يمكن أن تعيش هناك فلا وأن الأرواح صارت كالحيات والعقارب في الشر فكيف تصير أشبه بطيور أو طواويس . وهكذا تعرف قوله تعالى - ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - . لماذا ذلك . لأنهم لا يعيشون إلا على أخلاق خاصة ولا معنى لأخذهم منها إلا هلاكهم فالرحمة تقتضي أن يعيشوا . إذن الروح تأتي الى أرضنا وهي خالية فتعطي من القوة ما به تعيش والقوة إما قوة شر كالأصوصية واما قوة خير كالأحسان فلن يعيش الأول ولن يعيش الأخير في الجنة أو النار إلا بقوته التي كسبها . انتهى ما أردت ذكره في هذا المقام والحمد لله رب العالمين ﴿ بهجة العلم في آيتين من هذه السورة آية - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - وآية

- فن نقلت موازينه فأولئك هم المفلحون - ﴿

ها أنت ذا أيها الذكي شاهدت الميزان الذي رسمه قدماء المصريين إظهارا للعقول في هيئة المحسوس وتبينا للعاني بالأمثال . فاعجب من تتابع الديانات وتلاحقها وتشابهها . ففي القرآن ميزان وفي الكتب قبله ميزان . وهنا أريد أن أبين لك ما فتح الله به ليلة الاربعاء (٧) نوفمبر سنة ١٩٢١ م في معنى هاتين الآيتين . ذلك ان قوله تعالى - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - قد ثبت بها أن لله صراطا وآية الوزن أهدت أن له ميزانا ويقول في سورة أخرى - وانك لتهدى الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وفي سورة ابراهيم يقول - كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد * الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وفي سورة هود يقول - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي الفاتحة يقول - اهدنا الصراط المستقيم - الخ

فها هو ذا الصراط جاء في هذه السور الخمس . ففي هذه السورة ذكر مطلقا غير موصوف منكرات ولكنه في السورتين الثانية والثالثة وصف الصراط بأنه صراط الله وفي الرابعة أشار الى أنه خلق الحيوان ونظمه وأحكم أمره وجعله على هذا الصراط وفي الفاتحة جعله صراط الذين أنعم عليهم من بنى آدم . اللهم اني أحمدك على نعمة العلم ونعمة التوفيق . لقد مننت يا الله بالحكمة وأنعمت بالعلم فلا شرح ما شرحت به صدرى في هذه الأيام لتبتهج النفوس وتشرح الصدور بما مننت من العلم وما أهدت من العرفان . سبحانك اللهم . لقد ذكرت الصراط نكرة في هذه السورة ثم أبنت في السورتين الأخريين انه - صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - فعرفنا أن الصراط في هذه السورة وفي السورتين الأخريين انما نعرفه بما في السموات والأرض ولا معنى لهذه المعرفة إلا بالعلم والعلم يرجع الى علم الفلك ونظام الطبيعة . نظرنا في علم الفلك فألفيناك قد عدلت وقومت وهندست وزوّقت ونظمت وأحكمت . كيف لا ونحن نعلم

(١) ان الشهور العربية مثلا لها موازين معاومة وحساب لا يتغير حتى ان السنين الكبيسة والسنين البسيطة لا تتغير ولا يتبدل بحيث يكون في كل (٣٠) سنة (١١) سنة كبيسة و(١٩) سنة بسيطة وذلك في الدور الأصغر وتكرر الثلاثون سبع مرات فيكون الدور الأكبر (٢١٠) ويعود ذلك ويكرر أمد الدهر فالسنة الكبيسة (٣٥٥) يوما والبسيطة (٣٥٤) وقد مر شرح هذا مرارا في هذا التفسير . وكأنا هذا الحساب موسيقى تصدح فان نسبة (١١) الى (١٩) كنسبة (٢٢) الى (٣٨) وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين وهكذا يستمر هذا النظام مهما تكرر الى ما لا يتناهى . فهذا مثال واحد من أمثلة نظامك في سمواتك

(٢) وهذه الشهور العربية لن تعرف حق معرفتها عند علماء الفلك وتوزن حق وزنها إلا بأن يحسبوا ما بين كل كسوفين للشمس ويقسموه على عدد الأشهر فيخرج لهم الحساب بالدقة بالدقائق والثواني وما هو أقل من ذلك . إذن حدوث الكسوف والخسوف (بحيث يكون القمر بين الأرض والشمس في الكسوف في أواخر الشهور وتكون الأرض بين الشمس والقمر في أنصاف الشهور في الخسوف ويكون الثلاثة في الحالين في عقدة واحدة) لم يكن رمية من غير رام ولا مصادفة واتفاقا بل لها منافع كثيرة ومنها هذه فان اللحظة التي يقف فيها القمر بين الأرض والشمس وقد منع عن أبصارنا ضوء الشمس بها ندرك أن هذه اللحظة هي نهاية الشهر فيكون ما بين هذه الحادثة والتي قبلها معلوما عندنا وتقسمة على عدد الشهور . فهذا ضبط الحساب لنا في معاملتنا وأعمالنا في الأرض . وفوق ذلك قد عرفنا أن عدد مرات الكسوف والخسوف في كل مدة تبلغ نحو ١٨ سنة محدودا لن يتغير أمد الدهر فالخسوف والكسوف محدود العدد والأشهر التي يحصرانها تضبط بهما

﴿ بيان تام لهاتين المسألتين ﴾

اعلم أن الأقدمين قد سمو مدة قدرها (١٨) سنة و (١١) يوما باسم مخصوص وهو (ساروس) وهذه المدة تحتوي على (٧٠) خسوفا وكسوفا منها (٢٩) خسوفا و (٤١) كسوفا والخسوفات والكسوفات التي تشاهد في أغصون هذه المدة تحصل في المدة التالية لها بالعدد بعينه وفي التواريخ بعينها وبذلك توصلوا الى القول بالخسوف والكسوف مقدما كما يتوصلون الى معرفة الظهر والعصر والمغرب قبل حصولها . ثم إنهم اعتادوا أن يعينوا خسوفين اثنين منفصلين بعدد عظيم من الدورات الاقترانية المسماة (الحركات الدورية) أيضا أي دورات القمر حول الأرض ويقسمون المدة الكلية بينهما على عدد الدورات فتحصل المدة المتوسطة وهي ٢٩٠٥٣٠٥٨٨ يوما أو ٢٩٠٥٣٠٥٨٨ يوما وهل تم هذا الحساب الذي عرفنا به مدة الأشهر إلا بفضل الخسوف . فالخسوف إذن أشبه بمدفع الظهر بمصر الذي نضبط الساعات عليه فهو ضابط أزمان الأشهر العربية ومددها ولولاه لم تتم هذه الحكمة

هذان مثالان لما فعلته يا الله في الفلك ودبرته في الحساب . فهذا صراطك الذي سلكته في سمواتك فقول الله انا في سورة ابراهيم - الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وقوله في سورة اخرى - صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - . يذكر انا بهذا الصراط المستقيم الذي اتضح لنا بحسابه ونظامه وبأدنى تأمل في نظام الأرض والسموات في هذا التفسير نعرف صراطه فيهما . ألم ترى ما تقدم في قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - في (سورة الرعد) فهناك تجد مقادير حركات الأشجار الساقطة وحسابها المنظم وبدائع الحكمة في السموات والأرض بحيث ترى أن ابعاد الكواكب عن الشمس جارية على مقتضى المتوالي الهندسية (٣ - ٦ - ١٢ - ٢٤ - ٤٨ - ٩٦) وهكذا أمر الثلج ونظامه فهو مرسوم هناك مبين بحسابه وبهجته . فهذا وأمثاله كثير في هذا التفسير . صراط الله هذا هو الذي هداانا اليه قوله تعالى - صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - فهو يذكر السموات والأرض أفهمنا أن نبحث عن صراطه فيهما ولا سبيل للبحث فيهما على ذلك الصراط إلا بعلم الطبيعة وعلم الفلك . فقارئ القرآن حين يسمع قوله تعالى في هذه السورة - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - يريد أن يعرف أي صراط هذا فيقال له صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض فيدرس هذه العالوم فيعرف صراط الله المستقيم ثم يسمع قوله تعالى أيضا في سورة (هود) - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - هنالك يدرس الحيوان بعد أن درس نظام السموات ونظام الأرض على وجه عام . أما الحيوان فان له حالا خاصة فيدرسه أيضا ليعرف صراط الله فيه فيرى أن الجرذان عاشت تحت الأرض والظباء في الأدواح والخل اتخذت البيوت والكستور يتخذ له من أغصان الأشجار جسرا متينا على هيئة سد يمنع عنه قوة السيل وذلك بهندسة لا تنقص عن هندسة الانسان بل الانسان تعلم منه . والدب في المنطقة الشمالية يسافر في البحر على قطع من الثلج الى حيث يقصد . والسنجاب يركب خشبة في البحر بدل الثلج ويجمع ل ذنبه قائما مقام القلع وقائما مقام (السكان) وهي الدقة عند العائمة التي بها يدير هذه السفينة يمنة ويسرة . والطوآف وهو نوع من نوات الاصداف يركب صدفته ويرفع مرساته وينشر أغشية للريح ويسافر من مكان الى مكان وهكذا . والديمورا أعطيت قوة بأن تذلل أي حيوان بحري لتركبه بهيئة خاصة . وهذه المسائل تقدمت بعينها في (سورة طه) ذكرت قليلا منها هنا لتكون مثلا لصراط الله المستقيم في الحيوان لأننا رأينا كما ان صراطه مستقيم في حساب الكواكب وشهورها وسننها وفي حساب العوالم الأرضية رأينا أيضا يعطى كل ذى حق حقه من الحيوانات وينوع في الاعطاء بحسب حال الحيوان ذاته ويجعل ألوانه مناسبة لحال معيشته وهذا الأخير تقدم في أول السورة

فارجع اليه تجده هناك موضعا . فالصراط في هذه السور الثلاث أفهمنا قوله تعالى - اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم - فالنعم عليهم من الناس ينهجون نهج الله في صراطه المستقيم وصراطهم المستقيم هو التوسط بين الافراط والتفريط . ولاجزم أن هذا يفتح لنا باب فهم الميزان الذي أصل كلامنا فيه

﴿ الميزان ﴾

جاء الميزان في (سورة الرحمن) إذ يقول تعالى - والسماء رفعها ووضع الميزان - والميزان في السموات هو جعلها منظمة كما رأيت في الأمثلة المتقدمة . فالله حسب حركات الأفلاك أزلا ثم أدارها على مقتضى ذلك الحساب فالحساب يعبر عنه بالميزان وجريها على مقتضى الحساب يعبر عنه بالصراط فهو يوزن الامور ويجعل العمل على مقتضى الوزن وهذان ينطبقان على لفظتي ﴿ القضاء والقدر ﴾ فالقضاء التقدير أزلا والقدر هو سير الحوادث على مقتضى القضاء . وأفضل أحوال العبد أن ينهج نهج ربه فالله على صراط مستقيم فليكن العبد على صراط مستقيم . فاذا كان الصراط المستقيم الإلهي في السموات بحسب حالها وفي الأرض بحسب حالها وفي الحيوان بحسب حاله هكذا فليكن الصراط المستقيم عند الانسان هو صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم . ولقد أشار الله الى ذلك في سورة ابراهيم إذ أمر النبي ﷺ أن يذكر الناس بأيام الله ووقائعه في الأمم وجعل ان في ذلك آيات للصابرين الشاكرين فينهجون نهج الخيرات في الخير ويجتنبون الشرور في الشر بحسب ما ذكرناه من وقائع الأمم وذلك نفسه هو المذكور في الفاتحة إذ يقول تعالى - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين - ومعلوم أن المنعم عليهم والضاكين والمغضوب عليهم لا يعرفون إلا بالتاريخ وللامنى للتاريخ إلا وقائع الأمم المذكورة في (سورة ابراهيم) يقول الله تعالى - وذكرهم بأيام الله - إذن يجب أن يقوم جماعات في الأمم الاسلامية فليؤلفوا كتبها فيها شذرات جيلات من التاريخ العام والتاريخ الخاص بالاسلام وبالأوطان التي يراد انتظامها ليكون ذلك صراطا ينهجه المجددون لهذه الأمم الاسلامية ويناسب ذلك كله قوله تعالى - والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - وأنت أيها الذكي تعرف هذا مما تقدم في أول (سورة بونس) عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا - وكيف كان هرم قدماء المصريين مبنيا على مقتضى مقدار مدار الأرض حول الشمس فحيط الهرم منسوب لمدار الأرض وارتفاعه لبعده ما بيننا وبين الشمس والضلع الواحد من الهرم جعل أذرعاً معلومة والنراع جعل مقياسا للطوال وللسطوح وجعل مكعبه مكاييل مصرية من حيث الحجم وموازين مصرية من حيث الثقل وكل ذلك مستعمل الى الآن في بلادنا المصرية كما مرّ هناك موضعا ايضا حاتاما . فالله يقول لنا هذا هو ميزاني في عوالمى فزنوا على مقتضاه واجعلوا نموذج ميزانكم من نموذج ميزاني كما هو واضح في البلاد المصرية . إذن عدلنا في الأرض على نسق عدل الله في السموات . واذا قرأنا تاريخ الأمم ظهر لنا جمال العدل وقبح الظلم في أفعالها فترجع لسنة الله . فاذا رأينا قوم شعيب عليه السلام يطففون المكيال والميزان وقد حادوا عن سنة الله في ذلك احترسنا من فعلهم ورجعنا للعدل الذي سنه الله في عوالمه . فليكن تاريخ الأمم الحاضرة للعبرة والذكرى كما بينه الله في القرآن

﴿ تذكرة ﴾

لقد كنت قرأت منذ (٤٠) سنة في بعض كتب الامام الغزالي أن الميزان لا يعرفه إلا من درس سائر العلوم . ولما اطلعت على شذرات منها في ﴿ دارالعلوم ﴾ وفي دراستي الخاصة ألفت كتابا صغيرا بعد ذلك سميته ﴿ ميزان الجواهر ﴾ وهوائى كتاب ألفته في هذه العلوم . فأنا الآن أحبط الله عز وجل إذ علمنى ما لم أكن أعلم وأنعم على وعلى الناس بهذا التفسير . فانظر أيها الذكي كيف كان دين الاسلام شاقا لكل علم . وكيف غفل بعض صفار المتعلمين في عصرنا فظنوا أنه دين لا يألف العلم ولا العقل . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ تبيان ﴾

هل التبخر في العلوم الطبيعية والرياضية الذي يقتضيه الميزان المذكور في القرآن والصراط كما ذكرناه مرق للأخلاق الانسانية . أم نرى أولئك المتبحرين فضل أعمالهم في هذه الحياة الدنيا ﴿ الجواب ﴾ اعلم أن العلم والجمال والمال والصيد والسلطان كل أولئك صالحات للخير وللشر - سواسية تصلح للشر والخير . وآية ذلك أن كثيرا من هؤلاء يسارعون الى الشرور والموبقات والاحتيال ويهيمون على وجوههم في المخازي والعار كما أن كثيرا منهم رفعوا أبعهم الى المستوى الرفيع والمجد الباذخ . فالمال سلاح والعلم صراط مستقيم والجاه والسلطان أجنحة ومن لامل له قل عمله ومن لا علم عنده ضل وغوى ومن لاسلطان له أصبح كطائر لا أجنحة له ولا قوة . ولقد حض (سقراط) في تعاليمه على فتح عين البصيرة لأولى العلم وأبان أن هذه الطاقة ان لم تكن عاشقة له ساء مصيرها وضل سعيها مبرهنا بما يأتي

﴿ إن للانسان (ثلاث قوى) الشهوية والغذاء والتناسل واللباس والمساكن (والغضبية) للاستعلاء والاستيلاء والمدافعة (والعقلية) للعلم والحكمة ﴾

فاذا كان القائمون بأمر المدن لم تفتح بصائرهم فتعشق العلم عشقا مفرطا بحيث تضارع في عشقها له وحبا القوتين الأخرين (الشهوية والغضبية) فان صاحبها لا يرى أمامه إلا (باين من اللذات) باب الانتقام بالقوة الغضبية وباب الشهوات في المال والنساء واذن يقول في نفسه « ما فائدتي من علوي على الناس أآكل مما يأكلون وأقتصر من الشهوة البهيمية على القليل . كلا . فلأشارك الناس في أموالهم بالرشا وفي أعراضهم بالزنا والا كنت غير راجح من هذه الحياة ربحا يناسب علوي على الناس » . فأما ذلك الذي فتحت عين بصيرته وعشق العلم واستنارت بصيرته فانه بينما تراه يحكم بين الناس بالعدل يكون غرامه موجها الى إدراك الحقائق باحثا عن عجائب هذا الوجود مبتهجا بهجة لا يحس بها غيره واذ ذاك يعلم علما ليس بالظن أن بينه وبين صانع هذا العالم محبة فائقة وعلى مقدار ارتقائه في تلك المدارك تكون لذته بها - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - ويرى الناس أبناءه وكأنما هو خليفة عليهم أو أم لهم وتمثل له هذه الدنيا والعدل فيها بهيئة قناطر بناها المهندسون فاذا غفلوا عن احكامها وانتظامها وحسن اتقانها اعتراها الاختلال جفري الماء وأغرق البلاد وأهلك العباد . فالوزن والنظام في القناطر والجسور يضارعه الوزن والنظام في الأخلاق . والحساب في المعاملات ونظام البنين يضارعه قراءة التاريخ وسير الرجال في علم الأخلاق فالتاريخ والحوادث وعلم الأخلاق والقانون والفقه . كل هذه موازين لأعمال الناس وأحكامهم ومعاملاتهم وقضائهم كما كان علم الهندسة والحساب والجبر وأمثالها موازين توزن بها أعمال دواوينهم ونظام مدنهم وهندسة مبانيهم . وكما كان رقاد الساعة تبيانا لأوقاتهم ومواعيد أعمالهم وخسوف القمر مبينا مقادير شهورهم كما تقدم موضحا وهكذا مقاييسهم وموازينهم المرتبة على النظام العام كما في ضلع الهرم المبنى على مقتضى مدار الأرض حول الشمس إذ كان محيط الهرم جزءا من مليار منه والارتفاع جزء من البعد بين الأرض والشمس وضلع الهرم المذكور أصل كل مقياس في مصر . هكذا (المتر) لم يصنعه الفرنسيون إلا على مقتضى محيط الأرض (واليارده) عند الانجيز ترجع للعدن في رقاد الساعة الذي يدق في الثانية مرة واحدة فهو إذن رجع للنظام العام . وهكذا نرى في هذا العصر أن الماء يعرف مقداره بألة تعده . وهكذا بخار القطار له جهاز يعرف به عدته كما يعرف الزمن بالساعات . وتقاس الحرارة بالمقياس المتيني (ستجراد) أو بمقياس (فارنهيغ) الانجليزي أو بالمقياس التلياني وهو الثمانييني . كل تلك المقاييس تنبيه على الطبائع الثابتة فقوى الحرارة لا خطأ فيها كما لا خطأ في سير الكواكب وفي الجاذبية . وهكذا مقاييس الكهرباء . فهذا كله من الميزان الذي قامت به السموات والأرض وكلما كثرت موازين الأمة زاد ارتقاؤها وعقولها وبنقص الموازين

تنقص العقول والنعم وموارد الرزق ويجمع هذا كله قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فالله يشهد بوحدايته مع القيام بالقسط وهو ما شرعنا وبليه الملائكة وبعدهم أولوا العلم وهم المذكورون في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - فظهر أن هؤلاء هم الذين يخشون الله ومتى عميت هذه الآراء في أم الإسلام ظهر فيهم حكماء مجتدون بهم يدوم مجد هذه الأمة الإسلامية كما دام مجد قدماء المصريين آفا وآفا قبل أن يحل بهم الفساد والفسوق والترف فان هذه المباحث قد أشربت بها نفوسهم وحببت الى قلوبهم حتى كتبوها على صناديق موتاهم للتبرك بالبروج السماوية والكواكب الدرية المرسومة كما رأيت في الكتب المنشورة حديثا ونظير صراط الله في السموات والأرض صراط الانسان بالعمل الصالح والأخلاق الفاضلة لانها وسط بين الافراط والتفريط . وخير معرف لمحاسن الأخلاق تاريخ الأمم والله يقول في ذلك - اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - وهم الذين يقرأ الناس سيرهم في التاريخ . ويقول أيضا - وذكرهم بأيام الله - ومن ذلك علم التاريخ والوقائع . هذا ما فتح الله به صباح يوم السبت (١٠) نوفمبر سنة ١٩٢٨ م وبه تم تفسير (سورة المؤمنون) والحمد لله رب العالمين

﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع أحد الاخوان على ما كتبت هنا في أقوال (عمانوئيل) في صفحة (١٨٨) وما بعدها فقال إن هذا الكلام معناه انه لا تغيير للأخلاق بعد الموت وكان هذا يأس للنفوس فهل أنت واثق بأقواله . قلت هذه أمور غيبية والغيب لله ولكن هذا القول أشبه مما جاء في علم الأعداد فان علماء خواص الأعداد يقولون إن لكل عدد خاصة لا يشركه فيها سواء فالانان أول الأعداد أما الواحد فليس منها لأنه لا تعاد فيه والثلاثة أول عدد فردي والأربعة أول عدد زوجي والخمسة عدد كروي أى انه متى ضرب في نفسه مرة أو مرتين أو آفا فان (٢٥) يكون محفوظا دائما ولم يجدوا عددا مثله وهكذا (٦) مثله في انه يحفظ عدد (٦) في جميع مضروباته لا غير وليس مثل (٥) في حفظه الآحاد والعشرات . فالعالم الذي نعيش فيه كأنه أعداد وكل عدد لا يشترك سواء فكل فرد لا يشترك سواء في خواصه . هذا من جهة يوافق حديث ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ ومن جهة أخرى تقول نحن نجعل خواص النفوس والله هو العليم وحده بها . فاذا قرأنا حديثه ﷺ في الشفاعة وأن الله لا يزال يخرج العاصين من النار حتى يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ثم هو نفسه (وهو أرحم الراحمين) يخرج أناسا منها برحمة لم يفعلوا خيرا قط رأينا ينطبق على الرحمة التي شاهدناها له في الدنيا وهو الذي يليق بجماله وجلاله . وأما مشاهدات (عمانوئيل) إن صح ما نقلناه عنه فهي جزئية لا كلية والله وسعت رحمة كل شيء ومع هذا علينا أن نحترس من الذنوب حتى لا يحجبنا عن مشاهدته وعن النظر لوجهه وعن دخول جنته . وينبغي أن نزداد علما حتى نخشاه وكما قل علم الانسان قلت خشيته من ربه وكلما كثر علما زادت خشيته والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الحادى عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

وبليه الجزء الثانى عشر وأوله تفسير سورة النور)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارى بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
فانها تعيش	والناموس فانها لا تعيش	٣٥	٧٧	وأقواها	في السنة	٦	١٩
درجة	قدم	١٤	٧٩	وكواكب	كواكب	١٤	٢٠
بالاستعمار	بالاستعفاء	٢٣	٨٠	سنة ١٣٤٤	سنة ١٣٤٦	١٩	٢٧
والعالم	والعلم	٢٥	٨٠	فرجعوا	فوجعوا	٢٩	٣١
الحشرة	الفراشة	١	٨٢	فكان	فكان	١٦	٣٤
القول	حديث	٦	٨٧	نتيجته	نتيجة	٢٦	٣٥
فون	فون	٣٤	٨٧	نصرت	نصرتك على	١٤	٣٧
اتهى . وقد بلغنا	اتهى	٢٠	٩١	وأبغضوا	و بفضوا	٤	٤٠
من بعض حجاج سنة				رسول رسول	رسول رسول	٣	٤٤
١٣٤٦ أن الحكومة				وكل نبى نبى	وكل نبى منبى	٣	٤٧
الحجازية منعت هذا				حقيقته	حقيقة	٣٢	٥٣
الضرر فالجد لله				الذين عرفاهذه	الذين عرفاهذه	١٥	٥٥
تقرى	تغرس	٣٣	٩٤	الحقائق ودونوها	الحقائق ودونوها		
يفرى	يفرى	٣٣	٩٤	بعدها	بيد	٢٦	٥٨
الفراش	الفرائش	٢	١١٧	الذى له سلك	الذى	٢٢	٦٢
هذه هى	هذه	٤	١١٧	والذى			
الفراش	الفرائش	٤	١١٧	وبالعكس إن	وبالعكس	٣٤	٦٢
رفضته ولم تأكله	رفضه ولم يأكله	١٣	١١٧	كانت فى باطنها			
تبع (بتشديد الباء)	تبع	٣٣	١١٧	انه	إن	١٠	٦٣
آكل	أكل	٣٥	١١٨	نباى	نباى	٣١	٦٣
العوامل يريها	العوامل	٢٤	١٢١	تلاميذ	تلاميذا	٤	٦٤
المغنين	المغنيين	٢	١٢٢	المنقذة	المنقذة	٧	٦٤
أنفسكم	أنفكم	٣٢	١٣٠	منار	لمنار	٢٨	٦٧
مستكبرين	مستكبرين	١٨	١٣١	الوطن	الخنس	١٣	٦٨
وعشش	وعشش	٥	١٣٣	صنعوها	صنعه	١٦	٦٩
فماذا نجد	فنجد ماذا	٣٤	١٣٣	بالتعلم	بالتعليم	٣٠	٧٠
سيما أن	سيما وأن	١٩	١٣٨	القلب	فى القلب	٣٠	٧٠
طباع	أطباع	٢٤	١٣٨	وتعممها	وتعمها	٧	٧٧
المائة	المسألة	١٢	١٤٠				

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
ولاما	ولا بما	٢٧	١٧٤	فاستبدلوا اللعنات	فاستبدلوها	١٩	١٤٢
سببت الذل	أذها الله	٢٧	١٧٥	بها	باللعنات		
- والوزن يومئذ	والوزن يومئذ	٣٥	١٧٥	فريسي	فرنسي	٢	١٤٣
الحق - في الأعراف	الحق			خامسة	خاصة	١	١٥١
المناسب لما هنا					النحل	٦	١٥٤
يعطى	تعطى	١٥	١٧٦	والتي	التي	١٢	١٦٣
عمران	عموان	٣٥	١٧٦	الأيسر ثم البطين	الأيسر	١٨	١٦٨
أو عمود	أو بعمود	١٥	١٧٨	الأيسر			
والوزن يومئذ	والوزن يومئذ	٦	١٧٩	حواس	عضلا	٢١	١٧٠
في سورة الأعراف	الحق			والقمر والكواكب	والقمر	١٤	١٧١
المناسب لما هنا				ولاما	ولا بما	٢٧	١٧٤
أمتار	مترا	١٥	١٧٩				

(تمت)

فهرست الجزء الحادى عشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ٢ تقسيم سورة الحج الى ثلاثة أقسام وذكر القسم الأول مكتوبا مشكلا
- ٤ تفسير القسم الأول المبتدىء بأول السورة المنتهى بقوله تعالى - وهدوا الى صراط الجيد -
- ٥ عجيبة من عجائب العلم وبيان أن استدلال (سقراط) على العالم الآخر هو غوى هذه الآية ذم المجيبين بأنفسهم
- ٧ العذاب المصغر فى الدنيا مقدمة العذاب فى جهنم
- ٩ هنا (أربع لطائف الحج) . فصل فى الكلام على قرب الساعة وبيان اضطراب أقوال بعض العلماء الذين تعرضوا لمعرفة يوم القيامة من محدثين وصوفية ومنجمين فهؤلاء كلهم أخطوا مثل السهلى المستدل بحروف أوائل السور ومثل (شاذان البلخى) المنجم الحج
- ١٠ (الفصل الثانى) فى الكلام على ظهور المهدي المنتظر وبيان نقد الأحاديث الواردة فيه وأن الجرح مقدم على التعديل وبيان أن المهدي لوصح لا يكون إلا فى عصابة من قومه وعصبة قریش قد انحلت إلا قليلا كما يقول ابن خلدون
- ١١ بيان آراء الصوفية فى المهدي المنتظر وأن أوائلهم لم يتكلموا فى ذلك وأواخرهم ظهر فيهم أمثال ذلك وهو دال على التشيع . وبيان (خاتم الأولياء) ومراتب الولاية التى يدعون انها تشبه مراتب النبوة وبيان خطتهم فى تعيين زمن المهدي فقد ظهر كذبه ورأى المؤلف أن الهداية يجب أن تنهيا لها الأمة كلها فلا يجوز الاتكال على رجل واحد فهذا من مصائب التقليد
- ١٢ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة - وبيان أن الجنين كتاب كتبه الله لنا بحروف كبيرة وأنه تدرج فى نموه كما يتدرج الحيوان فى مراتبه فإله حاسة وحاستان وهكذا الى الخمس . الكلام على التوهمين المتصلين
- ١٥ توهمان هنديان وتوهمان صينيان وتوهمان سياميان وقد اتحدا بعظم القص فى أسفل الصدر وتفرج عليهما الناس بأوروبا وذكر قصة حياتهما . وتوهمان آخران أحدهما صغير والآخر كبير . وبيان الحكمة فى خلق هذه التوائم . ذلك أن (شانغ) و (انغ) اتحدا فى الحياة بحكم الضرورة . هكذا نوع الانسان كله شرقا وغربا يضر الجميع ما يضر البعض غاية الأمر انهم لا يعلمون إلا قليلا فكيف إذن يكون أهل البلد الواحد أو أهل الدين الواحد . هذا هو الذى فهمناه من خلق هذه التوائم
- ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى - ثم نخرجكم طفلا - التناسل على (قسمين) قسم بطريق الذكور والاناث وهو معروف والآخر يكون بطريق الانقسام ونحوه . وبيان أن الذى يتناسل بالزواج بيضا إما أن يحضنه الطائر وإما أن يكون جنينا فى الرحم
- الكلام على نبات الكرنب وأن منافعه مرتبة على العناصر الداخلة فيه فكيف أنتجت الفتحات تلك العناصر مما حولها وكيف قترت بحكمة . تعاون الحيوان والنبات على الحياة وهما لا يشعران وبيان تنفس النبات وتنفس الحيوان وكيف علم الناس أن نفس الحيوان يخرج منه المادة الفعمية فتصل الى النبات فتصير فى تركيبه ويخرج منه اكسوجين فيصل للحيوان وهذا تبادل عجيب وأمر بديع وبيان كيفية تنفس النبات وانه يتنفس بأوراقه ففيها آلاف آلاف من الفتحات فيها يكون تنفسه
- ١٩ بيان مقدار ما يمتصه الانسان من الاكسوجين فى السنة وأن الحيوان يتنفس أربعة أمثاله . التعجب

٢٠ من أن النبات والحيوان يتبادلان المنافع بالتنفس ولا حياة لأحدهما إلا بما يتنفسه الآخر
 جوهره في مقال عام في قوله تعالى - يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا بالحق وفيها قصة خيالية
 تخيل فيها المؤلف طوائف من الناس اجتمعوا ولهم رئيس فاصطنع من بينهم خسا وجعلهم قوامين على
 هذه الطوائف التي هي (٣٦) طائفة وهم يخاطبون رئيسهم برسم الصور لا بالكلام في أسرع من لمح
 البصر وبين بذلك أن الرئيس هو الانسان والخص هي الحواس والطوائف هي (٣٦) محسوسات كالمجموعات
 والمنذوقات وهذه تجتمع في الدماغ الذي ضربه المؤلف مثلا للوح المحفوظ مع انه لا تماثل بينهما ففرق بين
 الحادث والقديم وهنا ذكر القوى الباطنة كالذاكرة والمفكرة والتخيلة والخص المشترك . فكما أطاعت
 الحواس الانسان أطاع الملائكة الله وان كان لا تشابه ولا تماثل بل هو ضرب مثل لا غير . وكما أن للانسان
 غرائز كالجوع والعطش والشبق والغضب والحب والبغض والطيران في الهواء . فاما من غريزة من هذه
 إلا وجد لها ما خلقت له كاللآكل والشارب والنساء والأعداء والأحباب . هكذا غريزة حب البقاء وجد
 لها ما خلقت له وهو عدم الفناء بعد موت الأجساد . وهكذا يجد الانسان في نفسه غراما بهذه النجوم
 الجيلة واشتياقا إليها . كل ذلك غريزة في النفوس الكبيرة كما ان حب التزوج وحب الولد غريزة في
 البالغ لافي الصبي . وههنا ذكر المؤلف سديم المرأة المسلسلة وسديم الشلياق الخاق والسلاق اللوابي
 وسديم الجبار المرسومات كلها في صفحة (٢٥) والانسان مغرم بها فلا بد من وصول نفوس بعض الناس
 إليها متى كمل استعدادها بعد خروجها من أجسادها

لطيفة في قوله تعالى - ومنكم من يرد إلى أرذل العمر - وبيان كلام (كلمصو) الوزير الفرنسي الذي
 بلغ الثمانين ويقول اني قوى كالشباب . ايضاح الكلام على النبوغ (العبرية)
 ٢٦ صفات النابغين وانهم يحسون بنقص في زمن الصبا فيريدون تكميل أنفسهم وانهم يعتنون بصحة
 أنفسهم وانهم يعيشون طويلا وهذا مصداق لقوله تعالى - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض -
 ﴿ القسم الثاني ﴾ قد كتب مشكلا أولا - إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله - الى قوله تعالى
 - وبشر المحسنين - والتفسير اللفظي لهذا القسم

٢٩ ذكر خمس لطائف في المسجد الحرام وما بعده ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ وفيها تبيان لطف الله تعالى بكل نبات
 وحيوان حتى انه راعي أمر الامن فجعل البيت مأمنا لهم كما خلق الجبال المنيرة يأمن فيها الخائفون .
 وهكذا جعل أهل أوروبا سويسرا مأمنا يأوى إليها المضطهدون السياسيون

٣١ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - فكلوا منها - الخ ﴿ واللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - لكم فيها
 منافع الى أجل مسمى - وبيان اختلاف العلماء في المنافع المذكورة مثل ابن عباس ومالك والشافعي
 وغيرهم . مسامرة في قوله تعالى - فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - وبيان
 محاوره بين المؤلف وبعض الحجاج وملخصها أن ذبح الضحايا والهدايا ورميها على الجبال أيام منى (انصح)
 انها تلقى هناك وتعفن الجؤ وتميت الناس ولا تعطي للفقراء فان هذا حرام لأن الله أمرنا أن نعطي البائس
 الفقير لا أن نرميها تعفن الجؤ وتمهلك الناس والاستشهاد بكلام الأطباء والعلماء وبمحت مسألة الوباء العام
 وهل يدخل الناس القرية الموبوءة ويخرجون منها وهكذا . وبيان ما يقوله (ابن القيم) من أن دين
 الاسلام يسر كله لا عسر . وبيان تفصيل الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف . ودخل في هذا المقام
 شرح مسألة التوكل وهل دخول الناس أرض الوباء مع العلم به توكل . الجواب . كلا . كما يقوله الغزالي
 ٣٦ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا - ﴿ واغماصة ﴾ في قوله تعالى - لن

- ينال الله لحومها ولادماؤها - الخ
- ٣٧ ﴿ القسم الثالث ﴾ - إن الله يدافع عن الذين آمنوا - مكتوبا مشكلا الى آخر السورة
- التفسير اللفظي لهذا القسم
- ٤٠ نصر الأنبياء المذكورين في السور السابقة ونصر سيدنا محمد ﷺ وأصحابه وبيان أن التجربة هي الحكم في أمر الأديان . فاذا جرب الانسان نصائح الدين ووجد النتيجة كما ورد فذلك دليل على الصدق كقوله تعالى - إن تنصروا الله ينصركم - وهكذا
- ٤١ بقية التفسير اللفظي من قوله - إن الله لقوى عزيز - الى قوله - والى المصير -
- ٤٣ لطيفة لتبيان ما تقدم وبيان ما يقوله ابن رشد الفيلسوف ان علم التوحيد مجرد قواعد أصعب جدا من التوحيد الفطري والتعريف يجب أن يكون أعرف من المعرف . وبيان أن (سورة النبأ) مثلا فيها ذكر الأرض والجبال وهكذا . وبيان أن كتب الفلسفة العربية عاشت في أوروبا الى النصف الأول من القرن السابع عشر . وبيان أن السفر سفران جسمي أولا فعقل ثانيا
- ٤٤ نظر المسلمين في المستقبل يكون ﴿ لأمرين ﴾ الأمم البائدة ولم بادت كالأندلس ومدنية بغداد العربية وأسباب ذلك ثم يدرسون الأمم الحاضرة المحيطة بنا كاليابان والصين وأوروبا . علوم الحكمة أيضا في الأمم وبيان أن أهل اليونان تبرموا من فلسفة (أرسطو) فتركوها فخر بوا مثل ما فعل العرب بعدهم سواء بسواء . بقية التفسير اللفظي - قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين - الى قوله - وإن الله لعليم حلیم -
- ٤٥ فصل في تفصيل الكلام على قوله تعالى - إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته - وبيان أن أكاذيب المبشرين والقسيسين على دين الاسلام في زماننا ومدارسهم المفتوحة فيها أشبه بالحشائش في زرعنا وأن شيوع القرآن في بلاد الاسلام وطردهم من بعضها نسخ لما ألقى الشياطين ومصدق للآية جوهرية في ايضاح تفسير قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - وبيان ما قاله (الشيخ الدباغ) الأحمى بطريق الفتح إذ قطع بأن الحق مع عياض وابن العربي لا مع ابن حجر في هذه المسألة وأن مسألة الفرانيق لا أصل لها وقد سرت بذلك الشيخ أحمد بن المبارك وأيدها بعلم مصطلح الحديث . ويقول الشيخ الدباغ ﴿ الأمنية في الآية أن يتمنى النبي الصلاح لأتمته فيوسوس لهم الشيطان فيفسخ الله تلك الوسوسة من قلوبهم ﴾ . وهنا استطراد بذكر حال هذا الشيخ وقد سئل في حديث ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ وكيف بين هو أن القرآن أتى بسبعة أصناف ﴿ آيات الصبر وآيات الآخرة ومقدرة الانسان على الكلام وآيات صفات الله وآيات الأمم الماضية وآيات الكفار وآيات المنعم عليهم ﴾ ولكل واحد منها اسم مثل حرف النبوة حرف للرسالة وهكذا الى آخرها وحرف البسط وقسم كل واحد منها سبعة أقسام كالسط مثلا جعله سبعة أقسام مثل الفرح الكامل الذي ينفي الحقد والحسد الخ ومثل سكون الخير في الذات ومثل فتح الحواس الظاهرة أى الاستلذاذ بالمحسوسات كاللبصرات مثلا فيجد لذة بالصور الحسنة وهكذا . وبيان سبب اقتصاري على هذا من (٤٠) صفحة مكتوبة في هذا المعنى لمناسبة الآية وتبيان أن هذا الأحمى أرجع الأحرف التي أنزل عليها القرآن الى ما يخلص النفس من الشوائب لتقرب من ربها
- ٥٠ اعتراض الشيخ ابن المبارك على الشيخ الدباغ بأن الأحاديث تدل على أن المراد بالأحرف السبعة كيفية النطق بألفاظ القرآن واجابة الاستاذ الدباغ بأن اختلاف الحركات في الكلمات تابع لاختلاف الأنوار

الباطنة وأخذ يرجع القراءات السبع في القرآن الى تلك الامور السبعة للمقسمة كل منها الى سبعة بحيث لا يكون خفض ولا رفع ولا تسكين في كلمة من القرآن إلا وهو راجع الى حال من تلك الأحوال الباطنة . وتبيان الحكمة في ظهور أمثال (الشيخ الدباغ) في أمة الاسلام وأن ذلك ليعلم المؤلفون أن علومهم انما هي شئ قليل جدا واذن يعرفون قدر أنفسهم وليعلم مشايخ الطرق انهم اذا لم يفيضوا على تلاميذهم مثل ما أفاض هذا الشيخ على ابن المبارك فهم إذن مغرورون وليصد العلماء في العلم وبيان أن هذا الشيخ عرف جبال الثلج الآتي ذكرها في (سورة النور) قبل معرفتها بالطيارات في أوروبا وسيأتي ذلك عند قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ في (سورة النور) وتبيان أن هذا يوجب أن يكون المسلمون أعلم الأمم بهذه العلوم وأن هذه تحمل لنا مشكلة الانسانية تلك التي سخرت لها الأرضون والسحوات فهل ذلك التسخير لأجل هؤلاء الناس على ما هم عليه . كلا . بل الناس اليوم أطفال يريهم الله وأن أمثال هذا الشيخ عرفونا قسرا الانسانية التي ربما تصل لها الأرواح يوما ما . وتبيان أن آراء هذا الشيخ في الحديث مع اختصارها جعلت زبدة الجزء الثالث والرابع من كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للإمام الغزالي أي المهلكات والتنجيات وأيضا هذه الروح فهمتنا ما معنى الروح الكاملة والناقصة ولئن أرواح أهل الأرض تصل الى الصلاح أما الكمال فنادر جدا

٥٢ بيان أن رجال السياسة الآن أشبه بالأطفال يقولون بالمساعدة العامة لفظا وقلوبهم كلها خبت كما نرى الأطفال يركبون الأعواد تشبها براكي الخيول من آباءهم . وبيان أن قراء هذا التفسير سيكونون على رأي واحد ومشرب واحد لأنهم يرون ديننا كل العلوم فأين الخلاف إذن سؤال لمؤلف هذا التفسير في انه اذا صح هذا أوجب ﴿ أمرين ﴾ الحزن على جهلنا بالنسبة لأمثال هذا الشيخ واننا نعيش متعطين الى هذه المرتبة وهذا يضرر بالعلماء في هذه الأمة فلا يخلص من هذا كله إلا المكذبون لهذه الامور وجواب المؤلف على ذلك بأن هذه العلوم لا يصح التطلع لها فان الجنين لا يصح أن يولد قبل تمام أشهره والاحصل الضرر . وأيضا نفس (الشيخ الدباغ) يقول ﴿ إن بين السماء والأرض نارا هي نار البرزخ فيها الأرواح المعدبة يشاهدها هؤلاء المفتوح عليهم ويشاهدون الأفلاك والنجوم وجيع العوالم وهذا كله ظلام فاذا اغتروا به انقطعوا عن الله فالفتوح خطر لأنهم معرفون لمعادنات الشياطين ﴾ وقال نحو ذلك الشيخ الخواص الذي أبان أن الفتوح قد يكون شرا على صاحبه واستدل بآية - فتحننا عليهم بابا ذا عذاب شديد - الخ بل قال ﴿ لا يصح قبول الفتوح إلا اذا لم يكن للنفس حظ فيه ﴾

٥٤ بيان نتيجة ما تقدم من أننا قد استوفينا هنا هذا المقام لتبين للمسلمين بعدنا أن كثرة العاطلين في أمم الاسلام باسم الولاية والصلاح أضاعت مجد الأمة فقد استبان هنا أن المفتوح عليه نادر ولو فرض ظهوره للناس وأقبلوا عليه كان الاكرام نفسه محسوبا عليه وأن كثيرا من المفتوح عليهم يصبحون سحرة وكهاناً وهم مغرورون وأيضا لا ينبغي لهم قبول الصدقة . وبيان أن ما شرحت هنا أيد لي ما قرأته في كتاب (راجا يوقا) الهندي إذ أظهر أنهم مع وثنيهم يفتح عليهم فعلت انه فتح ظلماني وهوشهوه نفسية لأقل وبهذا تبين أن ما يقوله الامام الغزالي في كتاب أيها الولد وفي الإحياء وما يقوله محي الدين بن عربي في (الفتوح المسكية) من الكشف يجب أن يحترس منه لأن ذلك قصد بهم كثير من العلماء فتركوا مواهبهم العقلية وبحثوا عما وراء الحسن فأضاعوا الأمة وحرمت من أمثال (أديسن) مخترع الفونوغراف إذن ما نكتبه في هذا التفسير نعمة وجهت لي وللمسلمين بعدنا . وبيان أن الله جعل بعض أنواع

النبات والحيوان مبتليات بالمزيجات المهلكات كالحشائش في مزارع الذرة والقمح وكالهوام والميكروبات المسطحات على الحيوانات الكبيرة هكذا ديانا الانسان ان لم تكن فيها شبه يعوزها عقل نامت الأمم وكسل الناس

٥٧ فصل في أن العقاب يجب أن يكون على قدر الذنب وتمثيل ذلك بإيلاج كل من الليل والنهار في الآخر وبيان أن الفرق بين الليل والنهار في مصر أربع ساعات وفي أطراف الهند والصين ساعتان وهكذا يكون ١٢ و ١٨ و ٢٤ وستة أشهر . فأما في خط الاستواء فهو (١٢) ساعة لاغير

٥٨ لطيفة في قوله تعالى - ذلك بأن الله يولج الليل في النهار - أيضا وبيان أن القتال مع العدو ليس هو مقصود هذه الدنيا بل العلوم فارتفعوا رؤسكم الى السموات وهذا يتم بعد نظام الأخلاق وجمالها الذي شرع لأجله الجهاد . وبيان أن هذه المناسبة في الآية وجمالها يجعلها عالم البلاغة

٥٩ فصل في ذكر عجائب الارض بعد العجائب السماوية قال تعالى - ألم تر أن الله أنزل - الى قوله - لكفور - لطيفة في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة - وأن الأمم ان لم تهذبها الحوادث فلاسيب الى رقبها والتي هذبتها الحوادث تكون كأرض نزل عليها الغيث فنبتت بعد يبسها . وهنا أقوال الأرواح ان الحوادث العظيمة يحدث بعدها رقي الانسان وهكذا قول علماء الألمان ان وقوع الأزمات والحروب في الأمم مرقبات لها وهذا غوى معنى الآية أو ما يقرب منها وبيان أن دراسة البلاغة لا تنكفي لفهم القرآن

بهجة العلم في قوله تعالى - فتصبح الأرض مخضرة - وبيان أن كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ فيه وجوب خدمة جميع الناس بعضهم لبعض وأن أرض كل أمة يجب استخراج ما كمن فيها وأن الأمم يجب أن تفعل ذلك طوعا أو كرها وأن انتهاب مافي أيدي الناس بالحرب جريمة في عصرنا لا تقتصر وأيضا يجب ترقية جميع العقول في الأرض . فهاهوذا العالم الهندي (جاجاديس بوز) جاء للنوع الانساني بعلم جديد ينفع أهل الشرق والغرب مصداقا لما ذكرت في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ فقال في خطبته بمصر في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٨ انه عرف أن النبات كالانسان والحيوان سواء بسواء فله إحساس وله حركة وقد برهن على ذلك بألته المسماة (كوسيكوغراف) وهي تكبر الحجم خمسين مليون مرة مع ان (الميكروسكوب) يكبره ألفي مرة فقط وتبيان مقدمة لهذا في أن يد الانسان الآتي بيانها في (سورة المؤمنون) ١٢ طبقة في كل ناحية ست طبقات وأن الجلد يتلوه أعصاب الحس فأعصاب الحركة فالشرايين التي تغذي الجسم وهذا أشبه بهيئة ما نراه في الأرض من أسلاك التلغراف (البرق) أعلى والقطار على سكة الحديد تحته ثم المساقى تحتها تسقى الأرض فترتيب جسم الانسان الذي ظهر في اليد هو عينه ترتيب الناس في نظامهم . كل ذلك لمعرفة خطبة (جاجاديس بوز) وملخص خطبته في حياة النبات وأن الشرق والغرب كل منهما يخدم الآخر وقد سلب الكهرباء على نباتة فأخذت في النزع كالانسان ثم ماتت وكل هذا وضح بالعمل والحركات وعدمها وقد أعطى نباتا آخر سما فأخذ في النزع ثم أعطاه تريباقا فنجت النباتة من الموت

٦٦ بيان أن جذب الأرض لنا أشبه بمقامع من حديد والا فلماذا لانسير في أعلى لنرى النجوم التي نجبها فصل في ذكر أن كل أمة لها شريعة ونحو ذلك قال تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا - وتفسيرها تفسيراً لفظيا الى - وبئس المصير - . لطيفة في قوله تعالى أيضا - لكل أمة جعلنا منسكا -

بهجة ومسامرة في قوله تعالى - لكل أمة جعلنا منسكا - الى - وبشر المحبتين - ووصف أم مملكة (اشاتى) الذين هم وفتيون وحشيون وهكذا وصف قوم آخرين على نهر (نيجر) قد أسلموا وتبدلت عاداتهم وصاروا عادلين وذلك في رواية (المستر ممسون) الامريكى

- ٦٨ بيان عادات الزواج عند المتوحشين هناك وكيف يجزعون لوضع الأثني ويفرحون للذكر وان من القبائل من جعلت النساء عليهن الصيد والعمل وعلى الرجال صنع الطعام في البيت وإذا جاء الحرب حارب الرجال وعلى النساء القيادة والتدبير . وهكذا هناك قوم آخرون بعكس هؤلاء فلرجال السلطان والنساء أشبه بالسواثم والقرآن جاء لاصلاح أهل الأرض قاطبة
- ٦٩ كيف كان مبدأ اشتغالي بالعلم وذكر اتى كنت أقول إن هذا العالم مبعثر غير منظم ونظرت في العالم العاوي والسفلى كما يقول العلماء فلم أجد إلا خللا على حسب فهمي إذ ذاك ولكن لما قرأت حديث ﴿ لقد أنزلت على الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبرها وهي - إن في خلق السموات والأرض - الخ ﴾ فكرت إذن وانفتح لي الباب الى الآن
- ٧٠ بيان مطالعتي لتفسير الجلالين ودخولي ﴿ دارالعلوم ﴾ وكيف وجدت دروس الفلك والطبيعة والكيمياء هي التي كنت أطلبها في الحقول اجالا وكيف كانت مسراقي بذلك . ﴿ أمة الاسلام والعلوم ﴾ وبيان أني تعجبت من أمة الاسلام كيف يكون هذا دينها وهذه مطالبه وكيف يكون أهل أوروبا الذين ليس في دينهم شئ من ذلك أعلم من المسلمين بهذه العلوم
- ٧١ بيان أن جد الانسان على مقدار المعرفة وكيف يخاطب المسلم ربه بقوله في ركوعه ﴿ خشع لك سمى الخ ﴾ وفي سجوده بقوله ﴿ سجد وجهي الخ ﴾ . كيف يفقه سمعه وبهره المذكورين في خطاب ربه إلا اذا عرف حقيقتهما وعجائبيهما
- (فصل) في ضرب المثل بالذباب وهو التفسير اللفظي لقوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الى آخر السورة
- ٧٣ لطيفة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - وبيان درس من كتاب انجليزى مترجم عن الفرنسية وأن المدرس سأل التلاميذ عن الفرق بين الذبابة والحصان . فأجاب بالكبر والصفرة . وردّه بالمناظر المعظمة . فأجاب آخر بالأجنحة وعدمها فردّه بقطع أجنحة الذبابة وهكذا الشعر فردّه بأن الذبابة لها شعر فقال غيره بعدد الأرجل فردّه بكسر رجلين اثنين من الذبابة ثم قال . كلا . فالحصان له عظم ودم والذبابة لا عظم لها ولادم وعلى هذه النظرية رجع تقسيم الحيوان الى ﴿ أربعة أقسام ﴾
- (١) الحيوانات الفقرية كالسمك والانسان
(٢) الحيوانات الحلقية كالحشرات والعناكب وذوات الأرجل الكثيرة والحيوانات القشرية والدود
(٣) الحيوانات الهلامية وجسمها أشبه بالفلوذج
(٤) الحيوانات الشعاعية مثل (سمك النجم) و(المرجان) و(الاسفنج) وهنا في صفحة ٧٥ صورة المرجان والسمك النجمي . وبيان أن هذا كل ما خلق الله في أرضنا منه وقد عدتها (اسبنسر) مليونين
- ٧٦ جوهرة في قوله تعالى - وان يسلبهم الذباب شياً لا يستنقذوه منه -
- روضات الجنات ومناهج الحكمة في قوله تعالى أيضا - وان يسلبهم الذباب - الى - إن الله لقوى عزيز -
- ٧٧ بيان أن الذباب والحيات ونحوها مخلوقة من المواد القادرة العنارة لتصلح الجو ولكن هناك في تلك الأنواع يبقى أصل الاضرار فينقلب الضرر الى سم في الحيات والى نقل العدوى في الذباب ونحوه
- بيان أوصاف الذباب والحشرات وكيف كثرت وكيف سلط الله عليها مهلكاتها وأن لها ستة أرجل وأجنحة وبقية أوصافها وانها تبيض كالطير ولكنها لا تحضن بيضها كما يحضن الطير وجنينها يخرج من الحشرة دودة بخلاف الطير فانه يخرج طيرا

٧٧ ادخار الحشرات وعدم ادخارها وبيان أن أمثال الذباب رزقه موفراً لا يحتاج إلى ادخار . وأيضاً هو ونحو الناموس والجراد لا تعيش للعام المقبل فلم تدخر إذن

٧٨ العنكبوت والطيور والنبات الحيواني . وبيان أن الله يقول بلسان الطبيعة التي خلقها « أيتها الطيور ويا أيتها العنكبوت ويا أيها النبات الآكل للحيوان (المتقدم في سورة الرعد مرسوماً مشروحاً هناك) إن هذا الذباب (وان نفع أهل الأرض بأكله القاذورات) قد أضرتهم بنقله العدوى فهماً إذا سلطتكن عليه لأنى رحيم بخلق الذباب ورحيم باهلاكه وأنت أيتها العنكبوت قد جعلت ذات قوة وبطش بالذباب الذي أعنته بالعيون التي تبلغ (٤) آلاف عين وهكذا أنت أيها النبات الآكل للحيوان قد سلطتكن على الذباب فاحتل عليه بنفسك كما احتالت العنكبوت عليه بشبكته . فهذا اتفاق في صنعى فكيف يعبد الناس الأصنام وقد سلطت عليها أضعف مخلوقاتي وهي لا تمتنع . ولقد أنزلت هذا القرآن ليكون ملجأً يلجأ له الناس بعد القرون الأولى أولئك الذين لم يعقلوا عجائب خلقى للذباب وللعنكبوت فعبدوا الأصنام ولوعقلوا ما يعقله الناس اليوم لم يبن أهل الصين مثلاً أصنامهم فوق أعلى الجبال والأمم المستقبلية هي التي تنبذ الأصنام ويعبدونى لوقوفهم على بدائع خلقى في أحقر مخلوقاتي كالذباب الذي كان عيشه الرغد لا يلازم الشرف بل معيشة السعى الملازمة للعنكبوت أشرف كالأمم الصانعة فهي أشرف من أم الفلاحة كشرف العنكبوت وعلوه على الذباب ، وبيان أن العنكبوت يجب على رجال الزراعة ابقاؤها وابقاء الطيور لأنها قتالة للحشرات . وبيان أن بعض أهل العلم في المدارس ونظارها يجهلون أمثال هذا لحقارة هذا العالم عند بعضهم والمحاورات بين المؤلف وناظر مدرسة . وبيان مدار بين المؤلف وبين بعض مدرسى المعارف في مجمع عام أيام الامتحان العام وانكارهم عليه جميعاً كون الثملة لها (٤٠٠) عين وظهاره الحجة لهم ونشر ذلك في الجرائد في حينه . وستنشر تلك الرسالة في (سورة النمل) وأن ذلك لوجود عاطفة العلم في البلاد لأحوال عارضة . وبيان أن المدار في العلم على الشوق إليه وذوقه لأعلى قراءته وحضوره كالجمال فقد يكون الجميل لديك ولا تعقل جماله لعدم استعدادك لفهمه والكلام على الجنادب والذباب والحشرات . وأن اللبن المخلوط مع الملح عند الفلاحين بعد بقاءه مدة مغطى في الأواني يرون فيه ذباباً ودوداً وذلك بسبب بيض الذباب فيه قبل تغطيته

٨٣ رسم الذبابة وشرقتها ودودتها وأن الله ألهمها أن تضع بيضها في طعامنا وشرابنا ثم إن الحشرات خلقت من العفونات وهي تخرج أنواعاً وأصنافاً ذات ألوان بديعة ونقوش جميلة ومحاسن بديعة كالعقيق والذهب وغيرها ولم يعرف الناس من الحشرات إلا (٢٠٠٠٠٠) مثل الجعلان ونحوها ، ثم إن الخنافس عتوا منها (٨٠٠٠٠٠) ولما كانت هذه المخلوقات في غاية الإبداع جعل المصريون (الجمل) علامة الخصب أولاً ثم جعلوها قبلتهم ثم عبدوها

٨٤ ههنا وصف جميل بديع للحشرات وأدوار تغلبها ووصف (الشرنقة) بقلم المرحوم أستاذنا على باشا مبارك وبهجة الجعلان وحسن نقشها وعبادة المصريين لها وهذا كله بأحسن بيان يشرح الصدر

٨٥ محاضرة في قوله تعالى - يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له - الخ وبيان اعتراض على المؤلف وأنه لماذا يصف الذبابة ويطلق في هذا المقام والاجابة عليه بأن اللسان العربي يقتضى ذلك وأن امرأ القيس في قصيدته وصف الذئب لما عوى بيتين وطرفة بن العبد وصف ناقته التي ليست مقصودة له في (٢٩) بيت وليد بن ربيعة وصف الناقة بنحو (١٤) ثم زاد (١٧) وما ذكر الذئب ولا الناقة عند هؤلاء إلا في عرض الكلام على المحبوبة . فاذا صح هذا في أغراض ساقطة سافلة أفلا يصح نظيره في أغراض شريفة

عالية لرفعة الأمم و بناء مجدها في مستقبل الأيام . وهذا التفسير قد هياه الله لبناء مجد الأمم الاسلامية
وغيرها في المستقبل

٨٦ نمط آخر في المحاضرة و بيان اننا نحن المسلمين لجهلنا لم يكتف الله بتسليط الذباب علينا . كلا . بل أرسل
(مكروب الطاعون) ونحن لانعلم انه موجود في الأرض وهكذا مكروب الأمراض الأخرى . ولما جهلنا
هذا وذاك سلط علينا أوروبا . ذلك لأن المسلم الغبي أشبه بمن يعبد هواه . وهذه الأمم الاسلامية طال
عليها الأمد فقست قلوبها وأذهبا ملوك ظالمون . والمسلمون أقرب الى رجوع مجدهم من الأمم الأخرى
واستطراد في شأن العلقه التي هي أحد أقسام الحيوان التي عرفت بمناسبة الذباب وانها حيوان مائي
والحيوان المائي يقال انه ارتقى فصار برتيا وأخذت ترتقى الحيوانات طبقا عن طبق فهي أولا متشابهة
ثم تأخذ في التباعد كلما ارتقت ثم ذكر ملخص المحاضرة وذلك في (١٢) مسألة

٨٩ محادثات بين المؤلف وبين السامعين في علم الفقه كالبيع والطلاق والصلوات وانه مفهوم وأن العلوم الأخرى
متروكة مع انها في القرآن مذكورة بكثرة . وإيضاح معنى عبادة الهوى وأن عباد الصنم ماعبدوا إلا
أهواءهم . أفلا يكون اعراض المسلم عن جلال الله في الطبيعة أشبه بعبادة الهوى . و بيان أن دراسة
هذه الجائبات في الحيوان دراسة لأنفسنا كما جاء في كلام (بول برت) . ثم بيان أن هذه الدراسة ترقى
العقول الاسلامية وتجب الناس في ربهم . تذكرة في ايضاح - فاذا وجبت جنوبها - الخ وبهذا تم
الكلام على (سورة الحج)

٩٢ (سورة المؤمنون) تقسيمها ﴿ثلاثة مقاصد﴾ وكتابة المقصد الأول مشكلا وتفسيره اللفظي من أول
السورة الى قوله تعالى - وعليها وعلى الفلك تحملون -

٩٧ ﴿ثلاث لطائف﴾ رأى جديد في مهد البشرية وحضارة ما قبل التاريخ وقول (جيمس) الضابط الانجليزي
انه قرأ (١٢٥) لوحة في الهند قديمة تدل على قارة (مو) في الأوقيانوس الباسفيكي قبل (١٥) ألف
سنة ثم ابتلعها البحر وكانوا يطيرون بطياراتهم والطيارة فيها (٢٠) جنديا

٩٨ (هداية نجمت من هذه الآيات) . ذكر الله تاريخ خلق الانسان . فلماذا هذا . ليدلنا على سبيل
التعلم في المستقبل بأن نقرأ تاريخ العلوم . إن العلم بدون تاريخه ناقص كالقراءة بلا معرفة الحروف الهجائية
وكرزح الأرض بدون حوث وهذا صراط ربك مستقيما فلنسر على صراطه وكتاب ﴿كشف الظنون﴾
وأمثاله يقوم بأكثر ذلك . إن أوروبا تقرؤه كما هو صراط الله فليقرأه المسلمون لأنه صراط الله

٩٩ جوهره في قوله تعالى - نخلقنا المصنفة عظاما - الى - خلقا آخر - و بيان أن العين والأذن شرحهما
في (سورة آل عمران) وكذلك جميع أعضاء الجسم التي لها أهمية كلها مشروحة هناك تفصيلا

١٠٠ (خاطران متباينان) للمؤلف عند اطلاعه على نظام جسم الانسان (خاطر العظمة) و (خاطر الخجل)
فالعظمة لأن أرواحنا أعدت لها مسكن فوق ما يتخيله العقل من الاتقان والخجل من أن الانسان جهول
يعيش ويموت وهو لا يعلم هذا الجلال إلا النادر جدا من الناس

﴿الفصل الثاني﴾ في تركيب جسم الانسان

١٠١ (شكل ٩) قطاع عمودي لجسم الانسان وفيه مجاورة الأعضاء بعضها لبعض وفيه بيان العنق والخنجر
والقصبه الهوائية والجذع وما فيه من صدر وتجويف و بيان القلب والرئين والأورطي . وهكذا تفصيل
(٢٠) عضوا موضحة أيما ايضاح

١٠٢ جهاز الحركة مرسوما (شكل ١٠) وفيه ايضاح (٢٩) عضوا كعظام الجمجمة والوجه والفقرات والقص

وهكذا الى عضلات الساق وضرب مثل لذلك كاه بتفاحة يأكلها الانسان فهى كزائر لمنزل والعين
توصل الخبر للمخ كما توصل الكهرباء الخبر لأهل المنزل وهكذا أعصاب الحس وأعصاب الحركة كل له
عمل فى دخول التفاحة كما ان للخادم وغيره عملا فى دخول الزائر

١٠٣ إيضاح الكلام على الجهاز العصبى وجهاز الحركة والجهاز الهضمى والدورة الدموية والتنفسية والليفاوية
والجهاز البولى والجهاز الجلدى . فهذه (٨) أجهزة كلها تعاونت على قبول الزائر لها وهى التفاحة
التي استأذنت من الحاكم فى المخ بواسطة أعصاب الحس ودخلت بواسطة أعصاب الحركة

١٠٤ ﴿ الفصل الثامن ﴾ فى أبداع ما رأيت فى هذا المقام . وذلك انى حصلت لى موانع منزلية خفت أن
تلهينى عن جلال التفسير فقابلنى فى أثناء عملى من جاء من أوروبا ومعه صور فى تشرح اليد وانها
(١٢) طبقة . وهنا تبدى لى العجب إذ رأينا أعصاب الحركة القابضة مثلا غير الأعصاب الباسطة وكل
منهما أنواع تعد بال عشرات . فأنواع البسط كثيرة فقد يكون قليلا وقد يكون كثيرا وهكذا ولكل
نوع منها أعضاء خاصة فأخذت بعض الصور ورسمت فى صفحة (١٠٦) و (١٠٧) والذي رسم هو
أعصاب الحركة التي للقبض وأعصاب الحركة التي للبسط تنبئها على غيرها

١٠٨ إيضاح أن الأجهزة الثمانية كلها متعاونات والمسيطر واحد . وهناتجب المؤلف من نظام هذا الانسان
فى جسمه المتقن اتقاناً تاماً مع نظام الاجتماع وتذكير القارئ بما تقدم فى أول (سورة طه) من أم
حياتها كلها قتل وتوحش فظيع وأن ذلك النظام الوحشى لايناسب نظام الانسان وانما الذى يناسب
نظام جسم الانسان ماتقوله الأرواح ﴿ إن الأرواح العالية لاخلاف بينها فما يراه بعضها يكون فكراً
للجميع ﴾ هذا هو النظام الموافق لنظام جسم الانسان فان التعاون الذى بين هذه الأعضاء هو نفسه
الذى نسمعه عن الأرواح العالية الذى جاء فى قوله تعالى - وزعنا ما فى صدورهم من غلّ اخوانا -
ثم إننا نرى رجال الحكومات متعاونين تعاوناً صناعياً تاماً تشبها بالنظام الأعلى ونرى رجال الأمم السياسيين
متعاونين تعاوناً على طريق النفاق والخداع والكذب فهو تشبه خيالى

١٠٩ نور على نور فى قوله تعالى - ثم أنشأناه خلقاً آخر - الى قوله - ثم إنكم يوم القيامة تبعثون *
- ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - و بيان أن الناس قد سخروا البرّ والبحر والكهرباء والمغناطيس
وطاروا فى الهواء وتراهم فرحين بهذا وفاتهم أن هذا الفرح كفرح الفارس بفرسه والطفل بلبعته . انه
فرح بما هو خارج عن النفس أى مالا تملك فكيف فرحوا . يجلس الانسان ساعة فيجد نفسه تنتقل
من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ومن السموات الى الأرض فلايبالى بهذا السرّ الذى فيه
ويعده من سقط المتاع وذلك لأنه لم يتعب فيه ولم ينصب . لذلك كاف الله الناس بالعلم والعبادة والعمل
جميعه ليعرفوا أنفسهم وقواهم بكدهم وجدهم حتى لايحقرها وهذا هو سرّ التكليف وأيضاً ان ولوعنا
بجميع العلوم واتجاه نفوسنا لجمع الجهات دليل على أن نفوسنا مستمدة من عوالم محيطة بنا كما أن
الجوهر الفرد مركب من ذرات كهربائية تدور حول بعضها دوران السيارات حول الشمس فدل ذلك
على أن نفوسنا المشتركة للاطلاع على جميع العوالم نسبتها الى النفس الكلية المحيطة بجميع العوالم
كنسبة الجوهر الفرد الى النظام الشمسى وحكم الجزء حكم الكل فى الحالىن . وكما أن الجوهر الفرد
له أصل كلّى يجمع أمثاله وهى الأجرام العظيمة كالأرض والشمس . هكذا الأرواح الصغيرة فى الارض
لها روح كبيرة تجمعها كما جمعت الشمس والأرض مثلاً جواهرهما الفردة . إن هذا العالم مشمول
بالرحة وصغيره ملحق بكبيره . ودليل ذلك حادثة الفتاة التي نؤمها (شاو دل) وقولها له أنا يقظانة

وأنت نائم . وهناك ابنة أخرى كانت ترى جسمها يتمدد شيئاً فشيئاً في حال الانخطف . وأيضاً كم من أناس انتقلوا الى أماكن بعيدة بأرواحهم في حال الحياة . ومنهم من عرفوا حوادث بعيدة عنهم وهذه ملأت الأقطار ومنها حادثة والدتي لما غرقت وقت الفجر وقد كنت في المركب ثم نجوت

١١١ بهجة العلم في قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وذكر أوصاف المؤمنين الذين أفلحوا فهم وصفوا ﴿بعضرة أوصاف﴾ كالصلاة والخشوع فيها وكعلم الغفلة عن هذه المخاوف وبيان أن الخشوع في الصلاة يفيد توجيه الخواطر لأمر واحد وكذلك توارد العلوم على قلبه وقول المسلم ﴿الله أكبر﴾ في الصلاة دليل أن العلم لانهاية له لأن كل ما علمناه رأينا الله أكبر منه

١١٢ بيان ما يقوله مؤلف ﴿علوم للجميع﴾ بالانجليزية ان المفكر العادي يرى أن الألوان وزعت على الحيوان بلامنفعة وهذا خلاف الحقيقة . الحيوان منه الآكل ومنه المأكول ، والألوان لاآكل تظهر للمأكول فيفر منه فلا يعيش الآكل وهكذا لوأظهر لون الحيوانات المأكولة لكان ذلك هلاكاً لها .

إذن اللون ضرر للجميع ولكن الألوان ملأت هذه الدنيا والحيوان باق فماذا نقول . نقول إن جميع ألوان النبات وأتوار الأزهار وأضواء الشمس والكواكب واضحة وهي حياة الحيوان وحفظه وهكذا ظهر أن أكثر هذه الألوان خلقت قصداً لحماية الحيوان ﴿مثال ذلك﴾ الحشرات المسميات (سلاق)

حين تقع على الأرض تكون مثل حباتها في لونها وشكلها وذلك حيايتها . وهناك حشرة تشبه (العصا) فتتجوز بذلك من الهلاك وبعض السوس لايفرق بينه وبين قطع الطين في الأرض فيصفظ بذلك . ومنه ماهو أخضر وجليل لايميزه الناس . وهنا خنافس تشبه حبوب بعض النبات وأخرى تعيش على ورق (الصفصاف) فتصير مثله . وهناك فراش أخضر وآخر رمادي يشبهان النبات الذي يعيشان عليه . وفراش آخر مرسوم في صفحة (١١٤) أجنته أشبهت الورق الجاف فيصفظ بذلك من الهلاك . وهناك حشرة أخرى تشبه قطعة من (عصا) مكسورة حديثاً كما في شكل (١٤) صفحة

(١١٥) وهناك حشرات تشبه زرق الطيور فتعاشهاظاناً أنه زرقها وبذلك تحفظ جمل الحكيم العليم لون الفراش أعد لحفظه لأنه يشاكل ما يعيش عليه من خضرة إن كان أخضر ومن سمرة إن كان أسمر . إن دود الفراش على (قسمين) دود يكون لونه أخضر وأسمر يأكل ليلاً أما في النهار فانه يبقى ساكناً فيصفظ من أكل الطيور له والقسم الآخر له لون واضح ولكنه لايتخفى نهاراً بل يأكل جهرة ولاتقربه الحيوانات . والسبب في ذلك أن طعمه ردي ولاتقبله الطيور ولاتسيفه كما في الصورة المرسومة في صفحة (١١٦) (شكل ١٥) . وقد يكون لدود الفراش شعر يغطي جلده . وقد يكون له غزل فكل هذا يجعل الطيور تأتف من أكله فهذا لايتخفى فتأكل علناً ولايتخفى وكأنها علمت أن الله جعلها في أمان من الهلاك

١١٦ وهناك حشرات مكشوفات لاتخاف لأنها أشبهت في لونها الذي لا اتقان فيه (دودة الفراش) التي خبت طعمها فكانت المشابهة سبباً في حفظها . والنحل والزناير تصدو وتروح ملونة لما لها من الحماية بالسلاح الذي خلق لها قلوبها إذن انذار للهاجم عليها وحفظها من المهاجمة . وهناك امبراطور الفراش جميل الشكل واللون مشابه لما يحيط به من الأغصان والأزهار فلا يمتاز عنها فيحفظ بذلك . وتجد في الصحراء لون (القبر) وألوان أنواع أخرى من الطيور وكذلك الحيوانات ذوات الفرو من ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل هذه مشاكلات لألوان الرمال والجل والأسد لهما لون لطيف رملي أوصخري والدب القطبي وأرنب القطب وغيرهما كلها بيضاء ولكن ذلك لم يكن من تأثير الوسط والبيئة بل

١١٧ وهناك حشرات مكشوفات لاتخاف لأنها أشبهت في لونها الذي لا اتقان فيه (دودة الفراش) التي خبت طعمها فكانت المشابهة سبباً في حفظها . والنحل والزناير تصدو وتروح ملونة لما لها من الحماية بالسلاح الذي خلق لها قلوبها إذن انذار للهاجم عليها وحفظها من المهاجمة . وهناك امبراطور الفراش جميل الشكل واللون مشابه لما يحيط به من الأغصان والأزهار فلا يمتاز عنها فيحفظ بذلك . وتجد في الصحراء لون (القبر) وألوان أنواع أخرى من الطيور وكذلك الحيوانات ذوات الفرو من ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل هذه مشاكلات لألوان الرمال والجل والأسد لهما لون لطيف رملي أوصخري والدب القطبي وأرنب القطب وغيرهما كلها بيضاء ولكن ذلك لم يكن من تأثير الوسط والبيئة بل

١١٧ وهناك حشرات مكشوفات لاتخاف لأنها أشبهت في لونها الذي لا اتقان فيه (دودة الفراش) التي خبت طعمها فكانت المشابهة سبباً في حفظها . والنحل والزناير تصدو وتروح ملونة لما لها من الحماية بالسلاح الذي خلق لها قلوبها إذن انذار للهاجم عليها وحفظها من المهاجمة . وهناك امبراطور الفراش جميل الشكل واللون مشابه لما يحيط به من الأغصان والأزهار فلا يمتاز عنها فيحفظ بذلك . وتجد في الصحراء لون (القبر) وألوان أنواع أخرى من الطيور وكذلك الحيوانات ذوات الفرو من ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل هذه مشاكلات لألوان الرمال والجل والأسد لهما لون لطيف رملي أوصخري والدب القطبي وأرنب القطب وغيرهما كلها بيضاء ولكن ذلك لم يكن من تأثير الوسط والبيئة بل

١١٧ وهناك حشرات مكشوفات لاتخاف لأنها أشبهت في لونها الذي لا اتقان فيه (دودة الفراش) التي خبت طعمها فكانت المشابهة سبباً في حفظها . والنحل والزناير تصدو وتروح ملونة لما لها من الحماية بالسلاح الذي خلق لها قلوبها إذن انذار للهاجم عليها وحفظها من المهاجمة . وهناك امبراطور الفراش جميل الشكل واللون مشابه لما يحيط به من الأغصان والأزهار فلا يمتاز عنها فيحفظ بذلك . وتجد في الصحراء لون (القبر) وألوان أنواع أخرى من الطيور وكذلك الحيوانات ذوات الفرو من ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل هذه مشاكلات لألوان الرمال والجل والأسد لهما لون لطيف رملي أوصخري والدب القطبي وأرنب القطب وغيرهما كلها بيضاء ولكن ذلك لم يكن من تأثير الوسط والبيئة بل

١١٧ وهناك حشرات مكشوفات لاتخاف لأنها أشبهت في لونها الذي لا اتقان فيه (دودة الفراش) التي خبت طعمها فكانت المشابهة سبباً في حفظها . والنحل والزناير تصدو وتروح ملونة لما لها من الحماية بالسلاح الذي خلق لها قلوبها إذن انذار للهاجم عليها وحفظها من المهاجمة . وهناك امبراطور الفراش جميل الشكل واللون مشابه لما يحيط به من الأغصان والأزهار فلا يمتاز عنها فيحفظ بذلك . وتجد في الصحراء لون (القبر) وألوان أنواع أخرى من الطيور وكذلك الحيوانات ذوات الفرو من ذوات الأربع وجلد الحيات والضب . كل هذه مشاكلات لألوان الرمال والجل والأسد لهما لون لطيف رملي أوصخري والدب القطبي وأرنب القطب وغيرهما كلها بيضاء ولكن ذلك لم يكن من تأثير الوسط والبيئة بل

الحماية اقتضت ذلك والا فلماذا نرى الغراب هناك أسود لأن فريسته وهي الرم لاتفر منه اذا رآته ولا طالب له والسمور الذي يعيش وسط الأشجار لا يتغير لونه كما لا يتغير لون الغراب فدل هذا على أن الوسط لاناثيره في اللون . وانما المدار على منفعة الحيوان كما يرى في الطائر الأمريكي (سكانك) في أمريكا الشمالية فذيله الزاهي الطويل يرى ليلا وانما تحفظه الرائحة الكريهة التي يطلقها على عدوه . والببغاء يكون لونه كلون الأشجار التي يسكنها

١١٩ في الجزائر الاستوائية حمام أخضر كالبيغاء للشاكلة . الضب والحية أسمران زيتيان في بعض الأقطار ولكنهما في الأقطار الاستوائية وحدها يكونان شديدي الخضرة البراقة اللامعة لمشاكلة النبات هناك وبلاد الانجيزليس فيها لون يقرب من الأخضر ولكن الأسمر والزيتي هما الظاهران في ريش الطيور وهذا هو نفس لون الأشجار التي لا أوراق لها وهي كثيرة فيكون ذلك حافظا لتلك الطيور . السمك الذي يسكن قاع البحر تكون ألوانه كألوان الحديقة منمقة جميلة مشاكلة لماهالك في قاع البحر من الرمال والحصى المنقوشة . فأما ما قرب من سطح الماء فانه يكون أزرق مائلا للخضرة من أعلى مشاكلة للجو وأبيض من أسفل لأجل أن يحفظ من العدو في الهواء وفي الماء . وخيل البحر في أساليب لونها البحرية تشبه الأعشاب البحرية من المرجان والشقائق وغيرها التي هي حدائق بهجة المنظر هناك تسر الناظرين . وفي الأقطار الاستوائية حشرات أجنحتها وعروقها مشابهة كل المشابهة أوراق الأشجار ثم نفس الأرجل والصندوق وهيئة الرأس كلها مشاكلة لما تعيش عليه من أغصان وأوراق بحيث لا يمكن تمييز تلك الحشرات منها . ومن الحشرات ما تظهر كأنها قطعة من غصن مغطاة بطحلب . وهناك حشرة (أبي دقيق) البرتقالية الرأس تعيش على أطراف الأزهار في شجر البقدونس (شكل ١٦) صفحة ١٢٠

١٢١ وهنا يتجلى (أمران * أولا) ان ماشاع في مصر وبلاد الشرق أن مذهب (داروين) و (لامارك) ينافي وجود منظم الكون خطأ فذلك كان في قرون مضت . أما علماء أواخر القرن التاسع عشر والعشرين . فهذه هي نفس آرائهم ومنهم نقلت هذه الأقوال فغنى آية - وما كنا عن الخلق غافلين - قد فهمه علماء هذا القرن العشرين وبعض المتعلمين في أم الاسلام لم يبلغهم هذا الخبر جمال العلم ومحاسن الطبيعة . وبيان أن الناس في هذا العالم أكثرهم كالعلمي أمام الغايات أو الصم أمام المغنين لغفلتهم عن الجمال . وحكاية الجنيد مع المرأة الجميلة وتذكيرها له بجمال الله

١٢٢ بيان أن الموسيقى ترجع الى النظام العام . وحكاية فيثاغورس إذ صر على حداد وكانت النسبة في مطارقه (٦) الى (٨) الى (٩) الى (١٢) فأتى بالأوتار على هذه النسبة فأطربت وأن الموسيقى سبب ووتد وفاصلة كالشعر ومن هذه جميع الألحان والكلام على لحن الفاخنة وهو نفسه بحر الطويل وهو نسبة هندسية فآذان الطير والعلماء والجهال على حد سواء ولكن هناك موسيقى أرفع وهي حساب الأفلاك والعناصر وبدائع الألوان المذكورة في هذا المقام وكيف تحمي الحيوان بسواد أو حرة أو خضرة . فهذه موسيقى أبداع مما تقدم كله . وهذه العجائب كلها ترجع الى عناصر والعناصر عبارة عن ضوء وحرارة ترجع الى كهرباء . هذا هو الوجود الحادث كله فالوتد والسبب والفاصلة تنوعت بهذا الحساب والعناصر الراجعة للكهرباء تنوعت هذا التنوع . فالعالم راجع لحركة مستمرة ونظام جميل .

١٢٣ بعض أسرار القرآن تظهر في هذا الزمان وذلك كمسألة الألوان التي ذكرناها . فليست هي بعينها قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض

وجر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك - ثم أعقبه بقوله - انما يخشى الله من عباده العلماء - فأين هؤلاء العلماء . أليسوا هم الذين يدرسون أمثال ما ذكرناه هنا حتى يفقهوا سر الألوان بقدر الطاقة البشرية . وكيف يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم - ثم يقول - إن في ذلك لآيات للعالمين - . ولقد حسب الله أصوات الحيوان لا ألوانه غسب وهذا هو الحق الذى خلق الله السموات والأرض على مقتضاه وهو التسبيح لأنه قدس عن أن يخلق لونا أو صوتا بلا حساب

١٢٤ صوت الفاخنة وشعر من بحر الطويل وخفيف الثقل الأول من الموسيقى وحسابها جميعها يرجع الى أن حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين . والكلام على قوله - وإن لكم فى الأنعام لعبرة - وآراء الفرنجة فى المواليد الثلاثة وشرح مذهب (داروين) وبعده (برن) وأن هناك أناسا يقولون إن العالم لا موجد له

١٢٥ شرح أصول مذهب (داروين) وهى (أربعة) الحياة أطوار وتكون بالوراثة فى النسل وهناك تنازع والأقوى الأكل هو الباقى وأم أوروبا جرت على هذا المبدأ فى تنازع البقاء فى السياسة . ونقض هذا المذهب (جوستاف لوبون) بأن المادة ليست أبدية و(بوانكاريه) بأن النواميس تقريبية (وجوليه) بأن آراء (داروين) عجزت عن تعليل الإلهامات فى الحشرات وأمثالها . ودوفرى بأن التحول الفجائى هو القاعدة أما البطئ فلا . وجوليه يقول ان الحشرة وانقلابها الفجائى يبطل مذهب داروين و(فون باير) يقول « إن تولد الانسان من أعلى القرودة أصبح القول به أقرب الى الجنون » وفيركو الألمانى وغيره يقول « لا مناسبة بين أعلى القرودة والانسان » ثم ان الانتخاب الطبيعى نفاه (سبنسر) ونفى (ويسمان) انتقال الصفات بالوراثة وقال إن هذه الآراء حكايات أشبه بكلام المجاز و(بوهرن) أبطل الانتخاب الطبيعى و(جينو) يقول « البط والطيور المائية خلقت لها أرجل لتصلح للوم وتلك الأغشية بين أصابعها خلقت لها قبل أن تعوم » و(بلوجر) نفى الوراثة . ودوبوار يمد كذلك نفاها ودائرة المعارف الكبرى الفرنسية تقول « إن نفس آراء (داروين) مختلة لأنها تقول بالمصادفات » و(ادورد هارتمان) يقول « إن نفى القصد فى الوجود وهم لا أساس له لأن الطبيعة منتظمة » . و(لويز بوردو) يثبت القصد والروح المدبرة فى الوجود . و(فون باير) الألمانى ينكر الضرورة العمياء ويقول بالقصد السامى . و(كاميل فلامريون) يقول « إن هناك تبصرا فى النبات والحشرات والطيور يقصد به حفظها وهى غافلة وهذه الملاحظات فى التاريخ تثبت أن فى الطبيعة عقلا مدبرا » و(لوجيل) الفرنسى يقول « إن كل القوى صادرة من قوة أزلية » . ودائرة معارف القرن العشرين تقول « ان للكائنات غاية » . و(ميلن ادوارد) يذكر ذلك الطير الذى يضع زادا يكفى ذريته سنة وهى نفس المدة التى يحتاج اليها لاغير وقد مات الأبوان

١٢٨ يستدل من هذا كله أن طائفة عظيمة من المتعلمين فى بلاد الشرق مغرورون بزعمهم أن نفى الخالق علم أوروبى ، فهام أولاء يكذبون هذا الرأى وهؤلاء المتعلمون بالشرق لم يبلغهم خبر هذا التكذيب فصل فى ذم المتفلسفين والتبذلين والمففلين من شرح الرازى على اشارات ابن سينا واثباته أن المتفلسفين الذين ينفون الشرائع أشد حقا من العامة الذين يصدقون بغير دليل لأن الأولين يصيرون كالشياطين فى الخلاعة والفساد . ثم ان المقلدين لاتفهم العلوم لأن التقليد يمنهم منها وأخس الناس المتفلسفة لبعدهم عن الشرائع

١٢٩ ﴿المقصد الثاني﴾ مكتوب مشكل من قوله - ولقد أرسلنا نوحا - الى - ربوة ذات قرار ومعين -

١٣٠ التفسير اللفظي للمقصد الثاني

١٣٣ مناسبة هذه السورة لما قبلها . وبيان أن - الحمد لله رب العالمين - في الفاتحة مجمل وانما فصله قول

المصلي في الركوع ﴿خشع لك سعي الخ﴾ وهذا التفصيل في الركوع هو عين التفصيل في هذه السورة

لأن فيها علم التشريح وقول المصلي ﴿ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض﴾ بعد الرفع من

الركوع هو هنا علم الفلك في ذكر خلق سبع طرائق . إذن ذكر التشريح أولا وعلم الفلك ثانيا في هذه

السورة قد جاء بترتيب صلاة المصلي في الركوع والرفع والاعتدال وذلك كله لأن أول السورة فلاح

المؤمنين الخاشعين في صلاتهم وخشوعهم فيها لا يتم إلا بتدبر هذه المعاني المناسبة لما في الركوع والسجود

١٣٥ إذن ما هنا في أول السورة تفصيل للحمد في الصلاة وقصص الأنبياء وأهمهم تفصيل للنعم عليهم والمغضوب

عليهم . إذن هذه السورة شرح للصلاة وبهذا يكون فلاح المؤمن . ثم إن سعادة الانسان لا تتم إلا

بسعادة الناس معه ولتلك يقول - نعبد - بالنون لابلهمز . فالانسان في صلته مع الصالحين من كل

الأمم ومن الملائكة

طرق علم التوحيد وبيان أن (سورة الأنبياء) تكميل لهذه السورة . وبيان أن علم التوحيد اللفظي

الذي أصبح عاما لقيمة له بالنسبة لما يطلبه القرآن فالمسلمون بعدنا يدرسون على طريقة هذا الكتاب

وأمثاله ولما جهلوا أمثال هذا تفرقوا شيئا وهذا قوله تعالى في سورة المؤمنون - فتقطعوا أمرهم

بينهم - الخ وهل حفظ الأطفال صفات الله كالقدرة والارادة يفيد المسلمين فائدة هذه العلوم . كلا .

إذن بعض هؤلاء نسوا الله فنسيهم . بيان - كل حزب بما لديهم فرحون - وبيان التفرق في العصر

الأول في قراءة القرآن الذي تلاه الخلفاء الراشدون وتدوين القرآن واستظهاره وفداء الأسير بأن يعلم

عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . وذكر كتاب الوحي وهم (زيد بن ثابت) و (أبي بن كعب)

و (الزبير بن العوام) و (خالد بن الوليد) و (حنظلة) و (معيقب) و (معاوية) و (علي) و (زيد) و بيان أن

القراء قتل كثير منهم في قتال المرتدين في واقعة (اليمامة) فأمر أبو بكر زيد بن ثابت لجمعه مع لجنة

وحفظ عند أبي بكر وجعله عمر بعده عند حفصة وفي خلافة عثمان خاف حذيفة تفرق المسلمين باختلاف

القراءت فأخبر أبا بكر فأرسل الى حفصة وأخذ المصحف وأمرهم أن يكتبوه واذا اختلفوا فليجملوه

بلغة قريش والرئيس في اللجنتين البكرية والعثمانية (زيد) وأحرق ما عدا هذا المصحف العثماني

وطبع القرآن أول مرة بألمانيا سنة ١٦٩٤ م

١٣٩ كيف يتحد المسلمون . ذلك بأن يعلموا أن علم التوحيد والفقهاء ليسا إلا شيئا يسيرا من علوم الدين

والعلوم كلها مطالب القرآن . فأين الخلاف إذن بينهم

١٤٠ حكاية الاستاذ (ادوارد براون) الانجليزي وتعبه من العداوة التي رآها من بعض الشيعة لأهل السنة

وهذه العداوة قد ذهبت الآن لرق عقول المسلمين

علوم الحكمة في سورة المؤمنون . ورأى (يكون) وتقسيمه العلوم كلها على قوى الدماغ كالشعر

للخيلة والتاريخ للقوة الذاكرة وهو (قسمان) طبيعي وبشري وديني والطبيعي يشمل علوم السموات

والأرض وهكذا . بيان البروس التي تلتقي الى المسلمين (١) العبادة والأخلاق (٢) علم الأشياء

(٣) العلوم الطبيعية (٤) سير الملوك والأمراء والعلماء الخ . وليكن في الاسلام مجتدون

١٤١ الكلام على قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - الخ وفهم معنى التثليث في أصل وضعه عند الأمم

القديمة وأن المادة والعقل المدبر لها يدلان على خالق لهما فهما اثنان يدلان على الله . فالمادة كالأم والعقل العام كالابن والله موجودهما فهما دلالتان وهذا هو ما جاء في انجيلين من الأناجيل وهو نفس هذه الآية فعبسى آية لا أقل ولا أكثر . وقد اكتفى المسيحيون عن المادة بجسم المسيح وعن العقل العام بعقله في الدلالة على الله فافرح بالعلم والحكمة

١٤٢ تذكرة في أن ألوهية المسيح منقولة عن الأمم السابقة وأن هذه القصة المخترعة على المسيح هي قصة (فشنو) وهو الاقنوم الثاني عند الهنود وهو الذي صار (خريستا) الخ . وألوهية المسيح ظهرت بعد خراب (أورشليم) وتفرق اليهود في مصر والهند والفرس فرجعوا بهذا التثليث الذي نقلوه عن تلك الأمم . وفي انجيل (مرقس) ما ينفي الألوهية نصا . ومعنى المسيح الممسوح بالدهن كما لو كان بني اسرائيل وذكر مذهب (الأسونيين) الذين أخذ الدين المسيحي الحقيقي عنهم ثم أوحاه الله اليه . وبيان الكلام على (بولس) الفريسي الذي لم ير المسيح ولكنه أخذ يخاصم بطرس ويدعى انه أعلم منه ثم بعد ذلك تمرد اليهود وحصل حرب فتشتوا منه سنة (٧٠) ب.م

﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى آخر السورة

١٤٥ التفسير اللفظي لهذا القسم . أرسطاطاليس والاسكندر والسياسة وبيان أن العامة لا بد من كبح جماحهم وتأديبهم وأن الدعة والتنم والبطرتهلك الأمم وأن المشقة هي الكافلة برفق الأمم

١٤٦ بيان تنقل الدول والرياسات في (آشور) وأهل (ماه) و(فارس) وهذا كله قاعدة واحدة . الدهمة وخفض العيش هلاك وضد ذلك بقاء . وهنا نصائح للملك أن يحب الرعية فيه وهكذا

١٤٧ التفسير اللفظي لقوله تعالى - ولدينا كتاب ينطق بالحق - الى آخر السورة

١٥٢ وهنا أربع لطائف في قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا - الخ وفي قوله - كل حزب - الخ وفي قوله - وهو الذي أنشأ لكم - الخ وفي نور الأنوار في قوله تعالى - فن قلت موازينه - الخ

١٥٣ الجوهرة الأولى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الخ وبيان أن ما قلته في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ قبل الحرب العظمى من أن الأمم يجب أن تكون جميعها متضامنة قد قاله محافظ كابول بمصر في خطبته وجاء في ﴿ ميثاق السلم ﴾ بين ملوك أوروبا والشرق . والذي جاء في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أن عدد الذكور والانات واحد في الأرض تقريبا وأن الأمم القوية اذا تركت عقول الأمم الضعيفة تكون هي قد فوتت منفعتها وأن المنافع موزعة على الأرض كلها وأن الأمم التي كثر عددها تأخذ أرضا من غيرها ويجب أن تحصى الأراضي كلها في الأرض وأنهم يجب أن يتحدوا ليستخرجوا المنافع وأن الملكات في العمل يجب أن تكون قوية وبيان قول محافظ كابول ﴿ ان عمالك الشرق وشعوبه استيقظوا من سباتهم العميق وانه ليس لهم قصد إلا التعاون مع أوروبا لاصلاح العالم كله ﴾ ويقول أيضا ﴿ إن الشرق قوى وان على الشرقيين أن يقتبسوا من مدينة الغرب ﴾ وبيان أن آباءنا لو خاطبونا لسخرنا منا لأننا نستخرج بعقولنا مهلكات الانسان في البر والبحر لا ما ينفعه ويرقيه

١٥٧ ﴿ الفصل الثالث ﴾ في ميثاق السلم ونبذ الحرب الذي أرسلته الحكومة الأمريكية الى الأمم كلها بمناسبة تفسير قوله تعالى - وان هذه أمتكم أمة واحدة - وأن هذه الأمم كلها الآن في أوروبا وأمريكا استنكروا الحرب في هذا الميثاق وانهم صمموا أن يحلوا المشاكل بالوسائل السلمية

١٥٨ ﴿ الفصل الرابع ﴾ فكرة عامة في هذا الموضوع وبيان أن الدين الاسلامي الذي أحل القتال بل أوجبه في بعض الأحوال الخاصة هو نفسه الذي أخبر أن الحرب ستمنع يوما ما في قوله تعالى - حتى تضع

الحرب أوزارها - حين لا يبقى على الأرض إلا مسلم أو مسلم وأن الله نفسه تولى هذا العمل وقد فصل مع الدول ما فعله مع زراع القطن في أمريكا الذين توغلوا في زراعته فسلط عليه الدودة فقللوا من زراعته فصلحت الأرض ونفعتهم في مزارع أخرى . هكذا هنا أهم علماء الكيمياء وغيرهم فاخترعوا المهلكات فعزمت الأمم على الامتناع عن الحرب . ومتى تمّ هذا تمت معجزة آية - حتى تضع الحرب أوزارها - وتأيد ما تقدم بذكره ما نقوله جريدة انجليزية ﴿ ان الدول كلها قد أحست بمصائب الحرب وويلاتها غالبها ومغلوبها أمراءها وصعاليقها الملكيين والعسكريين ﴾ كلهم أدركوا أن الحرب تقع مصائبها عليهم جميعا بلا تمييز وأن انكاثرا مستهدفة للخطر من كل ناحية وأن الحكومات (روسيا وألمانيا والنمسا وبلغاريا) كل هذه وقعت في الخطر

١٦٠ حكمة إلهية ونور على نور وتبصرة وذكرى . وههنا تبيان ما جاء في الأنفال في قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم - من أن في القرآن آيتين إحداهما تطلب جمعية أم إسلامية أو شرقية وهي - وأصلحوا ذات بينكم - والأخرى تطلب التعارف العام بين الشرق والغرب بجمعية أخرى وهي آية - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - وتجب المؤلف من أنه لم يرض على كتابة هذا سنتان حتى ظهر أن هذا الذي كان يقوله بطريق الفكر والاستنتاج أصبح الآن يخطب به على المنابر عظماء كحافظ كابل فدل هذا على أن الإسلام كله متحد على اظهار هذه الفكرة وأن المسلمين مرتقون لاحالة . وبيان أن الله عامل الأمم جميعها معاملة الأب الشفيق والأستاذ العظيم فأولا نهاهم وأمرهم فلما لم يمتثلوا أبدع الطرق التي به يمتثلون ومن ذلك خلق الحشرات المؤذيات الموجبات للأمراض مثل حشرة تسمى (الكولاكس) فكان عملها موجبا على الناس تعلم الطب والاتحاد في مطاردتها لأنها لا تميز بين أمة وأمة وهي معدية . ومثلها المدمرات المهلكات . فههنا عذابان يقعان على الناس موجبان اتحادهما عذاب المهلكات الطبيعية وعذاب المهلكات الصناعية وهذان المهلكان وغيرهما كما ذكر هنا يتعلقان بقوله تعالى - فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا - كأن الله يقول لهم أتم أمة واحدة وقد تقطعت أمتكم بينكم زبرا فعلى إذن أن أرجعكم للاتحاد بمدبراتي ومهلكاتي الطبيعية والصناعية وحينئذ تضع الحرب أوزارها وهذا من أعظم عجائب القرآن

١٦١ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - كل حزب بما لديهم فرحون - والكلام على (العميان الست) الذين اختلفوا في الفيل أحربة هو أم حية أم حائط أم شجرة أم مروحة أم حبل وذلك بالنسبة لثابه وخطومه وجنبه وركبته وأذنه وذنبه على الترتيب وأن هذه رأيتها في الإحياء وفي كتب الانجليز وهي هندية الأصل وأن هذا المثل ينطبق على جميع الناس في كل أحوالهم في المطاعم والملابس والمساكن والديانات والمذاهب . وبيان ست من المتكلمين على الانسان مثل

(١) سقراط القائل ﴿ إن الانسان يقصد السعادة والخير وأن أسّ الفضيلة العلم وأن الخير العام يقدم على الخير الخاص وأن حياة الفيلسوف أشرف حياة لأنها مبنية على البصيرة ﴾

(٢) وأن الفارابي يقول في كتابه ﴿ إن الأمة يجب أن تكون أشبه بالجسم الواحد وكل جماعة يعملون فيما خلقوا له بل كل أمة يجب أن تكون كعضو في المجموع الانساني ويكون أهل الأرض كلهم أمة واحدة كجسم الانسان ﴾ وهذا في كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾

(٣) وبيان آراء (أرسطو) الذي شرح الفضائل الأربعة ﴿ الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ﴾ وانها وسط بين طرفين وانها تترتب عليها سعادة الانسان . وبيان ما قاله من تعليم القراءة والكتابة

ومن طلبة تعلم الموسيقى ودراسة العلوم الرياضية والطبيعية
(٤) وبيان آراء (ابن سينا) في التمرينات الرياضية وفي تربية الأطفال وتدير الرياضة والنوم والغذاء الخ
(٥) وبيان آراء عالمن هنديين في زماننا وهما (غاندى) و (جاغديس بوز) القائلين بالثقة بالنفس
والصدق والاتحاد الوطنى والتسامح وعدم ترك ما عندنا من منافع العلم الموروث والتحريض على تعلم
الصناعة وعدم الاتكال على صناعة الفرنجة

(٦) وبيان ما قاله المؤلف في كتابه ﴿أين الانسان﴾ الذى مرّ شرحه قريبا في نفس هذه السورة
من أن الأم كلها يجب أن تتعاون في ارتقاء العقول واستخراج منافع الأرض . فاذن يكون هؤلاء
الست ضرب لهم مثل العميان الذين يمشون عن حقيقة واحدة وهى سعادة الانسان والله تعالى يقول
- وما أوتيتم من العلم إلا قليلا -

بيان أن مذهب العلامة (هولدين) العالم الانجليزى ينحونحو كتاب ﴿أين الانسان﴾ بطريق يختص
به هو إذ يرجع في ذلك الى مسألة المرض والصحة . وأن الناس يجب أن يتضامنوا لأن الأمراض تفتك
بهم لاتفرق بين أمة وأمة بالعدوى وهذا هو الذى شرحناه في هذا التفسير وفي هذه السورة أيضا

١٦٦ ﴿الجوهرة الثالثة﴾ في قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاما تشكرون -

و بيان أن الناس لما بذل الله لهم السمع والأبصار والأفئدة لم يعرفوا حق النعمة لأن المبذول لا يلتفت
اليه فوجب أن يعرف ذلك بالعلم . وبيان حاسة السمع بأوضح مما مرّ في سورة (آل عمران)

١٦٧ وكذلك الصور ورسم صورة الأذن (شكل ١٧) وتبيان (١٣) جزأ من أجزائها ورسم صورة العين
وتبيان (١٩) جزأ من أجزائها تصويرا وقولا

١٦٨ رسم صورة القلب والسورة السموية موضحة ايضا تاما (شكل ١٩) وتبيان (٢٠) جزأ من أجزاء

تلك السورة . والفرق بين السورة الصغرى إذ يذهب الدم من البطين الأيمن الى الرئتين ثم يعود الى
البطين الأيسر وبين السورة الكبرى إذ يذهب الدم من البطين الأيسر الى الجسم ثم يعود الى البطين
الأيمن . والسورة الكبدية فرع للدورة السموية وهى عبارة عن بعض أوردة آتية من المعدة والأمعاء
والطحال والبنكرياس تصب في وريد واحد يسمى (الوريد الباب المتحددة فروعها الشعرية بأوعية الكبد)
وباجتماع هذه كلها يتكوّن الوريد الكبدى الذى يصبّ في الوريد الأجوف السفلى

كرات للدم في العروق (شكل ٢٠) . تعريف الدم وبيان كراته الحمراء والبيضاء وعدد الحمراء في السنتيمتر
وعدد البيضاء وبيان أن هذه الكرات سابعة في سائل شفاف

١٦٩ بيان الشرايين والأوردة والأوعية الشعرية المنقسمة الى وريدية وشريانية وأن للدم صمامات تمنع

رجوعه (شكل ٢٠) . ايضاح السمع والبصر والفؤاد بالقول بعد نظرها في الصورة وأن تصويرها
الشمسى مصداق لقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وهنا ذكر أن القلب والروح
والعقل والنفس تدل على اللطيفة الربانية بعمان مختلفة . وبيان منظر خيالى تخيله المؤلف فيه حقول
للزراع المختلفة والحدايق الغناء فيها أنواع الفاكهة والرياحين ذات الألوان المختلفة الجيلات الاشكال
وذلك كله بعد أن كانت الأرض قفراء لا أنيس بها ولا جليس وغاية الأمر أن طائفا طاف بها فبذر
فيها بذورا مشوبة بمواد كثيرة وكل ذلك بمنزج امتزاجا تاما حتى صار بهيئة خاصة فأخذ ذلك الطائف
يبئر مافى يده بحساب معلوم فازدهرت الأرض وأخذت زخرفها وازينت وظهرت فيها الآلات المصانة
الكابسة الساقية لحشائشها وزروعها وأشجارها بخراطيم امتدت من تلك الآلة عظيمة في مبدئها دقيقة

مشبكة عند نهايتها . و بيان أن ذلك المنظر يمثل جسم الانسان والقلب فالحدائق والمزارع تمثل الأعضاء المختلفة في جسم الانسان والمسرة (التلفون) الذي في قصر الحديقة يمثل السمع والمناظر المعظمة تمثل البصر وذلك تبيان لقوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون - وكيف يشكر الناس تلك الحكمة في وضع العظام الصلبة في الأذنين والطبقات اللطيفة في العين فتشا كل الصلب مع الهواء والشفاف اللطيف مع الضياء . ثم كيف انقسمت البيضة في رحم المرأة أقساما منظمة بحساب المتوالي الهندسية ومع ذلك الحساب قد حصل الابداع في التركيب والنظام البديع . ثم إن الآلة التي تسقي الحدائق والمزارع تمثل القلب المرسوم هناك المقسم أربعة أقسام الذي خرج من البطن الأيسر في الاورطى المتفرع الى فرعين والفرعان متفرعان الى فروع كثيرة تصل الى كل عضو وكل جلد وشعر وكل مادقة وجل وأن الله لو فعل لنا في مزارعنا ومنازلنا وحدائقنا ما فعله في أجسامنا لكان هذا معناه أنه لا انسانية ولا حيوانية لأن ذلك لا يجعل للانسان ارادة ولا عقلا ولا فكريا . ولا معنى للانسانية إلا هذا . فتكليف الناس بالأعمال معناه حياتهم وعدم التكليف بأعمال الحياة وغيره معناه إعدامهم و بيان أن ضرر ترك ذلك يرجع الى المسلمين في الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى لأنه من فروض الكفايات التي تركها يذل المسلمين في دنياهم وفي أخراهم

بيان أن العلم اليوم ارتقى حتى شاهد الناس في منظر (السينما) مشاهد الصور التي تمثل الجنين وهو ينمو في بطن أمه وكيف يخلق بالتدرج وكيف تظهر فيه وتتوالد وتتكاثر الحيوانات الصغيرة التي تسبب له مرض الزهري وأن المؤلف شاهد ذلك أثناء هذا التفسير وأن ذلك بسبب استعمال الشهوة البهيمية في غير ما وضعت له . و بيان أن ذلك العقاب مقدر بقدر الذنب وأن اهمال السمع والبصر والقواد في أمة الاسلام كان جزاؤه أن حلّ بساحتهم أم الفريجة فزقوا الأجسام وخربوا المنازل كما قاله الخطيب الانجليزى في البرلمان القائل ﴿إنهم جربوا الطيارات في بلاد العراق وفي اليمن وفي الصومال فأذبت المسلمين خير تأديب﴾ فهام أولاء الانجليز ضربوا المثل في اهلاك الطيارات بأمر الاسلام الثلاثة . إذن هذا عقاب للمسلمين على تفریطهم في عقولهم كما عوقب المسرف في الشهوة البهيمية بأن جعلت أعضاء التناسل عنده مشوّهة مقرحة وجزاء اهمال العقل عند المسلمين ذل الأمة كلها وجزاء الفاسق تشويه جسمه وحده فان العقاب على قدر الجريمة . العقل عام فالعقاب عام والشهوة خاصة فالعقاب خاص . ولا جزم أن الاوروبيين تعلموا من آباءنا مثل (بابا رومه) الذي أدخل العلوم الرياضية في ايطاليا ناقلها من الأندلس سنة ٩٨٠ واهيلارد الانكليزى أخذها سنة ١١٢٠ من مصر واسبانيا فترجم (اقليدس) من العربية . فهو لاء من علوم آباءنا تعلموا ولأجسام أبناء معلمهم مزقوا كما مزق الحيوان الزهري المغتذى من أجسامنا أعضاء التناسل عند وضع الشهوة في غير ما وضعت له . وههنا نداء لأبناء العرب في اليمن وفي العراق ملخصه ﴿ألم تكن لكم يا أهل العراق قبل الاسلام مدينة الآشوريين والبابليين و بعد الاسلام مدينة العباسيين . ثم أتم يا أهل اليمن ألم يكن لكم عرش عظيم قبل الاسلام وملك مجيد حتى جعل الله لكم في القرآن (سورة سبأ) هل يصح أن تتركوا السمع والأبصار والأفئدة ويقلّ شكركم ومن قلّ شكره سلبت منه النعمة . ثم يقول المؤلف إن طيبا أوروبيا ساعده تلميذه الطيب الياباني الشرقى فصنعا دواء لهذا الداء الافرنجى سمياه (٦٠٦) بعدد التجارب . فهل يكون هذا التفسير الذي امتزج فيه العلم الغربى والشرقى بالقرآن هو الدواء لمرض المسلمين الاجتماعى حتى لا يضرب بهم المثل في الاذلال والتأديب بالضرب بالطيارات﴾ و بيان أن المسلم

وان لم يجحد نعم الله قدرتها وهذا كفر للنعمة

١٧٦ ﴿الجوهرة الرابعة﴾ في قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - في سورة (الاعراف) المناسبة لما هنا

في قوله - فن ثقلت موازينه - الخ وبيان الموازنة بين قوله تعالى - والوزن يومئذ الحق - وقوله تعالى - فتعالى الله الملك الحق - وأن الملك ﴿قسمان﴾ ملك ليس حقا بل هو زائل ميت وهم ملوك الأرض وملك حق لا يزول ملكه وهو الله . وهكذا الوزن ﴿قسمان﴾ قسم حق وهو وزن الله وقسم تقريبي وهو وزن الانسان وأن الأوزان في أرضنا كلها ليست إلا تقريبية لأن الجاذبية عند خط الاستواء أقل منها في جميع الكرة الأرضية لأن خط الاستواء شديد البعد عن مركز الأرض وهذا البعد يقل بالتدرج كلما توجهنا الى القطبين شمالا وجنوبا ويترتب على ذلك اختلاف حركات البندول في الساعات المختلفة بحيث يكون البندول في خط الاستواء كثير السرعة لخفته وعند القطبين قليل السرعة لثقله فبندول خط الاستواء وما والا به يخفته يتحرك حركات أكثر من حركات أمثاله في القطبين وما والاها وهناك نسب جنزية واضحة في التفسير . وبيان أن موازين القبان يعتبر فيها طول ذراع القوة وطول ذراع المقاومة وأن الحجر النازل اعتبرت فيه المسافة وعكس المربع في الجسمين المتبازيين والجذر في البندول المختلفة الخ وبيان ارتفاع الجوّ وأنه بعد (٤٨٠٠٠) مترا تناقص حرارته تناقصا قليلا ثم بعد ذلك طبقات حارة نحو (٦٠) درجة . وأن ثقل الهواء يعادل (٧٦) سنتيمترا من الزئبق وبيان ارتفاع الطيران في زماننا ثم الوصول الى المقصود من هذا المقال وهو أن الوزن تقريبي لأن الكيلوجرام ينقص وزنه في خط الاستواء (٣٥) جرامات ونصف . ويقولون إن الأرض لو كانت أسرع مما هي عليه في الدوران (١٧) مرة لانعدم الثقل عليها . إذن الوزن عند الله حق وعند الناس تقريبي بهذا البرهان . فهذا معنى قوله - والوزن يومئذ الحق - في الأعراف وقوله هنا - فن ثقلت موازينه - الخ بيان قاعدة (أرشميدس) وقصته مع ملك زمانه الذي ظفه بتمييز التاج الذهبي أهومغشوش أم غيرمغشوش فلما استحم الفيلسوف في الحمام أحس بأن جسمه خفيف فأيقن أن الجسم في الماء يكون أخف بمقدار ما أراحه من الماء المعادل لجسمه فصنع ذلك في التاج فظهر له غشه . فعلى ذلك تكون الاجسام في الهواء أخف من حقيقتها بمقدار الهواء الذي أراحته وان كان ذلك يسيرا جدا . إذن وزن الله هو الحق لا وزن الناس في الأرض

١٨٠

﴿المسألة التاسعة﴾ في بيان هذه الآية ومصادقها في دين ادريس نبي المصريين المسمى (هرمس) أو (اخنوخ) أو (توت) فقد صور المصريون الميزان قبل النبوة بالآلاف السنين تقريبا للعقول كنعن الآية وبيان انهم كانوا يعبدون الله الواحد وأن الاشرار كان يلقى الى العاقبة الذين لا يقدر ان يعقلوا الوحدانية وأن هذه الآلهة كانت معتبرة صفات لله مجسمة ثم اغتروا بها فعبدها . وبيان الميزان الذي صوروه (شكل ٢٢) وهناك (أوزوريس) رئيس القضاة و٤٢ قاضيا يحاسبون الروح وصورة الروح المحاسبة وتوت كاتب الأعمال وهورس ينظر في الحسنات والسيئات وأنونيس يراقب كفة الميزان وملك العدل له صورتان وفي وسطهما الروح تتبرأ من الذنب ثم بيان أن العدل ليس مقتصر على الميزان المنصوب في السماء والأرض بل يكون في الحيوانات المختلفة فنها أن السلحفاة البحرية باردة الدم فقللة الحرارة عندها ألهمها الله أن تبحث عن الرمل المناسب الدافئ في الشاطئ فتدفن فيه (١٢٠) بيضة وتتركها في هذا المكان الدافئ المناسب لها وترجع الى البحر فاذا فقس بيضها خرجت أولادها وجاهدت الجهاد الكثير حتى رجعت الى البحر وعاشت فيه وهي لاتعلم أن آباءها كانت فيه بل ذلك من الميزان

المنصوب في الحيوان كالمنصوب في الأرض وفي السماء . ومنها أن بعض التماسيح تضع بيضها في الرمل ولكنها لا تتركه بل تراقبه حتى اذا سمعت أصوات أفراسها في البيضة ساعدتهن بنقر القشرة فتخرج الذرية مع آبائها . ومنها أن بعض الثعابين تعلم أن نسلها معرض لاهلاك أعدائه له فألمت أن ترقد عليه أسابيع كالسجاج حفظا له من الأعداء وهذا هو الميزان الحق . ومنها أن بعض الطيور وهو (الكمم) لا ترقد على بيضها بل اعتادت أن تجعله في أعشاش غيرها من الطيور المختلفة التي عدوها (٨٠) نوعا . ومن الحكمة الإلهية أن تلك الطيور تعطف على هذه الذرية عطفها على أولادها مع اختلافها اختلافا بينا ومتى كبرت الكما كم الصغيرة قطعت السباب والمفاوز ورجعت الى مقرها في (افريقيا) موطن قومها بلاتعليم كما حصل نظير ذلك من صغار السلحفاة البحرية سواء بسواء

١٨٥ (شكل ٢٣) صورة فرخ صغير من الكمم يطلب من حاضته أن تغذيه مع انها من نوع آخر

السجاج الاسترالي الذي يصنع حظيرة يضع فيها بيضه . صورة بيض الحشرات (شكل ٢٤)

١٨٦ الزنايير الوحشية تضع الالاث منها بيضها في أماكن خاصة وتضع بجانبها نحو الديدان والخنافس وتحققها حتى تتختر وتبقى بجانب الذرية حتى تأكلها عند فقساها

بيان كلام علماء الأرواح موافق لما نشاهد في الدنيا سواء بسواء وهم يقولون ان الانسان بعد الموت لا سعادة له ولا شقاء إلا بما اتصف به في الدنيا فمن فكر في الصالحات ولم يعمل فلا خير فيه ومن عمل الصالحات برغبة وصدق كما تفعل أمهات الحشرات والأنعام والانسان مع ذريتها . فهذا هو الذي يبقى بعد الموت وهكذا المتصفون بحب الشر والكبرياء والعظمة والظلم فكل يموت على الصفات التي كسبها وأحبها وأغرم بها ولا عبرة بالظواهر بل بالاخلاص والصدق والمحبة . ومن غلب عليه الشر نزع منه صفات الخير والعكس بالعكس وهذا يقرب من قوله تعالى - فمن ثقلت موازينه - الخ وقوله تعالى - ومن خفت موازينه - الخ وبيان ضرب المثل بالزرع والحشائش به وأن هذه الآراء تقرب من آراء الامام الغزالي في الاحياء . وبيان أن روحا شريرة قالت للملائكة خذوا صفاتي الشريرة لأدخل الجنة فلما سلبوها تلك الصفات بقبت مخدرة فكان من الرجة أن ترجع اليها صفاتها لتحيا ولو على الشر وتعيش مع أصحابها . وجاء في كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ أن الملائكة تهجوا من الناس إذ يتكلمون على الرجة والايمان وفاتهم أن الرجة مجرد واسطة لا غير والناس لا تتغير اخلاقهم بعد الموت والايمان وحده لا يفيد وبيان أن تغيير الاخلاق بعد الموت كتحغير (حمام) النهار الى (بوم) الليل وهو محال

١٨٩ مذكرة في تبيان اني لست أقطع بما ذكر وانما أقول إن صح هذا فان مشكاة جهنم تكون قد انحلت لأن الاخراج من جهنم معناه موت الروح الشريرة فبقاؤها إذن رجة لها ولا يمكن تغيير العقرب الى عصفور وينطبق على هذا المغفرة لأهل بدر لغلبة الفضائل عليهم

بهجة العلم في آية - وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم - وآية - فمن ثقلت موازينه - الخ وأن لفظ الصراط جاء في سورتين أخريين وصفه بأنه صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض وفي الفاتحة انه صراط الذين أنعم الله عليهم وفي أخرى ذكر السواب وأخذ الله بنواصيها . وبيان أن وصف الصراط بأنه لله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ليعرف الناس ذلك في سير الشمس والقمر وغيرهما وشرح ذلك في السنين الكبيسة والبسيطة والأدوار (٣٠) و (٢١٠) وهكذا فهذه الأدوار لا خطأ فيها وقد جاء ذكر الميزان في قوله - والسماء رفعها ووضع الميزان - فله ميزان والله صراط فالميزان يرجع الى القضاء والصراط يرجع الى القدر فصراطه على مقتضى ميزانه وصراط المنعم عليهم غير المنصوب عليهم

يوجب علينا فهم أخلاق الأمم لتوجه الى الفضائل . وتبيان اتي ألفت كتابا يسمى ﴿ ميزان الجواهر ﴾

﴿ تذكرة ﴾ يقول الامام الغزالي « لا يعرف معنى الميزان إلا من درس من كل فن طرفا »

١٩٣ بيان أن التبخر في العلوم مرق لأخلاق بعض الناس وقد تفسد به أخلاق قوم فهو المال والجمال أسلحة تصلح للخير وللشر معا . وقد حضّ (سقراط) في تعاليمه على فتح عين البصيرة ليكون العلم لذة يستغنى بها المرء عن اللذة الحيوانية . للانسان ﴿ ثلاث قوى ﴾ الشهوة للغذاء الخ والغضب للدافعة والعقل للحكمة . وبيان أن الذي يلي أمور الناس إن لم تفتح له عين البصيرة فيستلذ بالعلم انحصر همه في لذة المال والنساء بالرشوة ولكن ذلك الذي انفتحت عين بصيرته يرى لذة لا يعرفها غيره ويرى انه بينه وبين صانع العالم محبة فائقة ويرى الناس أبناءه ويرى النظام في الأخلاق كالنظام في القناطر ويرى القانون والأخلاق والفقهاء توزن بها أعمال الناس كما ان علم الهندسة ونحوه توزن بها المدن ومثل رقاد الساعة للزمن وخسوف القمر لمعرفة متوسط أيام الشهور وبناء الهرم المبنى على دائرة الأرض حول الشمس نظام للجوازين ونحوها بمصر وكذا رقاد الساعة الذي يهتز في الثانية مرة هو الiardة للانجليز وميزان بخار القطار وستجراد وفارنهيث والمقياس التلياني الثماني . كل هذه يعرف بها السوائل كالماء والكهرباء مقياس . وكلما ارتقت الأمة كثرت موازينها والعكس بالعكس وذلك قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فأولو العلم يراد بهم من يعرفون مثل ما كتبناه في هذا التفسير وهم الذين يخشون الله في آية أخرى وهم العالمون بكسر اللام في آية أخرى أيضا وبكثرة هذه العلوم يظهر في الاسلام مجددون ويدوم مجدهم كما دام مجد قدماء المصريين قبل أن يحلّ بهم الفساد . ونظير صراط الله في السموات والأرض صراط الانسان بالعمل الصالح والأخلاق وصرط المنعم عليهم يعرف بالتاريخ المتقدم في - وذكرهم بأيام الله -

تذكرة في أن كلام (عمانوئيل) فيه ان أخلاق الأرواح لا تتغير بعد الموت وأن هذا القول على حسب مشاهداته هو والا في حديث الشفاعة أن الله تعالى يخرج من النار أقواما بالتدريج بعد انقضاء زمن العذاب اذا كان في قلوبهم متقال ذرة من إيمان ثم يدخل الله الجنة قوما لم يعملوا خيرا قط

(تمت)